الطبعة الأولى

د. أشرف السويسي

عمر المتنبي.. وبولس الرسول

The Spiritual Omer & Saint Paul

أول دراسة منهجية مقاربة بين عمر بن الخطاب و شاول الطرسوسي

دار الناس للنشر والتوزيع

إلى مكتبة الاسكندرية
أتقدم بهذه الذكرى في العالم
أهدى مؤلفي للحصول على
هذا الشرف .
أ.د. أشرف

عمر المتنبي

وبولس الرسول

د. أشرف السويسى

د. أشرف السويسى

عمــر المتنبي وبولس الرسول

(أول دراسة منهجية مقاربة بين عمر بن الخطاب وشاول الطرسوسي)

الطبعة الأولى

٢٠١١م

الناشر

دار الناس للنشر والتوزيع

إلى مليكة فؤادي ..

دعاء

إلى من دفعتني وتحمست لي ربما أكثر من حماسي لنفسي ..

وساعدتني أن أقول كلمة حق .. في زمن عز فيه الحق

إلى رفيقة عمري .. وأحلامي

بقدر فضلكِ وتشجيعكِ لي على قهر الصعاب

أهديكِ ما أنتِ جديرة بها ...

قلبي وروحي

أحمد

عمر المتنبي وبولس الرسول

(أول دراسة منهجية مقاربة بين عمر بن الخطاب وشاول الطرسوسي)

د. أشرف السويسى

دار

الناس

للنشر والتوزيع

رقم الإيداع
٢٣٦٨/ ٢٠١١

- **المؤلف:** د. أشرف السويسى
- **العنوان:** عمر المتنبي وبولس الرسول
(أول دراسة منهجية مقاربة بين عمر بن الخطاب وشاول الطرسوسي)
- **الطبعة الأولى:** ٢٠١١
- **المدير العام:** د. أشرف السويسى
- **مستشار النشر:** ماهر حسن
- **المستشار القانوني:** محمد فوزي
- **مدير المتابعة:** علي الفرماوي
- **تصميم الغلاف:** د. أشرف السويسي

دار

الناس

للنشر والتوزيع

***

رقم الإيداع :٢٣٦٨/ ٢٠١١

AN- Nas Publishing House- Cairo

المحتويات

الموضوع	الصفحة
إهداء	٥
الفهرست	٧
شكر واجب للكنيسة	٩
شكر واجب للأزهر	١٠
مقدمة من محاضرات د. غالى شكرى	١١
كلمة د. عمار على حسن	٢٠
كلمة إبراهيم عيسى	٢١
كلمة د. كمال مغيث	٢٢
كلمة القس د. إكرام لمعى	٢٣
حوار إسلامى مسيحى	٢٤
فريضة إحترام المقدس	٢٩
كلمة منفعة	٣٤
لمحة جديدة	٥٥
كلمة المؤلف	٦٠
مقدمة	٧١
الفصل الأول (مكونات ومحددات الشخصية)	٧٥
الفصل الثانى (عمر بولس - التحول إلى الإيمان)	١١٣
الفصل الثالث (عمر فى رحاب الدعوة المحمدية)	١٤١

الموضوع	الصفحة
الفصل الرابع (بولس مع المسيح)	١٦٧
الفصل الخامس (عمر بن الخطاب – السمة النبوية)	٢٠٩
الفصل السادس (بولس والمرأة)	٢٣٧
الفصل السابع (عمر والمرأة)	٢٥١
الفصل الثامن (بولس وتلاميذ يسوع)..	٢٧١
الفصل التاسع (عمر وصحابة محمد)	٢٨٩
الفصل العاشر (عمر الحاكم وتأسيس الدولة)	٣٠٧
الفصل الحادي عشر (لمحات من كرازة بولس واستشهاده)	٣٢٥
الفصل الثاني عشر (بولس وتأسيس الكنيسة)	٣٨١
الفصل الثالث عشر (صوت عمر اللاتاريخي)	٣٩١
الفصل الرابع عشر (صورة بولس اللاتاريخي)	٤٠٧
المراجع العربية..	٤١٥
المراجع الأجنبية..	٤١٩

***

شكر واجب

أتقدم بخالص الشكر والعرفان لرجال الإكليروس بالكنيسة الأرثوذكسية منارة مصر للعالم على مدار ألفي عام وقلعتها الوطنية العريقة ، لما قدموه من مؤلفات عظيمة ساهمت في بلورة أفكاري في صياغة هذا المؤلف شاكرًا لهم تعب محبتهم.

المؤلف

شكر واجب

أنتقدم بخالص الإمتنان لرجال
الأزهر الشريف على ما ساهموا به
من خلال مؤلفاتهم في خلق رؤية
متوازنة في التعامل مع النص الذي
بين دفتي هذا المؤلف بما هو معروف
عن هذا الصرح العظيم من
الإعتدال والسماحة على مدار أكثر
من ألف عام.

المؤلف

مقدمة(*)

هناك ثغرات واسعة في الوعي التاريخي لدى المصريين، والعرب عامة. هذه الثغرات أو الفجوات المظلمة في العقل الجمعي أشبه ما تكون بالتمزقات في ذاكرة الأمة.

وبالرغم من صحة التفسيرات الإقتصادية والإجتماعية والسياسية لحالات الإحتقان الطائفي وأحوال الإختناق المذهبي أو الفكري أن العنصري، فإن النقص الثقافي والتشوه الذي يصيب البنية الذهنية يأتي في مقدمة الأسباب الكامنة أو الظاهرة ... لأن البقع البيضاء أو السوداء في العقل الجمعي والفراغات الرأسية أو الأفقية في الذاكرة الوطنية ترجع في المقام الأول إلى أنظمة ثقافية وبنيات ذهنية تشكلت مع الزمن، سواء مع إستمرارية (مسلمات) في رؤية التاريخ لم تتعرض مطلقًا لاعادة نظر ، أو لثبات (مقولات) نشأت أصلاً في ظروف سلبية ولم تحدث لها أية مراجعة في ظروف أخرى، أو لانعكاس هذه المقولات وتلك المسلمات على مختلف وسائل وبرامج وأشكال التعليم. والإعلام، سواء الشعبي منها أو الرسمي ، المدني أو الديني ، الأجنبي أو الوطني، ما يخاطب الأمين أو إنصاف المتعلمين أو النخبة المثقفة.

ليس هناك على سبيل المثال ما يشرح ويفسر ويبرر للطالب المصري مسلمًا كان أو مسيحيًا معنى إنتماء مصر إلى الحضارة العربية الإسلامية، برامجنا في الإعلام ومناهجنا في التعليم تختزل هذا الإنتماء في العقيدة الدينية، بينما البناء الحضاري العربي الإسلامي، أكثر اتساعًا وشمولاً، لأنه يضم أعراقًا وأفكارًا

(*) الكاتب د. غالي شكري ، أحد مفكري مصر الراحلين العظماء والمقدمة منقوله عن إحدى محاضراته والتي نشرها عام ١٩٩١م ورأينا إعادة نشرها هنا لأهمية محتواها لموضوع الدراسة (=المؤلف).

ومذاهب فلسفية ومراحل لا سبيل لاختصارها في (الدين) ولكن الإقتصار على الجانب العقيدي من جوانب الحضارة العربية الإسلامية يدفع المواطن المسلم والمواطن المسيحي معًا إلى اعتبار هذه الحضارة أمرًا يخص المسلمين وحدهم، وهو خطأ جسيم يشترك في ارتكابه الطرفان، لأن الإسلام ليس دينا فقط بل هو: أحد عناصر القومية العربية، ومن أهم عناصر الثقافة العربية، وفي مقدمة عناصر الحضارة الإسلامية والقومية والثقافة والحضارة ليست (امتيازا) للمؤمنين بالعقيد الإسلامية، بل هي (حق) لجميع المنتمين إلى الوطن والأمة العربية إيا كانت أديانهم أو مذاهبهم أو عقائدهم، بل وأيًا كانت أعراقهم.

ولكن هذا المفهوم للإنتماء إلى الحضارة العربية الإسلامية _ وهو يحتاج إلى برامج كاملة في مختلف العلوم الإنسانية- ليس مطروحًا على الذاكرة الوطنية، بل هناك فجوة يملؤها الإرتباط الديني بالحضارة وليس الإرتباط الوطني أو القومي أو الثقافي ، وليس من الغريب أن تكون هذه الفجوة واحدة لدى المسلم والمسيحي على السواء، والفرق أن أحدهما يرى بصفته مسلمًا أنه صاحب الحق الشرعي الوحيد للحضارة الإسلامية، والآخر يسلم له بذلك قائلاً دون وعي منطوق أنه يتطفل على تلك الحضارة إذا ادعى الإنتماء إليها.

ومرة أخرى ، فهو خطأ جسيم يشترك فيه الجانبان نتيجة رواسب مستمرة أو مستجدة من الأنظمة الفكرية والبنيات الذهنية المستقرة في ظل العصور المظلمة أو الأحكام الظالمة، ولكن بقاءها دون مراجعة أو نقد وإعادة نظر هو الذي يتسبب بين حين وآخر، كلما خبت الرياح الإقتصادية أو الإجتماعية أو السياسية العاتية، في بلبلة أبناء الشعب الواحد والوطن الواحد، والقومية الواحدة والحضارة الواحدة، أما المثل الآخر الذي أضربه على الفجوات المظلمة في العقل الجمعي أو تمزقات

الذاكرة الشعبية، فهو غياب (العصر القطبي) من تاريخ مصر، ومن ثم غياب (المعنى) من وجود الأقباط إلى يومنا، أي أن جزءاً من إشكالية الحاضر يعود إلى غيبة المنظور التاريخي . ومن المفارقات أن أقسام الفلسفة والتاريخ في جامعاتنا تهتم بتاريخ المسيحية وتاريخ الكنيسة في أوربا، أما مصر القبطية فهكذا تنشأ الازدواجية والرؤية بعين واحدة، تقول مدارسنا الوطنية وإذاعتنا الوطنية وصحافتنا الوطنية وملفاتنا الوطنية ومناسباتنا الوطنية أن هناك مصر الفرعونية ومصر اليونانية- الرومانية ومصر الإسلامية، ومن الغريب حقًا أن نعترف إذا كنا متدينين بمصر الوثنية، وإذا كنا وطنيين بمصر المغزوة من اليونان والرومان، ولا نعترف بمصر القبطية، أي مصر المسيحية ، مصر المصرية، والأغرب أن الباقي من مصر الفرعونية هو (الآثار) العظيمة ، والباقي من اليونان والرومان هو (آثارهم) بينما الباقي من مصر القبطية- إلى جانب الآثار- هم البشر الذين يعيشون بيننا خيطًا أصيلاً في نسيج الشعب المصري .

لست أريد أن أذهب بعيداً لأقول أننا نجهل في الوقت نفسه (المسيحية العربية) خارج مصر، نجهل كنيسة أنطاكية في بر الشام، والمعارك الكبرى التي خاضتها كنيستا الإسكندرية وإنطاكية في مقاومة الأجنبي ، حين كان وثنيًا وحين كان مسيحيًا على السواء ، وخاصة حين كان مسيحيًا، هذه المسيحية العربية هي المصل الواقي من الطائفية في جسم القومية العربية. إذا كان الإسلام هو أيديولوجية التوحيد القومي لشعوب وقبائل شبه الجزيرة العربية. فإن المسيحية _ الأرثوذكسية على وجه خاص هي التي رسخت الأصالة والتنوع واضحت لصدامها التاريخي المستمر مع الأجنبي من قلاع الوحدة القومية الديمقراطية للأمة العربية.

إن الغزو التبشيري الأجنبي قد ترافق مع الاستعمار الغربي الحديث، وقد استهدف دائمًا غزو الكنيسة الوطنية وسلخ الأقباط عن أرثوذكسيتهم ذات المركز الوطني وإلحاقهم بالإرساليات ذات المراكز الأجنبية، ولكن الكنيسة القبطية ناضلت في وقت واحد تلك الإرساليات وضد جيوش الإحتلال وأعوانهم، مما أكسبها الخصائص الوطنية المميزة.

وهكذا فالأقباط ليسوا عصرًا تاريخيًا فقط، وليست مصر القبطية، تراثا دينيًا فقط، وإنما الأقباط هم جذور وفروع مستمرة في البنية التاريخية للشعب المصري ووحدة نسيجه فالعصر القبطي كمرحلة زمنية هو أحد جذور الشعب كله، وليس مرحلة منفصلة أو منغلقة على ذاتها تضم الأقباط وحدهم وهو جذر أشمل من أن نحاصره في العقيدة الدينية، لأنه جذر ثقافي وحضاري، فالمقاومة البطولية ضد روما وبيزنطة هي مقاومة الشعب المصري وأحد شرايين الوعي الوطني الممتدة إلى عصرنا ومصرنا جميعًا، والأقباط عاشوا في العصور الإسلامية المختلفة حتى الوقت الراهن، مما يبرهن على أن الإسلام ، بالرغم من فترات الإضطهاد التي لم ينج منها المسلمون أنفسهم ، قد حافظ في النهاية على الوجود القبطي ضمن النسيج المصري العام، وهو أمر كان من شأنه إغناء مكونات (الوطنية المصرية).

ولكن الذاكرة الوطنية تعاني فقرًا مدقعًا في هذه النقطة للأسباب التي سبق ذكرها وغيرها، بل أن هناك ثغرة حقيقية حول ماهية الأقباط ودور كنيستهم بسببها يضيع أحيانًا مفهوم (المواطنة) ويتبدد أحيانًا أخرى _ ولو في نطاق ضيق- الوعي الجماعي بمصر القبطية كأحد جذور مصر المعاصرة، وبالكنيسة القبطية كأحد قلاع الوطنية المصرية، وبالأقباط كجزء لا ينفصل عن بقية الشعب المصري ، والفجوة

التي يسببها غياب هذا الوعي يملأها في ظروف الإنحلال وعصور الإنحطاط الإرتباط الوحيد والمباشر بالفتح الإسلامي، كأنه بداية التاريخ لمصر وكأن غير المسلمين متطفلون على هذا التاريخ ، لاجئون وسبايا وأسرى، ومن ثم تبدأ المشكلات التي ننسى أو نتناسى أصولها الثقافية في بناء الذاكرة الجماعية ينسى البعض أن الإسلام ليس ملكًا للمسلمين وحدهم، وأن العصر القبطي ليس تاريخًا للمسيحيين وحدهم، فمصر الفرعونية ومصر القبطية ومصر الإسلامية ومصر العربية هي وطن واحد وتاريخ واحد لشعب واحد.

هذان مثلان فقط على الفجوات والتمزقات في الوعي التاريخي التي تشارك بنصيب موفور في تمزقات من نوع آخر في الواقع والخاص.

وفي مواجهتها هناك أربعة أنماط من (الفكر المصري):

أول هذه الأنماط هو المساهمة في سد الفجوات وترميم التمزقات إيجابيًا، أن مثالاً نادرًا بل وحيد عن القمص سرجيوس ودوره في ثورة ١٩١٩ نشره سحمد عوده في كتابه (سبع باشوات) ومقالاً آخر وحيدًا لذلك عن البابا كيرلس الخامس ودوره في الثورة العرابية نشره صلاح عيسى في كتابه (حكايات من مصر) ومجموعة من المقالات كتبها طارق البشري في مجلة (الكاتب) بعنوان (أحمد والمسيح) فضلاً عن الكتابين القديمين المتجددين : (السندباد المصري) لحسين فوزي وفي (أصول المسألة المصرية) لصبحي وحيد نماذج على طرق وأساليب متعددة في الإحساس الوطني بالثغرات المفتوحة في الوعي، وكيفية معالجتها.

ينتمي إلى هذا النمط- على نحو مغاير- أيضًا مؤلفات خالد محمد خالد (محمد والمسيح معًا على الطريق) ومحمود أبو رية (دين الله واحد) : محمد

والمسيح إخوان والقسم الأول من كتاب طارق البشري (المسلمون والأقباط) وجميع أعمال وليم سليمان قلاده، وكتاب مصطفى الفقي عن مكرم عبيد، وكذلك كتاب مني مكرم عبيد.

ينتمي إلى هذا التيار أيضًا تنبيه إسماعيل صبري عبد الله المستمر إلى الدور الو طني للكنيسة المصرية، ودعوة فريدة النقاش المستمرة إلى الاهتمام بالثقافة القبطية وكتاب أبو سيف يوسف (الأقباط والقومية العربية) وكتاب عيادي العيد عيادي (المسيحية والقومية العربية) والفصل الإستثنائي عن الكنيسة المصري في كتاب محمد حسنين هيكل (خريف الغضب) وأيضًا كتاب (نهضة مصر) لأنور عبد الملك، وكتاب (شخصية مصر) لنعمات أحمد فؤاد.

ولكن هذا النمط الإيجابي للأسف لا يصل إلى برامج التربية والتعليم والإعلام والثقافة ، بل إن ما يبنيه هذا التيار في سنة تهدمه أجهزة الإعلام ومؤسسات التعليم في ساعات، تبقى الغلبة (للوعي الشقي) كما كان يسميه هيجل.

أما النمط الثاني فإنه يعمل على توسيع الثغرات وتعميق الفجوات ومضاعفة التمزقات، كما هو حال النشاط الإعلامي المكثف للجماعات الإسلامية، وكما هو أيضًا حال بعض (العلماء) كالدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الراحل في كتابه عن (المسيحية نشأتها وتطورها)(*) وكأحاديث الشيخ متولي الشعراوي.

والنمط الثالث هو المعالجة (الدينية) التي تؤكد الإنقطاعات في الوعي التاريخي والانقسمات في الوجدان الوطني سواء ربطت هذه المعالجة بين العروبة

(*) الكتاب من تأليف شارل جينيبير ومن ترجمة للدكتور عبد الحليم محمود .فقط (= المؤلف).

والإسلام ربطًا دينيًا وحيد الجانب، أو عانقت بيد أيدي المشايخ والقساوسة في مشاهد دعائية لا تغلق ثغرة ولا تسد فجوة ولا ترمم تمزقًا.

والنمط الرابع والأخير هو ما يؤكده قطاع من المثقفين الناطقين إلى هذه الدرجة أو تلك باسم الإسلام السياسي سواء تطوعوا لهذه المهمة من تلقاء أنفسهم أو لانخراطهم في العمل السياسي الإسلامي أي أنهم يمثلون غيرهم، هؤلاء يؤكدون في أغلب كتاباتهم على أن تحليلاتهم وأحكامهم تستند على رؤية ناقصة، مليئة بالفجوات حتى على صعيد المعلومات، وكان بعضهم في الماضي يتهم الماركسية والماركسيين بأنهم يعتمدون على (الإيجيولوجيا) التي يتصورونها المفتاح السحري لمغاليق الدنيا، وهو المعنى المقصود به التبسيط وفقدان المعرفة، ولكن الوعي بهاتين النقيضتين لم يحل دون (التمتع) بهما من جانب بعض المثقفين من كتاب الإسلام السياسي ، حيث يفتقر سجلهما مع الأقباط أو الكنيسة إلى المادة الأولية من المعلومات التاريخية أو الوقائع أو الوثائق التي تشكل إطارًا مرجعيًا لمعرفة موثقة وموثوقة، وهو الأمر الذي يقطع الحوار قبل أن يبدأ بينهم وبين من يريد محاورتهم ويشكك في أحكامهم المنحازة سلفًا إلى معرفة جزئية مبعثرة وحيدة الجانب، وقد كان احتفالهم بكتاب سطحي هزيل عما دعاه وادعاه صاحبه من (مسيحية سياسية) دليلاً واعترافًا من جانبهم بأنهم يجهلون إلى حد كبير المعلومات الأولية الصحيحة عن أبناء وطنهم.

وقد حاولت اكتشاف ماهية الخطاب القبطي وهويته، لغته ومستوياته وحدوده، في إطار الوعي الثقافي وهو الإطار الذي يجمع بين العنصر التاريخي دون سرد تراكمي وبين العنصر الفكري دون رصد كمي وبين العنصر الإجتماعي-

السياسي دون استعراض قيمي، عناصر متعددة من الأدب والفن والأيديولوجيا والفلسفة والآثار والوقائع اليومية، لابد من الإسناد إليها في (تكوين) صورة الخطاب القبطي المندعم والمتداخل والمتناغم بالضرورة مع بقية أركان الخطاب الوطني العام.

كانت عملية إستخلاص الملامح الخاصة بهذا الخطاب، هي على أحد الوجوه تحليلاً للمضمون وعلى الوجه الآخر بناء الشكل .. وهو ذاته المواد الأولية للمضمون، لذلك كان لابد من رؤية الخطاب في حالة حركة، طالما أن المقصود لم يكن هو الماضي ـ القريب أو البعيد- فلو كان التاريخ للأمس أو أول أمس لا تبعث طريقة تثبت الصورة أو الصور عبر السرد التراكمي للأحداث. أما إذا كان المقصود هو المساهمة في إعادة تكوين الذاكرة الجماعية، فإن حركة الخطاب تصبح من لزوم اللزوم، وحركة الخطاب تعني تلمس فكرة ولغته ورؤياه عبر (الحوار) الحواريين أطراف الخطاب، بين الحاضر والغائب وبين السالب والموجب وبين الماضي والمستقبل وبين الوثيقة والشك وبين الثابت والمتغير وبين الزمان والمكان وبين الأشخاص والرموز وبين الأفكار والأقنعة وبين الواقع والأماني وبين المجهول والمعلوم.

هذا الحوار المتعدد الأصوات قد فرض حضوراً مكثفًا أو مخففًا للكنيسة والمسجد والوطن والأمة، وحضوراً للإيمان والعقائد والسياسة، وحضوراً للمشاعر والأخيلة، وحضوراً للوقائع والاحتمالات والمطابقات والتناقضات.

هذا الحوار الحاضر أو الحضور المتعدد الأصوات ، لم يفض إلى (محاكمة) من أي نوع، فليست هناك اتهامات ولا مرافعات ولا حيثيات ولا أحكام، كان من

الممكن للحوار أن يستدرج إليها، وإنما ظل الحوار محققًا لذاته من خلال المساهمة في بناء الذاكرة، وهي مساهمة (الجماعة) و(الحصيلة) وليست مساهمة فرد أو هيئة أو فكرة بعينها، أي أن التناقض نفسه بين الأفراد أو (الوقائع) كان يسهم في ملء الفجوات ويضمد أو يرمم التمزقات في المخيلة التاريخية والعقل الجمعي.

د. غالي شكري

كلمة

ظلت فكرة مقارنات الأديان على مر تاريخ البشرية من أجل الحوار الثقافي فقط ولم تكن يومًا بغرض الهجاء العقائدي إنما من أجل التواصل والفهم المشترك لكي تصل من خلالها إلى التحول من الجفاء إلى الود الممزوج بالمعرفة فلو عرفتك بشكل صحيح أو عرفتني لامكن أن أعذرك وتعذرني فالمعرفة.. هي بداية التفهم وبداية التسامح وبداية جيدة لقبول الآخر على أرضية التعايش المشترك.

إبراهيم عيسى(*)

(*) كاتب صحافي مصري والكلمة هي فقرة من إحدى المقالات المنشورة تتعلق بموضوع البحث (=المؤلف).

كلمة

طريق المعرفة البشرية أطول من أن نقطعه خلال جيل واحد أو عدة أجيال وإنما هي مراحل تمر بها الإنسانية في طريق ممتد على محطات ومن ضمن هذه المحطات الروحانيات وانعكاسها الثقافي على الأفراد والأمم ولعل تلاقي الثقافات والأفكار قد انعكست على منطقة الشرق الأوسط أو المنطقة العربية وما وراء النهرين فيما عرف قديما بأرض الأديان والأنبياء التي تلاقت أفكارها أكثر مما تنازعت واتفقت أكثر مما اختلفت وظلت المقارنة بين الأديان أقرب في الحقيقة إلى مقاربة ما اختلف ومقارنة ما اتفق وليس العكس.

د. عمار علي حسن(*)

(*) مفكر مصري وباحث سياسي والكلمة هي فقرة من إحدى مقالاته.

كلمة

عانت البشرية طوال عصور العلم وعصور الجهل على حد سواء من الجهل بالآخر وما دام الآخر مجهولاً فهـو (عدو محتمل) ومنذ أن بدأت البشرية تتواصل وتتكامل في كثـير من المناحي والأنشطة الحـياتية ظلت نقطة الأديان بعـيدة عن هذا الهدف وهذه الأنشطة... حتى بدأت تشتعل هذه الرغبة بعد الحروب التي عرفت بـ (الصليبـية) من خلال منهج (إعرف عـدوك) وقتها والذي تحـول مع مر الزمن إلى (إعرف أخيك) حتى لا يتـحول من جفاء التباعد وعدم الفهـم إلى (عدو محتمل) وما أحـوجنا إلى أن نعرف من خـلال التاريخ ـ أكثر من العـقيدة ـ المختلف معنا دينيًا وأن يعرفنا كأصدقاء.. لا أعداء.

د. كمال مغيث

مفكر مصري

الخبير بملف المجتمع المدني والملف التربوي

مع خالص ودي وتقديري وحبي

كمال مغيث

كلمة

حاجة الإنسان للعقيدة تكاد تكون أمرًا غريزيًا ضمن الحاجات الأساسية اللازمة لوجوده على الأرض.. وظل ما يعتقده الإنسان في أحيان كثيرة أمرًا غير قابل لإعادة المناقشة أو التهذيب أو التطوير.. فالعقيدة عند المؤمن إما اعتناق أو اكتساب وفي الحالتين هي (دوجما) بمعنى انغلاق فكري على تصور محدد عن شيء معين لا يحيد عنه المرء ويدافع عنه لأقصى درجات الدفاع.

ومع تطور البشرية و ظهور الأديان السماوية والتي من المفترض أنها دين واحد ورسالة واحدة إلا أن الأمر على أرض الواقع لم يكن كذلك بالضبط وأصبح هناك من ينكر على الآخر إلهه وينعته بأنه إله غير حقيقي أو أن الآخر عقيدته هي مزيج من الزيغ والضلال أو أنه على لا شيء وتفرقت الرؤي من بعد ما كان من المفروض أن توحدهم الكلمة نتيجة ما سبق الإشارة إليه من الإنغلاق وإنحياز كل فريق لمعتقده و (الدوجما) الخاصة به... ومن هنا نفهم أنه لابد ... وقد صعب الإلتقاء على أرضية واحدة في كل القضايا والرؤي .. أن نتقابل على أرض المشتركات الثابتة والقضايا التي لا خلاف فيها أو اختلاف عليها ونعمق هذا الجانب ونبدأ منه كأرضية أو منصة انطلاق لحوار ثقافي لا ينقطع بين المنطلقات الإنسانية والأخلاقية الثابتة في الأديان لعلنا نصل في النهاية إلى أسس إنسانية للتعايش معًا دون الحاجة لإقصاء وإلغاء الآخر أو الطعن في عقيدته أو بغضه وكراهيته بسببها.. أو النفور وعدم التعاون والتعايش معه على أساسها.. فما دمنا لن نتفق على الكثير فعزاؤنا ألا نختلف على قليل فهو على الأقل أفضل من لا شيء.

القس / د. إكرام لمعي

أستاذ مقارنة الأديان - الكنيسة الإنجيلية

حوار إسلامي مسيحي(*)

كلمة الأب الإيكنموس رفيق جريش

يقول عالم اللاهوت الألماني المعرفي (هانز كونج):

«لن يكون هناك سلام بين الأمم ما لم يكن هناك سلام بين الأديان، ولن يكون هناك سلام بين الأديان ما لم يكن هناك حوار بين الأديان».

وتجدر الملاحظة أن مبادرات الحوار بين الإسلام والمسيحية قد صدرت في معظمها في العصر الحاضر من الجانب المسيحي في الغارب وبخاصة بعد ما أصدر الفاتيكان بيانه الشهير عن الإسلام عام ١٩٦٥ والواقع أن الدعوة إلى الحوار قد قوبلت في بادئ الأمر ببعض الشكوك والمخاوف من بعض الدوائر الإسلامية ولكن سرعان ما تبدلت الأمور وأصبح هناك الآن اقتناع تام حتى لدى الجهات الدينية الرسمية على الجانب الإسلامي بضرورة الحوار والمشاركة فيه بفاعلية فنحن نعيش اليوم في عصر لم يعد فيه مكان للإنعزال والتقوقع والحوار هو السبيل إلى بلوغ الهدف والوصول بالبشرية إلى بر السلام فمستقبل الإنسانية جمعاء يتعلق بحل إشكالية التفاهم المتبادل بين الشعوب.

ومن المهم أن نعلم أنه لم يجر حتى الآن سوى محاولات عملية قليلة لمناقشة مسائل تتعلق بالتقارب والتفاهم بين الحضارات والشعوب والأديان. ولعل في عصور الإسلام الأولى لعب المسيحيون السوريون دوراً وسيطًا مهمًا جداً في الإتصال الثقافي بين الغرب والشرق العربي.

(*) رئيس المكتب الصحفي للكنيسة الكاثوليكية بمصر - المتحدث الرسمي باسم الطائفة الكاثوليكية بمصر.

وفي البـدايات رأت بعض التـصـورات الأوروبية أن الإسـلام يمثل (تحـديًا) يتطلب ردًا ومقـاومة وتدميرًا إلا أن القرون الوسطى شـهدت أوسع تحاور ومشـاقفة بين الجـانبين وكان الأوربيـون أكثـر اقتـباسًـا من آداب العرب المسلمين وعلومـهـم وأساليبهم التـأليفية المختلفة بما يصبح اليـوم تاريخًا عالميًا، بحيث تتحمل مسـئوليته الإنسانية بأجمعها مما يقودنا إلى حوار جديد ومثمر مع الديانات غير المسيحية.

ويمكن أن نتذكر مجموعة أو رابطة (إخوان الصفا) التي أنشئت في مصر عام ١٩٤١ من مجموعة قليلة من المثقفين المسـيحيين والمسلمين ووضعت نصب عينها مهمة علمية بحتـه ثم المؤتمر الإسلامي المسيحي الغربي الذي عقد في إبريل ١٩٥٤ في بحمدون (لبنان) بترتيب من (جمعية أصدقاء الشرق الأوسط) الأمريكية وكان عبارة عن نشاط أيديولوجي خالص.

ويمكن من ذلك القول بأن الحوار الإسلامي ـ المسيحي ليس إلا عملية تفاعل ثقافي تاريخي بين الشرق والغرب.

وقد ظهـرت مدارس ترجمـة معـاني القرآن وكتب المجـادلة مع المسلمين في الحواضـر الأوربية الكبرى ونـزعات التبـشير المسـيحيـة بين المسلمين بما يعكس أن تصـورات المسـيحيين الأوروبـيين في ذاك الوقت لـم تكن واحـدة بل تحـمل ألوانًا وتوجهات غير متطابقة.

ومن ضمن التـلاقح الثقافي أن المفكرين المسـيحيين في أوروبا عـادوا لمبادئ الإسـلام ليس بهدف المناظـرة أو المساجلة بل من أجل اسـتخدامـها في المجـالات اللاهوتية والفلسـفية والمذهبـية المحتدمـة فيمـا بينهم كما أكـد ذلك العالم الروسي اليكسي جورافسكي في بحثه القيم (الإسلام والمسيحية).

ويذكر التاريخ كيف عاش مسيحيو الشرق الأدنى في ظل أغلبية إسلامية بدءاً من ظهور الإسلام ومروراً بالقرون الوسطى، وانتهاء بوضعهم في النصف الثاني من القرن الماضي وكيف ظهر دعاة النهضة والتنوير المسيحيين العرب وتخلصوا من التشرذم الطائفي والمذهبي وانخرطوا في حركة القومية العربية التي لا تفرق في منطلقاتها وأهدافها بين مواطن وآخر تبعًا لانتمائه العرقي والطائفي والمذهبي.

ولما أن المجتمع البشري أصبح في هذه العصر (مسكنًا واحدًا) لهذا فإن الحوار كما يعتقد الآن كثير من اللاهوتيين وممثلي الجماعات الدينية المختلفة أصبح ضروريًا الآن وللغاية إضافة إلى أنه أكثر ملاءمة وتوافقًا مع روح العصر التي تتسم بالتسامح والتعايش بين الأديان.

وفي (الكتاب الجديد للإيمان) المسيحي الذي وضعته في بداية السبعينيات مجموعة من الكتاب اللاهوتيين الكاثوليك والبروتستانت تطرح فكر تاريخ الثقافات ولعبت العلاقات الإسلامية المسيحية دوراً خاصًا في تاريخ التفاعل المتبادل بين الشرق والغرب فالمسلمون والمسيحيون على حد سواء كان يدركون الرابطة الروحية المشتركة (وإن كانت محدودة الأبعاد) والتي ترجع إلى التقليد الإبراهيمي الشرق أوسطي أو إلى الأرومة الإبراهيمية التوحيدية، وفي الوقت نفسه كانوا يدركون الإختلاف الجوهري بالنسبة لخبراتهم في المجال الثقافي ـ الأيديولوجي.

وبدءاً من انتشار الإسلام ونشوء الخلافة العربية ظهر التضاد الديني ـ الأيديولوجي بين الغرب والمشرق العربي ولكن عملية التواصل الثقافي بين هذين

الإقليمين لم تنقطع كليًا ففي المرحلة الإسلامية الأولى لعب المسيحيون السوريون- كما ذكرنا آنفًا- دورًا متوسطيًا بين الطرفين في القرن الثامن الميلادي وهو الدور الذي وصفه المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون بـ (تهجين الدين المنتصر مع الثقافة المغلوبة) ولوحظ تأثير الفكر الفلسفي المسيحي في أطروحات علم الكلام الإسلامي الأول وفي أساليبه الإقناعية وتجلي ذلك في المناظرات الجدلية التي سلكتها طوائف الفكر الإسلامي مثل الجهميون والجبريون والقدريون حول إشكالية العلاقة بين الجبر الإلهي (التيسيير) وحرية الاختيار الفردي (التخيير) وكذلك في الحركة الزهدية الإسلامية.

وفي القرنين التاسع والعاشر للميلاد عرفت مدارس الترجمة المسيحية في كل من بغداد ونيسابور وحران المسلمين تراث الفلسفة القديمة والمعارف العلمية لذلك العصر ولما سبقه من عصور.

وفي القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد تبودلت الأدوار حيث أصبح فيها علماء المسلمين وفلاسفتهم أساتذة ومعلمين بالنسبة لمسيحيي أوروبا، فكان لهم نفوذهم القوى وتأثيرهم الذي لا يضاهي .

ووسعت الترجمات من العربية إلى اللاتينية آفاق المعرفة الأوروبية للفكر العلمي- الفلسفي القديم أما عصر النهضة والعصر الحديث فقد طورا بشكل جاد الاختلافات الثقافية بين أوروبا والشرق الإسلامي ولكن بدءاً من القرن التاسع عشر لوحظ التقارب بينهما مجدداً. وأيضًا لعب المسيحيون السوريون دوراً مهما حيث قدموا إسهامًا كبيراً في النهضة الإجتماعية والثقافية للمشرق العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

إن الإسلام في تاريخ الثقافة الأوروبية والمسيحية في إطار الحضارة العربية والإسلامية دائرتان واسعتان من المشكلات والعناصر والتفاعلات تضم كل واحدة منها كمية ضخمة من الموضوعات والمباحث ومن الطبيعي المناقشة بدقة لتصورات المسيحيين والمسلمين بعضهم عن بعض من منظور العلاقة العضوية لهذه الإشكالية بسياقها الاجتماعي- النفسي وإبراز أهمية بحث الحوار الإسلامي المسيحي في إطار العلاقات الاجتماعية والثقافية بين الديانتين من القرون الوسطى إلى القرن الحادي والعشرين.

الأب رفيق جريش

فريضة احترام المقدس(*)

الدين والوطن توأمان للإنسان، لا يقوم وجوده ولا تستقر حياته بدونهما، وفي قلب الدين يكون المقدس: الكتاب المنزل، والرسول الموحي إليه، والدعوة إلى الله على بصيرة إلى إيمان تحيا به النفوس وتنشرح به الصدور، وتجعل له نوراً يمشي به في الناس، ويبقى الكتاب المقدس هداية ورحمة وإشعاعًا به يستضئ المؤمن طريقه إلى الحياة بعد الموت، والهداية بعد الضلال، والنور وسط الظلام، وهو ما يصدق على تعاليم القرآن العظيم بمثل قوله تعالي: (أومن من كان ميتا فأحيناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) (سورة الأنعام: الآية ١٢٢).

وتظل هذه المكانة السامقة لكتاب الله، في سوره وآياته وحروفه لا تتخلف عنه، ولا تقبل أي أثارة من شك أو ارتياب فيما احتوى عليه من العقائد والشرائع والأخلاق، وأي ادعاء بخلاف ذلك هو افتراء على الله بغير حجة ولا برهان، لا يجوز الاقتراب منه أو المساس به، فهو منطقة محظور الدخول إليها، أو اختراق حصونها ناهيك عن الطعن في نصوصها، لأنه عمدة الدين وجوهر المعتقد وهو المهيمن على الكتب السابقة عليه، ولا مجال مطلقا في التشكيك في حفظ آياته، فقد توفر له من الأمانة في تدوينه، والتثبت في آياته ما لم يتوافر لغيره فالطعن في أية آية منه، ليس خطأ وإنما خطيئة، وليس ذنبا وإنما اقترف المجترئ عليه كبيرة من الكبائر، لما أقدم عليه من التشكيك في التنزيل المقدس، وهو يدري أنه : (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وكما تنطبق هذه القدسية ، وتثبت العصمة

(*) نشرت بنفس العنوان في مجلة منبر الإسلام في أكتوبر ٢٠١٠ ولأهمية محتواها لموضوع دراستنا رأينا إعادة نشرها (=المؤلف).

للقرآن الكريم، تكون لكل منظومة الإسلام، فحسبه أنه دين الله الخاتم للبشر، ومن إنصاف الإسلام أنه يسلم لغير المسلمين بالحق في تقديس كتبهم: الإنجيل والتوراة، والزبور وصحف إبراهيم، فهي بلاغ من الله لعباده المؤمنين جاءت بوحي الله إلى المؤمنين بالدين، كما أخبر القرآن في بيان معجز عن التوارة (إنا أنزلنا التوراة فيها هدي ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) (سورة المائدة: ٤٤).

وعن الإنجيل: (وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) (سورة المائدة : ٤٦) . وهذا تمجيد وإشادة نابع مع احترام الإسلام لكتب ومقدسات اليهود والنصارى، ولا يعترف ولا ينطق بهذا الثناء الجميل غير القرآن، وليتأمل كل منصف باحث عن الحقيقة في دلالة هذا الخطاب الإلهي فسيجد فيه أنه تعبير عن الحق والحقيقة أصول تبنى عليها العلاقة بين أتباع المؤمنين، فتقيم بينهم التقديس والإجلال للكتب المقدسة، وتجعل ما ورد بين دفتيها عقيدة لدى أصحاب كل دين، يجب احترامه وعدم المساس به باعتباره خطا أحمر يحرق من تجاوزه، ويهدد حرمة الأديان والأوطان والإنسان.

السبب في ذلك أن الأديان هي رسالة سلام ومحبة ورحمة وهداية للمؤمنين، هكذا أوحى بها الله تعالى إلى رسله وأنبيائه الأطهار: ليبلغوها الناس فهي عنوان الحقيقة، والنصوص المحفوظة بين دفتيها من باب المطلق لا النسبي، فيجب التسليم لها بحجية التنزيل والوحي بها من عند الله.

وإن أثر الحفاظ على هذا المنهج السديد، إشاعة السكينة والاطمئنان بين أصحاب الأديان على ما يوجد بينهم من اختلاف الدين في الحفاظ على الوطن من أهل السوء المتربصين به، الباغين عليه، والقيام بفريضة دينية مقدسة هي أن يعيش

الناس في سلام ووئام بين بني وطنهم، وأمان واستقرار لكل أبناء مجتمعهم، وحماية ووقاية، للوطن من أن تطل الفتنة برأسها بتداعياتها المدمرة على الجميع، أعاذ الله مصر والمصريين وسائر أوطان الإسلام من لهيب نارها، وحصن المسلم والمسيحي من أي احتقان أو توتر، وبصر قادتها على كل المستويات وفي كل مجال بترسيخ فكر التعايش الخلاق الذي يجمع ولا يفرق ويصون ولا يبدد، وألهم أبناءها البررة أن يكونوا على الدوام مواطنين حافظين لحق الوطن، مدافعين جميعًا عنه ضد كل من يثير الفتنة فيه، إذ فاعل ذلك خائن لوطنه، عدو للدين ورسالة الله تعالى للإنسان.

لقد قامت حضارة الإسلام، وحضارة المصريين منذ أن وطئ الإسلام هذه الأرض الطيبة في قلة من العدد بمقاييس الفتح، وبمرور الوقت اعتنق المصريون الإسلام منذ القرن السابع الميلادي في ظل التعايش في سلام ومحبة بين المسلمين والمسيحيين واليهود، فإن الله تعالى هو رب الجميع، والله كما يقرر الإنجيل محبة، ولم يأت السيد المسيح عليه السلام إلا ليلقي سلامًا على الأرض.

فجاء الإسلام واحتوى كل البشر، ودعاهم إلى أن يكون اجتماعهم بالسلام، وتعايشهم في سلام، وحياتهم كلها قائمة على السلام، فهذا خطاب القرآن لكل من آمن بالله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) (سورة البقرة: ٢٠٨).

فالسلام والأمان هو دستور الجماعة المصرية لا يجوز الإخلال به، وهو حق خالص لكل فرد فيها، وعلى كل من عايش في رحاب هذا الوطن أو انتمى إليه أو حمل جنسيته أن يوقن بأن هذا الجيل مسئول عن الوطن أمام الله والتاريخ وكل الأجيال التي لم تفرط فيه، وكما حملت الأجيال السابقة عليه مسئوليتها وسلمت

الأمانة إليه بدون تفـريط ولا تقصير أن ينهض جمـيع أبنائه مسلمًا كان أم مسيـحيًا بواجب هذه الأمانة، وأعظم بها أمانة في احترام للدين وحب للوطن ، والتفاني في خدمته، وانتـماء لقيمه، ودفاع عن ترابه، وحـفاظ واستمساك بوحـدته الوطنية ضد كل من أرادها بسوء فـهذا حق افترضـه الله عليه، وحتمـية للقيام بحق مـن حقوق الوطن عليه، لا يقبل منه التقاعس عنه، ولا التقصير فيه أو الخروج عليه.

إن على كل مـصري أن يعـي أن هناك أعداء للدين والوطـن، يجب التيـقظ لمخططاتهم العدوانيـة ، وإجهاض محـاولاتهم، لتفكيك الوطن وإبطال مسـاعيهم الخبيثة الرامـية إلى خلق الفرقه بين أبنائه، وطرح شعارات جاهليـة شيطانية بغرض بذر بذور الفتنة، وإشعال نار الصراع ، والعـبث بالمقدسات ، والإساءة إلى الرموز، والخوض في العقائد كسـبيل لزعزعة الاستقرار فيه وتقسـيمه إلى طوائف وشيع ما أنزل الله بهـا من سلطان، وهو مـا عم المنطقة العـربية بـأسرها في سـابقة ليس لهـا مثيل، عن طريق ضرب الأديان بعضها ببعض.

فإن المؤمن الحق، الفاقه لدينه يعلـم أن الله تعـالى إذا كان قد أراد الاختلاف بين الناس في الدين والجنس واللغة، واللـون، فإنه لم يرد لهـم الفرقة والتنازع والـتصارع في الوطن أو على الوطن، فهو وطن الجميع، وحق الكل فيه ثابت على سواء.

إذا صح ذلك وهو صـحيح فإن قـيم الإيمان والإسلام هي التي يجـب أن تسود في المحبة والوحدة والتعـايش تحت ظلال السلام والتسامح، وأن ينحي كل من تسول له نفسـه الأمارة بالسوء الأفكار والوسـاوس الخبيثـة، لأنها باب الفتنة، والفـتنة نائمة ملعون من أيقظها.

إن كل ما يعـتبـر سوءًا وتربصًا أو نيـة بالشر هو خـروج على مقـتضى الإيمان، وإخلال بحق الوطـن، فلينزع كل من لديه شعـور غير كـريم نحو أخيه في الدين أو

الوطن عنه وليطرحه جانبًا، لأنه يسيئ إلى دينه ونفسه، ويضر بوطنه، ولن ينهض المصريون بوطنهم إلا على هدى الدين والقيم الإيمانية التي تعلموها من الإيمان الحق بالله تعالى، فهذا من أسس تقدم الوطن وقيام على واجب ديني، إذ أن حب الوطن من الإيمان ، كما علمنا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، فهل نعي الدرس، إن غدا لناظره قريب.

د. محمد الشحات الجندي

من علماء الأزهر الشريف

كلمة منفعة

بولس وبطرس(*)

فضلت أن أكتب عن هذين الرسولين العظيمين بطرس وبولس، وبخاصة في عيد الرسل (٥أبيب) الذي هو عيد استشهاد بطرس وبولس.

وفي هذه النبذة ، نحن لا نكتب تاريخًا، فالتاريخ قد يحتاج إلى مجلدات ، وإلى بحوث وخرائط.

إنما أكتب لكم هنا عن الدروس الروحية وليس التاريخ.

أي ما أمكن أن نتعلمه بقدر الإمكان من حياة آبائنا الرسل. فإن تعرضنا لشيء من التاريخ، يكون بطريقة ثانوية.

تحتفل الكنيسة الأرثوذكسية بتذكار استشهاد هذين القديسين في يوم ٥ أبيب، ويسمى هذا العيد في كنيستنا باسم عيد الرسل، وتاريخه ثابت هكذا في كل عام.

والكنيسة توقر هذين الرسولين توقيراً عميقًا، وتمدحهما في إكرام جزيل وبخاصة في القسمة الخاصة بصوم الرسل وبعيد الرسل، التي نصليها في القداس الإلهي.

ومع أنه لا توجد كنائس كثيرة على إسميهما معًا، إلا أنه توجد كنيسة باسميهما في منطقة الأنبا رويس بالقاهرة، وكنيسة أخرى باسميهما في لوس أنجلوس بكاليفورنيا بأمريكا.

هذان القديسان يمثلان نوعين متمايزين من جهة الشخصية والرسالة والأسلوب وكل منهما له طابع خاص.

(*) عن سلسلة نبذات من كتاب الآباء الرسل- الكلية الإكليركية بالقاهرة وهي لمحة أخرى للمقارنة بين القديس بولس موضوع البحث والقديس بطرس أحد تلاميذ المسيح وإلقاء ضوء جديد على بولس بقلم الكاروز الأعظم صاحب الغبطة قداسة البابا شنودة الثالث. (=المؤلف).

أولاً: نواحي اختلاف

بطرس كان في مقدمة من اختارهم الرب للعمل معه (مت ١٠) وبولس لم يكن من الإثنى عشر، ولا حتى من السبعين رسولاً، بل اختاره الرب أخيراً، بعد القيامة وبعد اختيار متياس بسنوات.

إنه لم يتبع المسيح في فترة كرازته على الأرض، بل قال عن ذلك "وآخر الكل، كأنه للسقط ظهر لي أنا، لأني أصغر الرسل، أنا الذي لست أهلاً أن أدعي رسولاً لأني اضطهدت كنيسة الله" (١كو ١٥: ٧-٩).

ومع أنه كان آخر الكل في دعوته، إلا أنه "تعب أكثر من جمعيهم" (١كو ١٥: ١٠) وهذا يظهر لنا أنه ليس بالأسبقية ، إنما بمقدار التعب من أجل الله.

فقد لا يكون إنسان أقدم العاملين في الخدمة، ومع ذلك يكون أقوى العاملين.

يوحنا المعمدان لم يكن أول الأنبياء في العهد القديم، إنما كان آخرهم في الترتيب الزمني. ومع ذلك قيل إنه لم تلد النساء من هو أعظم من يوحنا المعمدان (مت ١١: ١١).

أوغسطينوس قال للرب " لقد تأخرت كثيراً في حبك. ومع تأخره كان أعمق من ملايين ممن سبقوه".

ولد بطرس في بيت صيدا، وعاشت أسرته في كفر ناحوم.

أما بولس، فولد في طرسوس، من أعمال كليلكية، وإن كان قد أتى في شبابه المبكر إلى أورشليم، لكي يكمل تعليمه الديني ليتعلم الناموس على أحد أساتذته الكبار (أع ٢٢: ٣).

كان بطرس الرسول متزوجًا. وقد ورد في الإنجيل إن المسيح قد شفى حماته من الحمى (مت ٨: ١٤ , ١٥) وكان في رحلاته التبشيرية يجول مصطحبًا زوجته معه كأخت (١كو ١٩: ٥).

أما بولس الرسول فكان بتولاً (١ كو ٧: ٧).

وكان يدعو إلى أفضلية البتولية. ولكن كل واحد حسب موهبته الخاصة من الله، والدعوة التي دعى فيها (١كو ٧: ٧، ١٧ ، ٢٠).

وهذا يدل على أن الرب يدعـو الجميع إلى خـدمته ، سـواء كانوا مـتزوجين مثل بطرس أو بتوليين مثل بولس.

بطرس بدأ حياته مع السيد المسيح بالحب والثقد والإيمان.

أما بولس فكان علـى العكس هذا: بدأ بالعداوة كمـضطهد للكنيـسة ولكل من يتبع المسيح، حتى أن الرب لما قابله في طريق دمشق، بدأ الحديث معه بالعتاب، قائلاً له "شاول شاول" لماذا تضطهدني؟ (أع ٩:٤).

القديس بطرس كـان رجلاً بسيطًا، صيـاد سمك (مت ٤ : ١٨) كان جاهلاً لم يتلق شـيئًـا من الثقـافـة والعلم . إنه أحد "جـهال الـعالم الذين أخـزى الرب بهم الحكماء" (١كو١ : ٢٧) وقيل عنه- هو والقديس يوحنا- إنهما "إنسانان عديما الفهم وعاميان" (أع ٤: ١٣).

أما القـديس بولس فكان من علمـاء عصـره، تثقف في جـامعـة طرسوس، وتهذب عند قدمى غمالائيل (أع ٢٢: ٣) واشتهر بالثقافة وكثرة قـراءة الكتب (أع ٢٦: ٢٤).

وهذا يرينا أن الرب يستخدم الكل في ملـكوته ، العلماء والبسطاء على حد سواء. المهم أن يكونوا أواني صالحة لعمل نعمته.

وفي إرسالية كل من القديسين بطرس وبولس، كان هناك تمايز أيضًا.

بطرس الرسول بدأ خدمته، وهو كبير السن، ربما كان أكبر سنا من جميع الرسول، لذلك كانوا يوقرون سنه. ولعله من جهة السن، قال عن القديس مرقس "مرقس ابني" (١ بط ٥: ١٣).

أما بولس الرسول، فكان أصغر سنًا من القديس بطرس.

من جهة الإختلاف أيضًا أن القديس بولس الرسول كون له مجموعة كبيرة من التلاميذ، أكثر من بطرس.

فكان من تلاميذه تيموثاوس وتيطس اللذين كتب لهما رسائل.

وكذلك من تلاميذه لوقا، وأرسترخس، وتيخيكس وكاربس وفيبي الشماسة، وإكيلا وبريسكلا... وآخرون.

مرقس تبع الإثنين: بطرس أولاً، ثم استقر مع بولس إلى آخر أيام حياته (٢ تي ٤: ١١).

قيل عن القديس بطرس إنه كان "رسول الختان" أؤتمن على "إنجيل الختان" أي الكرازة لليهود، بينما أؤتمن بولس على "إنجيل الغرلة" أي الكرازة للأمم.

وهكذا قال القديس بولس الرسول "إني أؤتمنت على إنجيل الغرلة، كما بطرس على إنجيل الختان. فإن الذي عمل في بطرس لرسالة الختان، عمل في أيضًا للأمم" (غل ٢: ٧، ٨).

وهكذا قال الرب لبولس "اذهب فإني سأرسلك بعيدًا إلى الأمم"(أع: ٢٢: ٢١) وقال له كذلك "لأنك كما شهدت بما لي في أورشليم، هكذا ينبغي أن تشهد في رومية أيضًا" (أع ٢٣: ١١).

وكتب بولس رسالة لأهل رومية ورسائل لكنائس الأمم. وكتب بطرس إلى اليهود المغتربين في الشتات (١ بط ١:١).

كتب القديس بولس ١٤ رسالة تمثل ١٠٠ إصحاحًا أما القديس بطرس فكتب رسالتين فقط تشملان ٨ إصحاحات.

كان القديس بطرس بسيطًا في كتابته، أما القديس بولس فقال القديس بطرس عن رسائله "فيها أشياء عسرة الفهم يُحرفها غير العلماء وغير الثابتين . لهلاك أنفسهم" (٢بط ٣: ١٦).

وقد تحدث القديس بولس في مسائل لاهوتية مثل التبرير والتجديد، والناموس والنعمة، والمعمودية، والكهنوت، والاختيار والرذل، والتهود... مما لم يتعرض له القديس بطرس.

كان القديس بطرس مندفعًا.

ربما بسبب حماسه الشديد أو غيرته، وقد مدحه الرب لما شهد له بأنه ابن الله الحي (مت ١٦: ١٥- ١٩).

ولكن كثيراً ما وبخه الرب على اندفاعه .

مثلما وبخه بعد ذلك ، لما تحدث الرب عن آلامه المقبلة وقتل اليهود له. فاندفع بطرس وقال منتهرًا "حاشاك يارب، لا يكون لك هذا" فوبخه الرب قائلاً "اذهب عني يا شيطان . أنت معثرة لي. لأنك لا تهتم بما لله، بل بما للناس" (مت ١٦ : ٢١- ٢٣).

واندفع بطرس أيضًا عند غسل الرب لأرجل تلاميذه، فامتنع قائلاً: لن تغسل رجلي أبدًا! فلما أجابه الرب: إن لم أغسلك، فليس لك معي نصيب.

حينئـذ اندفع مرة أخرى وقـال: يا سيد، ليس رجلي فـقط ، بل أيضًا يدي ورأسي" (يو ١٣: ٨ –١٠).

واندفع بطرس مرة أخـرى عند القبض على السيـد المسيح "كان معـه سيف فاسـتله وضرب عبد رئيس الكهنة، فـقطع أذنه اليمنى (وكان اسم العـبد ملخس) فـقال له الرب: رد سـيفك إلى غـمده. الـكأس التي أعطاني الآب ألا أشربهـا؟!" (يو١٨ : ١٠ ، ١١) وقـال له كـذلك "لأن كل الذين يأخـذون بالسيـف، بالـسـيف يهلكون" (مت ٢٦ : ٥١ ، ٥٢).

وهكذا نرى أن الرب اختـاره على الرغم من اندفاعه ثم حـول هذا الإندفاع إلى الخير منذ يوم الخمسين.

فنرى أن بطرس هو الذي بدأ الكلام في ذلـك اليوم، وفسـر للناس مـا كان يحـدث (أ ع ٢) ودعـاهم إلى الإيمـان، وهو أيضًـا الذي بـدأ الكلام يوم شـفـاء الأعرج، ووبخ اليهود على تفضيلهم رجل قـاتل على السيد المسيح أمام بيطـلاس (أ ع ٣: ١٢ _ ٢٦).

وهو الذي كان يتـقدم في مناسبـات كثيـرة، مثلما قال "يـنبغي أن يطاع الله أكثر من الناس" (أ ع ٥: ٢٩).

وهكذا استخدم الرب اندفاع بطرس للخير.

أما القديس بولس فكان أيضًا محتمسًا ، ولكن في غير اندفاع...

ولعل من الاخـتـلاف بينهـمـا هو أسلوب العـمل، أن القـديس بولس وبخ القديس بطرس نفسه في إحدى المرات:

وقد شرح في الإصحاح الثاني من رسالـته إلى غلاطية، فقـال: "كان لما أتى بطرس إلى أنطاكـية، قاومـته مواجـهة لأنه كان ملومًـا لأنه قبلمـا أتى قوم من عند

يعقوب كان يأكل مع الأمم، ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفًا من الذين هم من الختان وراءي معه باقي اليهود أيضًا حتى إن برنابا أيضًا إنقاد إلى ريائهم. لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل ، قلت لبطرس قدام الجميع إن كنت وأنت يهودي تعيش أمميًا لا يهوديًا فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا" (غل ٢ : ١١ _ ١٤).

ومع ذلك فالقديسان اشتركا وتشابها في مسائل جوهرية كالغيرة والاستشهاد .

ثانيا: نواحي تشابه

كل منهما كان يهوديا

وقد ذكر بولس الرسول إنه يهودي ، من سبط بنيامين (في ٣: ٥) وإن كان بطرس الرسول لم يذكر الكتاب من أي سبط هو.

كل منهما دعاه الرب.

بطرس: كان يصيد السمك مع أخيه اندراوس عند بحر الجليل.

فقال لهما الرب: هلم ورائي فاجعلكما صيادي الناس. فللوقت تركا الشباك وتبعاه (مت ٤: ١٨ _ ٢٠).

وبولس: دعاه الرب في طريق دمشق، إذ أبرق حوله نور من السماء. فسقط على الأرض (أع ٩ : ١-٤) ودعاه الرب، مرسلاً إياه أولاً إلى حنانيا الدمشقي.

وكما دعاه يسوع المسيح، دعاه الروح القدس أيضًا. وقال "افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه" (أع ١٣ : ٢).

وكذلك دعاه الـله أيضًا. وفي ذلك قال القديس بولس الرسـول "لما سر الله الذي افرزني من بـطن أمي ، ودعاني بنعمـته أن يعلن ابنه في لأبـشر به بين الأمم، للوقت لم استـشر لحمًـا ودمًا، ولا صعدت إلى أورشليـم إلى الرسل الذين قبلي" (غل ١: ١٥- ١٧).

وهكذا نرى أن القـديس بولس الرسول دُعي مـن الأقاليم الثـلاثة كل منهم على حده.

وإن كان القديسـان بطرس وبولس قد تشابها في أن كلا منهـما قد دُعى من الله إلا أن أسلوب الدعوة اختلف ، وكذلك مرات الدعوة.

كل منهما غير الرب اسمه:

بطرس: كان اسمعه سمعان بن يونا (يو ٢١ _ ١٥) وقد أطلق الرب عليه اسم بطرس (مت ١٦: ١٧ -١٨).

وشـاول: تغـير اسـمـه إلى بولـس. في بـــدء دعوته نـــاداه الرب باســـم شاول (اع ٩ : ٤). وفي أثناء كرازته دعاه باسم بولس (أع ٢٣: ١١).

كل منهما حل عليه الروح القدس، وكل منهما تكلم بألسنة.

واضح أن بطرس الرسول تكلم بألسنة في يوم الخمسين، إذ حل روح الرب عليـه وبولس الرسول قـال في رسالتـه إلى أهل كورنثـوس "اشكر الله أني أتكلم بألسنة أكثر من جميعكم" (١كو ١٤: ١٨). وقيل في قصة عليم الساحر "وأما شاول الذي هو بولس أيضًا، فامتلأ من الروح وشخص إليه وقال له..." (أع ١٣: ٩).

وكل منهما كان له سلطان أن يمنح الروح القدس.

فقيل عن بطرس ويوحنا، أن الرسل الذين في أورشليم ، أرسلوهما إلى سامرة لما آمنت "حينئذ وضعا الأيادي عليهم، فقبلوا الروح القدس" (أع ٨ : ١٧).

كما قيل عن بولس الرسول إنه بعد عماد أهل أفسس "لما وضع بولس يديه عليهم، حل الروح القدس فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون" (أع ١٩: ٥، ٦).

وكل منهما صنع آيات وقوات وعجائب.

قيل عن بطرس الرسول "كانوا يحملون المرضى خارجًا في الشوارع ويضعونهم على فرش وأسرة. حتى إذا جاء بطرس ، يخيم واجتمع جمهور المدن المحيطة إلى أورشليم حاملين مرضى ومعذبين من أرواح نجسة، وكانوا يبرأون جميعهم" (أع ٥: ١٥، ١٦).

وقيل عن القديس بولس الرسول "وكان الله يصنع على يدي بولس قوات غير معتادة، حتى كان يؤتي عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضى. فتزول عنهم الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة منهم" (أع ١٩ : ١١، ١٢).

وكل منهما أقام ميتًا.

بطرس الرسول أقام من الموت تلميذة اسمها طابيثا(*)، وترجمة اسمها غزالة. صلى ثم التفت إلى جسدها وقال: يا طابيثا قومي. ففتحت عينها. فناولها يده وأقامها.. وأحضرها حية (أع ٩: ٣٦- ٤١).

وبولس الرسول أقام من الموت شابًا يدعي أفتيخوس، كان قد غلبه النوم، فسقط من الطبقة الثالثة إلى أسفل، وحمل ميتًا، فأقامه بولس من الموت "وأتوا بالفتى حيًا، وتعزوا تعزية ليست بقليلة" (أع ٢٠: ٧- ١٢).

---

*) يذكرها الإنجيل باسم «طاليثا» (=المؤلف).

كل منهما كان شعلة من النشاط والغيرة المقدسة والعمل الكرازي.

كل منهما بشر وعلم، وبذل جهده في الخدمة.

منذ يوم الخمسين، كان بطرس يعلم ويكرز، ويشهد لقيامه السيد المسيح، في الهيكل وفي غير الهيكل، بشر في أورشليم ، وفي ولده وفي يافا (أع ٩: ٢٢، ٣١) ومن يافا انتقل إلى قيصرية حيث قام بوعظ وعماد كرنيليوس والذين معه (أع ١٠) وأيضًا بشر اليهود الذين في الشتات، وأرسل إليهم رسالة "إلى المتغربين من شتات بنطس وغلاطية وكبادوكية وآسيا وبيثينية" (١ بط ١: ١).

أما القديس بولس الرسول، فقد تعب أكثر من جميع الرسل (١كو ١٥: ١٠) لذلك سنفرد له بابًا خاصًا.

كل منهما كان جريئًا وشجاعًا في كرازته

يكفي بالنسبة إلى بطرس الرسول أنه أصر على كرازته ، ولم يعبأ بتهديد اليهود، بل قال عبارته المشهورة "ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس" (أع ٥: ١٩).

بل وبخ اليهود قائلاً "إله إبراهيم وإسحق ويعقوب إله آبائنا، مجد فتاه يسوع الذي اسلمتموه أنتم وأنكرتموه أمام بيلاطس وهو حاكم بإطلاقه، ولكن أنكرتم القدوس البار، وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل! ورئيس الحياة قتلتموه" (أع ٣: ١٣- ١٥).

والقديس بولس الرسول كان جريئًا جدًا أمام الحكام

يكفي أن فيلكس الوالي ارتعد أمامه _ وهو أسير _ لما تكلم عن البر والدينونة والتعفف (أع ٢٤: ٢٥) ولما وقف أمام أغريباس الملك- في محاكمته _ قال له في جرأة "أتؤمن أيها الملك أغريباس بالأنبياء؟ أنا أعلم أنك تؤمن" فأجابه

الملك أغريباس قائلاً "بقليل تقنعني أن أصير مسيحيًا" فقال القديس بولس "كنت أصلي إلى الله أنه بقليل وبكثير ، ليس أنت فقط، بل أيضًا جميع الذين يسمعونني اليوم ، يصيرون هكذا كما أنا ما خلاه هذه القيود" (أع ٢٦: ٢٧- ٢٩).

ومن جرأة القديس بولس أنهم لما مدوه للسياط ليجلدوه ، قال لهم "أيجوز لكم أن تجلدوا إنسانًا رومانيًا غير مقضي عليه؟! فلما سمع الأمير ، اختشى لما علم أنه روماني وأنه قيده" وللوقت تنحى عنه الذين كانوا مزمعين أن يفحصوه" (أع ٢٢: ٢٥- ٢٩).

ومن جرأة القديس بولس أنه لما أراد الوالي فستوس أن يسلمه لليهود ليتتلوه، قال "أنا واقف لدى كرسي ولاية قيصر حيث ينبغي أن أحاكم.. لأني إن كنت آثمًا، أو صنعت شيئًا يستحق الموت، فلست أستعفي من الموت ولكن إن لم يكن هناك شيء مما يشتكي علي به هؤلاء. فليس أحد يستطيع أن يسلمني لهم إلى قيصر أنا رافع دعواي" فحينئذ أجابه فستوس الوالي "إلى قيصر رفعت دعواك. إلى قيصر تذهب" (أع ٢٥: ١٠ -١٢).

وكان كل من القديسين بطرس وبولس حازمًا في معاقبة الخطاة.

نلمس هذا في معاقبة القديس بطرس لحنانيا وسفيرا لما اختلسا من المال، وكذبا على الروح القدس. فقال لحنانيا "أنت لم تكذب على الناس بل على الله" (أع ٥: ٤) فوقع حنانيا ميتًا. ولما كررت زوجته سفيره نفس الكذب، قال القديس بطرس "ما بالكما قد اتفقتما على تجربة روح الرب؟! هوذا أرجل الذين دفنوا رجلك على الباب، وسيحملونك خارجًا، فوقعت في الحال ميتة" (أع ٥: ٩).

وكان هذا الحزم لازما حتى لا تبدأ الكنيسة بالتسيب واللامبالاة لذلك قيل بعد ذلك "فصار خوف عظيم على جميع الكنيسة، وعلى جميع الذين سمعوا بذلك" (أع ٥ : ١١).

كما تدل هذه العقوبة على مقدار السلطان الذي منحه الله لهذا الرسول القديس.

مثال آخر هو موقف القديس بطرس من سيمون الساحر.

هذا الذي تعجب من أنه بوضع أيدي الرسل ينال الروح القدس، فقدم دراهم لكي ينال نفس الموهبة!

فقال له القديس بطرس في حزم وسلطان "لتكن فضتك معك للهلاك، لأنك ظننت أن تقتني موهبة الله بدراهم... تب عن شرك هذا، واطلب إلى الله عسى أن يغفر لك فكر قلبك. لأني أراك في مرارة المر ورباط الظلم" (أع ٨ : ١٨ ـ ٢٣).

وبكل حزم تصرف بولس الرسول أيضًا مع خاطئ كورنثوس.

هذا الذي وقع في الزنا بالمحرمات (مع إمرأة أبيه) فلما سمع بولس الرسول بذلك، أرسل إليهم قائلاً "كأني غائب بالجسد، ولكن حاضر بالروح، قد حكمت .. أن يسلم مثل هذا للشيطان، لإهلاك الجسد، لكي تخلص الروح في يوم الرب" ووبخ الشعب وقال لهم "اعزلوا الخبيث من وسطكم" (١كو ٥: ٥ ، ١٣) وكان لهذا الحزم تأثيره في توبة ذلك الخاطئ ، وفي الغيرة المقدسة للشعب.

مثال آخر لحزم القديس بولس، وهو موقفه من عليم الساحر.

(وكان اسمه يترجم بعليم الساحر)

فامتلأ بولس الرسول من الروح القدس، وانتهر ذلك الساحر وقال له "والآن هو ذا يد الرب عليك . فتكون أعمى لا تبصر الشمس إلى حين" (أع ١٣: ٦- ١١) "فللحال سقط عليه ضباب وظلمة، فجعل يدور ملتمسًا من يقوده بيده".

هذا الحادث يدل أيضًا على السلطان الذي وهبه الله لهذا الرسول القديس. كان كما قال.

ومع كل هذا كان الرسولان القديسان متواضعين

في بدء دعوة الرب لبطرس، في معجزة صيد السمك، نقرأ أنه بعد المعجزة خر عند ركبتي الرب قائلاً "اخرج يارب من سفينتي، فإني رجل خاطئ" (لو ٥: ٨).

كما يعلمنا التقليد أنه في استشهاده مصلوبًا ، طلب أن يُصلب منكس الرأس، لإحساسه بخطاياه، ولا يصلب كالرب.

وبولس الرسول _ على الرغم من كل جهاده في الكرازة ، وعلى الرغم من معجزاته الكثيرة، نراه يكتب إلى تلميذه تيموثاوس ويقول "أنا الذي كنت قبلاً مجدفًا ومضطهدًا ومفتريًا، ولكنني رُحمت لأني فعلكت ذلك بجهل في عدم إيمان" (١تي ١: ١٣) ويقول في رسالته الأولى إلى كورنثوس عن ظهورات الرب "وآخر الكل، كأنه للسقط ظهر لي أنا، لأني أصغر الرسل ، أنا الذي لست أهلاً أن أدعي رسولاً، لأني أضطهدت كنيسة الله" (١ كو ١٥: ٨ ، ٩).

والأمثلة والأدلة على اتضاع هذين الرسولين العظيمين كثيرة جدا، وليس مجالها في هذه النبذة المختصرة..

كل منهما تعرض لاضطهادات كثيرة.

القديس بطرس اضطهد مع باقي الرسول في بدء المسيحية، وقام ضدهم لكهنة وقائد جند الهيكل والصدوقيون (أع ٤: ١) وقبضوا عليهم ثم أطلقوهم وأما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع، لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من جل اسمه" (أع ٥: ٤١).

وكما احتمل القديس بطرس الجلد لأجل المسيح، هكذا سجن أيضًا.

فقبض عليه هيرودس ليرضي اليهود "ووضعه في السجن مسلمًا إياه إلى أربعة أرابع من العسكر ليحرسوه، ناويًا أن يقدمه بعد الفصح إلى الشعب" (أع ١٢: ٣-٤).

ولكن ملاك الرب أنقذ بطرس من السجن في تلك الليلة، وأخرجه منه...

أما بولس فما أكثر الاضطهادات التي حلت عليه هو وكل شركائه في الخدمة.

وقد قال في ذلك " في كل شيء نظهر أنفسنا كخدام لله، في صبر كثير في شدائد في ضرورات في ضيقات ، في ضربات في سجون في اضطرابات ، في أتعاب، في أسهار في أصوام" (٢كو ٦: ٤، ٥).

"مكتئبين في كل شيء، لكن غير متضايقين، متحيرين لكن غير يائسين، مضطهدين لكن غير متروكين مطروحين لكن غير هالكين حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع... لأننا نحن الأحياء نسلم دائمًا للموت" (٢كو ٤: ٨- ١١).

وقد شرح في (٢كو ١١) ملخصًا لآلامه فقال:

"في الأتعاب أكثر في الضربات أوفر. في السجون أكثر. في الميتات مرارًا كثيرة من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة ثلاث مرات ضربت بالعصي، مرة رجمت ثلاث مرات انكسرت بي السفينة. ليلاً ونهارًا قضيت في العمق. بأسفار مرارًا كثيرة. بأخطار سيول بأخطار لصوص. بأخطار من جنسي، بأخطار من الأمم بأخطار في المدينة. بأخطار في البرية، بأخطار في البحر بأخطار

ن إخوة كذبة. في تعب وكد. في أسهار مراراً كثيرة في جوع وعطش في أصوام
مراراً كثيرة. في برد وعرى".

وكل من القديسين بطرس وبولس نال إكليل الشهادة.

كل منهما أنهى حياته شهيداً سنة ٦٧م على يد نيرون قيصر.

القديس بطرس الرسول استشهد مصلوبًا منكسًا. والقديس بولس الرسول قطعت رأسه بالسيف..

والقديس بطرس الرسول له ٣ أسماء: سمعان بن يونا، وصفا، وبطرس.

كان هو وأخوه أندراوس صيادين، وأخوه عرف المسيح قبله.

وسمعان بدأت معرفته بالسيد المسيح عن طريق أخيه أندراوس.

وعن هذا ورد في إنجيل يوحنا عن أندراوس.

"هذا وجد أخاه سمعان . فقال له: قد وجدنا مسيا الذي تفسيره المسيح فجاء به إلى يسوع فنظر إليه يسوع وقال: أنت سمعان بن يونا. أنت تدعي صفا الذي تفسيره بطرس " (يو ١: ٤٠ _ ٤٢).

نلاحظ أن أسماء الثلاثة وردت هنا في آية واحدة.

وأصبح سمعان بطرس أول اسم في الاثنى عشر (مت ١٠ : ٢).

بل وأصبح أحد ثلاثة مقربين جداً من السيد المسيح.

هم بطرس ويعقوب ويوحنا، الذين أخذهم إلى جبل التجلي، وأضاء وجهه أمامهم كالشمس، وصارت ثيابه بيضاء كالنور (مت ١٧ : ١، ٢) ورأوا معه موسى وإيليا يتكلمان معه.

وأخـذ الرب نفس هؤلاء الثلاثة مـعه فـي إقامـة ابنة يايرس من الموت. وفي ذلك يقول إنجيل مرقس "ولم يدع أحـداً يتبعـه إلا بطرس ويعقـوب ويوحنا أخو يعقوب" (مر ٥: ٣٧).

وهؤلاء الثلاثة أيضًا، هم الذين أخذهم معه إلى بستـان جثيماني، في جهاده قبل الصلـب. وفي ذلك يقول إنجيل مـتى "ثم أخذ مـعــه بطــرس وابنـي زبدي" (مت ٢٦: ٣٧).

إذن كانت لبطرس دالة عند المسيح ، مع يعقوب ويوحنا.

ولذلك فـإن بولس الرسول يعـتبـره أحد الأعـمدة الثـلاثة في الكنيسـة أيام الرسل.

فيقول "فإذ علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصــفا ويوحنا المعتبــرون أنـهم أعمدة أعطوني وبرنابا يمين الشركة ، لنكون نحن للأمم ، وأما هم فللختان" (غل٢: ٩).

وكان القديس بطرس الرسول يحب السيد المسيح جداً.

ويحب كـلامه وتعليـمه، ولذلك لما رجع بعض التـلاميـذ إلى الوراء. وقال الرب للإثنى عشـر "ألعلكم أنتم أيضًا تريدون أن تمضـوا؟" أجابه سمـعان بطرس "يارب إلى من نذهب؟ ! كلام الحياة الأبدية عندك" (يو ٦:٦٦- ٦٨).

وتظهر محبته له في كلامه مساء الخميس الكبير.

لما قـال الرب لتلاميـذه "كلكم تشكون في في هذه الليـلة" فأجـاب بطرس باندفاعـه المعروف، "وإن شك فيك الجمـيع، فأنا لا أشك أبداً" "ولو اضطررت أن أموت معك، لا أتركك" (مت ٢٦: ٣١- ٣٥) "إني مستعد أن أمضي معك، حتى إلى السجن وإلى الموت" (لو ٢٢: ٣٣).

حقًا، أنه أنكره ثلاثٍ مرات، ولكن عن ضعف ، وليس عن عدم حب.

بدليل أنه لما صاح الديك "خرج خارجًا، وبكى بكاءً مراً" (مت ٢٦: ٧٥) وبدليل أنه أجاب الرب بعد القيامة "أنت يارب تعرف كل شيء أنت علم أني أحبك" (يو ٢١ : ١٧) وقد قبل الرب توبته، وثبته في رسوليته وقال له "ارع غنمي . ارع خرافي" (يو ٢١: ١٥، ١٦).

وقد أظهر بطرس الرسول شجاعة كبيرة وجرأة بعد حلول الروح القدس.

والإصحاحات الأولى من سفر أعمال الرسل تكاد تكون مركزة في الرسولين بطرس ويوحنا. وتحكي لنا عما فعلاه في بناء الكنيسة الأولى قبل أن يظهر بولس الرسول.

لا ننسى قوة بطرس الرسول في الوعظ.

يكفي تأثير عظته في يوم الخمسين، التي جذبت إلى الإيمان حوالي ثلاثة آلاف رجل نُخسوا في قلوبهم وتعمدوا (أع ٢) كذلك عظته بعد شفاء الأعرج (أع ٣) ووقوفه أمام كل رؤساء اليهود وكهنتهم بكل شجاعة . وإظهار إيمانه بكل مجاهرة.

من الأمور الواضحة حفظه للمزامير وآيات الكتاب.

واقتباسه لها بتفسير له عمقه ومن أمثلة ذلك كلمته التي قالها عن يهوذا (أع ١: ١٦ _ ٢٠) واقتباساته في عظته يوم الخمسين ، واستشهاده بما ورد في سفر يوئيل النبي (أع ٢: ١٦ -٢١) واقتباساته الأخرى من المزامير (أع ٢: ٢٤ _ ٣٠) كل ذلك بآيات كثيرة متتابعة ، يضاف إلى هذا ما قاله يوم شفاء الأعرج واستشهاده بأقوال الأنبياء (أع ٣: ٢١- ٢٥).

عجيب هو بطرس الرسول في حفظه لآيات الكتاب واستخدامها والأمثلة\كثيرة على ذلك ليس الآن مجال تتبعها.

نفس الوضع نجده في رسالتيه اللتين كتبهما إنه أسلوب رجل متشبع بروح الكتاب، وبصحة تفسير الكلمة. وهو الذي قال "عالمين هذا أولاً أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص، لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس" (١ بط ١: ٢٠ ، ٢١).

وهو الذي قال: أنهضكم بالتذكرة.. لتذكروا الأقوال التي قالها سابقًا الأنبياء القديسون..." (٢بط ٣: ١، ٢).

أما القديس بولس الرسول فإنه طاقة جبارة من طاقات الخدمة، ما أن دخل إلى الإيمان حتى استخدمه الله في بناء الملكوت، وعمل به عملاً.

بدأ سفر أعمال الرسل يذكر أعمال الاثني عشر، وبخاصة بطرس ويوحنا.

ولكن ما أن ذكر إيمان بولس ، حتى احتل هذا الرسول العظيم باقي السفر كله تقريبًا، وبخاصة بعد مجمع أورشليم.

لقد تعب أكثر من جميعهم (١كو ١٥: ١٠) وتكلم بألسنة أكثر من الكل (١كو ١٤ : ١٨) وتمتع بمواهب واستعلانات، وصعد إلى السماء الثالثة (٢كو ١٢ : ٢- ٧).

وتحمل آلامًا لأجل الكرازة من الجميع (٢كو ١١).

وكرز في كل الكنائس الرسولية الكبرى.

خدم كثيراً في أورشليم وفي أنطاكية، وهو الذي أسس كنائس اليونان، كما أنه أسس كنيسة رومه، وأقام فيها سنتين يكرز بالكلمة بكل مجاهرة بلا مانع" (أع ٢٨: ٣٠، ٣١).

تعب براً وبحراً في ثلاث رحلات كرازية في آسيا ، وأوروبا حتى وصل غربًا إلى أسبانيا وأسس كنيستها.

خدم في عدة جزر: في قبرص ، وكريت ، ومالطة ، وصقلية، وأسس كنائسها.

في آسيا ، بشر في أورشليم، وصور ، وقيصرية، وأنطاكية، وميليتس ، وبعض بلاد آسيا الصغرى.

وفي أوربا ، بشر قبرص ، وبلاد اليونان: في مكدونية، وفيلبي، وتسالونيكي، وبيريه، واثينا، وكورنثوس، وترواس.

كان يتكلم في الهيكل والمجامع، والبيوت، وفي الأريوس باغوس، والمعابد، وفي كل مكان متاح.

وقد تعرض لدسائس كثيرة من اليهود ، ووقف أمام ولاة وملوك، مثل فيلكس، وفستوس، وأغريباس، وقيصر، ومجمع السنهدريم.

وتعرض للسجن والأسر مرات: في فيلبي ، وفي قيصرية ، وفي رومه مرتين.

وهو أكثر كتابة بقلمه.

فقد كتب ١٤ رسالة وإثنان من الإنجيليين من تلاميذه ، وهما مرقس ولوقا، ومن تلاميذه أيضًا أرسطرخس وتيموثاوس، وتيطس، وغيرهم.

وقد لقب برسول الأمم:

فقد قال له الرب "ها أنا مرسلك إلى الأمم" (أع ٢٢: ٢١) كما شهدت بما لي في أورشليم، ينبغي أن تشهد لي في روميه أيضًا" (أع ٢٣: ١١).

وقد نال إكليل الشهادة بقطع رقبته على يد نيرون سنة ٦٧م ونال إكليل البتولية ، وإكليل الرسولية ، وإكليل البر (٢ تي ٤ : ٨).

تلاميذ بولس الرسول:

١- القديس تيموثاوس:

الذي كتب له بولس الرسول رسالتين.

وقد رسمه بولس الرسول أسقفًا لأفسس وذكره ـ بوضع يده عليه، وكان مساعدًا لـلقديس بولس في كثير من أسفاره. وقد ذهب إلى فيلبي (في ٢: ١٩، ٢٠) وإلى كورنثوس (٢كو ١: ١) وإلى مقدونية (أع ١٩ : ٢٢) كما ذهب أيضًا إلى رومه (عب ١٣: ٢٣).

وكان نشطًا جدًا في الخدمة على الرغم من مرض معدته ومن أسقامه الكثيرة (١ تي ٥: ٢٣).

بدأ الخدمة منذ صغره ، حتى قال له القديس بولس "لا يستهن أحد بحداثتك" وساعده إطلاعه على الكتب المقدسة منذ طفولته ، ونشأته في أسرة مقدسة وبخاصة أمه وجدته (لوئيس وأفنيكي).

٢- تيطس:

أحد تلاميذ بولس الرسول، الذي كتب له رسالة، ورسمه أسقفًا لكريت.. والرسول يدعوه أنه ابنه (تي ١: ٤) كما يدعو تيموثاوس ابنه أيضًا (١تي ١ : ١٨) وقد رافق الرسول في بعض رحلاته، وذهب معه إلى نيكوبوليس ودلماطية، وأرسله القديس إلى كورنثوس، وتركه يرتب أمور الرعاية في كريت ويقيم قسوسًا.

٣- تيخيكوس:

أحـــد تلامـــيـذ بـولس الرســول. أرسله إلى أفـــسس (أف ٦: ٢١) وإلى كولـوسي (كو ٤: ٧) وكان من ألصق أبنائه به، وذكره في بعض رسائله (تي ٣: ١٢)، (٢تي ٤: ١٢).

باقي تلاميذ بولس:

أحبـاء القديس بولـس الذين ذكرهم في رسـائله كثـيرون كـما في (رو ١٦) مثلا.

وكان من تلاميذه المشهورين أرسطرخس ذكر اسمه مرة قـبل لوقا الإنجيلي (فل ٢٣) ووصفه بأنه من (العاملين معه).

ومن تلامـيذه بولس أيضًـا، أبفراس (فل ٢٢) ومنهم أيضًا مـرقس الرسول، ولوقا الإنجيلي ، وغيرهم.

قداسة البابا شنودة الثالث المعظم

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

لمحة جديدة(*)

بولس وبرنابا

كان القديس برنابا صاحب الفضل في تقديم القديس بولس الرسول (شاول الطرسوسي) إلى الرسل في أورشليم، إذ أنه لما اهتدى شاول إلى المسيحية حاول اليهود أن يقتلوه وهو في دمشق فهربه التلاميذ هناك (اع ٩: ٢٣ _ ٢٥) ليلا ، (ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ، فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كلمه وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع) (اع ٩ : ٢٦- ٢٨).

ثم أنه لما آمن عدد كبير في إنطاكية بالرب يسوع، من اليهود الأمميين، أرسل الرسل إليهم من أورشليم برنابا (لكي يجتاز إلى إنطاكية، الذي لما أتى ورأي نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب، لأنه كان رجلا صالحا وممتلئا من الروح القدس والإيمان، فانضم إلى الرب جمع غفير، ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاول، ولما وجده جاء به إلى إنطاكية فحدث أنهما اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة وعلما جمعا غفيرا ودعى التلاميذ مسيحيين في إنطاكية أولاً (اع ١١: ٢٢ _ ٢٦).

ويقول عنه الكتاب بالروح إنه كان (رجلا صالحا وممتلئا من الروح القدس والإيمان) لقد وعظ وعلم الكثيرين ثم أتى (شاول) من طرسوس ليشاركه هذا

(*) من كتاب «إنجيل برنابا هل هو إنجيل صحيح؟» ، مطبعة بيت مدارس الأحد - روض الفرج، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٤ ، وتحتوي المقاله على لمحة جديدة عن علاقة بولس بأحد الرسل القديسين وهو برنابا لم تتناولها الدراسة رأينا أنها ضرورية لفهم جوانب أخرى في شخصية بولس الواردة بالكتاب. (=المؤلف)

العمل المبارك، وكان لكليهما (برنابا وشاول) الفضل في أن يدعي المؤمنون بالمسيح «مسيحيين» نسبة لسيدهم، حتى أن الإسم التصق بالمسيحيين من ذلك التاريخ وإلى الأبد، بعد أن كان اليهود يدعونهم بـ «شيعة الناصريين» (اع : ٢٤).

ولما حدثت المجاعة في المسكونة «حتم على التلاميذ (في إنطاكية) حسبما تيسر لكل واحد منهم أن يرسل كل واحد شيئًا خدمة إلى الإخوة الساكنين في اليهودية ففعلوا ذلك مرسلين إلى المشايخ بيد برنابا وشاول» (ا ع : ٢٩ _ ٣٠). اختار التلاميذ الإنطاكيون، لتلك المهمة ، برنابا وشاول ليجمعا المساعدات للإخوة في الكنيسة الأم في اليهودية، وكان ذلك هو المثال الأول الذي اتبعت الكنيسة بعد ذلك مثاله.

وبعد خروج القديس بطرس من السجن وموت هيرودس «رجع برنابا وشاول من أورشليم بعدما أكملا الخدمة وأخذا معهما يوحنا الملقب مرقس» (اع ١٢ : ٢٥) ابن أخت برنابا (كو ٤ : ١٠) وذهبوا إلى إنطاكية ، ثم بدأت الرحلة التبشيرية الأولى للثلاثة برنابا وبولس ويوحنا الملقب مرقس.

دعى برنابا في إنطاكية بين الأنبياء والمعلمين (اع ١٣ : ١) ، ثم اختاره الروح القدس مع شاول ، بولس الرسول، للعمل المسكوني «قال الروح القدس افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه» (اع ١٣ : ٢) ، فذهبا إلى قبرص وأخذا معهما يوحنا الملقب مرقس- ابن أخت برنابا (كو ٤ : ١٠) وفي برجة بمفيلية فارقهما (مرقس) ورجع إلى أورشليم (اع ١٣ : ١٣).

كان القديس مرقس «معهما خادما» (اع ١٣ : ٥)، كما كان يشوع بن نون مع موسى (عدد ١١ :/ ٨٢، يش ١ : ١) واليشع النبي مع ايليا النبي (٢ مل ٣ : ٢)، ولكنه لم

يحتمل الرحلة، لصغر سنه، ولشدة وقوة مقاومة الأمم للرسالة وصعوبة العمل بينهم وشدة الإضطهاد، فعاد إلى أورشليم إلى حيث منزل أمه «مريم أم يوحنا» الملقب مرقس (أع ١٢: ١٢)، والذي كان مقرا للكنيسة الأولى في أورشليم.

واستمر برنابا وبولس في كرازتهما وكان الرب يضم الكثيرين على أيديهما حتى أن الكتاب يقول «وآمن جميع الذين كانوا معينين للحياة الأبدية» (اع ١٣: ٤٨)، وانتشرت كلمة الرب في كل الكورة (اع ١٣: ٤٩) إلى أن طردهما اليهود من تخومهم (في إنطاكية بيسيدية) وأتيا إلى أيقونية (اع ١٣: ٥١) وظلا يعملان في قبرص والرب ينجح عمله على أيديهما.

أثار بعض المتنصرين من اليهودية قضية الختان وجعلوا يعلمون الأخوة أنه أن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا، فقاومهم القديسان بولس وبرنابا وتنازعا معهم، يقول الكتاب بالروح «وانحدر قوم من اليهودية وجعلوا يعلمون الأخوة إنه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا، فلما حصل لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة ليست بقليلة معهم (أي مع المنادين بالختان) رتبوا أن يصعد بولس وبرنابا وأناس آخرون منهم إلى الرسول والمشايخ في أورشليم من أجل هذه المسألة » (اع ١٥: ١ و ٢). وأيد مجمع الرسل في أورشليم موقف برنابا بولس وأرسلوا معهما رجلين من المتقدمين في الإيمان برسالة تبين صحة موقفهما من جهة رفض الختان كأساس للخلاص، ووصف مجمع الرسل برنابا وبولس في الرسالة بالقول «حبيبنا برنابا بولس رجلين قد بذلا أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح» (اع ١٥ : ٢٥ و ٢٦).

وقد استغل البعض هذه الحادثة وزعموا وجود خلاف في العقيدة بين بولس وبرنابا!! وتجاهلوا الحقيقة التي تؤكد أن المشاجرة حدثت بين اليهود المطالبين بوجوب الختان من جهة وبين بولس وبرنابا معًا، من جهة أخرى لقد طالب بعض المتنصرين من اليهود بأن يختتن كل أممي يدخل إلى حظيرة المسيح. فكان برنابا مع بولس، هما أول من قاوم هؤلاء القوم، وحصلت «منازعة ومباحثة ليست بقليلة معهم» أي مع هؤلاء اليهود الذين قاومهم بولس وبرنابا معًا (اع ١٥ : ٣).

يذكر سفر أعمال الرسل حدوث مشاجرة بين القديسين بولس وبرنابا بسبب القديس مرقس عندما كانا «في إنطاكية يعلمان ويبشران مع آخرين كثيرين أيضًا بكلمة الرب» (اع ٣٥: ١٥) فقال بولس لبرنابا «لنرجع ونتفقد أخوتنا في كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم. فأشار برنابا ان يأخذا معهما أيضًا يوحنا الذي يدعي مرقس. وأما بولس فكان يستحسن أن الذي فارقهما من بمفيلية ولم يذهب معهما للعمل لا يأخذانه معهما. فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر» (اع ١٥ : ٣٨) فسافر برنابا ومرقس إلى قبرص وأخذ بولس معه سيلا واجتاز في سوريا وكيليكيه (اع ١٥: ٤٠).

وقد استغل البعض هذا الحدث بصورة غير صحيحة وزعموا أن المشاجرة حدثت بسبب خلافات في العقيدة !! وهذا عكس ما جاء في الكتاب المقدس الذي يقول بالروح أن سبب الخلاف والمشاجرة هو إصرار القديس برنابا على اصطحاب مرقس، إبن أخته، معهما في الرحلة ورفض القديس بولس لذلك بسبب مفارقته لهما من بمفيليه، ولم يكن هذا الخلاف بسبب الدعوة أو العقيدة، كلا ، فقد كانت دعوتهما واحدة وظلت عقيدتهما واحدة إلى اليوم الذي استشهد

فيـه كل منهمـا. وهذا ما يذكره الوحي الإلهـي ويشهد به تاريخ المسـيحـية في كل العصور.

برنابا في رسائل بولس الرسول

ذهب كل من القديسين برنابـا وبولس في كرازتهما المسيحيـة الواحدة في الهدف والدعوة والعقيدة، وظل كل منهما يكن للآخر كل احترام وتقدير، وهذا ما نراه واضحـا في رسائل القديس بولس التـي يذكر القديس برنابا لأهل كـورنثوس بكل تكريم وحب كرسول عامل في الدعوة الإلهية (١ع ١٣: ٢١، غل ٢: ٩) مثله مثل بقيـة تلاميـذه ورسل المسيح «ألعلنا ليس لنا سلطان أن نجـول بأخت زوجة كـباقي الرسل وأخـوة الـرب وصـفـا بطرس أم أنا وبـرنابا وحـدنا ليس لـنا سلطان أن لا نشتغل» (١ كو ٩ : ٥ و ٦) كما يذكـره لأهل غلاطية كرسول الأمم، مـعه «فإذا علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان» (غل ٢: ٩).

وعندمـا يذكـر القديس مـرقس لأهل كـولوسي يذكـره على أنه «ابن أخت برنابا» (كو ٤: ١٠) ومعنى هذا ن رسـولية وشهرة القـديس برنابا وحب الكنائس له كانا سند مرقس في خدمته، بل وكانت قرابته لبرنابا أحد مسوغات قبوله لدي أهل كولوسي . هذا الكلام يقوله القـديس بولس بعد حادث انفصالهمـا بعشر سنوات مما يدل على احـتـرام وتقدير الكنيسـة كلهـا، في كل مكان، للقـديس برنابا الذي استشهد على اسم المسيح سنة ٦١م.

القس عبد المسيح بسيط أبو الخير (*)

(*) كاهن كنيسة العذراء الأثرية بمسطرد- رئيس مركز الدفاع اللاهوتي بالكنيسة الأرثوذكسية

كلمة المؤلف

عندما بدأت تلوح في الأفق علامات التشدد والتعصب الديني والتي تبعها تشددًا وتعصبًا في أشياء أخرى كثيرة بالتبعية ازداد معها التحيز والتمترس والنكوص إلى الذات والهوية الضيقة... وظن كل طرف في الوطن أنه لن يحميه من أخيه الآخر في المواطنة سوى التقوقع والتقهقر بالدين وللدين بل وجعله هوية خاصة بديلة عن الوطن والمواطنه وأصبح لا أحد يتذكر أنه (مواطن له حقوق وعليه واجبات) في الوقت الذي يلجأ إلى تذكير الغير وحتى نفسه أمام المرآة بأنه على دين كذا... وفي وسط هذه الأجواء ظهرت صورتان للتنابذ الديني والهجاء العقائدي أولها في شكل بث فضائي دأب عليه أحد القساوسة الفارين ليضع نفسه في خندق العدو للعقيدة المحمدية (=الإسلام في صورته الأخيرة) وإن كنت أرى أنه لو ركز على المذاهب الأخرى المختلفة معه إيمانيًا في نفس الديانة (=العقيدة اليسوعية) لكان أفضل بكثير والحق أقول لكم أن ما فعله هذا الرجل برغم أي شيء قد حرك الراكد من الأمور لنعود نناقشها ونطلع عليها ونستفيد بتحريك أذهاننا تجاهها واتخذ الناس للظاهرة ردي فعل لا ثالث لهما أولهما نبذ آراء هذا الرجل والتهجم اللفظي عليه والتوعد له بإهدار دمه من جانب المتطرفين والبعض الآخر حطم شاشة تلفازه - من المسلمين- من فرط عدم قدرته على تحمل هجوم هذا الرجل على عقيدة محمد (= الإسلام) وثانيهما أي ثاني ردود الأفعال أن المسلم صم أذنيه أكثر وتمترس بعقيدته وتمسك بها خوفًا من غواية هذا الرجل الذي يبحث في بطون كتب لم تراجعها مؤسسات ثقافية دينية إسلامية حتى الآن بل واعتمد هذا الرجل على قضايا استشراقية أثيرت منذ مئات السنين وقتلت بحثًا وتجاوزها الزمن وهو ما جعله (أي القس) يشعر بانتصار

جزئي حيث لم يمكِّن أحدًا من محاورته بجدية وشرف يليق بكاهن مثقف يضع نفسه للأسف في مكانة الدفاع اللاهوتي بعكس ما هو معروف عن كنيستنا الأرثوذكسية المصرية العظيمة والعريقة التي حفظت الدين ونشرته بالعالم نورًا على مدى أكثر من ألفي عام... كل هذا التمخرق والشعبذات (=الشعوذات) أطاحت برسالة هذا الرجل فأصبح كالممثل الهزلي يضحك جسدك ولا يخاطب عقلك وبدلاً من أن يفتح المجال (للديالوج) الديني بحرص على إفادة الجميع من فهم المختلف معه والمتفق فيه من شأن العقيدة والدين نجده قد اكتفى (بالمونولوج) من طرف واحد وتحدى هو الجميع أن يكون من بين العقيدة الأخرى (= المحمديين) من يمكن أن يرد عليه وذلك كذبًا وبهتانًا من عنده.

وثاني صور هذا التنابذ الديني والهجاء العقائدي كانت في شكل كتب المقارنات الإسلامية التي خرجت للأسواق تتحدث عن العقائد الأخرى المناقضة لعقيدة المحمديين(*) (= المسلمين) ومنها نقد اللاهوت المسيحي واليهودي معًا وتتبع الكتاب المقدس في مخطوطاته وحالات تجلياته في التوارة العبرانية أو السامرية ومدى الإختلاف في الطبعات المترجمة من الكتاب المقدس سواء في العهد الجديد أو القديم من اختلافات ترجمة في الترجمات العربية المشتركة أو الترجمة السبعينية للتوارة أو نسخة الملك جيمس المعتمدة ونظرات أخرى في الأناجيل غير المعتمدة أو الخاصة التي لا يطلع عليها إلا أولى العلم من الكهنة أو من يطلق عليها الأناجيل السرية المنبوذة أو الأبوكريفا Apocriva .. كل هذا البحث ليؤكد من صاغ هذه المؤلفات فكرة بنى بها

(*) مفهوم مصطلح «محمديين» هو لفظ بحثي محايد ينسب المسلمين إلى العقيدة التي أتى بها محمد ﷺ (=النبي) في صورتها الأخير وباعتبارها فرعًا وآخر حلقات الإسلام التي جاء بها كل الأنبياء في رسالة واحدة من إله واحد وهذا المصطلح يختلف عن الذي يستخدمه المستشرقون بغرض الإساءة للعقيدة الإسلامية واعتبارها عقيدة طائفية اخترعها محمد بن عبدالله في القرن السادس الميلادي. (=المؤلف).

سياق مؤلفه أن الكتاب المقدس ناله التحريف والتبديل بل وممتلئ بالأخطاء ... وكأن بصاحب هذه المؤلفات أراد بذلك أن يؤكد فكرة بدأ بها وهي مختمرة في عقله ليصب بها في ذهن قارئه المتعصب مثله... إن اختلاف العقيدة والدين وعدم اتفاق أهل الديانات الأخرى بل انكارهم أن القرآن منزل من عند الله بل إصرارهم على أنه مجرد (قص ولصق) من الأديان السابقة أو أن محمدًا قام بتأليفه مع (ورشه عمل) من مجموعة من الكهنة أقول كل هذا لم ولن يفيد رؤية المسلم لكتابه المقدس (= القرآن) ولنبيه (=محمد) قيد أنملة بل لن يتحرك ليقرأ دينه أو حتى يراجع عقيدته في هذا الاتجاه لأنه في الأساس سوف يراجعها من خلال إعتناقه الأساسي وهو طفل ,لذا لن يصل في النهاية- حتى لو حاول البحث وهي فرضية غير مؤكدة- إلى شيء سوى ما كان يعتقد به أصلاً.

وكذلك بالنسبة لأتباع الكتاب المقدس أيضًا لن يحرفهم عن دينهم قيد أنملة ادعاءات الآخر عنه أنه محرف أو صناعة بشرية أو أن معظم هذا الكتاب المقدس تمت صياغته بأيدي كتبة مجهولون في معظمهم أو أن الآخرين لم يقروا أنه جاء عبر وحي الروح القدس إنما هو سرد تاريخي أو بيوجرافيا للسيد المسيح (= العهد الجديد) ومجموعة أسفار موسى والأنبياء الكبار والصغار والمزامير (= العهد القديم) أقول كل هذا الهجاء لن يجدي سوى إغارة الصدور والكراهية فضلاً عن شيء في غاية الأهمية وهو أن القارئ لهذه الكتب المعروفة كذبًا بمقارنة الأديان لن يفهمها أبدًا لأنها مؤلفات موجهة بشكل أساسي ورئيس إلى القارئ المتخصص أو الباحث الأريب المتعمق في اللاهوت الديني لذا لن تجد لها تأثيرًا كما كان يتوقع مؤلفوها وناشروها والحق أقول لكم أنني بعدما قرأت جلها (= معظمها) خرجت عنها بهذا الإنطباع فليس المهم الإغراق في إتقان الصنعة والتشدق اللاهوتي في مواجهة من لا يفهم..

فالرسالة بـهذا الشكل جد خاطئة وكـان من المفروض أن المرسل إليه أو المسـتقبل هو القـارئ العـادي الذي أصبـح هذا الكتاب أو هـذه الكتب إن شئـنا الدقة هـي مجـرد «مبـهمـات فكرية» كان العـائق فيـها مـا بين المرسل «بضم الميم» والمرسل إليه «بـفتح السين» هي الرسـالة ذاتهـا.. وكان في ذهني أن أكـمل طريقي في مـجال عـمل شيء وقتها مخـتلف فوجدت ضالتي في (المشتركات) و(المتفق علـيه) و(التاريخ والسيرة) وقررت معها الإبتعاد مؤقتًا عن العقيدة لكونها شائكة وتحتاج لمجهود ضخم في جعل بحث علمي حولها يتحـري المواءمة فيما اتفق فيها وفيـما اختلف ولعل أهم من أشار من المسـتشـرقين للتـشابـه بين عمـر بن الخطاب وبين بولس الرسـول هو المسـتشـرق «مايكل هارت».. وإن كنت قـبلها قد تنبـهت إلى التشـابه بين الرجلين وقررت ذلك ولكنني تخوفت في البـداية ثم تشجعت حـينما رأيت أن غيري رأى مـا رأيت بتوارد الخواطر برغم بعـد المسافة للعـديد من السنوات بيني وبين «هارت» وقررت تحـويلها لأول دراسة منهجية في هذا الصدد.

جاء سبـب التخوف من «فيـروس التعصب» الذي طال الجمـيع من أبناء الأمة على اختلاف عقائدهم وحينمـا كنت أجمع فصول البحث الذي بين أيديكم وجدت اهتمامًا شديدًا بما أفعل من المحمديين (= المسلمين) وكذا اليسوعيين(*) (=المسيحيين) ولمحت مع الإهتـمام شيـئًا من الإمـتعاض وتسـاءلت مع شريحـة شبـه عشـوائية من المقربين لألمح تأثير ما أفعل عليهم خاصة أن الموضوع في منتهى الخطورة إن لم يفهمه المتلقي (= القـارئ) جيـدًا فقـد يأتي بنتـائج عكس ما هو مـرجو منه... وسـألت عن أسـباب هذا الامـتعـاض فـوجدت شـيئًـا في غـاية الغرابة وإن كـان مـرتبطًا بمفهـوم «التـعـصب» وهو أن كـل طرف من الأطراف أو بدقـة كل طرف من هـذين الطرفين

(*) نسبة إلى يسوع المسيح وليس الطائفة اليسوعيين (الجيزويت). (=المؤلف).

يقول لي (من هذا الذي تقارنه بسيدنا عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه وأرضاه؟) وعلى الجانب الآخر تأتي في صورة عتاب خجول وإن كان بعضهم من المقربين لشخصي ولا يجد حرجًا ولا غضاضة أن يقول لي ألا تخشى أن يقول المسيحيون (=اليسوعيون) من هذا الذي تقارنه ببولس الرسول الرجل.. العظيم الذي... والذي... والذي...؟!

قلت لهم وقتها لو قرأتم عن الشخصين سوف ترون أن كل منهما الذي ... والذي... والذي... فكل منهما له ثقله في الدين وهناك تشابهات كثيرة في الشخصيتين مع اختلاف الزمن والتوجه والظروف السياسية والفارق الجوهري الكبير أن عمر عاصر محمدًا وعاش معه حتى مات الأخير أما بولس فلم ير المسيح طوال حياته سوى في التجلي الخاص الذي قلب حياة بولس ومعه تاريخ وعقيدة المسيحية رأسًا على عقب إذ لربما لو ظلت الأمور بعد المسيح مرتبطة بتلاميذه الذين عاصروه وعايشوه كما عايش عمر محمدًا لكان للمسيحية شكل وفكر مختلف عما هي عليه الآن.

لا أخفي عليكم أن هذه الرؤية من هذه العينة الصديقة العشوائية (= بالمعنى الإنتقائي) أراحتني وأفزعتني ... أراحتني لأنني سوف أثير جدلاً حميداً يجعل الجميع يقرأ ويتعلم ويتابع ويعلم وحينما يعلم ويطرد جهله بالآخر قد يتقبله وما أفزعني هو خوفي من أن الطرفين سوف يقاطعا هذا البحث ويرفضانه فتضيع الرسالة والجهد ويصبح الخطأ في المرسل «بكسر السين» وهو (المؤلف) ولكنني رأيت أن أستمر في البحث والنشر لأقول كلمتي للتاريخ وأمضي فهو ما سوف يعيش بعدنا ويصنع خلودًا وبقاء فإن لم ينجح اليوم لعدم وجود عوامل مساعدة له فإنه سوف ينجح حتمًا غدًا إذا مازالت غشاوة التعصب عن أغلب عيون الناس وهو ما أراه شبه مستحيل في المدى القريب.. فلعل «فيروس» الرؤية الأحادية وإقصاء الآخر تعود إلى

سيادة «المال النفطي» على الكثير من مناحي الحياة في مصر فهو مشارك بنسبة ٩٠٪ من أزمة التعصب والتطرف فالناس أعداء ما يجهلون برغم اختلاف ذلك مع مقاصد القرآن الذي ربما إلى الآن لم يقرأه المسلمون جيدًا ويستفيدون منه كما يجب لإنشغالهم بالمظهر والقشور الدينية وارتباطهم الوثيق الشديد بأدبيات وروايات دينية أخرى أكثر من اهتمامهم بفهم القرآن ذاته.

وعلى الجانب الآخر نجد الإنغلاق والتقوقع المسيحي تجاه المسلمين خوفًامن التصادم الفكري بل أن جل احتياجاتهم ومطالبهم لا يجدون لها حلاً أو انعتاقًا إلا من خلال المؤسسة الدينية وهي في ذات الوقت ترعاهم كشعب (= بالمفهوم الديني) الأحق بالرعاية وانضمت لها الرعوية السياسية وأقرر أن هذا ما هو إلا رد فعل للتجهم والكراهية والنفور من الجانب الآخر الذين قرروا أن يتعاملوا مع بعضهم البعض من مفهوم الدين لا المواطنة وفي ظل هذه الأجواء ظللت وما زلت لا أدرى هل هذا البحث سيكون رابطًا بين طرفي المعادلة من أصحاب العقائد المختلفة أو حتى بداية متواضعة في بداية هذا التقارب فيما بينهم؟ فقد أكون سببًا في ذلك وأيضًا ما جعلني أشعر بالخطر من هذه التجربة التي أراها _ من وجهة نظري المتواضعة- هي التجربة الحقيقية والمفترضة لمقارنة الأديان بأسلوب «المقاربة» بالتركيز على المتشابهات لا المختلف عليه... أقول أن الخطر من حساسية الناس في الفترات الأخيرة تجاه أي شيء يمس عقائدهم أو يعتقدون أنها تمسه .. جعلتني ألجأ إلى أسلوبين أدعى أنهما أو أحدهما على الأقل جديد تمامًا أولهما فصل الشخصين اللذين أقارن بينهما فيما تشابه فصلاً شبه تام في كل مبحث أتناول الشخصية بنفس العنوان تقريبًا منعًا لحساسية المسيحي تجاه ما يقرأه عن عمر بن الخطاب أو حساسية

المسلم لما يقرأه عن بولس الرسول فإذا ما دعاه الفضول ليقرأ عن الآخر فليفعل وإن لم يدعه فضوله فليكتفي بقراءة ما يخصه فقط أو العكس.

والأسلوب الثاني استخدام المراجع في داخل السطور وليس في الهوامش منعًا لخلط الرأي بالإقتباس فيرجعها القارئ للمؤلف أو ربما يفهم أن الباحث يكره عمر مثلاً أو يحب بولس أو العكس وهو ما أربأ به لأي باحث أن يكون متحيزًا مع أو ضد ما يبحث فيه لأن هذا ضد أوليات البحث العلمي تمامًا وكذلك إن الفرضية المسبقة تخل أيضًا بالمفهوم المحايد للبحث لذا فإن الباحث الديني يكاد لا يوجد في مجتمعاتنا لارتباط ذلك بمؤسسات علمية أو دينية علمية تطلب ألا يختلف الباحث في النتائج عما يرضى أساتذة أو كهنة المناقشة... وواقع الحال أن الباحثين العلميين بهذه الطريقة هم باحثون عن درجة علمية فقط ما دام لم يصلوا لجديد أو خضعوا لقيود تؤثر على جدية بحثهم وقيمته الأساسية من وجهة نظري وقد أكون مخطئًا.

أعود من ذلك أنه قد يرى القارئ خاصة في الدراسة الخاصة بعمر بن الخطاب أن للمؤلف آراء «شيعية» أو ما إلى ذلك ولكن المراجع المستخدمة في ذلك هي مراجع في أغلبها ترجع إلى أهل الجماعة والسنة فقد تذكر هذه المراجع جانبًا غير معروفًا عن عمر وقد تخدش الصورة المثالية الأسطورية لعمر بن الخطاب (= المؤسطر) وهو ما نربأ به عن الباحث العلمي عمومًا فالناس ليسوا شياطين أو ملائكة باطلاق وإنما هي صورة أشبه بالأبعاد الثلاثية أو الرباعية لابد أن تكون من عدة جوانب وهي أمور يراعيها حتى كاتب السيناريو في رسم الشخصيات المتخيلة أو التاريخية فألف باء بناء الشخصية الدرامية هي جعلها من لحم ودم وليس بناء افتراضي لملاك مطلق أو شيطان

مطلق أيضًا فما بالنا ونحن نتعامل مع أشخاص حقيقيين كتب عنهم التاريخ ما هو حقيقي وما هو غير ذلك فأصبحوا في ذمة التاريخ والأمانة العلمية هي في تدقيق ما كتب عنهم خاصه إن ما كتب كان في عصور لها أهدافًا سياسية في رفع قيمة هذا وخفض قيمة ذاك أو حتى اقصاؤه من على مسرح التاريخ وإفساح المجال للشخصيات الممثلة لمذهبهم مقابل إغماط من يريدون تقليل شأنه في الأحداث ولما أن لعمر بن الخطاب قيمة كبيرة وصلت بها أدبيات أهل السنة والجماعة إلى الذرى العالية وانخفضت بها جماعة أهل البيت (= الشيعة) إلى ساحق الدرجات فهو بذلك شخص مثير للجدل وليس من المتفق عليه بين أهل المذهبين بعكس ما اتفقت كل المذاهب المسيحية على (بولس) وبما أن بولس اكتسب صفة (الرسول) بالمعنى الدعوي والتبليغي بل والتشريعي أيضًا باعتباره المؤسس الحقيقي للكنيسة فإن عمر له ما له وقيمته وشأنه من الأحاديث المنسوبة لمحمد (= الرسول) في أدبيات أهل السنة والجماعة حتى أن هناك الأحاديث التي تعطي عمر قيمة التنبؤ والإلهام بل ووصل الأمر بالرسول (= محمد) أن وصفه (=عمر) بالنبوة الإحتمالية «راجع الفصل الخامس» بصيغة الشرط «لو كان نبيًا بعدي لكان عمر) وما كان يتنبأ به عمر فتنزل الآيات مؤيده لرأيه (= في المفهوم السني) لذا فإن صفه (المتنبي) لعمر هي مقابل صفة «الرسول» لبولس وليس انتقاصًا من شأن عمر على الإطلاق وليس ربطًا له بصفة الشاعر «المتنبي» المعروف والمذموم تاريخيًا وليس وصفًا له بمدعى النبوة أو تحقيراً لشأن رجل له وزن ضخم في الفكر السني يحترمه ويكاد يقدسه الملايين حول العالم من المسلمين ووصفه بـ «المتنبي» مقاربة لصفته في الحديث النبوي المنسوب لمحمد

(=الرسول) فلن ينفع له صفة «الملهم» بضم الميم فهي أقل من صفة «المتنبي» التي باء بها عمر في الحديث كما باء بها وأكثر منها أيضًا في نفس كتب الحديث الإمام علي بن أبي طالب في البخاري ومسلم وأيضًا في «الكافي» لـ«الكليني» وهو كتاب الأحاديث لدى الشيعة أما آخر المخاوف التي أثرت على تفكيري أثناء الكتابة هي صفات الإحترام والتقديس المنسوبة لبولس ومحمد نبي الإسلام وعمر بن الخطاب والمسيح. وهو ما سوف يكون مثار انتقاد القارئ المسلم خاصه المعتاد على ألفاظ القداسة والتي زاد الإرتكاز عليها في الفترة الأخيرة خاصة الأربعين عامًا الماضية وحتى الآن مع استكمال «وهبنة»(*) المجتمع المصري مثل صيغة «رضي الله عنه» وصيغة (صلى الله عليه وسلم» عند أهل السنة والجماعة أو «صلى الله عليه وآله وسلم» عند الشيعة عند ذكر محمد (=النبي) أو أحدًا من آله ولكن للمواءمات وخاصة أن البحث الذي بين أيديكم هو موجه لقارئين مختلفين دينيًا ومترجم للغات أخرى أصبح ولا يجوز الإحتكام لصيغة تقديس خاصه بفئة دينية فقط لأن ذلك يضع الباحث في موضع تقديس للشخصيات وهو ما يخدش الأمانة والحياد العلمي والبحث وأيضًا يجرح مشاعر المختلف دينيًا مع المسلمين بنفس درجة جرح مشاعر المسلم حينما يسمع من المسيحي مثلاً أن «الله هو المسيح» أو «المسيح ابن الله» وهكذا فما دام البحث مكتوبًا بأسلوب متجرد استشراقي النزعة بمفهوم الحياد وليس الاستشراق المتحيز والمتشدد إذن لا مندوحة أن تظل التعريفات في ذهن الباحث فقط

(*) يقصد بها تغلغل المنهج الوهابي في فهم الإسلام وتفسيراته حسب الإمام ابن القيم الجوزية والشيخ ابن تيمية المستمدة من مذهب الإمام أحمد بن حنبل وتبعها تغيير خريطة مصر الدينية الإسلامية من مذهب أبي حنيفة إلى الحنبلية ذات الآراء المتشددة نسبيًا. (=المؤلف).

وإنما محـايداً تماماً كالطبيب الشرعي يتعامل مع مـوضوع البحث أو يزاول التـشريح بحـياد تام حـتى ولو كان مـوضوع البـحث يمس أعز أقـربائه فيـجب فصـل مشـاعر التـقديس الشكليـة عن أسلوب البحث وهو ربما يكون جـديداً على أفهـام ومسـامع القراء وكثـير من الباحثين إلا أن ذلك أجـدى وأفضل لمفهوم البـحث وللوقوف على مـسافـة مناسـبة من أطراف قـراء البحـث من كلا الديانتين فـلا يجب أن يسـتعـرض الباحث ديانته فكمـا سبق وقررنا أن الباحث يجب أن يكون متجـردا في بحثه حتى لا تسبقه عواطفه للنتائج أما فيما بعد البحث فله أن يقدس ويتعبد مثل الآخرين أو بقدر إيمانه ولا تثريب عليه.

وفي النهـاية ندعو الله أن يزيل عن أعـيننا غشـاوة الجهل والـبداوة والتعـصب وإقصاء الآخـر وأن يجعل حب الوطن في نفوسنا جزءاً من مشـاعرنا تجاه أدياننا وأن يرينا الطريق ويلهمنا النور لنعـرفه جيداً.. إلهاً نحـبه ونقترب من ملوكـته لا نفزع منه ونخشاه فقط.. فـالذي يخاف لن يتحرر وإنما بالمعرفة ومعرفـة الحق تتحرر النفوس.. وترى الحقيقة جلية واضحة دون وهم أو ضلالات ...

د. أشرف السويسي

القاهرة في ١/٧/٢٠١٠

مقدمة

تعود أهمية دراسة سيرة عمر بن الخطاب .ليس لأهمية تراتبية جاءت من وضعه بين أصحاب محمد (=النبي) ولكن لأهميته من زاوية النص القرآني نفسه التي دعمت آيات تشريعية منه مواقف عمر في أكثر من قضية وأكثر من موقف فقد نزلت آيات قرآنية عديدة تدعم وجهة نظرة حتي قيل فيما بعد بأن عمر كان "يري الرأي فينزل به القرآن "

وعلي أساس هذا الواقع التاريخي فإن الرؤية التاريخية الإسلامية أنتجت تقديرها لعُمر من خلال أحاديث نبوية رفعت من قدره إلي مستوي النبوة فنسب حديث لمحمد (=النبي) يقول "لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب "كما ورد في أحاديث أخري "لو لم أبعث فيكم لبعث عمر " وهناك أيضا في الصحيحين "لقد كان فيمن قبلكم من الأمم ناس محدثون فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر " ويقول الثعالبي في كتابة فقه اللغه "إن كان الرجل ذكيًا متوقدًا مصيب الرأي، فهو ألمعي ، فإذا ألقي الصواب في روعه ، فهو مروع ومحدث ثم يضيف للحديث النبوي توضيحًا "إن لكل أمه مروعين ومحدثين فإن يكن في هذه الأمة أحد ، فهو عمر " .

وبصيغة أخرى لدي البخاري تقول "لقد كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن في امتي أحد فعمر "ولعل الربط بين بني إسرائيل وعمر وهي مسأله تكررت في طيات كتب التاريخ والتراث ولها

دلالتها التي سوف نتناولها في مباحث هذا الكتاب وستكون سببًا إضافيًا لبحث هذه الشخصية الفذة بجانبها الإنساني من ناحية وجانبها "النبوي " _ إذا جاز التعبير _ من زاوية أخري ومن ناحية ثالثة بمقارنتها بما سوف نعرج عليه في دراسة مقارنة متوازية لشخصية شاول الطرسوسي الملقب ب "بولس الرسول " أو القديس بولس الذي تتقاطع خطوط شخصيته وأهميتها في التاريخ المسيحي أيضًا مع عمر في الإسلام.

بيد أن للوهلة الأولي ما يفرق بين الشخصيتين هو ثراء الأولي (عمر) من حيث خلفيتها التاريخية والانسانية والنفسية حتي يمكنك أن تكتب «بروفيل» ذاتي وإنساني عن عمر الأب والزوج والابن والمحب والمحارب والمشرع "أحيانًا" والحاكم (= الخليفة) الا أن شاول (=بولس) ليس هناك ما يؤيد هذه الجوانب سوي شذرات خفيفه قليلة لا يظهر لها أثر سوي في مسيرة حياته الإيمانية أي يظهر من خلالها خلفية ثقافية وأهميتها في سلوكياته ولكن ما يجمعهما في هذا البحث (=الكتاب) أننا سوف نتعرض لنشأة الإسلام من خلال شخصيتنا الأولى (=عمر) ونشأه المسيحية وتطورها في القرن الأول من خلال شخصيتنا الثانية (=بولس) وبالنسبة لعمر لا يمكن اعتبار الإسلام في مرحلتية المكية واليثربية وحدة ثابته ..بل تطور بنيوي في الإسلام المكي كما رآه غالبية الباحثين من المستشرقين يمكن تقسيمة إلي ثلاثه أطوار بيد أننا سنكتفى بالإشارة إلى المرحلة المكية ككل ونشاط الجماعة الإسلامية فيها وسنعطيها مصطلح "الدعوة المحمدية " وفيما يتعلق بالمرحلة اليثربية سنلقبها بالمرحلة الحركية أو " Movevment حيث يعبر عنها في إطار أوسع وأنسب من مصطلح منظمه أو تنظيم أوهيئه أومؤسسة . وسنعطي مجموعة "المنافقين " بالمدينه كما أسماهم التراث الإسلامي مصطلحًا علميًا وهو "المعارضين " ومع الفترات "الجاهلية "التي تسبق الإسلام والتي أثرت في الكثير من الأشخاص

وشكل التشريعات خاصة المكية سنعطيها مصطلح أو "قبل إسلامية " وذلك تفاديًا لما يبدو أنه حكم قيمة وخصوصًا أن مفهوم "الجاهلية "من المصطلحات التي تعني أكثر من فهم في مصادر تاريخية أخري مثل المصادر المسيحية والتي تعني فيها الجاهلية .. حكم قيمة علي عصر ما قبل المسيحية ذاتها وان مقارنتنا بين شخصيتين ينتميان لعصور وخلفيات وعقائد مختلفة ليس ربطًا فقط فيما هو مشترك بينهما بقدر ما هو إلقاء الضوء علي ضرورة أن هناك رجال يصنعون أقدارًا و أقداراً تصنع رجال . واقول لمن لم تعجبه المقارنه من متطرفي جانبي العقيدتين إننا لسنا بصدد كتاب دين أو عقيده أو لتغليب أحدهما علي الآخر بل لا نعتبر ذلك من قبيل أنه دعوة للمقارنه المذمومة بل للتأمل والتفسير والإدراك بمعني أنه يدرك كل طرف ما لدي الآخر من متشابهات وأمور مختلفة تاريخيًا وإنسانيًا في حق رجال أو علي الأخص رجلين غيرا وجه التاريخ في ديانه كل منهما وكيف كان لهما ماضٍ فيه شئ من التشابه وحاضر فيه اختلاف وتشابه أيضا أثر ذلك ليس علي مستقبليهما هما الإثنين فقط ولكن علي باقي أمتيهما وسائر من اعتنق ديانه كل منهما وربما اعتبرها من جانبي محاولة لإمكانية أن نقرأ سيرة ذاتية مشتركة ومقارنة ومفسرة و"مقاربة "بين ديانتين من خلال شخصيتين يحمل لهما من أهل الديانتين الكثير من التبجيل والإحترام بل والقداسة أيضا لذا كان عمر هو متنبي الأمه بحق بموجب مجموع التراث الأحاديثي الذي ذكرناه ونضيف عليه ما صاغه المخيال الجماعي حديثاً نبويًا يقول «ما أبطا عني جبريل إلا ظننت أنه بعث إلي عمر »(*) فإنه بغض النظر عن صحته ليس مشكلتنا صحة أو عدم صحة هذا الحديث إلا أنه

(*) يشبه ما يدعيه أهل الجماعة والسنة ضد مدرسة أهل البيت (=الشيعة) من أن الشيعة أو بعض الغلاه منهم يرون أن جبريل أخطأ وأنزل الرسالة على محمد بدلاً من علي وهي فرية تستحق الشفقة والرثاء فضلاً عن التحقيق العلمي. (=المؤلف).

صور إفتراضيا ما كان يجري من تداخل لعمر لصياغة التشريع المناسب للمستجد من الأمور وقد اضطر محمد (=النبي) مراراً لقبول رأي عمر ولكن بعد إستشارة السماء وهذا ما كان يمنح "موافقات عمر "بعداً نبويًا ويجعلها تشريعًا وتعاملت معها الشيعة بشكل لافت فقد اعتبرت أن عمراً كان يكره محمداً أشد أنواع الكراهية من وجهه نظرهم ذلك أنه كان يعتبر- نكرر من وجهه نظر الشيعه - أنه بوجود محمد (=النبي) قد حرمه من نزول الوحي عليه وأنه أوذي كثيراً بحرمانه من النبوة والرساله وهو الأمر غير المؤكد لدينا إذا أنه افتراض علي افتراض يعطي فرصه أكبر لاختراق النوايا ومحاكمة الضمائر والنفوس وهو أمر من صميم اختصاص الشئون الإلهية أما بالنسبه لبولس (=شاول) فإنه لم يدرك زمن يسوع المسيح وقد تقابل مع من ظهر له في طريقة إلى دمشق لمحاربة جماعة المؤمنين من اتباع يسوع كعادته في إضطادهم في بداية حياته إلا أنه تم منحه لقب "الرسول " ولا ندري من أيه جهه سواء كانت سماوية أو غيرها غير ما ذكره هو ولم يقره عليه شهود وصل عددهم إلى الخمسمائه كانوا معه في رحلته الشهيرة إلى دمشق وشاهدوا ولم يسمعوا ولم "يشهدوا " أيضاً بما قال وظل الأمر كما هو من أنه بولس صاحب الجولات في مختلف أرجاء المسكونه الذي صنع رسالاته إلى المؤمنين وناهض كثيراً حواري يسوع وتلاميذه وورثة رسالته وكان له معهم ما كان ولكن ظل له النصيب الأعظم _ رغم ذلك _ من" الكرازه"بالمفهوم المسيحي أو الوعظ أو"الدعوة " بالمفهوم الإسلامي واستحوذ بولس (=شاول) علي ما يقرب من ثلثي العهد الجديد بمجموع ثلاث وعشرين رسالة من سبعه وعشرين ومعها الأناجيل الأربعة القانونية المعتمدة . ولهذا ولأكثر منه كان لابد من الإقتراب من شخصيتي "المتنبي والرسول ".

المؤلف

الفصل الأول

مكونات ومحددات الشخصية

المحيط الجغرافي لعمر

تقع مكة وسط جبال الحجاز بالجزيرة العربية وكانت في الجاهلية الثانية هي المركز التجاري والديني لهذه البلاد الشاسعة يحدها من الشرق الخليج ومن الشمال الشرقي العراق ومن الشمال بلاد الشام ومن الغرب تحاذي سيناء وساحل البحر الأحمر (=بحر القلزم وقتها) ومن الجنوب يقع المحيط الهندي والذي يحاذيه اليمن وهي القسم الأخصب في الجزيرة العربية وأطلق عليها الرومان وقتها "العربية السعيدة "

وأصبحت مكه لوقوعها في عقدة المواصلات الإستراتيجية حاضرة إقتصادية وملتقي القوافل التجارية المارة من اليمن إلى بلاد الشام وهو الإيلاف المعروف في القرأن "لإيلاف قريش إيلافهم ، رحلة الشتاء والصيف " (سورة قريش) كانت قريش تعين علي تجارة العبور (=الترانزيت بلغة العصر) والتي أدارها زعماء قريش وأغنياؤها من هذا المجتمع المكي التاجر ، كان ثمة مجتمع آخر يعيش علي الرعي وخاصة رعي مواشي تجار مكة وأثريائها في شباب البلد الآمن وكان منهم بن الخطاب الذي كان يعمل مع والده الذي كان فظًا غليظًا. (تاريخ عمر بن الخطاب ص٢٣١).فكان يتعبه إذا عمل ، ويضربه إذا ما قصر ، (تاريخ عمر ٢٨١، الفاروق

عمر١٥٣-٣٦) ويكبر عمـر ويغدو رجلاً ضخماً غلـيظ القدمين والكفين طويلاً فإن رآه أحـد تراءي له كأنه راكب علـي فرس وعندمـا كان يمـشي ، كان يسـرع بخطاه وربما كانت هذه البنيـة القوية وراء حبة لممـارسة المصارعة التي عرف عـنه إجادتها ويقال إنه كان لا يغلبه أحد بها (إبن سعيد ٣/ ٣٢٥) وكثيراً ما كـان يصارع الفتيان في سوق عكاظ وكان ينادونه «عميراً» . (إبن شبة)

وقد منـحتة الطبـيعـة صوتًا شـديدًا فكان بعض الأحرف يخـرج من شدقـية كالصاد مـثلا فتزيده هيبة خـاصة إن مقدم لحيتـه كان كثيفًـا وهذا يجعلها في عين الناظر كبيرة أما بشرته فكانت تميل إلى الحمرة (إبن سعد تاريخ الطبري ٢/ ٥٦٢) .

بقي عمر يحمل من عاداته من أيام وحدته عندما كان يرعي الغنم لوالده في طريقة عبثه بلحيته وفتل شاربه حـيث كان أيسراً فكان يفتله بيده اليسري وكثير من معاصرية قالوا أنه أعسر يسرًا .أي الذي يعمل بكلتا يديه خلافًا للايسر الذي يعمل باليسري فـقط . وقد كني عمر بأبي حفص ، الحـفص هو الأسد ، وتعزو الروايات إلى محمد (=النبي و الرسول) إطلاق هذه الكنية علية ويلقب في بعض الروايات بالأصيلع وذلك لصـلعته كـما ورد في كتـاب أخبار عـمر ص ٢٧٦ ولكن اللقب الأشهر هو "الفاروق" .

نسبه (=المحيط القبلي)

يعود نسب عمر بن الخطاب إلى آل عدي فهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبـد العزي وينتـهي نسبـه إلي أل عدي ولهذا فـإنه يطلق لقب القـرشي العدوي .

وقبيلة "عـدي بن كعب " هي قبيلة عـدنانية من قريش وكان آل عدي يقـيمون في جبل يقال له جبل العاقر ولا حقا أطلق عليه (جبل عمر) .

ينتـمي عمر إلي الـفئة القـريشيـة المميـزة التي عرفت باسم (قـريش البطاح) وتتألف قريش البطاح من عبدمناف _بني عبدالدار –بني عـبدالعزي– بن قصي – مخزوم– زهره – تيم بن مره– جمح – سهم – عدي– بنو عتيك بن عامر بن لؤي. وتتميز قريش البطاح بأنها قبائل مستقرة تسكن البيوت ويزاولون الأعمال التجارية ويشتغلون بخدمة المقُدس وهم أصحاب المال ولبعضهم أملاك خارج مكة وتحديداً بالطائف. إن إنتـماء بني عـدي للطبقـة القريشـية الأولي قـريش البطاح سمح لـها بالمشـاركـه في التقـسـيم الإداري لمكه فـقد كـانت قـريش قـبل الدعـوة المحمـديه (=الإسلامية) في أمس الحاجة لإدارة شئونهـا المختلفه ورغم تجاوزها في منظومتها الإجتـماعية مـستوى القبـيله إلا أنها لم تبلغ بعد مـستوى الدولة فتم تقـسيم إدارة الحـرب والقضـاء والحج والسـفـارة بين بطون قـريش وكان من نـصيب آل عـدي السفارة ومهمتة التفاوض مع الأطراف المتـنازع معها لسبب الحرب أوغيرها ويبدو أن اختيار بني عدي للسفارة يعود إلي أنهم أهل بلاغه وحسن عبارة وأثرذلك أثناء الدعوة المحـمديه حيث أرسل مـحمداً (=النبي والرسـول) بن الخطاب إلى قوات قريش قبـيل معركة بدر مـقترحًا عليـهم الرجوع ثم فاوضهم بشـأن دخول المؤمنين (=المسلمين) إلى مكة ولظروف مـاأرسل بديلا عنه عثـمان بن عفـان وتمخض عن ذلك إتفـاق الحديـبية وإن توزيع المهـام الأساسـية بين قـريش البطاح لم يمنع من أن تجري فيها عمليـة تفاوت إجتماعي _اقتصادي فوقت ظـهور الإسلام كان آل عدي يحـتلون أدني قـائمـة قـريش البطاح وربمـا يعـود ذلك إلى قلتـهم العـدديه ولهـذا يقسمهم الباحث (مونتجمرى وات) إلى ثلاثة فئات :–

أ- هاشم، المطلب ، زهرة، تيم، الحارث بن الفهر، عدي

ب- عبد شمس ، نوفل، أسد عامر

ج-مخزوم، سهم، جمح، عبدالدار

حيث يري أن المجموعة الاولى تحتوى علي البطون الأضعف ، ويلاحظ أنه من هذه المجموعة الاولى أيضًا أتى معظم المؤمنين فى حين كان المجموعتين ب ، ج معظم أعداء محمد وهم من العشائر الاقوى وبالنسبه لآل عدي كان قد بلغ بهم الضعف كل مبلغ بحيث كانوا يتعرضون للأذى من أقربائهم بني عبدشمس وهذا ما خلق لديهم روح التنافس مع بني عبدشمس وقد وصل الصراع إلي ذروته في حياة الخطاب بن نفيل (والد عمر) فأجبر آل عدي علي الجلاء عن منازلهم القائمة عند الصفا وقد وفرت لهم بني سهم ملاذًا إلي جوارهم .

وتتوالي التفاصيل تسرد الإنحدار الحاصل في مكانه آل عدي مقارنه مع البطون الاخري .فتروي قصة الخلاف الذي نشب بين عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أميه ، وإتفاقهم علي جعل نفيل بن عبد العزي العدوي _ جد عمر بن الخطاب _ حكمًا بينهما فأغضب ذلك حربًا الذي قال (من انتكاس الزمان وإن جُعلت حكمًا) وهو أمر أملته الصيرورة الإجتماعية برغم توافر شروط التحكيم في نفيل العدوي (جد عمر) من معرفة بأنساب القبيلة وتاريخها الشفهي وبالاضافة لتوليه مهمة السفارة مع آل عدي إلا ان ذلك لم يشفع له أنه يقبع في أسفل القائمة الاجتماعية لآل عدي مما جعل حرب يري انتكاس الزمان في تحكيم أحد آل عدي بقي عمر يستشعر هذا الضعف علي مدار حياته قبل وبعد الإسلام وحتي بعد ٦ سنوات قضاها مهاجرًا في يثرب ، وحين وصل محمد (=النبي) إلي الحديبية طلب من عمر التوجة إلى مكة من أجل مفاوضتهم باعتباره سفيرًا سابقًا للمكيين فاعتذر عمر قائلاً:"إني أخاف علي نفسي من قريش وليس بمكه من بني عدي بن

كـعب أحـد يمنعني وقـد عـرفت قـريش عداوتـي إياها وغلظتي عليـهـا وإذا أعلن استعداده للقبول إلا أنه إقترح إيفاد عثمان لموقعه في مكه ولعزة قومه فيها .

وما فـعله عمر يعكس ضـعف بني عدي وقلة عددهم إلى الحـد الذي جعله يعتبرهم غير موجودين ، فـقد جعلهم ضعفهم علي هامش الواقع القرشي والرواية الخاصة بموقعة "بدر"تقول أن بني عدي إنسحبوا قافلين إلى مكه لما علموا نبأ سلامة القافلة قـبل معركة بدر مـتذرعين بأن أبا سفيـان قد أرسل إلى قريش خبـراً بسلامة القافله طالبًـا منهم الإنسحاب ، أن هـذه الرواية تدل علي الشعور الذي كـان يسود بينهم إذ كـان ميـزانهم أضعف مـوازين قريش واذ انسـحبـوا من بدر فإنهـم أكدوا اللامـبالاه التي تحكم عـلاقتـهم بها (قـريش)(*) وإنقطاع شعـور التضـامن بتردي وضعهم وتغييب قريش لهم .

الجذور الحبشية لعمر (= الجدة)

لعل العامل الثـاني المؤثر في شخـصية عـمر هي جدتة المنحـدرة من أصول حبـشية (زنجـية) وتعرف ببـاطلحي وتسمي"صـهاك" وهي أم الخطاب (ورد عند أبي الحديد المعتزلي بجزء ٦ ص٢١٩)كما أن هذا الجذر الحـبشي سيكون له دور في تشكيل شخصية عمر وستكون لهذة الصلة دور في تكوين عمر لاحقًا دينيًا وسياسيًا ولعل الجذور والمورث الديني المسيحي قد دخل إلى وعي عمر الديني الا أن المتاح فيها لم يكن سـوي عقـائد بسـيطة شـعبـية ولم تـصل إلى حد الاسـتـفاضـة في اللاهوت المسيحي الذي كان عصيًاعلي القبول في الحجاز .

(*) تواترت الروايات بطلب محمد (=النبي) أن يعز الإسـلام بعمر بن الخطاب رغم ضعف موازين قـومه مـقارنة بأبي الحكـم بن هشام (=أبو جـهل) وذلك أدعى أن تكون هناك مـراجعـة لمتن هذه الروايات بدلاً من الاكتفاء بمراجعتها من خلال الرواة فقط. (=المؤلف)

الأم

ينتمي عمر إلى حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ومنهم من يقول أنها حنتمه بنت هشام بن المغيره وبناء عليه فهي أخت عمرو بن هشام بن أبي الحكم (والذي سيطلق عليه المسلمون لقب أبي جهل) ويرفض الأثير هذا القول و يرى أنها إبنة عمه (عمرو بن هشام) و بكل الأحوال فإن عمراً يمت بصلة نسب إلي مخزوم من جهة الأم و كان آل مخزوم مشهورون بالعنجهية و هو ما طبع بعض سلوك عمر .

مولده

يصعب تحديد ذلك لعدم وجود تدقيق للتواريخ في مكه وقتها إذ لم تكن هناك هيئات إدارية و غالباً ما يتم الإشارة إلي التواريخ بالارتباط مع الأحداث البارزة كعام الفيل و تنقل الأخبار مولد عمر مرتبطاً بحدث جلل أيضاً منقول أن مولده كان قبل الفجار الأعظم بأربع سنين و حروب الفجار هي سلسلة حروب أو مناوشات بين كنانة و قيس في الأشهر الحرم (المقدسة) و التي يحرم فيها القتال ولهذا سميت الفجار و قد إنتهت ٥٨٩ ميلادية طبقاً لمرجع " أيام العرب في الجاهلية ص ٣٢٢ " .

و بهذا فإن ميلاد عمر بالتقريب يكون حوالي ٥٨٥ ميلادية و بالتعيين الثاني لمولده يكون بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة كما جاء في مرجعي أسد الغابة الجزء الثالث ص ٦٤٢ و تاريخ الخلفاء ص ١٣٣ و يكون بذلك قبل بدء الدعوة المحمدية بثلاثين سنة و يصعب تدقيق ذلك إذ أن الروايات تختلف كثيراً حول

تاريخ عام الفيل و قيل أن عام الفيل كان قبل مولد محمد (=النبي) بأربعين سنة و منهم من قال بثلاث و عشرين سنة و غالبية الرواه تقول أنه كان سنة مولد محمد (النبي) في ٥٧١ م و من هنا لا يمكن إعتبار عام الفيل عام مولد عمر .

و لكن يمكن إعطاء تحديد بسيط تقريبي أيضًا فقد اغتيل عمر عام ٢٣ هـ / ٦٤٤ ميلادية و إذا إفترضنا أنه عاش ٦٠ سنة فإن ميلاده حوالي ٥٨٤ ميلادية وبالتالي فالتعيين الأول هو الأقرب للصحة و الدقة . (السيرة المتوارية _ مالك مسلماني)

طفولته

تذكر مراجع تاريخ عمر ص ٢٣٠ وطبقات ابن سعد ٣/ ٢٩٣ وابن أبي الحديد المعتزلي ٦/ ٢١٨ أن عمر اختبر الفاقه في طفولته فهو يتذكر كيف كان يجلب الماء لخالاته المخزوميات مقابل "قبضات من الزبيب " وكان يعمل لهن مع أخته فكانت أمه تزودهما بطعام خشن بسيط وكثيراً ما كان يؤجر نفسه بطعام بطنه ويبدو أنه كان يجلب الحطب لقريش وربما كان هذا الإملاق من العوامل التي لعبت دوراً في تشكيل شخصيته وساهمت في نشأة العداء اللاحق بينه وبين خالد بن الوليد المخزومي والذي صار سمة دائمة لعلاقتهما . وأثر ذلك علي علاقته بعمرو بن العاص عامله علي مصر حينما أرسل إليه محمد بن مسلمة من أجل محاسبة (عمرو) ومقاسمة ماله قال عمرو : قبح الله زمانا ، عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب فيه عامل والله إني لأعرف الخطاب يحمل فوق رأسه حزمة من الحطب وعلي إبنه مثلها وما منها إلا في نمرة لا تبلغ رسغيه " (نمرة = برده صوف تلبسها الأعراب)

ولعل هذا الإملاق يدفعنا كي نعرف كيف كـان عمر في شبابه أو بالأدق في صدر شبـابه فثمة رواية تشيـر إلي أنه كان يرتاد الشام للتجـارة وأن كعب بن عدي التنوخي الحيري كان شريكة في التجارة (المفصل ٧/ ٤٠٨) لكن هذا الفقر لا يتسق مع شخص يزاول التجـارة والأوفق ان عمر كان يرافق القوافل التجـاريه لا كتاجر بل كان منوطًا به مهمـه أخري كمساعدة أحد التجار الكـبار أو كانت رحلاته رحلات معرفـة و تحصيل علم كـما يقول مالك مـسلماني في مؤلفه (عـمر بن الخطاب .. السيرة المتوارية) أو زيارة لرجل دين بالأساس يقال أنه حـبر من أحبار اليهود وأن مشـاركته بالقـافلة كانت لغرض تغطـية تكاليف السفـر بل إن فقره كـان أحد أهم أسباب رفض أم كلثوم بنت أبي بكر و أم أبان بنت عتبة بن ربيعة طلبه للزواج .

طبائعه (سماته الشخصية والنفسية):

هنـاك تصورأولي عن هيـئة عمر وأي سـيرة ذاتية تاريخيـة لا تكتمل بدون الحديث عن الجوانب النفسية في الشخصية محور البحث .

فاكـثر مـا عرفناه عن عمـر أنه كان قليل الضـحك يتجنب المزاح وأن مـركز إهتمامه الدائم كان منصبًاعلي إنجاز أعـماله وروي علي لسانه "من كثر ضحكته .. قلت هيبته ومن مزح استخف به " وقد وصف في (أبي الحديد المعتزلي ١/ ١٤٢، ٢٧٦) بأنه كانت في أخـلاقه وألفـاظه جفاء وعنجـهية ظاهرة وأنه "جـبل من غلظ الطينة وجفاء الطبيعة "(*) وكان عمر يمتـاز بهذا الطبع الخاص دون غيره من شـخصيات

(*) برغم ميل ابن أبي الحـديد المعتزلي إلى الشـيعة إلا أن مؤرخـو السيرة عـمومًا من أهل الجمـاعة أكدوا أن عمرًا كان خـشن الطباع وحازم في أحكامه حتى أن الناس كانوا يترقبون انتـهاء خلافته (=المؤلف).

الإسلام الأولي بل حتي كان علي النقيض من شخصية محمد نبي الإسلام الذي كان يميل إلى المزاح المحتشم والضحك الوقور (السيرة المتوارية) وهناك ثمة رواية منسوبة لعلي بن أبي طالب تتحدث عن أن عمر هو الوحيد الذي هاجر من مكة إلى يثرب علي رؤوس الأشهاد حيث أنه تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتقي أسهمًا وأتي الكعبة حيث كان يجلب أشراف قريش فطاف بها سبعًا ثم صلي ركعتين عند المقام وأعلن قرار هجرته وتحدي أن يمنعه أحد فهذه الروية رغم تواترها لا تجدها في المصادر الأولي وبالتحديد لدي إبن سعد في طبقاته وابن هشام والطبري، لعلها جزء من آلية رد الإعتبار لعمر وخاصة إن راوي الحكاية هو علي بن أبي طالب وبالتالي تظهر هنا خلفيات الرد السني علي الرؤية الشيعية بصدد عمر من خلال صناعة رواية منسوبة لعلي كما ينسب لعلي أيضًا قوله "اتقوا غضب عمر فإن الله يغضب إذا غضب عمر " وقد وردت هذه الرواية في مرجع "تاريخ عمر " ص ٣٩ فلم يكن عمر ليتصرف بهذه الطريقة ونقصد بها مجابهته صناديد قريش وكانت المشاكل بين المسلمين والوثنيين من قريش قد وصلت مداها فهكذا تحد يعني عملاً أحمق مؤديا بفاعله المهكلة . (السيرة المتوارية)

ومجموع هذه الصفات بعضها يعود بجزء منها للشخصية وجزء آخر للبيئة والتكوين النفسي للأعرابي فأهم صفه للأعرابي كانت الصرامة والعبوس ، بالكاد يضحك ويكرة الدعابة ويجد فيها تبذلاً لأن هذا التكوين الصارم لشخصه جعله لاحقًايملك حضورًا كبيرًا أمام الزعامات القبلية لدرجة ان كبار الشخصيات في فترة حكمة كانت تتفادي لقائه فهو لم يوفر أغلب الشخصيات البارزة في عصره من توجيه نقده ولومه وأحيانًا عقوباته ففي اجتماع السقيفة وعندما كان سعد بن

عبادة المنافس الوحيد لتولي شئون يثرب بعد رحيل محمد (=النبي) فإن عمر تمكن هو والشخصيات الحاضره من فرض أبي بكر وكنوع من العقوبة لسعد الرافض للبيعة حتي أن «عمر» حرض علي قتل سعد وقتها بقوله "إقتلوا سعداً .. قتله الله" ويؤكد أبي الحديد المعتزلي عن عمر "قيل أنه شتم أبا هريره وطعن في روايته وشتم خالد بن الوليد وطعن في دينه ، وحكم بفسقه وبوجوب قتله وخون عمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ونسبهما إلي سرقة مال الفئ واقتطاعه وكان سريعاً إلي المساءة ، كثير الشتم والسب لكل أحد وقل أن يكون في الصحابة من سلم من معرة لسانه أو يده ولذلك أبغضوه وملوا أيامه مع كثرة الفتوح فيها .
(الجزء العاشر ص ٢٧٤)

وهذه الطبائع جعلت أم كلثوم بنت أبي بكر تقول لعائشة " أنه خشن العيش شديد علي النساء وتضيف الروايات سببين آخرين وهما بخله المزعوم وهي صفة لم تكن فيه وهي صفه منتحله أو تقدم سنه وقتها إذا أعلنت لخالتها (= عائشة) انها تريد شاباً.

وقد نسب إلي عمر قوله كما ورد في مرجع "إبن شبه " إن من الحزم سوء الظن بالناس وقد ترك ذلك أثراًعلي نومه إذ كان ينام حذراً فروي أن نومه كان خفيفًا متقطعاً في ساعات متفرقه من ليل أو نهار وربما نجد في سلوكه مؤشرات عصاب حصري ولعل من طبائع عمر في مرحلة ما قبل الاسلام (=الجاهلية) كان باعترافه من أكثر شاربي الخمر والتي كان يلجأ إليها في الحزن والملمات بينما إستبدلها بعد إسلامه بالإكثار من الصلاة في وسط الليل (تاريخ عمر ص ١٩٩) حتي أنه ورد في طبقات أبن سعد ص ٣/ ٣٤٠، ٣٤١، ٣٥٤ وفي الشيخان لطه

حسين ص ٢٢١ أن عمر في سرير احتضاره لما جاء الطبيب وهو جريح من طعنات أبي لؤلؤه أي الشراب أحب إليه فأجابه " النبيذ" بل أنه في مرجع (الفاروق عمر) ص٣٢، ٣٣ الجزء الأول أنه روي أن له أيام مع الغواني في عكاظ أيام ما قبل الإسلام (=الجاهلية) أسوة بأهل مكة " .

ولقد جري تحول شخصية عمر وخلال هذه المرحلة الطويلة من النشاط ضمن الإسلام من حب الخمر إلي كراهيتها ، ومن هوي عارم بالنساء إلي ميل للتعبد الليلي وإحساس كبير بالإثم والذي يتجلي في البكاء وهو ما لم يكن يعرف أنه كان يبكي أبداً في مرحلة ما قبل الإسلام (=الجاهلية) لكنه صار سريعاً إلي البكاء في الإسلام وأنه كان يبكي كلما قرئت علية آيات التخويف والترهيب ..

وقد عبر عمر عن شعورة يالمسؤولية أثناء فترة حكمه (= الخلافة) بقوله "لو أن حملاً هلك ضياعاً بشط الفرات ، لخشيت أن يسألني الله عنه " (إبن سعد ٣/ ٣٠٥)

وبنفس الإحساس بالمسؤلية والشعور الانساني لدي عمر يقال في الروايات المؤكدة (تاريخ عمر ١٧٢) " كان عمر ماراً بالسوق فوجد رجلاً في الطريق فضربه بسوطه مطالبًا إياه بالتنحي عن الطريق وبعد مرور عام لقيه في السوق فسأله إن كان يريد الحج فأجاب بنعم فقدم له كيسًا فيه ستمائه درهم معونه علي الحج وقد شرح للرجل إن معونتة لسبب ضربه إياه العام الذي مضي " لقد كان هذا الإحساس متفاقماً.

بولس الرسول

النشأة

وبالنسبة لبولس الرسول (=شاول الطرسوسي) هذه الشخصية التي يكتنف حياتها ونشأتها الغموض لم نستطع جعل دورات حياتها من طور الميلاد للطفولة للتنشئة للبيئة الإجتماعية موازاة بسيرة عمر بن الخطاب وذلك لقلة المعروض منها في كتب السيرة المسيحية أن هناك فترة شبابه وبداياته الأولي كمبشر وكارز (=داعية) إلا ان مؤرخي المسيحية الذين كتبوا في بدايات التطور'والنشاة للديانه المسيحية كالعلامه الفرنسي "شارل جنيبير " رئيس قسم تاريخ الأديان بجامعه باريس والباحث الديني "دانيال مارجيورا" قد حددا بعض الملامح لهذه الشخصية والتي إتفقا مع باحثين آخرين(*) علي هذه المحددات بأن شاول قد ولد من عائلة يهودية أقامت بمدينه طرسوس في سيليقيا ووجدت لها بها رزقًا وكانت طرسوس مدينة نشيطة للغاية تقع علي نهاية إقليم سيليقيا وتعد مفتتح سبل النفوذ إليه وكانت حلقة الاتصال بين هضبة آسيا الصغري والشام ومفرق الطرق التجاريه الهامه التي تجلب إليها في أن واحد من اليونان وإيطاليا وفريجيا وكابا دوسيا (كابا دوكيا) والشام وقبرص وفينيقيا ومصر سيلاً لا ينقطع من الأفكار والعقائد والتاثيرات المختلفة . وحاول ملوك الشام ونخص منهم بالذكر إنطاكيوس إبيفان (١٧١ قبل الميلاد) أن يصبغوها بالصبغه الإغريقية غير أنها بقيت أساساً مدينة شرقية وذلك علي الأقل في مجال المعتقدات السائدة وإن إنتشرت فيها وازدهرت

(*) الأب متى المسكين في كتابه الشهير عن بولس الرسول.

المدارس اليونانية وقام بين رحابها ما يمكن أن نسميه اليوم ب"الجامعة "ويقول المؤرخ الجغرافي سترابون عن تلك الجامعة أنها كانت سببا في شهرة المدينة في العالم اليوناني الروماني وعلي الأخص فيما يتعلق بالدراسات الفلسفية ذات المذهب الرواقي في شبه "حملة تبشيرية " ذات طابع شعبي يتفق مع طرق تفكير الجامعة وهكذا نستطيع أن نجد تفسيراً للأمر وهو معرفة بولس (= شاول) بالمبادئ الأولي للفلسفة الرواقية وللوسائل الشائعة في الأساليب الخطابية لدي المفكرين اليونانيين وذلك مع الترجيح أنه لم يكن من رواد جامعة طرسوس ولامن دارسي الفلسفه الرواقية فقد كفاه (بولس) أنه عاش سني شبابه في هذا الوسط الذي تشبع بالتراث اليوناني علي أيدي أساتذة الفلسفة هؤلاء الذين جمعوا بين التفكير الفلسفي والأسلوب الخطابي .

وتزعُم _ يقول شارل جنيير في كتابة ص ٨٩ _ مجموعة "أعمال الرسل " بالعهد الجديد أن بولس نشأبالقدس "بجوار جماليل " أي بمدرسة من ألمع المدارس اليهودية في ذاك العصر وليس بوسعنا نفي الخبر بصورة قاطعة ولكن يمكن القول أنه,كتلميذ من تلاميذ فلسطين تقبل به الحال إلي تجاهل وإنكار أساتذته كما فعل بولس في طور من أطوار حياته ونراه أحسن التعبير عن الروح اليهودية التي كانت سائدةفي معابد المهجر المتأثرة بالفكر اليوناني وفيما يتعلق بذلك يمكن الرجوع لكتاب ك.ج. منونيفوري " اليهودية والقديس بولس لندن سنه ١٩١٤" ، أغلب الظن أنه تلقي فعلاً العلوم الخاصة باليهودية واستقاها وتدرج في الدرايات الدينية إلي أبعد حدودها ولكن في غير القدس فلم تكن فلسطين هي الموطن الوحيد للعلماء اليهود فقد كانوا بالإسكندرية وبإنطاكية أيضًا والدلائل تشير إلي أن بولس (= شاول) قد أكمل دراسته بهذه المدينة الأخيرة .

خلاصة القول إن بولس (=شاول) نشأفي أرض يونانية يتحدث بلغة اليونان منذ نشأتة الأولي وكان ينتمي إلي عائلة ذات شأن ويحمل لقب "مواطن روماني" وراثه عن أبيه ، فكان بكل ذلك معدًا إعدادًا تاماً لإدراك وتفهم التطلعات الدينيه لدي يهود المهجر الذي يؤمنون بيسوع (=عيسي) كما آمن به هو والمتلمذين عليهم من الطوائف الدينية المختلفة وكان في البدء علي عداء عنيف للمسيحيين ، ثم تحول إلي صفهم علي أثر أزمة نفسية (علي حسب قول جينيبير في كتايه ص٩٠) بل نكتفي بالقول بأنها كانت نتيجة لصراع داخلي مبهم طويل ولقد انتهت الأزمه إلي رؤيا حاسمة حيث أيقن بولس أنه أبصر السيد المسيح أو تلقي منه كلمات وأختص منه بالتشريف الأعظم أن يكون "ملحقًا" علي الحواريين من تلاميذه وذلك خلال رحله له قاصدًا دمشق ويجب أن نشير إلي أن بولس لم يلتق بيسوع (=عيسي) مدة حياته .

ويمضي شارل في كتابه ليقول :

لذلك لم تكن تأملات بولس (=شاول) عن شخص الأستاذ وتعليمه لتحدها آفاق الذكريات والواقع كما كان الحال بالنسبة إلي الإثني عشر من التلاميذ (=الحواريين) الذي بدءوا بالكرازة (=الدعوة) لذا فإن الصفات التي تميز بها بولس (=شاول) والتي كانت من أسباب نجاحه : الروح الحماسية الوثابة والمنطق البين الدرب علي المناقشة ثم التفكير العلمي الحي العزيمة التي لا تقهر والتي تفرض فرضًا رسالة صاحبها وآراءه .

وأن هذه الآراء لتبدو لنا عميقة الأصالة إذا ما قورنت بتلك التي إكتفي بها إيمان الإثني عشر - حتي بعد تطورات الأولي ولا أدل علي ذلك من قراءة الفصول الأولي من إنتاجه الديني الأدبي من أعمال الرسل بحذافيرها والتي أصبحت جزءاً من وحي الكتاب المقدس في عهده الجديد ثم قراءة "الرسالة إلي أهل روما " التي كتبها بولس ، فعبقرية بولس في التفكير الديني لا جدال فيها غير أننا إذابحثنا هذا التفكير لديه وجدنا أنه ينطوي علي آراء ومدركات ليست كلها من وحي عبقريته الخاصة بل تجمعت لديه من مصادر مختلفة وإن كان له هو الفضل في التعبير عنها ونقلها إلينا علي غرار ما فعله "فيلون السكندري" في مؤلفاته التي انتظمت بين دفتيها جهود كثيرة لسابقية من مفكري اليهود .

ويضيف المؤلف : والدراسة المفصلة لرسائل بولس الكبري تكشف لنا النقاب عن مزيج من الأفكار يبدو لأول وهله غريبًا حقًا مزيج من دعوي الإثني عشر الأساسية ومن الأفكار اليهودية التي يرجع بعضها مباشرة إلى النصوص المقدسة القديمة ويرجع بعضها الآخر إلي إعتبارات دينية حديثة نسبيًا ثم من المفاهيم المنتشرة في الأوساط الوثنية اليونانية ومن الذكريات الإنجيلية والأساطير الدينية الشرقية (نفس المرجع ص ٩١)

البيئة الدينية

يقول شارل جنيبير في مؤلفه : علينا أن ندرس المسألة الدينية والبيئة العقائدية المحيطة بها في إطار دقيق فهي تتعلق بالأسس الأولي لأخطر جدال يثيرة تاريخ العقائد المسيحية : الجدال حول تطور العقائد من دعوي يسوع المسيح (=عيسي) إلي دين يستهدف خلاص البشر أجمع .

والنظرة الأولي إلي الحياة في الشرق الآسيوي من بحر إيجة إلي ما بين النهرين أن عدداً معينا من الآلهة كان يحتل مكان الصدارة فيها خلال العهد الأول لقيام المسيحية ، وكانت بين هذه الآلهة اوجه شبة لا تحصي إلى أنها امتزجت وتوحدت في بعض الأحيان . وكان أهمها :أتيس في بلاد الفريجيين ، وأودونيس في الشام وملكارت في فينيقيا ثم تموز ومردوك في ربوع ما بين النهرين ، وأوزيريس بمصر . وعلينا ألا نغفل الإله الفارسي " ميثيرا " ، الذي بدأت شهرته في تلك العصور بين رحاب الإمبراطورية الرومانية وكان القوم الذين يرتحلون من إقليم إلى آخر ينقلون معهم عباداتهم وعقائدهم الدينية ، بل ينشرونها في كثير من الأحيان خارج موطنهم ذلك أنهم كانوا يلقون أينما حلوا في هذا العالم الآسيوي المتقارب ، مظاهر ومشاغل دينية شبيهة بتلك التي نشئوا عليها ، والتي عبروا عنها في صورة أسطورية واحدة ، وأرادوا تمجيدها بطقوس متقاربة كل التقارب في غالب الأمر وكانت هذه القرابة سببًا في تسهيل المبادلات الكثيرة بين أصولها ، فأصبحت تتسم بطابع "عائلي " قوي ، وأن ظلت هناك إختلافات بائنه بين القصص الإلهية التي تعتمد عليها جميعها وقد نزع تيار الإمتزاج هذا بين الأديان ـ الذي يعرف بـ "التأليف " الديني الشرقي ـ إلي إستخلاص بعض التصورات الهامة والشعائر الأساسية من ثنايا السيل الدافق لتفاصيل العقائد والطقوس التي تلاقت فيه وتفاعلت العبادات التي ذكرناها آنفًا وهي تعتبر في الواقع العلة الأولي الواضحة لوجود كل هذه العبادات بما تهدف إليه من هدي بني البشر للإيمان وللسبيل الكفيل بتحقيق خلوده في ديار السعادة .

وأن الخاصة التي تثير الإنتباه أكثر من كل الخصائص الأخري لآلهة المنطقة ، عند دراسة تاريخهم الأسطوري ، لهما تلك التي بمقتضاها يموتون في موسم معين من السنه ، ثم يبعثون بعد ذلك في موسم آخر ، فيشعلون في نفوس المؤمنين بهم مشاعر الأسي العميق ، ثم يستثيرون لديهم مظاهر الفرح التي تكاد تصل إلى حد الجنون ، ونلاحظ إلي جانب هذا ، أن هؤلاء الآلهه العظماء البالغين في العظمة بل انهم يشبهون البشر من قريب في الكثير من أحوالهم مثل " أتيس " الراعي أو "أدونيس " الذي يروي أنه ثمرة علاقة محرمة بين أخ وأخت ولقد ثارت مناقشات كثيرة مطولة حول أصل هذه الآلهة المختلفة وحول مبدأ ورموز الأساطير التي يمثلونها والجدل ينحصر اليوم بين نظرتين فحسب فإما القول بالآلهه " الشمسية " والتفسير بالمواسم الزراعية " وقد نبعت نظرية الشمس وتتابعها من أن هناك زعم بأن الإله يموت في بدء الشتاء ثم يبعث علي أبواب الربيع وعلي هذا النهج يمكن القول بأن بعض الآلهه التي ذكرناها آنفًا هي آلهه "كوكبية " وبعضها الآخر ينتمي إلى " آلهة الزراعة " ولكن بمرور الزمن حدثت بين هذه الصور الأولي أنواع من التداخل الطبيعي فأصبحنا لا نستطيع الوصول إلي يقين دائمًا في الأصيل أو الخصائص الأساسية للكثير منها .وتطورت أسطورة موت وبعث الإله بتطور الشعور الديني ودارت في مخيلة الناس بهذه الصورة مثل :يتعذب الإله تماما كما يتعذب الإنسان ثم ، يموت كما يموت الإنسان ولكنه يتغلب علي العذاب وعلي الموت إذ يبعث من جديد وأتباعه يمثلون رمزًا ويجددون كل عام بشكل ما مأساة حياته علي الأرض ، وهم مع هذا يؤمنون بأنه يتمتع بحياة السعادة في ديار الخلد الإلهيه منذ ذلك اليوم الذي بعث فيه حقيقة في الماضي السحيق. والسبيل إلى

المشاركة المصيرية مع الإله وجدوه في نوع من الطقوس المسرحية التي تنحو نحواً باطنيًا فيفرض في المؤمن أنه يشارك في الذات الإلهية بواسطة سلسلة من المواسم الدينية توصف بالفاعلية وبهذه الوحدة مع الإله التي تُغير كيانه الخاص يضمن الإنسان أن يصير إلي مصير الله نفسه أي إلي أن الخلود ينتظره بعد محن الحياة الدنيا وبعد الموت وكان مصير "المنقذ الإلهي " وتلك هي الصفة التي يتخذها حينئذ آلهة الموت والبعث كان مصيره في آن واحد مثالاً وضمانًا لحياة المؤمن وقد وصف لنا "فرمكيوس ما ترنوس " - أحد كتاب المسيحية في القرن الرابع _ إحتفالاً ليليًا من الإحتفالات التي كانت تقام لمثل هؤلاء الآلهة " الألهة المنقذين " قال : " يبكي الناس ويستسلمون للرعب من المصير المجهول الذي ينتظرهم في المستقبل اللانهائي ويدخل الرجل الساحة ثم يمد كبل كاهن ليلمس صدره حسب شعائر معينة وهو يهمس إلية في بطء بالكلمات المقدسة الآتية " لتعيد الثقة إلي نفسك ، فقد نجا الإله ، ولسوف تصل أنت أيضًا إلى النجاه في نهاية طريق الآلام "

ولكن مع بداية العصر المسيحي ، أثرت تيارات دينية وفكرية ، يصعب علينا تميزمعالمها وتحديدها علي شعائر التضحية بالثور كما في عبارة الإله أتيس ، فطورتها في نهاية الأمر إلي وسيلة فعالة لكسب الخلود الحياة الأخري حياة السعاده حيث أنه يتحد مع الإله أو الإلهه ويصبح هو نفسه ذات الإله في جوهره بعد أن تشرب بدمه .

وتنقل النصوص كذلك ان " أسرار الآلهه سيبيل وأتيس كانت تفرض علي الإتباع المشاركة في مأدبة صوفية ، يصرح لهم بعدها بأن يعلنوا " لقدأكلنا مما

إحتـواه السنطور ، وشـــربنا مما كـان في الصنج ، فـأصبـحنـا من أتبـاع أتيس " والسنطور هو آله موسيقية اختـصت بها "سيبيل " في حين اختص أتيس بآله أخرى هي " الصنج"، وهناك من الدلائل ما يرجج أن الأطعمه المقدسة التي كانت توضع في هاتين الآلتين هي الخـبز ثم - علي الوجـه الترجـيح - لحوم الأسـماك المقـدسة والخمر ، ولا يفوتنا هنا الإشارة إلى أن أتيس كان يمثل بحبوب القمح لذلك يرحج الرأي القائل بأن مآدب القربان كانت في حالـه شبة رمزية بل تصل إلي ما هو أبعد من الرمز إذا أنها تعني بالنسـبة للمؤمنين "طعامهم إلاله نفسـه " وتشربهم بجوهره المنجي .

ويقول «جـينبيير »: هنـاك أوجه الشبه السـاطعة بين هذه الطقوس والشـعائر وبين طقوس وشعـائر التعميـد والقربان عند المسيحـية إن كبار رجال الكـنيسة من القديس بـولس (=شاول) إلي القديـس أغسطين ، أي من القـرن الأول إلي القرن الخامس الميلادي لـم يتجـاهلوا هذا التشابه ومن المرجح أن المسيحيـة أثرت في كثير من الأحوال علي أديان المشـركين التي كانت مثلهـا تهتم بتأمين النجاة لبني الـبشر بواسطة "الشـفيع الإلهـي " إلا أن الأساطيـر الجوهرية والمراسـم الدينية الأسـاسيـة والرمـوز والشعـائر الفعـالة كانت سـابقة في تلك الديانات علـي مولد المسـيحـية وكانت تجد العديد من التطبيقات في العبـادات المنتشرة بالعالم اليوناني إبان العهد الذي عاش فيـه القديس بولس (=شاول) ويمضي "شارل " ليقـول : الأمر لا يتعلق بمجرد طقـوس وشعائر معـينه فحسب أنه يذهـب إلى مـدي أبعد من ذلك ، يذهب إلى نوع من التصـوير للمصـير الإنساني والخـلاص البشـري " ثم يرمز إلي الايمان وإطمئنان المرتبطين "بالسـيد الألهي " الذي يشفع للإنسـان عند الإله الأعظـم ، بعد أن ارتضي هذا "السيد الإلهي " لنفسه أن يعيش ويتعذب كالإنسان حتي يصبح بنو

البشر قريبين إليه لدرجة تسمح لهم بالإتحاد معه فيكون في ذلك طريق نجاتهم حيث يرتبط مصيرهم ومستقبلهم بمصيره ومستقبل انتصاره وتلك هي بالذات عقيدة القديس بولس (=شاول) في رسالة ودور السيد المسيح حيث لم تكن غريبة علي الناس بل هي لم تتميز بالعنصر الأخلاقي منها أي الإشتراط علي المؤمن أتباع حياة لا تتصف بالتقوي فحسب ، بل أيضا بالطهروالكرم والرحمة فالعبادات الأخري عند المشركين كانت تفرض أيضًا علي أتباعها مثل ذلك من الكود الأخلاقي ، وإن لم تبلغ في التشدد ما بلغته المسيحية .

وبنظرة إلي الظروف المواتية لبولس (=شاول) للتعرف كل مثل هذه الأفكار الجوهرية والأساسية لهذه "الأسرار " في العبادات . إن المعلومات التي وصلت إلينا عن الحياة الدينية في موطنة "طرسوس" خلال العصر الذي عاش فيه ، ليست بالمعلومات الوافية ، ولكن الآثار تدل دلاله قاطعة أنها كانت تحوي إلهان لهما مكانه خاصة(*) .

الأول يدعي "بعل طرس " أي "سيد طرسوس " وهو الذي قرن أهل اليونان بينه وبين الإله الكبير "زيوس " والثاني "ساندان " الذي قرنه أهل اليونان بـ"هرقل".

والأول علي الأرجح كان إله زراعة قديماً يتحكم في خصوبة الأرض فلما انتقلت عبادته إلي المدينة وقرن شيئًا فشيئًا بـزيوس، وارتفعت مكانته واتخذ شكل وصفات إله السماء وسيد الألهه ، وأصبح عرشة يعلو عن كل ما يمكن أن يبذله أتباعه من مساعٍ لإدراكه ، أو يوشك أن يكون كذلك.

(*) احتوى كتاب «بولس الرسول» للراهب المصري العظيم الأب متى المسكين على بيانات عن حياة بولس في غاية الغزارة لم يكن معظمها مجال بحثنا هنا للأسف (=المؤلف).

وكان "سـاندان " إله خصـوبة أو زراعة أيضـاً وكان الناس يحتـفلون به كل عام فيتظاهرون بإحراقه ، ويزعمون أنه يرتفع بعد ذلك إلي السماء وهو يتمازج مع آلهه اخري في مناطق أخري في نفس الطقوس والتصورات فمن المرجح أن بولس (=شاول) تدرج في نشـأته الأولي بين أحضان بيـئة مشـبعة تماماً فكرة " النجاة " هذه، القائمة علي شفاعه أووساطة إله يموت ثم يبعث ويشاركة أتباعه في مصيره ، إذ يتحدون به ـلا بالإيمان المطمئن القـوي فحسب ولكن أيضًا بالطقـوس الرمزية الفعـالة فقـد كانت طرسـوس في عهد الإمـبراطور أغـسطس مدينة تتـحكم فيـها جامعـتها ، ولهذا كـان أهلها يعلقون أهميـة كبري علي كل ما يصـدر عن أساتذه هذه الجامعة ويبدو أن هؤلاء الأساتذة كان أغلبهم من الفلاسفة وأنهم كانوا ينتمون إلي المدرسة الرواقـية ، وسائر الدلائل تشيـر إلي أنهم اتبعوا انتهـاج خط التدريس الشعـبي يبغـون بها تعـريف الجماهيـر بفلسفـتهم ودعوتـهم إليها ويذيعـون فيـها أحكامهم الأخلاقـية الأساسيـة وشيئًا كثـيراًمن مصطلحاتهم الفنـية ، ويجب عدم نسيان ان رسـائل بولس (=شاول) في العهد الجـديد من الكتاب المقدس فـيها آثاراً من الرواقية تكثر في الشكل وتظهر في المبادئ أحياناً فلقد عاش بولس (=شاول) في وسط تشيع بأفكار الرواقـيين وبلاغتهم بتـأثير تلك البيـئة التي عاش فيـها سني طفولته وشبابه الأول علي الأقل .

ولعل السؤال يفرض نفسُه :هل كان يهود طرسوس من المتمسكين بالشريعة اليهودية والمتشددين فيهـا ، أو كانوا علي العكس من ذلك يقيمون أبواب معابدهـم في صـورة ما لمؤثرات البـيئـة التي يعـيشـون فيـها ؟ثم ألم تـوجد من بينهم طائفـة إستسلمت لتيارات التـفاعل بين الأديان والذي دعا في بعض الأحيان لتطور الأمل

القوي في الإنتصار وهو حلول مملكة الله نحو مذهب "النجاة " ولو ثبت ترجيح هذا الإفتراض أمكن افتراض أن بولس (=شاول) كان يكرههم كل الكراهية وذلك اعتماداً علي ما تشير إليه نصوص " أعمال الرسل " من تشدده وتشددعائلته في دين أجدادهم إلا أنه لم يكن يتجاهلهم بل هو قد استقي منهم الرأي في "النجاة" وفي المنقذ(*) وهذا معناه أيضاًأن طرسوس لم تصبح بمحض المصادفه مهداً لـ"الحواري (=التلميذ مجازاً) المرسل إلي المشركين " أي للرجل الذي ساهم بأكبر قسط في نشر دين جديد للنجاه باسم يسوع المسيح (=عيسي) وإنما كانت كذلك نتيجه لعوامل متعددة . وبجانب الشهادة الموضوعية والبيئية والنشأه يتبقي أن ملكات بولس (=شاول) العامة في التبشير (=الدعوة) حسب أساليب يونانية رومانية ، بعقيدة يهودية الأصل ، نجد أنه كان في وضع يلائم تحقيق عمله كل الملائمة ، فقد جمع مميزات ثلاث جعلت منه أقدر الناس علي القيام بهذا الدور كان يونانياً ، وكان يهودياً ، ثم كان أيضاً رومانياً .

وحين نقول يونانياً ، فإنما نقصد بذلك أنه تسرب في بيئة طرسوس شيئاً من الروح الإغريقية بطريقة تكاد تكون لا شعورية ، وأنه لقن اللغه اليونانية فمنح بذلك أقوي أداه للفكر والعمل ، وأيسر الوسائل في عصره للتعبير عن الرأي والدفاع عنه ، وعلينا ألا نبالغ في الأمر بطبيعة الحال : فلم يكن بولس (=شاول) بالأديب اليوناني ، ولم يتخرج علي أيدي أساتذة المدارس الكبري في مدينته ، كما

(*) افترض الباحث الفرنسي أن بولس استقى فلسفة المسيحية من بيئته الثقافية وليس عن الروح القدس (=الوحي الإلهي) وهو رأي لا يعبر بالضرورة عن رؤيتنا الخاصة. (=المؤلف). ١

لم يقم بدراسة مستفيضه لـ " الأسرار " غير أنه عاش في وسط يتحدث باليونانية ويستخدم كلمات مثل "الإله " ، "عقل " "منقذ" ، "منطق" ، "روح" ، "ضمير " فلم(*) تكن الكلمات غريبة عليه بعد ذلك ، ويمارس نوعًا من فن البلاغة "استطاع به أن يطوع أساليبه القوية الملفته وكان هذا الوسط يهتم بفلسفة معينة بقيت بعض أحكامها والكثير من مصطلحاتها الفنية في ذهن الداعية المسيحي الكبير وقيل أن الروح اليونانية ليست بالعنصر الأول في شخصية بولس (=شاول) وإن كان يهوديًا قبل أن يكون يونانيًا ويجب أن نذكر أولاً أنه "يهوديًا من مدينه "طرسوس" فقد تدرج في اليهودية وثقافتها حتي وصل منتهاها في هذا العصر كما تشهد رسائله في العهد الجديد معرفته للنصوص المقدسة في العهد القديم ويتضح أيضا في رسائلة روح مؤلف أخذ الكثير من الفريسيين في تكوينه الفكري فهو يعشق الجدل ويمتاز بالبصيرة النافذه المدققة وبالدهاء الشديد في تقديم البراهين أو هدمها، كما نراه يهاجم الشريعة اليهودية بنفس الأساليب التي إستخدمها من قبل في الدفاع عنها (نفس المرجع ص ١٠٧) ويتضح في رسائله أيضا أنه يعتمد علي رصيد من المذاهب _حول طبيعة الإنسان وفكرة الإثم والعلاقة بين الإثم والموت _ ولا تقل في اتصالها بروح علماء اليهود ، عن مناهج الجدل التي طرقها . ومن الظواهر ذات الدلالة العميقة إنه كان فيما يبدو يعتمد اعتماداً دائمًا علي الترجمة اليونانية للتوراه ، المسماه بـ "السبعينية" وغالب الظن أنه كان يقرأأيضًا الأصل العبري وإن

(*) مرة أخرى ما يطرحه العالم «جينيبير» عن بولس ينفي عنه اتصاله بالروح القدس وأخذ الوحي عنه أو من يسوع المسيح وإنما ما جاء به هو فيض من ثقافته الفلسفية والدينية تمامًا كما يقول المستشرقون عن محمد (=الرسول) مع فارق جوهري أن محمداً لم يكن عالمًا أو فيلسوفًا أو مطلعًا بدقة على الأديان ولم يعتنق أية ديانة قبل الإسلام سوى التعبد الحنيفي الإبراهيمي (=المؤلف).

كان ليس هناك جزم بذلك ، وعلي أي حال فهو لا يكاد يشير في كتاباته إلى نص لها غير ذلك النص الاسكندري الذي أشرب به فكره . وهذه الملاحظة تدعو لاعتقاد بأنه لم يدرس النصوص المقدسة في مدينة القدس ولكن في إحدي المدارس اليهودية بالمهجر ، ولعلها أنطاكية وهي غير بعيدة عن طرسوس ، وكانت المركز الفكري الأكبر آسيا اليونانية وميدان التلاقي أو التجمع للمذاهب والمعتقدات المتشابهة أو المختلفة .

وهناك منطق يقول لم يكن غير اليهودي في هذا العصر يهتم بدعوة يسوع (=عيسي) ولم يكن غير اليوناني يمد فيها أبعاد الخصوبة والعالمية وقد جمع بولس (=شاول)بين اليهودية واليونانية ، ثم أضاف لها ميزه ثالثة هي تمتعه بالجنسية الرومانية أو صفة "المواطن الروماني " وهي حصانه تحميه بوجه عام وتمنعه من الإنزلاق في التعصب اليهودي القومي العادي حيث ضيق الأفق وكراهية الأجنبي وكانت الصفة تدعوه للعالمية .

البيئة الدينية والمحيط الثقافي في عهد عمر

كان عمر من القلائل- حسب الروايات - الذين يجيدون القراءه والكتابة وقد بالغت الروايات حتى حصرتهم في سبعة عشر رجلاً كان يقرءون ويكتبون حين شرع محمد (=النبي) بالدعوة (حسب رواية فتوح البلدان ص ٤٥٧) ولهذا كان عمر أحد الذين عملوا كتَّابًا لمحمد (=النبي) .

وكانت الثقافة الأساسية التي كان يحوزها عمر هي علمه بالشعر والأمثال، والطُرف الأدبية (عبقرية عمر ص ١٨٥) فكان علي معرفه جيدة بالشعر ، كما كان

يحب حفظه (المفصل ٩/ ١١٤، ٢٧٥) وقد نسب إليه قوله "الشعر علم قوم لم يكن لهم علما أعلم منه " ولهذا كان يرتاد سوق عكاظ وغيرها من الاماكن التي يلقي فيها الشعراء قصائدهم ، ليسمع منهم (الفاروق عمر ١/ ٣٨) وكان معجبًا بزهير ، الذي إعتبره أشهر الشعراء ، وهذا الاهتمام الكبير بالشعر سمح له حسب روايات عديدة بأن يتمثل ببيت من الشعر كلما قرر أمراً ما ، لكنه لم يبلغ به الأمر حد إجادة النظم فقد تمني ذات مره لو أنه كان يقول الشعر من أجل أن ينعي أخاه زيداً بمثل مارثا متمم أخاه - مالك بن نويرة _ إضافة لذلك ، لم يكن عمر من أهل الخطب الطوال ، وكان كلامه قصيراً"طبقًا لملاحظه الجاحظ في "البيان والتبين "لكن مؤلف شرح «نهج البلاغة» لا يقبل هذا علي عموميته إذا أنه يجد خطبًا فيها بعض الطول لعمر والملاحظ انها ألقيت في فترة خلافته وبالتالي كانت خطبًا سياسة شاملة ، موجهة لجمهور المؤمنين من جهه أخري ، يعرف عن عمر معرفته بتاريخ العرب ، وأيامها ، ومفاخر أنسابها ، وحسب ما يرويه هو فإن أباه كان أحد مصادر هذه المعرفة الشفوية بالتاريخ (عبقرية عمر ١٨٨، الفاروق عمر ١/ ٣٨).

وبالنسبه للبيئه الدينية لم تتوافر معلومات حول إلتزام عمر الديني قبل الإسلام لكن المؤشرات التي لدينا تجعلنا نميل لوصفه ضمن دائرة دينية عرفت بالأحناف وكان زيد بن عمرو بن نفيل أحد الوجوه البارزه في هذه الحركة ويمت بصلة قربي إلي عمر ، فهو عم عمر بن الخطاب.

الحنيفية وزيد بن عمرو بن نفيل

يروي أن مشتركات فكرية جمعت ورقه بن نوفل مع زيد بن عمرو وعثمان بن الحويرث وعبد الله بن جحش حيث اجتمع هؤلاء علي معاداة الوثنية إلا إن

ورقه بن نوفل كـان قد اعتنق المسيـحية (سير أعـلام النبلاء.) كان زيد بن عـمرو يعلن رفـضه لعـبـادة الأوثان ، كمـا كـان لا يأكل الميـته والدم والذبـائح التي تذبح علي الأوثان ونهي عن ممارسـة الوأد ويروي أنه كان إذا رأي أحـدًا يريد وأد ابنته إقـترح عليه أخـذها ورعايتها ويضـيف بأنه سيسمح للأب بأخـذ ابنته لاحقًا أو تـركها إن شاء .كـان زيد من الشخصـيات التي ساعـدت على التحريض عـلى رفض الوثنية ويمكن اعتبار أن التيار المنتمي إليه ممهدًا للإسلام فقيل أنه أول من عاب علي قريش وثنيتها ونجـد أيضًا أنه لعب دورًا ما في تثقيف محـمد (=النبي) دينيًا(*) فيروي أن محـمدًا (=النبي) الشاب التـقي بزيد بن عمرو فـقدم لزيد لحمًـا لكنه رفض أكلها لأنه لا يأكل مما يـذبح علي الأوثان ، وأكـد أنه لا يأكل إلا مما ذكـر اسـم الله عليـه (أسد الغابة ٢/ ١٥٧ ، ابن سعـد ٣/ ٣٨٠، السهيلي ٢/ ٢٣٢) لم يكن زيد بن عمـرو الوحيد من آل عدي الذي كـان متميزًا عن قـريش فحسب الروايات ، كانـت إجادة القراءة نادرة بين القـريشيين ، ولكن آل عـدي كانوا يحـوزون أكثـر من غيـرهم علي هذه الكفاية ، فـإضافه لزيد ، وللخـطاب الذي لديه معرفـه شفهـية بالقصص العـربية ، وعمر الذي كان يجيد القراءة والكتابة ، لدينا اسم نسائي هي الشفاء بنت عبد الله القريشـية البدويـة (قيل اسمـها ليلي) أسلمت قبل الـهجرة ، وهي من المهـاجرات

(*) عمليات تثقيف محمد دينيًا قبل النبوة تراوحت فيما بين عمر الخامسة والعشرين حتى الأربعين وظلت تلك الخمسة عشـر عامًا لغزًا غامضًا شكل ثقافته الدينيـة وقتها ورقة بن نوفل الوثني الذي تحول إلى قس مـسيحي على المذهب النسطوري وأكـدت بعض الروايات اعتناق خديجـة زوجة محمد وقـريبة ورقة نفس المذهب والديانة وظل محمـد يتعبد على الحنيفيـة في غار حراء وكانت الثقافة اليهودية والمسيحية ضعيـفة بالجزيرة حيث لم يترجم الإنجيل أو التوراة للعربية إلا بعد وفاة محمـد (=الرسول) بحوالي أربعمـائة عام مما حرمه من الاطلاع الدقـيق الوافر على هذه الكتب. (=المؤلف).

الأوائل وكانت من النساء القليلات التي لديها حظ من معرفة لدرجة قيل ان عمر كان يقدمها في الرأي ، وكان محمد (=النبي) يزورها ويقيل عندها في بيتها ، وكانت قد اتخذت له فراشًا وإزاراً لينام لديها وقد أمرها محمد =النبي) أن تعلم حفصة الكتابة فعلمتها (لسان العرب والمفصل ٨/ ١٣٨) ويبدو أنها كانت تلم بنوع من العلم الديني أو الغنوص فيروي أنها كانت ترقي برقي علي آفه جلدية ، وقد طلب منها أن تعلمها حفصة (=أم المؤمنين) أو الصيغة التي تروي توحي بأن الرقي كانت باللغة السيريانية (أسد الغابة ٦/ ١٦٥) .

يضاف إلى ما سبق فإن إبن حبيب يذكر لنا في كتابة "المنمق " أسماء شخصيات قريشية عرفت عنها عدم تعاطي الخمر ورفض الأزلام قبل الدعوة المحمدية ولجدأنها لعبت إما دورا مباشر أو غير مباشر في التأثير علي المسلمين الأوائل وهي :

أ- عبد المطلب بن هاشم بن عبدمناف.

ب-شيبه بن ربيعه بن عبد شمس

ج-ورقه بن نوفل بن أسد بن عبد العزي

* [الأزلام ..ج.زلم وهي السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها] (لسان العرب : مادة زلم)

د- أبو أمية بن المغيرة والحارث بن عبيد المخزوميان .

ح ـ زيد بن عمرو بن نفيل .

خ- عامر بن حذيم الجمحي .

ز- عثمان بن عفان .

س-مقيس بن قيس عدي السهمي .

ر- الوليد بن المغيرة

الأحناف (=الحنيفيين)

يذكر القرآن الأحناف بوصفهم الذين رفضوا عبادة الأوثان وهم غير مشركين كما أنهم ليسوا يهوداً أو مسيحيين ويربط بينهم دين إبراهيم كما أن القرآن يرادف بين "مسلم " و"حنيف " .

ويؤكد العلماء المسلمون أن حنيف بمعني مال ، والحنف :هو الميل عن الضلال إلى الإستقامة ، والحنف أيضاً هو ميل عن الإستقامة إلى الضلال والحنيف هو المائل . في حين أن بعض المستشرقين يعودون بأصلها إلى العبرية تحينوت (المفصل ٦/ ٤٥٣) ويري المستشرق "جفنري" بناء علي القاموس السرياني إن "حنف" لها مشتقات كما يلي:

حنفا ، حنفي ، وثني ، كافر

حنفاي : بوثنية

حنفوة : وثنية

حنف :جعل وثنيًا أحنف : صار وثنيًا وبمعني يصبح مسلماً وهناك من المستشرقين من يري أن الحنفاء شيعة من شيع النصرانية ورأوهم نصاري عربًا زهاداً كيفوا النصرانية بعض التكيف وخلطوا فيها بعض تعاليم من غيرها (المفصل في أديان العرب قبل الاسلام ٦/ ٤٥٦) ويقول المستشرق «لويس شيخو» بتبني الرأي بأن الحنيفية هي شعبة نصرانية دخلت إليها عناصر من عقائد مختلفة ويضيف : كان المسيحيون في سوريا يطلقون علي النصاري من بني إسرائيل "حنفاء " أي منحرفين عن الأمة بلغة السريان فاتخذوا هذا اللقب شعاراً لهم ..فأطلقوا في الحجاز الدعوة "النصرانية "باسم "الحنيفية " ولاينتهي الحديث عن ذلك لكن الثابت مؤخراً أن

الحنيفية سلوك إيماني مرتبط بدعوة التوحيد الإبراهيمية التي رمت بذورها في أرض الجزيرة العربية تبحث عمن يسقيها ويعطيها نمواً وازدهاراً .

عمر ودائرة التوحيد

هل يمكن اعتبار عـمر بن الخطاب ضمن دائرة التوحيـد ؟ فإن «عمر» الذي كان يجـيد القـرءة والكتابة هو يشـبه تقـريبا مـعظم إن لم يكن كل الأحناف الذين اتقنوا القراءة والكتابة ثـم ان الرحلات التي قام بها للشام أيام وثنيـته والتي تعزوها الرواية للأسـبـاب التـجـارية برغم أنه لم يكن غنيـاً ولا تاجـراً ومن الملاحظ أن الأحناف الذين ذكـرتهم المراجع يتـقنون القـراءة والمذاهب والديانـات ولبعـضـهم حسب المصـادر التاريخيـة علم باللغات مـثل السريانية والعـبرية . (المفصل ٦/ ٤٥٦) وثمة إشـارات غامضـة إلى اتصال عـمر برجال دين فـقيل أنه تعـرض للأسر وهو بالشـام ولم يتمكن من التـحرر إلا بعـد قتل آسـره وقد لاذ بدير لأحـبار يهـود في مهربه ، حيث قدم له راهب فيه الطعـام ، وبشره بمستقبل مشرق (ابن عساكر) وهناك إشارة أخرى إلى علاقه معينـه بشريك في التجارة هو كعب بن عدي التنوخي وهو من الوجوه البـارزه في الحيـرة ، وكان أبوه أسقـفًا (المفصل ٦/ ٥٣٦) ثم يروي علي لسانه بأنه نذر قـبل الإسلام أن يكتف ليله ويروي أيضًا أن عـمر بعد إسلامـه وجه إليه مـحمـد (=النبي) نقداً أنه حـصل علي كتـاب من "أهل الكتاب " وقـرأه علي محـمد (=النبي) وهذا أغضب مـحمداً (=النـبي) حتي إحمـرت وجنتاه ، و هناك رواية تقول إن محمداً (=النبي) وجه لوما لعمر علي ترجمتة كتابًا من أهل الكتاب . (بلوغ الأرب ، البداية والنهاية ، المفصل ، بيئة القرآن الكتابية هامش ص٢٦٤).

الفاروق

ولعل لقب الفاروق له إرتباط بالدائرة الثقافية الدينية لعمر ولعل أيضًا الإخباريون نسبوا حديثًا لمحمد (=النبي) يقول "إن الله جعل الحق علي لسان عمر وقلبه " وهو الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل " (تاريخ عمر ، إبن سعد ، اسد الغابة) في حين تخبرنا رواية أخري إن المسلمين كانو يؤدون شعائرهم الدينية سرًا في دار الأرقم فلما أسلم عمر سأل محمدًا (=النبي) إن كانوا علي حق فأجابة بنعم عندها تساءل عن سبب الإختفاء ، فاخرج محمد (=النبي) المسلمين في صفين :حمزة في أحدهما وعمر في الآخر ، فلما دخلوا المسجد نظرت قريش إليه وإلي حمزة ، فأصابتهم كآبة ، فطاف محمد (=النبي) ومن معه بالبيت وعاد المسلمين إلي دار الأرقم ومن بعد ذلك سماه الفاروق لأن الله فرق به بين الحق والباطل . (السيرة الحلبية ، الدر المستطاب ، الفاروق ، أخبار عمر) وكان التفسير الثاني أقل ورودًا في المصادر التاريخية الكلاسيكية ويقول بأن أهل الكتاب كانوا أول من أطلق علي عمر لقب الفاروق وأن محمدًا (=النبي) لم يذكر هذه اللقب وتحدد رواية الحدث حدث الذي أطلق فيه اللقب فتقول إنه لما دخل عمر الشام ، لقي يهوديًا دمشقيًا الذي قال له : "السلام عليك يافاروق " (تاريخ الطبري ٢/ ٤٤٨) .

وهناك روايات تؤكد أن اليهود أول من أطلق عليه اللقب وبالتالي لا نجد مبررًا لوصف عمر بأنه فرق بين الحق والباطل .وسنحاول تتبع جذر الكلمة لمعرفة الصلة بين الفاروق وبين بيئة عمر الدينية . ويمكننا أن نجد في القاموس السرياني إضاءات علي اللقب فرق :أبعد ، أنقذ ، خلص ، تخلي عن

.p290 (/arabic /english /_french Dictionary syrian)

فرقًا: إسم فاعل ، وفروقًا :المخلص وهو من ألقاب المسيح (=عيسي) فقد جاء مصحف الناموس للروم في فصل (حقوق الله)هكذا يقول سيدنا الميسح ووسيطنا وفاروقنا)وإذا أخذنا بهذا المعني فإن الرواية الثانية التي تقول بأن يهوديًادمشقيًا أطلق علي عمر اللقب ، تعني عمر قد قام بتخليصه أو تخليص اليهود من طغيان ، وحررهم منه.

و لذينا كلمه أخري في القاموس العبري تشترك بالإشتقاق وبالمعني مع السريانية (فرق) وهي كلمه فرقان التي يقوم الباحث "جايجر " بتحليلها فيري أن مفردة «فرقان» مشتقة من الكلمة العبرية التي تعني "إنقاذ "إعتاق وقد رأي إن «فرقان» من الكلمات التي تعرضت لسوء فهم ، ويضيف أن معناها الرئيسي هو "النصر " كما ورد في سورة الأنفال "يا أيها الذين أمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا "فقد جاءت وصفًا لمعركة بدر "يوم الفرقان يوم إلتقي الجمعان " كما وصف به شهر رمضان في سورة البقرة (٢/ ١٨٥)"شهر رمضان الذي أنزل فيه القران . هدي للناس وبيانات من الهدي والفرقان " حيث وصف بأنه شهر تحرير من الخطيئة .والذنوب وأول ورود للفظة الفرقان في القرآن كان في سورة "الفرقان " "تبارك الذي نزل الفرقان علي عبده ليكون للعالمين نذيراً" إن هذا اللقب ومعانيه في السريانية والعبرية والجذر الواضح للمفردة الوثيق الصله بشكل ما باليهودية قد تضع «عمر» ضمن دائرة دينية لها علاقه باليهوديه من دون أن نجد ما يدل علي أن عمر كان يدين باليهودية أو المسيحية ويبدو وكما ظهر لمؤرخين أن ثمة مؤثرات يهودية كبيرة في ثقافة عمر ولكن لم تصل إلى حد أن نعتبرها ديانه يهودية خالصة والأرجح أن هناك مؤثرات يهودية قد تناسجت مع رؤي وثنية (مالك مسلماني - عمر بن الخطاب ص٥٠، ٥١) وعمر حسب المرجع السابق لم يكن قريبًا من الأحناف

عقـائديًا ، وهو إذ اشتـرك معـهم بنزعة توحـيدية ثقـافيـة إلا أنه كان بعيـدًا عنهـم . ورغـم ذلك لم ينف تأكيدًا أن لعمر حضور وثني في تفكيره وعقيدتةه ففي المصادر ما يعني أن عمروأد ابـنته والوأد هو دفن البنت وهي علي قيد الحياه وقـد أشار إليها القـرآءن في سـورة الأنعـام وسـورة النحل والإسـراء (السور رقم ١٣٧ ، ١٤٠، ١٥١ الانفال - ٥٨ النحل - ٣١ الإسراء) والأسباب الشائعة له قسمان أولهما الفقر وقد أشار القرآن لها في زمن مـجاعة مر علي الجزيرة العـربية "وإذا الموء ودة سئلت بأي ذنب قتلت " (التكوير ٨-٩) والسبب الثاني خـوفًا من العار أو لوجود نقص تكويني فـيها أو عاهه دائمة مما يتشاءم منه العرب ، وتذكر الأخبار أن الوأد كان جاريا في جميع قبائل العرب ، بيد أنه مع الإسلام بدأ بالانحـسار . بينما يرفض العقاد هذه الرواية متعللاً بأن الوأد لم يكن بالعادة الشائعة بين كل القبائل العربية ولم يشتهر بنو عدي خاصة بهذه العـادة ولا اشتهر بها آل الخطاب ويضيف أن "حـفصه (=أم المؤمنين) أكـبـر أولادة ، وهي التي كني بهـا "أبا حـفص "قد ولدت قـبل الإسـلام بخـمس سنوات فلم يئدها فلماذا وأد الصـغري المزعومة ؟ (عبقريه عمر ٢١٤). وانها وجهة نظر جديده بـالقبول إلا أن النظر والإرتبـاط الديني لم يكن كل شئ لهـا عادة الوأد إذا كان مرتبطا بطقـوس أخري بما يشبة تقديم ذبيحة للآلهـه حيث كان الأب ينتظر حتي تبلغ طفلته السادسه فـيطلب من أمها تطييبها وتزيينها وقد كـان يحفر لها بئرًا في الصحراء ، فيبلغ بها البئر ، بعد أن يرميـها به ، يهيل عليها التراب حتي تستوي البئر بالأرض " (المفصل ٨٩) تلاحظ أن الوأد يتم طبـقا لطقوس مـعينة مثل العـمر المحدد للمـولودة والتطيب فهو منسك مـرتبط بطقوس دينية ولا يـستبعـد صاحب المرجع السـابق وجود دافـع ديني في تصرف عـرب قـبل الإسلام مع التـعـبيـر عن

الإستغراب فإنه يكون القربان البشري المقدم هنا بالوأد وليس كما جرت العادة بالذبح كي يسيل دم الضحية وإذا ما كان الوأد طقسا وثنيًا فكيف يمكننا عزو هذا التصرف لعمر؟ وقد كنا ادرجناه ضمن أصحاب الفكر الديني المتقدم أو التوحيدي وربما فعل ذلك من خلال إتباعه الطقس ديني فيه مزيج من المؤثرات اليهودية والتوحيدية والوثنية .ويمكن إدراج ذلك ضمن طقس ديني هو مزيج من المؤثرات اليهودية الوثنية التي كانت تمارس للتقرب من الآلهه وفي التوراه هناك أمثله علي هذا النوع من القرابين كما أن حوليات مختلف الشعوب القديمة حوت أخبار القرابين البشرية وربما أهمها في القصص الكتابي ثم القرآني لاحقًاهي قصة إسماعيل والتي يصر القصص الكتابي علي إعتباره إسحاق مع إنكار بكورية إسماعيل لكونه إبن الجارية هاجر(*) ثم الحدث الذي ترويه المصادر عن نيه عبد المطلب – جد محمد (=النبي) – بذبح أحد أبنائه وبنظره إلي التميز الثقافي لآل عدي والملامح التوحيدية لأسرة عمر بن الخطاب لا يمكن تفسير عداء الخطاب بن نفيل (=والد عمر)لزيد بن عمروبن نفيل ونقده إياه لخروجه عن دين قومه كما تقول الروايات حتي قيل إن الخطاب قد آذاه وأجبره علي الخروج إلي أعلي مكه فنزل إلي حراء (وفيه غار حراء الذي كان يتعبد به محمد ، ولم يكتف الخطاب

(*) توجد نصوص بالعهد القديم (=التوراة) يقول فيها الرب لإبراهيم «قم واذبح ابنك الوحيد. وذلك يعني أنه إسماعيل لأنه هو الذي مر عليه أربعة عشر عامًا وهو الوحيد أما إسحاق فظل ابن ثان حتى حصل على البكورية التي جعلت القصد يعود إليه في نصوص أخرى «قم واذبح ابنك البكر» أي من الممكن أن يكون إسحاق هو البكر بانكار بكورية إسماعيل ابن الجارية لكن لا يمكن إسماعيل إلا أن يكون هو «الوحيد» على مدار ١٤عامًا ورغم عدم ذكر ذلك صراحة بالقرآن إلا أن عامة المسلمين يصرون على أن الذبيح هو إسماعيل- وهو الأقرب للدقة- دون سند سوي كتب التفسير» (=المؤلف).

بذلك بل كلف شباباًوسفهاء من مكه يمنعونه دخولها فكان زيد يدخلها سراًوالأصعب هو موقف عمر الذي قال لو أن الخطاب ترك لي أمره لصرعته وبذلك يندرج عمر في قائمة الأعداء الشديدي البأس للدعوة المحمدية وهو نفس موقف بولس (=شاول) في المسيحية ولتبيان تقارب موقفيهما من ناحية وضعهما الإجتماعي فلم يكن عمر من الملأالقرشي والدعوة الإسلامية لا تلحق أي ضرر مباشر أو غير مباشر بمصالحه الاقتصادية وكذلك كان بولس (=شاول) في المجتمع الشامي بدمشق قبلها بحوالي ٦٠٠ عام ، وكانت هناك صيرورة إجتماعية وتاريخية لأن يؤمن كليهما بهاتين الديانتين وذلك للتقارب الإجتماعي بين أتباع يسوع (=عيسي) وأغلبهم من الفقراء ولم يكن شاول (=بولس) من الأغنياء وكذلك كان عمر ينتمي للمجموعة القرشية الضعيفة .

السمات الإنسانية لشاول (=بولس)

تعد السمات الإنسانية والشخصية لكلا الرجلين عمر وشاول نموذجًا للإقتراب والتباعد فرغم قوه عمر الشخصية وبنيانه الجسماني وعدم ميله للهزل والضحك كما ذكرنا آنفًا فإن دانيال مارجيورا الكاتب اللاهوتي الفرنسي يؤكد في كتابه (بولس الطرسوسي الرجل الذي قاوم الله ص٩) "إن سمعة بولس السيئة لا يمكن أن تنسي: إنه متسلط ، متجمد ، محافظ للغاية ، عدو المرأة كما يقال عنه" وهي صفات تتشابة بعض الشئ فيما جاء في الأثر الإسلامي عن مواصفات شخصية عمر بن الخطاب ويقول مارجيورا :"أصبح بولس اليوم بعيداً عنا بسبب أسلوبه (يقصد الاسلوب الصعب في الكتابة)فمن يستطيع اليوم أن يفهم معني التبرير

بالإيمان وختان القلب أو يدرك أن أعمال بجسد لا تعني الميول الجنسية؟وهو بعيد عنا بسبب الأحداث العديدة التي تعرض لها : ما نوعة علاقة بجماعة كورنثيوس؟لماذا اشتد غضبه علي جماعة غلاطية ، الذين سقط من أيديهم ، عندما وصفهم بالأغبياء (غلاطية ٣:١) ؟ ويري مارجيورا على أن بولس (=شاول) أصبح مختلفًا مشوهًا عما كان عليه الأصل حيث تراكمت خلال ألفي عام الآراء والتفسيرات والتأويلات علي كلماته مثل طبقات الطلاء السميكة علي مبني عتيق ، لقد تم تزوير صوتة أكثر من مرة وتم فهم نواياه علي عكس ما قصد تمامًاويضيف "مارجيورا " في ص٩، ١٠ من نفس المرجع عن بولس (=شاول) «أعلن بولس الذي نصب ذاته رسولاً ولم يجد قبولاً لدي المسيحية في وقته . إنه لم يكن من الأثني عشر ، وأنه لم يتتلمذ علي يدي يسوع الناصري ، كما أنه كثيراًما سبب المضايقات والمتاعب لكنيسة أورشليم ، مركز ومنشأ المسيحية التاريخي» .

ويعود الكاتب اللاهوتي ليؤكد أن بولس برغم أنه غير محبوب ، ألا أنه ومع ذلك لولا عبقريته في صياغه الحقائق الأساسية للديانه المسيحية لظلت المسيحية جماعة دينية مجهولة .لقد أوجدت العناية الإلهية بولس في زمان مناسب ومكان هو ملتقي طرق ، فيه ومنه انفتحت المسيحية علي العالم أجمع ، كان بولس المصفاة أو البوق الذي بواسطته وصلت الكلمه العالم إن المسيحين بمختلف طوائفهم أبناء بولس ." ويري «مارجيورا» أنه هناك ثلاثه أسباب لعدم الإستغناء عن بولس (=شاول) .

أول الأسباب : أن بولس كانت له مسير ة خاصة ، إذ تحول من حالة عداء للحركة التي أسسها يسوع إلي مبشر بالإنجيل .

والسبب الثاني : الذي يدعو للاهتمام ببولس هو أنه معه بدأ مشروع تبشيري لا مثيل له في بداية المسيحية .

والسبب الثالث : أن عطي.بولس ملامح العقيدة المسيحية ، لقد تأمل في الإيمان الحي ولم يعتبر أحد قبله بنفس درجة العمق عن ما هية النعمة والخطيئة (=الخطية) والحرية والمسيحية ، بل إن مصير الغرب المسيحي كان علي ما عليه لأن بدون عبقرية بولس الذي عبر بجذرية قاطعة عن مصير الإنسان تجاه الله ونقول أن الأسباب الثلاثة تتشابه وتتقاطع مع مسيرة وشخصية عمر الذي بدأت معه حركة إضطهاد للمسلمين (=المؤمنين) في بدايات الدعوة المحمدية وكان ممتلئاًغضباًوحقداً علي محمد (=النبي) وجماعته (=المؤمنين) ثم ما لبث أن تحول إلي أكبر الشخصيات الإيمانية في الدعوة الجديدة ومنظراً ومتنبئًا ومشاركًا في شئون إدارة أحوال المؤمنين مع محمد (=النبي) وباقي كبار المؤسسين للمجتمع اليثربي وأصبح له دوراً كبيراً في الحركة التوحيدية في الجزيرة العربية .

وثاني الأسباب أن عمر أيضًا بدأمعه أكبر مشروع تبشيري (=دعويً)(*) في خارج الجزيرة العربية وداخلها من خلال مشاركته بالرأي والتخطيط أثناء خلافة وحكم أبي بكر الصديق وفي عهد الحكم العمري حيث تولي عمر لفترة أطول

(*) "تم مشروع فتح البلاد من خلال غزوات وليس بالحكمة والموعظة الحسنة كما ينص القرآن وكما طبقها محمد أو كما يرى مستشرقون أن هناك مسلمون آخرون فتحوا بلاداً بالحكمة والسلوك القويم دون حاجة للسيف". (=المؤلف).

ورؤية أوضح ساعـدته علي نشر الدعوة المحمـدية (= الإسلامية) في أكـثر مناطق العـالم والنقطة الجـوهرية بهـا هي القـدس (هيكل الله)حـسب الوعـود الموجـودة بالعهد القديم وهي نقاط لا مجال لشرحها الآن هنا .

وثالث الأسباب أن عمر كان مشاركًافي الحركة التأسيسية للإسلام كمجتمع سواء في أخـريات العهد المكي أوفي العـهد اليثـربي وساهم بآرائه في موافـقات تزامن فيها الوحـي بما رآه عمر وتمناه وكذا مشاركة الرأي مع مـحمد (=النبي) في العديد من المواقف التي رجح فيها محمد (=النبي) رأي عمر .

بل أن عمر يذكـر له فضل إصراره علي تدوين القرآن فـي عهد أبي بكر(*) مكتوبا بدلأمن الحفظ في صدور الحـفظة من المقاتلين الذين أنقرضت أعدادهم في المعارك بشكل مخيف وإذ لم يكن أبي بكر يتخيل الجـمع كتابة حيث لم يأمر بها الرسـول (=مـحـمد) قـبل رحـيله إلا أن رؤية عمـر كانـت صائبة وقد قـام بولس (=شاول)بـنفس الفعل حين كـان الوحيـد الذي كتب رسـائله اللاهوتية وقـبله لم يتجه أي مسيحي إلي النشاط الكتـابي ، لقد حررت الأناجيل بعد هذا التاريخ أي عام ٧٠ مـيلادية حين حوكم بولس أمام الإمـبراطور فلم يترك بطرس ولا يعـقوب أخـو الرب(= يسوع المسـيح)(**) ولا أندراوس أخـو بطر س ولا أبلوس الواعظ السكندري الشهير آية آثار كتابية وراءهم .

(*) أكدت مراجع أخرى أن الرسول (= مـحمد) قد دون القرآن كتابة ليضـمن عدم تحريفه من بعده وهو الأمر في الغالب الأصح والتصرف السليم من أمين الوحي فـما تم تحريف أي كتب سماوية -- كما يقول البعض- إلا بعد وفاة الرسل دون تدوين النص.

(**) كلمة الرب تعني الإله أو تعني السيد وترجمتها دائمًا في الطبعات الإنجليزية Lord.. ويعقوب أخو الرب (= يسوع) هذا أحـد أربعة إخوات (أبناء خالة في اليـهودية) للمسيح من خـالته مريم المعروفة بـ(= مريم الأخرى). (=المؤلف)

بدأ بولس (=شاول)بعد ثمانية عشر عامًا رسالة تبشير في الكتابة أو بالإملاء علي كاتب حوالي عام ٥٠ميلادية وعمرة آنذاك ٤٠سنة تقريبًا للكتابة هي أسباب ثلاثة أولها أنه رجل إنقسمت روحانياته إلي شطرين ، وراعي إنتشرت خرافه في المسكونة كلها ، وهو أخيراً لاهوتي عبقري .

ويتفق معنا "مارجيورا "أنه لا يمكن أن نعطي السمات المميزة لشخصية بولس (=شاول)أو تأخذ صورة جيدة عنها إلا في إطار رسائله فليس هناك ما يكفي لنستقي منه معلومات عن هذه الشخصية وإن لم تكف الرسائل يمكن الإكمال بسفر أعمال الرسل هو سفر تاريخي مكثف يشرح قصة البشارة والكرازه(*) البولونية (=البولوسية)في كثير من الأقطار وأسفاره براً وبحراً. ويكون الإكمال من أعمال الرسل بشرط إتفاقها مع الرسائل أوتكون غير متفقه فنكتفي بالرسائل التي يمكن نسبة سبع رسائل منها بدون أد ني شك إلى بولس : روميه ، كورنثيوس ، غلاطيه ، فيليبي ، تسالونيكي الأولي والثانية والثالثة وتيطس) فهي أحدث فيتفق البعض علي نسبها إلى أحد تلاميذ بولس (=شاول) وهو لا ينقص بأي حال من قيمتها اللاهوتية أما سفر أعمال الرسل فقد كتبة حوالي ٨٠-٨٥ ميلادية أحد المعجبين ببولس (=شاول) [نفس المرجع السابق ص١٢].

(*) تم نشر جزء كبير من رحلات بولس التبشيرية في هذا البحث لنشر كلمة الله من وجهة نظر مسيحية للوقوف على جهده الدعوى (= الكرازي) الضخم وكذا كيف نال الشهادة وذلك لمن لم يعرف هذه اللمحات عن هذا الكاروز العظيم ولاستكمال الرؤية عن شخصيته (راجع الفصل الحادي عشر) (=المؤلف).

الفصل الثاني

عمر وبولس

التحول إلى الايمان

كانت عملية إستعراض السمات الإنسانية ضرورية لاستجلاء الأسباب التي دعت شخصيتين كعمر وبولس (=شاول) إلى هذه الخطوة الرهيبة ليتحولا من أعداء إلي أبرز شخصيات هذه الحركات الدينية التي يسيطر أتباعها علي جزء كبير من العالم الآن .ولكي ندخل إلي مرحلة التحول إلى الإيمان لعلنا نذهب مع شاول (=بولس فيما بعد) لنلاحظ في سفرأعمال الرسل (الإصحاح السابع) حيث بدأت شهرة شاول (=بولس) كمضطهد للمسيحية إذ حضر ورضي عن رجم وقتل أول شهيد في المسيحية (=إستفانوس) وكان إستفانوس حينما جاء أمام المجمع أغلظ لليهود في القول وشتمهم بكل شجاعة قائلا "ياقساه الرقاب، وغير المختونين بالقلوب، والآذان، أنتم دائما تقاومون الروح القدس، كما كان آباؤكم كذلك أنتم ... أي الأنبياء لم يضطهده أباؤكم ؟ وقد قتلوا الذين سيقوا فأنبأوا والمجئ البار الذي أنتم الآن صرتم مسلميهِّ وقاتليه . الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه " (٥١ :٥٣) .

أما قصة رجمه ذات الدلالة فوردت كالآتي في نفس الأصحاح من (٥٤:٦٠) "فلما سمعوا هذا حنقوا بقلوبهم وصروا بأسنانهم عليه . وأما هو فشخص إلى السماء وهو ممتلئ من الروح القدس، فرأي مجد الله، ويسوع قائما

عن يمين الله، فقـال :"ها أنا أنظر السماوات مفـتوحة، وابن الإنسان قـائمًا عن يمين الله . فصاحوا بصوت عظيم وسدوا آذانهم وهجموا عليه بنفس واحدة .وأخرجوه خارج المدينه ورجموه . والشهود خلعـوا ثيابهم عند رجل شاب يقال له "شاول " . فكانوا يرجمون اسـتفانوس وهو يدعو ويقول "أيهـا الرب يسوع إقبل روحي " ثم جثا علي ركبتيه وصرخ بصوت عظيم "يارب لا تقم لهم هذه الخطية " وإذ قال هذا رقد. وكان شاول راضيًا بقتله(*).

" وما بعد مرحلة استفانوس كانت مـرحلة أخري عبر عنها الإصحاح الثامن من أعمال الرسل بعنوان "إضطهاد الكنيسة وتشتتها " نورد منه . "وحدث في ذلك اليـوم إضطهاد عظيـم علي الكنيسـة التي في أورشليم، فـتشـتت الجـميع في كـور اليهودية والسـامرة، ما عدا الرسل . وحمل رجـال أتقياء استفـانوس وعملوا عليه مناحه عظيـمة . وأما شاول فكان يسطو عـلي الكنيسة . وهو يدخل البيـوت ويجر رجالاً ونساء ويسلمهم إلى السجن "

أما مرحلة الإيمان الحقيقية فليس هناك لغزًا أصعب من النفس البشرية فعليك أولاً لا تحاول تفسير كل طور من التحول النفـسي في إطار ما قبل فالنفس البشرية لا تشير بالضرورة حسب معادلة الخط المستقيم فما تكرهه بالأمس قد تقبله اليوم أو ما لا تعتقد فيه الأن قد تغرق في الإيمان به حتي الجنون يومًا أخر وهكذا ما كان وما صـار مع كل من الكبـيرين عـمر بـن الخطاب وشاول الطرسـوسي الملقب ببـولس الرسول رمز الكرازة المسيحية فيما بعد . (=المؤلف) .

(*) وفي المخيال المقارن (بكسر الراء) قد تتشابه هذه الواقعة بصورة ما تماهيًا مع حادث وأد عمر بن الخطاب (برغم عيوبها التاريخية) لإبنته قبل إيمانه. (=المؤلف)

وعن هذه المرحلة المفصلية يتحدث "شارل جنيبير" أستاذ كرسي الأديان بجامعة السوربون والمحلل اللاهوتي الكبير بقوله "لقد ثار جدل طويل لم ينته إلى نتيجه حول التأكد من أن بولس "رأي يسوع (=عيسي) والقضية التي ثبتت لنا علي أي حال هي انه "لم يعرفه " (راجع رسالته الثانية لأهالي كورنثيوس . (٥/ ١٦) "إن كنا قد عرفنا المسيح بالجسد، فنحن اليوم لم نعد نعرفه" وأن النصوص التي تحوز أكبر قدر من الثقه في هذا المجال وهي رسائل بولس نفسه تقدمه لنا علي أنه كان من مضطهدي "كنيسة الله " قبل أن تحدث معجزة طريق دمشق وأن تفاصيل ما ترويه لنا أعمال الرسل (٧/٥٨/٨/٣-١/٩/١-٢) عن عنفه في الشر لتبعث علي الشك ويبدو لنا من المرجح أن الغرض منها لم يكن إلا إبراز تحوله المفاجئ عن هذه العداوة الشديدة في صورة براقة (نفس المرجع ص١١١) ويقول أيضا " إنه يكره هذا المجتمع المسيحي الأول ، ولكنه يتصل به ويتعرف عليه فقد يحكم بالحماقة علي إيمان هؤلاء الرجال الذين كانوا محل إضطهاده ويري هزالا شديداً في آمالهم، ولكن عوامل أخري تتفاعل في الوقت نفسة بصورة غامضة في أعماق فكرة فتقارن بين بدع أهل الجليل وادعاءاتهم، وبين مزاعم دعاة الإتجاهات التأليفية من مشركين ويهود ـ في طرسوس أو في أنطاكية، تلك المزاعم التي لم يصدق بها أكثر مما صدق بدعوة أصحاب يسوع (=عيسي) ولسوف ينبثق النور بالنسبة إليه من المقارنة ومن التقريب ثم من تأويله للأمر علي أساس تقويمه للدين اليهودي . والشئ غير القابل للجدل هو :أن تطور بولس نحو المسيحية لم يتم بالقدس وأن مذهبه لم ينشأ من الإتصال بالحواريين الإثني عشر ولم يخرج الكاتب الألماني "هاتيموليـر " عن جادة الحق عندما كتب في مقال عن بولس وعلاقاته بيسوع

(=عيسي) : "إن بولس لم يتـأثر بيسوع عن طريق المجتـمع المسيحي الأول، ولكن الأثر انتـقل إليـه بواسطة حلقـه أخـري من حلقـات سلسلة المتـوارثات التي يمكن ربطها كما يلي : "يسـوع (=عيسي) المسيحي الأول، المسيحيـة الهلينستية، بولس " ولم يكن بولس بمؤسس المجتـمع المسـيحي الأول في المهـجـر حيـث تبين أعمـال الرسل وتشـير (١٩/١١) إلى إقـامه بعض الطوائف من الذين اعـتنقوا دين يـسوع (=عيسي) بين الجاليات اليهودية بفنيـقيا وقبرص وانطاكيا ولا تدين هذه الطوائف بشئ لبولس كذلك لم يكن له فضل في تأسيس الكنيسة الأولي بروما ومن المرجح أن تحـول بولس سوف يـبدو لنا أقل غـرابة لو تعـرفنا بصـورة أكثـر دقـة علي هذه المجتـمعات المسيـحية الأولي في بلاد المشـركين (=الوثنيين) تلك المجتمـعات التي كانت عـقيدتها اليـهودية دائما أكـثر مرونه من عقـيدة أهل فلسطين وأكثـر اتصالاً بتيارات التأليف بين الأديان ولا نشك في أنها طورت من إدعاء ان اصحاب يسوع (=عيسي) قبل اعتناقها ولكننا لـلأسف لا نجد أ مامنا إلا طريقًا واحدًا، هو محاولة "تخمـين " وترجيح بعض مـا كانت تؤمن به هذه المجـتمـعات "اليو نانـية " الأولي، وذلك من خـلال نصوص "أعـمـال الرسل " المشكوك فـيهـا(*)، وإشارات بولس نفسـه، وأننا لنعتـرف بأن ما تجـمع لدينا من معـلومات ليس بالشئ الكثـير. وكـما ذكـرنا عن بولس (=شـاول) ينطبق الكلام تقـريباً علي عـمـر بن الخطاب والذي اتسمت علاقته بالمسلمين الأوائل بالعداء والكراهية فخلافًا لروح التسامح القريشية التي طبعت عـلاقه قـريش بدعوة محـمد (=النبي) في المرحلة الأولي عندمـا كان يدعو للتـوحيد فـحسب، فإن الـثابت أن علاقـة عمر بالدعـوة كانت علاقـة عداء

(*) حسب رأي مؤلف كتاب «تطور المسيحية». (=المؤلف).

شـديد ولهذا فـإنه بالوسع وضع عـمر في قـائمـة أشد الشـخـصيـات التي ناوأت وحاربت الدعوة المحمـدية في مراحلها الأولي، فكان عمر لا يفـتأ يتعرض بالأذي للمسلمين (=المؤمنون) وقـد سجل لنا التاريخ أنه قام بتعـذيب مسلمين، فنقل الينا أنه كان يعذب لبيبة (وقيل أمينة) وهي جارية بني مؤمَّل بن حبيب بن عدي بحيث كان عـمر يهدف من ذلك إلي إكراههـا علي ترك الإسلام (سيرة ابن هشام ١/ ٣١٩، والكامل :٢/ ٦٩) ولم تنج منه إلا بعـد أن قام أبو بكر بشرائهـا من سيـدها وأعتقـها (فضائل الصحابة، ابن حنبل، إبن أبي الحديد المعتزلي) كما نقل أنه كان يعذب جارية أخري هي "زنيرة "كانت لبني عدي، وقيل لبني مخزوم _آل أمه . ويبدو أن أبا الحكم كان يشارك بعذابها (الكامل ٢/ ٦٩) ونستشف من رواية أخـري أن هذين الاسمين اسم لجاريـة واحدة هي "زنيـرة " ووصفًـا لقسـوته (=عمـر) علي المسلمين (=المؤمنون) روي علي لسـانه بأنه كـان يكف عن ضـربها لإعـيـاء، لا رحمـة (المحبـر ١٨٤) ولـم يتوقف عداء عمر للمسـلمين (=المؤمنون) عن حد التعرض بالأذي لجارية فنقل أنه كان شـديد البأس والـعداوة لمحمـد (=النبي) نفـسة (أبي الفداء ١/ ١٧٦) لدرجة أن مستشـرقين رأوا فيه خصماً شـديداً لمحمد (=النبي) (بر وكلمان ٤١،الإسلام في مرآه الغرب ١٣٩) وعلينا هنا أن لا نغفل العامل الكامن وراء ذلك، حيث كان عمر ينتمي لدائرة توحـيدية وقـد رأي في دعوة مـحمـد (=النبي) خطراً علي عقـيدته الدينـية (مـالك مسلمـاني .عمـربن الخطاب ص٥٨) وربما وجـد أن المنطلق التوحـيدي الواحـد، وإختـلاف الرؤية بين الدائرة التوحـيدية المحمـدية، والدائرة التوحـيديه القـريبة من اليـهودية هي كـبيـرة ولا ينـكر القرآن أن هناك عـداء ومناصـرة عقـائدية للدعـوة المحمدية في الآيات من سورة الرعد (الذين أتيناهم الكتاب، يفرحون بما أنزل اليك

ومن الأحزاب من ينكر بعضه) ويقول "مالك مسلماني "يمكننا القول بأن ثمة عداء لمحمد (=النبي) انطلق من خلفـية عقائدية، ونحن نضع. - يقول مـالك - «عمر» ضمن دائرة الأعداء الـعقائديين لا الإجتمـاعيين، وربما كان عمـر من المعنيين بقول القرآن (ومن الأحزاب من ينكر بعضه) ويبدو أن عمر كان يري في محمد (النبي) استمرارية لزيد بن عمرو بن نفيل الذي ناصب أبوه الدعوة المحمدية العداء ورغمًا عن ذلك أشارت الروايات أن محمدًا (=النبي) كان يتمني علي ربه أن يعز أو يؤيد الإسلام بعـمر بن الخطاب (ابن سعـد، أسد الغـابة، عيـون الأثر، ابن شبه، تـاريخ بغداد)، أو عمـرو بن هشام خال عمـر وان كان ثمة عـامل مشترك بينـهما وهو علاقـة القرابة ولكن يتفـوق عمروبن هـشام بتمـتعه بقـوة معنوية لدي القريشـيين وتبين ذلك من بسطه حمـايته علي عمر بعـد إسلامه وبالتـالي لإضافة القوة والمهـابة، التي تميزها، كان وزن عمروبن هشام أكبر بكثير من وزن عمر . ويبدو من تلقيبه بـ "أبي الحكم " أنه كان يتـمتع بحكمة أو ثقـافة معـينة وربما هذه الصفة تجـعلة من النخبـة الدينية بدورة مثل ابن أخته "الفاروق"(*) ولـم يكن اسلام عمر كغيره من الرجال، وكذلك لم يكن إعـتناق شاول (=بولس) الدعـوة المسيـحيـة كغـيرة أيضـا فقـد تم علي يد الرجلين إشهار للديانتين ومنعـه وقوة ودخول عدد كبير من المؤمنين وقـد اعتبر ابن مسعود أن إسلام عـمر (=فتحًا) وبالفعل إيمانه غيرّ حساب الحـركة الإسلامية وزاد الأتباع من (٣٩ مؤمنًا إلى ٤٠ فقط) وهم بالعدد قلة ولكنهم كفاية في هذه المرحلة إذ قال عنهم القرآن ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ (الأنفال ٦٤)

(*) ذلك يؤكد ما ذهبنا إليه من قبل من أن عمرًا لم يكن بحـجم عمرو بن هشام إذ أن الأخير عزيز قومه الذي يمكن أن يعز الله به الإسـلام من الناحية القبلية على الأقل كمـا ورد بالأثر عن محمد (=النبي) وليس عمر بن الخطاب (=المؤلف).

وهذا يشير إلى القوة المحورية والأهمية الكبيرة لإسلام عمر . وبرغم أن عدد المؤمنين في بداية إسلام عمر غير دقيق لأن الأعداد تتعارض مع سنة إسلامه فإسلام عمر كان بعد أن هاجر مسلمون إلى الحبشة ولهذا يطرح «ابن كثير» تساؤلاً عن صحة هذا العدد وعدد المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة يبلغ الثمانين تقريبًا ودفعًا للتخلص من هذه الإشكالية يفترض «ابن كثير» في (البداية والنهاية) أن الأربعين هم الذين كانوا في مكه وبالتالي يمكن اعتبار أن عمر قد أسلم بعد حوالي ١٣٠ شخصا .

إرهاصات إسلام عمر

برز أول مؤشر علي إهتمام عمر بحال المسلمين عندما رأي إحدي النساء وهي أم عبدالله بنت أبي حتمه تستعد للرحيل إلى الحبشة مع المسلمين الآخرين الذين قرروا السفر إليها . وعندما وقعت عيناه عليها، تساءل عمر هل حان موعد الرحيل؟، فأجابت بنعم، وذكرته بالأذي الذي لحق بهم (السيرة الحلبية ٢/ ٤) فرد عليها برقة لم تعهدها منه من قبل بقوله :صحبكم الله " وحينما حكت المرأه ما كان لها مع عمر وأملها أن يشهر إسلامه قال لها أحدهم "فلا يسلم الذي رأيت حتي يسلم حمار الخطاب " وهي كناية عما عهدوه عنه من غلظة وقسوة .

وأصبحت هذه القصة أولي الإرهاصات لإسلام عمر وخاصة انه ارتسمت علي وجهه بعضًا من ملامح الحزن ربما استرجع معها حنين إلى جدته الحبشية المسيحية وربما تماهت المرأة في لحظات أمام عينيه مع الجدة الراحلة بحكاياتها المسلية للطفل عمر وقد لعبت هذه القصة التمهيد الأول والتي نقلها لنا التراث كلحظه إستيقاظ الحس الأخلاقي أو الإشراق الصوفي وأنها نقطة تحول كبير في شخصيته وأن سرد روايات أسلام عمر المتوالية في كتب التراث سوف يقربنا إلى

التاريخ الحقيقي لاستبيان السيرة التاريخية المختفية وراء الرمزية الأسطورية لشخصية بحجم عمر بن الخطاب .

الروايات الإثني عشر لإسلامه .

الرواية الأولي (تاريخ عمر ٩-١٠)

بعد أن أعلن حمزة إسلامة بثلاثة أيام شرح الله صدر عمر للإسلام فسأل عن محمد (=النبي) فأخبرتة أخته أنه في دار الأرقم، فذهب إليه وأعلن إسلامه .

الرواية الثانية (تاريخ عمر ١٠-١١)

يقول عمر بأنه كان من أشد الناس علي محمد (=النبي) فأتي محمداً ذات يوم في دار عند الصفا، فجلس بين يدي محمد (=النبي) الذي سرعان ما أخذ بمجمع قميص عمر، قائلاًله "أسلم يا ابن الخطاب، اللهم اهده "فنطق عمر(*) الشهادة.

الرواية الثالثة (تاريخ عمر ١٤، تاريخ الخلفاء ١٣٥، ابن عساكر)

طلب من عمر مغادرة البيت لدي مخاض أخته، فدخل في استار الكعبة في ليلة شديدة البرد، فجاء محمد (=النبي) فصلي حينما سمع عمر شيئًا لم يسمع مثلة، فاتبع محمداً (=النبي) :من هذا؟ فأجابة "عمر" فقال محمد (=النبي) ياعمر ماتدعني ليلا ونهاراً فخشي عمر أن يدعو عليه محمد (=النبي) فأسلم " .

(*) هذه الرواية تتنافى مع عدة آيات قرآنية منها «إنك لا تهدي من أحببت» ومع مبدأ عدم السعي وراء أسلمة الناس «لعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفًا» وغالب الظن وبنفس تعاليم القرآن وبغض النظر عن الروايات فإن محمداً لم يزك على الله أحداً ولم يتمنى إسلام أحد بالإضافة إلى أن عمرًا كان من الفرع الضعيف في قومه ولم تكن له منعه وقوة كما يشاع عنه باعتبارها سببًا في رغبة محمد في ضمه للمسلمين وربما تمناه لقوة شخصيته فقط» (=المؤلف).

الرواية الرابعة (الكامل ٢/٨٥ وابي الفداء ١/١٧٦-١٧٧)

خرج عمر يريد قتل محمداً (=النبي) فلقية رجل من بني زهرة، وتحادث مع عمر وعندما عرف الزهري برغبه عمر في قتل محمد (=النبي) أراد أن يثنية عن عزمه، فسأله هل يأمن من انتقام الهاشميين والزهريين؟ وعندما اتهم عمر الزهري بأنه قد خرج عن دين قومه، فأخبره عندها بأن أخته وختنه (حسب بعض الروايات هو نعيم بن عبدالله حيث يخبره بإ سلام أخته وختنه قد تركا دين قومهما. فمشي إليهما عمر متهدداً وكان عندهم رجل من المهاجرين (يدعي خباب في كتاب تاريخ الخلفاء) الذي تواري في الغرفة المجاورة لما سمع صوت عمر فلما دخل عمر بيت الأخت سأل عن الهينمة (=الاصوات الخفية) التي سمعها _ وكانوا يقرؤون سورة طه _ ثم قام بضرب ختنه، وعند ذاك جاءت أخته تدافع عن زوجها، فضربها بيدة فدمي وجهها، فقالت له الأخت أن الحق ليس في دينه، وأعلنت بتحد ايمانها بنبوة محمد (=الرسول) وطبت منه الإقرار بالإسلام، فطلب منها عمر الكتاب الذي كانا يقرءانه فاشترطت عليه التوضوء ففعل، فلما قرأ وصل إلى ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ ﴾ (طه ١٤) فطلب عمر منهم أن يدلوه علي مكان محمد (=الرسول) فخرج خباب، وقال لهم بأنه سمع محمداً (=النبي) يقول :"اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب، أو بابي جهل بن هشام (عمروبن هشام) وثمه تفاصيل أخري إضافية في السيرة الحلبية تروي كيف أن عمر ضرب أخته بشئ كان في يده فسال الدم منها والتفصيل الآخر يحكي إن عمر ذهب للوضوء، فخرج خباب من مخبئة وتساءل كيف تعطي الكتاب إلى عمر، وهو كافر فأجابت الأخت بأنها ترجو الله أن يهديه (السيرة الحلبية ٢/١٢-١٣، ٢٠) كما روت أن عمراً لما توجه إلى أخته كان لديها شخص آخر بالإضافة للخباب بن الأرت .

الرواية الخامسة (الإصابة، ابن عساكر)

يروي نقلاً عنه أنه أسلـم بعد إسلام حمـزة بثلاثة أيام، وذلك لما لقي عـمر شخـصًامخزومـيًا- بدون تحديد اسـمه _فاستـنكر عمر علية أن يقـدم علي إعتناق الإسلام، فرد المخزومي بأن ثمة من هو أحق عليـه بالاستنكار، قائلاً إن أخته وختنه قد اسلمـا، ولما ذهب عمر جـرت المشاورة وتعرض لأخـتيه بالضـرب، فرأي الدم، وكـان ذلك سـبب إسـلامـه. (يذكـر ابن عـسـاكـر أن اسـمـه أرقم بن أبي الأرقم المخزومي)

الرواية السادسة (إبن أبي الحديد المعتزلي ١/ ١٣٧)

جاء خباب بن الأرت إلي أخت عمر وزوجـها من اجل أن يعلمهما الدين باليسر فـوشي بهم واشٍ إلى عمر، فجاء دار أخـته، فتواري خبـاب من عمر داخل البـيت فسـأل عمـر عن الهينمـة التي سـمعـها، لكن أخـته أجـابت بأنها أصـوات حديثهـما :فقال لها عـمر بأنه يظن أنهما خرجـا عن دين قومهما فـقال ختنه له : "أرأيت إن كان هو الحق " فقـفز عليه ليضـربه، فجاءت أخته فـدفعته عنه فـضربها بيدة، فدمي وجـهها، ثم ندم ورق، وجلس واجعًا فـخرج خباب يبشرة أن مـحمداً (=النبي) قد دعا ربه الليلة أن يعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام .

الرواية السابعة (إبن أبي الحديد المعتزلي ١٣٧، السيرة الحلبية، أسد الغابة، تاريخ الخلفاء)

كان عمـر من أشد الناس علي مـحمد (=النبي) وبينمـا كان يسـير في يوم صار وقت الظهيره، لقـيه رجل قرشي، وسأله مستغـربًا كيف له أن يعادي الإسلام

وأخته قد خرجت عن دين قريش فتوجه إلى بيت أخته التي كان لدي زوجها، فلما قرع عمر البـاب وكانوا يقرءون القرآن في صحيـفه معه، وعرفوا أنه عـمر، إختفي الرجلان، ناسين أخذ الصحيفة فتـحت الأخت الباب، فما كان من عمر إلا أن رفع شـيئًـا ما في يده وضـربها وسـرعان مـا بكت الأخت والدم يسـيل منها، فـأعلنت متـحدية :"ياابن الخطاب ما كنـت فاعلاً فافـعل، فقـد أسلمت، فدخل عمـر البيت غـاضبًـا، فلما رأي الكتـاب طلبه، فـأبت الأخت أن تعطيـه إياه لانه ليس متطهـرًا ونتيجه لإصرارة أعطت الأخت فوجد نصًا قرآنيًا، حيث شرع بقرائته فلما قرأ"بسم الله الرحمن الرحيم "ذعر من الرحمن الرحيم(*) ثم أنه رمي الصحيفه لكن ما لبث أن استـانف قراءتهـا، فإذا فـيهـا "سبح لله ما فـي السموات والأرض وهو الـعزيز الحكيم " (الحديد ١) وكان كلما قرأإسمًا من أسـماء الله يصاب بالذعر، فلما وصل إلى «إن كنتم مؤمنين " (الحديد ٨) نطق الشـهادة "دون أن يلقـنها إياه أحـد عندها خرج الرجلان قائلين له أن محمداً (=النبي) كان قد طلب من ربه أن يعز الإسلام بأحد الرجلين هو أو عمر وبن هشام فذهب عـمر إلى محمد (=النبي) والذي كان في بيت أسفل الصفا وقد شعر المجتمعـون بالخشية لأنه كان معروفًا عن عمر شدته علي محمد (=النبـي) والذي طلب منهم فتح الباب، فلما دخل عمر أخـذ محمد بمجامع قميصه، وطلب منه إشهار الإسلام فأعلنه عمر من فوره .

(*) اسم «الرحمن» أهم أسـماء الإله لدى اليهود وربما لـثقافة عـمر العبرانيـة وإطلاعه على الديانة الموسوية (=اليهـودية) في رحلاته للشام نقول ربما اسم «الرحـمن» كان سببًـا في دخوله الإسلام بفرض صحة الروايات. (=المؤلف).

الروايه الثامنة (أسد الغابه، تاريخ الخلفاء، السهيلي، السيرة الحلبية)

يروي عمر أنه خرج ذات يوم يريد التعرض لمحمد (=الرسول) فوجده في المسجد فقام خلفه، وإذ به يسمع محمداً يتابع التلاوة، قائلاً :" إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر، قليلاً ما تؤمنون " (الحاقه ٤٠-٤١) فقال لنفسه هذا قول كاهن، فتلا محمد:" ولابقول كاهن قليلاً ما تذكرون " (الحاقه ٤٢) إلى آخر السورة فوقع الإسلام في قلبه .

الرواية التاسعة (أسد الغابة، تاريخ الخلفاء، السهيلي، السيرة الحلبية، عيون الأثر)

نفهم أن إسلام حمزه كان ردة فعل علي إساءة كبيرة ألحقها عمرو بن هشام بمحمد (=الرسول) وقد اشتبك حمزه مع عمرو بن هشام، وتقول الرواية أن حمزة ضربه بقوس له، لكن قريشاً أصلحت بينهما فخافه العواقب وكان محمد مختفيًا في دار الأرقم المخزومي، وقد تشاجر عمربن الخطاب مع هذا المخزومي الذي رد عليه بأنه إن دان بالاسلام فقد فعل صنيعه من هو أعظم حقًا عليه منه، ولما سأله عمر "من هو ؟" أجاب "أختك وختنك "، وعندما ذهب إلى أخته، حيث جرت الأحداث كما في الرواية الرابعه، وقراءة سورة طه .

الرواية العاشرة (ابن هشام، ابن كثير، عبقرية عمر،الفاروق عمر)

خرج عمر ذات يوم، يريد السمر لدي جلسائه، فلم يجد منهم أحداً، فتوجه يريد خماراً والذي لم يكن موجوداً بدوره، فخطر له أن يذهب للكعبة ويطوف بها سبعا أو سبعين فلما وصل وجد محمداً (=الرسول) قائمًا يصلي، وفضولاً منه قرر أن يسمع، ما يقوله محمد فسمع القرآن، فرق قلبه وبكي، فلما آب محمد، تبعه عمر وأعلن إليه إسلامه .

الرواية الحادية عشر (ابن هشام، السيرة الحلبية، السيرة النبوية لابن كثير)

عمرو بن هشام يحرض علي محمد (=النبي) ويعلن عن تقديمه جائزة كبيرة من ذهب وفضة وغيرها من الأشياء الثمينه لمن يقتل محمداً، وبعض الروايات يضيف إليها مائة ناقة فيعلن عمر تصديه لهذه المهمه، فلما سار لمأربة .

رواية فرعية أولي : التقي بنعيم عبد الله النحام _ من بني عدي _ وكان مسلمًا يكتم إسلامه، فسأل نعيم عن مقصده، فأخبره عمر، وعندما تساءل هل سيتركه بنو عبد مناف ؟ وأضاف بأن الأفضل له، يرجع إلى بيته، ويرتب شئونه الداخلية - فأدهش الجواب عمر فاوضح له نعيم أن ختنه وأخته أسلما .

روايه فرعية ثانية : لقيه سعد بن أبي وقاص فقال له "أنت أصغر وأحقر من ذلك تريد أن تقتل محمداً وتدعك بنو عبد مناف أن تمشي علي الأرض ؟ فقال له عمر أنه يظن أنه مال عن دين قومه، فأقر سعد بذلك، وكادا يتضاربان بالسيف حيث إمتشق كل منهما سيفه، فقال سعد، مالك ياعمر لاتصنع هذا بختنك وأختك، وهنا يسير إليهما وتجري الأحداث حسب الرواية الرابعة (سورة طه) .

الرواية الثانية عشرة

قريش تحرض علي قتل محمد (=النبي) وتصفه بالصابئ، فيتطوع عمر لتنفيذ المهمة، حيث يتوجه إلى محمد، الذي كان في بيت خديجة، فلما دخل عمر عليه، وكان مع محمد تسعه أفراد، إضافة لخديجة، دعا محمد (=الرسول) له وطلب من عمر الإقرار بالإسلام، فقبل عمر فوراً وتعشي معهم، كونهم كانوا صائمين (رغم أن منسك الصيام لم يسن بعد، إلا إذا كان له طقوس مختلفة) .

يقول مالك مسلماني الباحث التراثي في كتابة "عمربن الخطاب " :لقد جاء إعلان إسلام عمر زمنيًا بعد أن التحق حمزة بصفوف المسلمين ومع ذلك فالحقائق التاريخية بها قصة إسلام عمر لا تحصل عليها أية شخصية أخري بالتالي يتضاءل أهمية دخول حمزة الاسلام من ناحية زيادة قوة الحركة الاسلامية . وإذا استبعدنا إحتمال أن يكون الرواه قد نسجوا قصصًا لرفع شأن أقرباء محمد(*) – وهو احتمال وارد لدينا كثيراً فالاحتمال الثاني هو وجود تزامن يدل علي علاقة بين إسلام الرجلين ولربما ترجع رابط صداقة بينهما .. والصلة غير الواضحة أبداً بين إسلام حمزة وعمر التي يضمرها روايات إسلام حمزة، هو أن الرواية تقول اللافت في رواية إسلام عمر عقب إسلام حمزه، هو أن الرواية تقول أن حمزه أشهر إسلامه دعمًا لمحمد (=النبي) بوجه أذي لحقه من عمرو بن هشام(**) -خال عمر، والشخص الذي طالما تمني محمد إسلامه ومن هنا فإن العنصر المهم في إسلام حمزه هو تكرار ذكر عمرو بن هشام (أبي الحكم/ أبي جهل) وتمني محمد (=الرسول) إسلامه .

علي أية حال إن اسلام حمزةتمثل في روايات إسلام عمر أهمية ثانوية مقارنة بوجود أخت عمر بن الخطاب . والتي تذكر في اغلب الروايات ما بين دور أساسي إلى دور ثانوي، إضافة لذكر زوجها وأغلبها يورد واقعة تعرضها للضرب علي

(*) أكد القرآن لمحمد «وأنذر عشيرتك الأقربين» فكان منهم من سبق للإسلام وهذا ليس تفضيل لأحد على أساس القرابة حتى أن محمداً (=الرسول) لم يعط أقاربه فضلاً بل قال «والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها» (=المؤلف).

(**) التأسيس الصحيح لجهرية الإسلام أي المجاهرة بالمناسك وإظهار الهوية الدينية بدأت بسبب حمزة بن عبد المطلب لقوة منعته في قريش ولارتفاع أصوله القبلية أكثر من عمر بن الخطاب الذي تروي الروايات أنه تعرض للضرب والمنع من المرور بمضارب قريش بعد إسلامه مباشرة (=المؤلف).

يدي عمر ومن هنا فلدينا عنصر أساسي له دور في إعلان عمر إسلامه مكون من الأخت وزوج الأخت . العنصر الآخر الذي تتوافر عليه الروايات هو وجود شخص ثالث مع الأخت وزوجها ودور هذا الشخص تعليم الدين، أو ممارسة شعائر الدين المحمدي (=الإسلام) ذلك أن عمر لما وصل إلى أعتاب بيت الأخت سمع هينمه وهي ترتيل المزامير وأدعية بنغمات وألحان شجية، وقد عرف بها الرهبان كما أن الهينمه تعني النغم بخفوت الصوت (في كتاب المفصل ٦/ ٦٧٥) قيل إذا طرب القس في صوته خفيًا قيل الزمزمه، وإذا تغن فيقال لذلك :الشمعله . والهينمة :هو أن يتكلم الرجل بالكلام تسمع نغمته ولا تفهمه عنه لأنه يخفية والمفردة ترادف :الدندنة . وقيل إن الدندنة أرفع من الهينمة قليلاً (ابحث في لسان العرب :مادة دندن) .

كما أن في الروايات ثمة إعلان متكرر عن رغبة عمر أو استعداده لقتل محمد (=الرسول) ولأسباب ودوافع مختلفة، وهذا العنصر يشير إلى مرحلة العداء، وربما يحدد تتويجها والذي وصل لديه برغبته تصفية "محمد " (=النبي) ويلعب عمرو بن هشام إحدي الروايات دوراً في التحريض علي قتل محمد كما أن في ثمة روايات إشارات علي اتصال عرضي، وعابر، والمكان هو مواقع مقدسة (لدي الكعبة، لدي الصفا، المسجد) .

والعنصر الأخير في الروايات هو وجود نص قرآني يترافق مع إعلان عمر إسلامه وله أهمية حسب الروايات _في كسبه للإسلام) وتختلف الروايات حول النص (سورة طه _ سورة الحديد _ سورة الحاقة) وبنفس السياق يمكننا أن ندرج عبارة "الرحمن الرحيم " والتي مارست تأثيراً كبيراً عليه . ويستطرد "مالك " في تتبع السياق التاريخي للسور الواردة بروايات إسلام عمر .متشهداً بدراسات القرآن

والتي قسمها العالم المستشرق "نلدكه" إلى أربع مجموعات تتوزع علي ثلاث مراحل في مكه والمرحلة الختامية في المدينة . إذا أنه وضع المجموعة الأولي من مطلع الدعوة المحمدية (= الإسلامية) إلى السنة الخامسة منها ٦١٢-٦١٧ ميلادية) .

والمجموعة الثانية في السنتين الخامسةوالسادسة للدعوة (٦١٧ -٦١٩ ميلادية) والأخيرة في مكه من السنة السابعة للدعوةالي الهجرة (٦١٩-٦٢٢ ميلادية) وتحتوي المجموعة الرابعة علي السور المدنية :من الهجرة إلى خاتمة حياة نبي الإسلام (٦٢٢-٦٣٢ ميلادية) .

هذا التقسيم ينبع من مجموعة معطيات تتعلق بلغة النص القرآني وأسلوب الدعوة، والأطروحات الواردة فيها ويضع"نلدكه " سورة الحاقة في الحقبه الأولي، وسورة طه في الحقبة المكية الثانية (ويري المستشرق "ويري " أن سورة طه تعود إلى بداية المرحلة المكية الثالثة أي حوالي السنه السادسة أو السابعة قبل الهجرة)

(p116.) (E.M .Wherry ,vol.III)

وسورة الحديد هي في الحقبة المدنية ولأنه هناك إتفاق بين علماء القرآن المسلمين والمستشرقين علي مكيه سورتي الحاقه وطه وعلي مدينية سورة الحديد وقد تنبه المؤرخون المسلمون إلى استحالة قراءة عمر سورة الحديد في الوقت الذي تعود فيه هذه السورة إلى المدينة . وتتبع السور الواردة في الروايات إسلام عمر نجد أن :

"سورة طه"

يأتي ترتيبها في القرآن رقم ٢٠ وتتألف من ١٣٥ آيه ويتفق جميع المفسرين أنها نزلت قبل إعلان عمر إسلامه (القرطبي) وتناول السورة عده مواضيع منها

التخفيف علي محمد (=النبي) بالعبادة وقصة موسي بإسهاب وذكر الآخرة وقصة آدم ويتفق المفسرون علي وحدة نص السورة وبالتالي زمن تنزيله والروايات الواردة بشأن عمر تتحدث عن أنه قرأ سورة طه حتي الآية ١٤ إذا أن الموضوعين عن الأوليين :التخفيف عن محمد، وقصة موسي يخصان موضوع إسلام عمر وبالتالي فإن المستجدين في الدعوة المحمدية (=الاسلامية) يتعلقان بذات الموضوع دون تجاهل أن رواية إسلام عمر ترتبط بذكر «الرحمن»(*) والذي ورد ذكره في هذه السورة في الآيات التالية (الآية ٥، ٩٠،١٠٨،١٠٩) .

"سورة الحاقة"

ويأتي ترتيبها بالقرآن رقم ٦٩ وعدد آياتها ٥٢ وتتناول السورة عدة مواضيع مثل الحديث عن القيامه وتذكير بمصير الأمم التي رفضت الإيمان بها، وذكر يوم الآخرة ورسم إهوال الحساب الإلهي للبشر وتأكيد نبوة محمد، ونفي الإتهامات عن كونه شاعراً أو كاهنًا والتشديد علي المصدر الإلهي للقرآن .

ويتفق المسلمون علي أنها مكية ويتفق معهم "نلدكه" في ذلك ويضعها في المرحلة الأولي ويبدو أن ذلك يعود إلي لغتها المتميزة بالسجع والوزن الذي غلب علي سور هذه المرحلة وللسورة إيقاع قوي ولغتها عالية التوقد . يقول مالك مسلماني (نفس المرجع ص٧٨) من الصعب أن نري الرابط بين سورة مكية مبكرة وإسلام عمر الا إذا اعتبرنا أن السورة تنزلت علي مرحلتين في مكه حيث أن الرواية التي تذكر إسلام عمر تؤكد أنه تلا الآيات (٤٠-٤١) وهي من روي

(*) سبق أن أشرنا إليها في مرحلة سابقة. (=المؤلف).

مختلف عن الجزء الأول وإذا حاولنا قراءة الدلاله من هذه الرواية بعد نزع الغلاف الأسطوري عنهـا فإن الحوار الذي جـري بين عمـر ومحـمـد (=الرسـول) كـان ولاشك أشمل من النقـاط التي ردت عليها هذه السورة بيـد أنه علينا ألا نفصل أن وقع السورة وجرسها وموسيقاها اللغوية أثرت في نفسية عمر .

" سورة الحديد "

رقمها ٥٧ في القـرآن وعدد آياتها ٢٩ وتتناول تمجيد ذكر الـله وذكر صفاته والدعـوة للإيمان به وبرسوله والمطالبـة بالإنفـاق في سبـيل الحرب والوعـد بالجنة والإنذار بالنار والمطالبة بالصبرعلي المكاره والشدائد وشرح مهـمة الرسل ومطالبة أهل الكتاب إعلان الإيمان برسالة محمد (= النبي) .

ويتفق العلماء المسلمين علي مدنية السورة إلا أن بعض آياتها تعود للمرحلة المكية ولكن الرواية التي لدينـا تتحـدث عن أن إسلام عـمر جـاء بعـد سمـاع الآيات الثمـاني الأولي وهي بدورها لاتتـفق مع المرحلة المكية فـالآية رقم ٨ تسأل " ومـا لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعـوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ مـيثاقكم إن كنتم مؤمنين " وفي تفـسير الرازي معناها أن من يؤمن بدعوة موسي وعيسي فعليه الإيمان برسالة محمد .

والآية الأخـري " ياأيهـا الـذين آمنو إتقـوا الله وآمنوا بـرسـوله " وهي تدفع للتساؤل لماذا الإيمان برسوله ويجيب الرازي (أسئلة القرآن المجيد ص ٣١٧) بأن الخطاب لليهود والنصاري خاصة . ولم يكن عمر نصرانيًا أو يهوديًا.

(وقـد ربطت بعض الروايات الاستـشراقـية بين إسـلام عمـر واليهـودية إذ ربطوا إسلامه في مرحلة معينه بتطور علاقه الإسلام باليهودية من عده روايات منها أن "محمدًا (=النبي) رأي في يد عمر ورقـة من التوراة فغضب حتي تبين الغضب

في وجهه، ثم قال : ألم آتكم بها بيضاء نقية ؟ والله لو كان موسي حيا ما وسعه إلا إتباعي (المقدمة ٢/ ١١٨ وفي مسند أحمد ٩) وهذا إستدلال منهم أن عمر لم يقطع بعد مع اليهودية. (بالمفهوم الثقافي لا الديني البحت=المؤلف).

ورواية أخري عن النص القرآني الوارد في سورة البقرة ٩٧-٩٨) "قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله علي قلبك بإذن الله مصدقًالما بين يديه وهدي وبشري للمؤمنين . من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ".. وهذا النص حسب روايات عديدة يرتبط بعمر واليهود فذكر «البيضاوي» بأن عمر دخل مدارس اليهود يومًا فسألهم عن جبريل، فقالوا ذاك عدونا يطلع محمداً علي أسرارنا وأنه صاحب كل صنف وعذاب، وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله ؟ قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدّوين ولأنتم أكفر من الحمير، ومن كان عدو أحدهما فهو عدو الله .. ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي علي محمد (=النبي) ويبدو أن دور عمر كان محاورة اليهود وإيجاد القواسم العقائدية المشتركة (حسب رؤية مؤلف كتاب عمر بن الخطاب .. السيرة المتوارية ٨٥) والثابت أنه كان يأتي اليهود فيسمع منهم التوراة (أسباب النزول للسيوطي ص ١٨، الواحدي ص٣٢) وهناك روايه مصنوعة تقول إن كعب الأحبار حذر عمر لاحقًا في خلافته من أنه سوف يتعرض للإغتيال وقال أنه يجد صفته في التوراه (*).

(*)يذكر في التوراة مواصفات للرجل الذي على يده يأتي غزو أورشليم وتسلم مفاتيحها وكذا في مواصفات «النبي» الذي يظهر في آخر الزمان أنه سيتزوج من ابنتي ملكين ولعلهما الحاكمان الخليفة أبوبكر وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب (عائشة وحصفة) (=المؤلف).

(ورواية أخري :لقد حضرت إلى جانب عمر شخصية كعب بن مانع (الكامل ٣/١٥٣) وهو من يهود اليمن الذين عرفوا برواية الإسرائيليات مع وهب بن منبه، وقد لقبة المسلمون بكعب الأحبار تقديراً لعلمه، ورفعًا لشأنه إذ كان يحوز علم الشريعة وكتب الأنبياء والأخبار الماضية (المفصل ٦/ ٥٦٤-٥٦٥) وتقول الروايات أن كعبًا قد وجد صفات محمد (=الرسول) مذكورة في التوراه ورغم ذلك لم يأت يثرب إلا في خلافة عمربن الخطاب ليقيم فيها مولي للعباس (الشيخان لطه حسين ٢٣٣) واعلن إسلامه ١٧ هجرية في خلافه عمر .

وتضيف الروايات ما أن أعلن عمر إسلامه، حتي دخل بمشادات مع قريش، فتعرض عمر للضرب، وهذا يؤثر علي ضعف مكانه آل عدي ويزيل هالة القوة التي لا زمت عمر(*)، وقد تطوع العاص بن وائل السهمي، لحمايته كما حمي بنوسهم سابقًا بني عدي من عبد شمس ـ فطلب من القرشيين الكف عن ضرب عمر، محذراً إياهم من ردة فعل بني عدي (ابن هشام ١/ ٣٤٩، السيرة الحلبية ٢/ ١٧، تاريخ عمر ١٣) وهذا التحذير ربما كان مضافًامن جانب الرواه، فلو كان القرشيون يخشون آل عدي، لما تجرؤوا علي ذلك منذ البدء، حتي أنه روي أن تفاقم الشجار مع بعض القرشيين بعمر للمكوث بداره خائفًا، ولم يتمكن من الخروج إلابعد مجئ العاص بن وائل، حيث خرج يبدي مقاومته لقريش وكما يروي ان خاله قد أجارة وأن عمر طلب منه أن يسحب حمايته عنه (الفاروق عمر ١/ ٥٢، أخبار عمر ٢١، تاريخ عمر ١١-١٢) وكان طلب عمر بذلك حسب روايات أخري يريدبها "التطهر"

(*)وهذا يؤكد وجهة نظر ما ذهبنا إليه أن الرجل الذي تعرض للضرب وسبق له أن عاش في كفالة وجوار شخص آخر لا يجوز أن يكون محل تمني من محمد ليعز به الله الإسلام. بالمعنى القبلي ولكن بالمعنى الإيماني أي أن عمر سوف يكون له شأن دون النظر لأصله القبلي والطبقي (=المؤلف).

بالتعارك مع القريشيين فيضربونه فيتطهر من ذنوب ما فعله مع المؤمنين من اضطهاد ومطاردة وتبقى نقطة أخيرة أن التفاصيل المرتبطة بقصة إسلام عمر ستمهد بالإجمال لأن يكون لعمر موقع كبير وخطير في الدعوة المحمدية (=الإسلامية) في أطوارها اللاحقة، لقد دخل عمر الإسلام، وله من الأهمية ما له، وسيكون له شأن كبير . وكان إسلام عمر تجسيداً للمرحلة الثانية من الدعوة المحمدية وليست نقطة البدء بينما الأمر يختلف في حاله شاول الطرسوسي (=بولس) الذي كان أصيب بالعمي وسحبة القوم حتي دخل المدينه وظل ثلاث أيام علي حالته تلك وإن ظل علي ندم لفترة طويلةّ ولم تبارح مخيلته صورة حضوره لرجم "إستيفانوس " أول شهداء المسيحية ومساهمته في ذلك تماما كما ظلت إبنه عمر في مخيلته دائما حين كان يوأدها (حسب الرواية السابق الاشارة اليها، وقصص المسلمين الأوائل (= المؤمنين الذين عذبهم في فترة ما قبل إسلامه (=الجاهلية) وننطلق إلى إيمان شاول (=بولس) وكيف ظهرت دعوته .

إيمان بولس بالمسيح (الروايات الثلاثة).

تبدأ القصة منذ أن أخد بولس تصريحًا بالسفر إلى دمشق للقبض علي بعض أتباع المسيح يسوع (=عيسي) هناك وامتيازهم إلى العاصمة أورسالم أو أورشاليم بالعبرية وهناك علي طريق دمشق ظهر له ما أكد هو عنه أنه (رؤيا) vision نهارية وجاء ذكرها في النسخة الوطنيه العربية المعتمدة الجديدة للكتاب المقدس (طبعه انجلترا ١٩٩٦).

أولاً .رواية سفر الأعمال (٩،٣-٧)

يقول كاتب سفر الأعمال :"وفيما هو منطلق إلى دمشق وقد اقترب منها لمع حوله فجاه نور من السماء، فوقع علي الأرض فسمع صوتًا يقو ل له "شاول،

شاول لماذا تضهـدني ؟"فسأل من أنت ياسيد ؟ فجـاء الجواب "أنا يسوع الذي أنت تضطهده صـعب عليك أن ترفس المناخس فقال وهو مـرتعد ومتحيـر : يارب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقـال له الرب قم وادخل المدينه فيقال لك مـا يجب أن تفعله، وأما مرافقـو شاول فواقفوا مذهولـين لا ينطقون، فقد سمعـوا الصوت ولكنهم لم يروا أحداً"

ثانياً: رواية سفر الاعمال (٢٢: ٦-١٠)

قال فيها بولس :"ولما وصلت إلى مقربة من دمشق وكان الوقت نحو الظهر أضاء حولي فجأة نور باهر فوقعت علي الأرض وسمعت صوتًا يقول لي : شاول، شارل تضطهدني ؟ فاجبت :من انت ياسيد ؟ فقال : أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده . وقد رأي مرافـقي النور ولكنهم لم يسمعوا صوت مـخاطبي .فسألت : ماذا أفعل يارب ؟ فأجابني الرب قم وادخل دمشق وهناك يقال لك ما يجب عليك أن تفعله " .

ثالثا : رواية سفر الاعمال (٢٦: ١٢-١٦)

قال فيها بولس :"وتوجهت إلى مدينه دمشق بتفويض وترخيص من رؤساء الكهنة فـرايت أيهـا الملك علي الطريق عند الظهـر نوراً يفـوق نور الشـمس يسطع حولي وحـول مرافقي، فسـقطنا كلنا علي الأرض، وسمعت صـوتًا يناديني باللغة العبـرية قائلا :شـاول، شاول لماذا تضـطهدني ؟ يصـعب عليك ان ترفس المناخس، فـسألت :من انت ياسـيد ؟ فـأجاب : أنا يسـوع الذي تضطهـده انهض وقف علي قدمـيك فقد ظهـرت لك لأعينك خـادمًا لي وشاهداً بهـذه الرؤيا التي تراني فيـها، وبالرؤي التي ستراني فيها بعد اليوم "

وبنظرة سريعة علي تلك الروايات نجد فيها تعارض فقرات الروايات الثلاث الواردة في نسخه واحده من سفر الاعمال، فما بالك بسائر النسخ الأخري التي لا تعد ولا تحصي .. المهم ان الحادثة كانت رؤيا vision ولم تكن يقظه ويؤكد جمال شرقاوي في كتابة "يسوع النصراني " أن ما رآه بولس (=شاول) بعد ذلك لم تكن واقعًا وليست من عالم الواقع في شئ ودليل المؤلف علي ذلك في كتابه(*) (يسوع النصراني) (طبعة ٢٠٠٦ مكتبة النافذه ص٧٢) " فقدظهرت لك لأعينك خادمًا لي وشاهداً بهذه الرؤيا التي تراني فيها الآن وبالرؤي التي ستراني فيها بعد اليوم " ويضيف ان النص السابق يذكر أن الذي كلم شاول خاطبه باللغه الآرامية ولم يخاطبه بالعبرية كما جاء في هذه النسخة، ولكن الصحيح هي الآرامية حسب النسخ القياسية المعتمدة ويقول المؤلف أن الذي رآه بولس ليس المسيح يسوع ولكن عيسي النصراني وهو نوع من الجن بدليل انه لم يقل له أنا المسيح عيسي أو يسوع وانما قال له كما وردت في الترجمات المعتمده باللغه اليونانية الأصلية "عيسو مسيح "بدون الألف واللام وأحيانًا"مسيح عيسو " وهو كائن روحاني ولا جسد له أتت صفاته في قول بولس في رسائله "كائن في هيئة الله (زيوس) "فيليبي ٢:٦) " كائن يدخل في جسد بولس ويسيطر علي عقله ولسانه " ومما سبق علمنا ان بولس (=شاول) تحول إلى المسيحية مبتدءاً من حادثه طريق دمشق الشهيرة، ثم أختفي بولس عقبها ثلاث سنوات في بلاد العرب يستعد لنشر إنجيله ولاهوته الجديد ثم نزل لأورشليم بعد تحوله إلى المسيحية لمقابلة بطرس وبعد مرور أربعة عشر سنه أخري . كما قال في مؤتمر أورشليم الأول سنه ٤٤ ميلادية حسب تحقيق تاريخية الواقعة بواسطة الأب متي المسكين .

(*) قد تكون الرؤيا بالروح ولا ضرورة أن تكون بالجسد وهذا ما نختلف فيه . لذا نحن لا نتفق مع الباحث فيما ذهب إليه. (=المؤلف).

ولم يذكر بولس (=شاول) في رسائله أنه جمع أية معلومات عن ابن مريم (=يسوع المسيح) أثناء تواجده بالقدس ولا حتي قابل الأم الطاهرة البتول مريم(*) تلك الأم التي لم يتذكرها أو يذكر إسمها في رسائله ولم يشر إليها من قريب أو من بعيد أو إلى ميلاد يسوع المسيح (=عيسي) العذراوي بالإضافه إلى أنه لم يذكر تعميده علي يد يوحنا المعمدان، وتلاميذه، وكيفية اختيارهم وما هو إيمانهم ولا حتي طرق معرفتهم بالمسيح ولم يتطرق إلى إنجيل التوبة الذي بشر به يسوع (=عيسي) بالأناجيل القانونية الأربعة ولا المعجزات التي جرت علي يديه (يسوع النصراني ـ جمال الشرقاوي) .

الخلفية الإيمانية لشاول الطرسوسي

وللتعرف علي ذلك علينا أن نجيب عن سؤال في غاية الأهمية هل كان كل يهودي طرسوسي من المتمسكين بالشريعة اليهودية والمتشددين فيها ؟ أو كانوا علي العكس من ذلك يفتحون أبواب معابدهم بصورة ما لمؤثرات البيئة التي يعيشون فيها ؟ ثم : ألم توجد من بينهم طائفه إستسلمت تيارات التفاعل بين الأديان التي تتوحد وتتمحور حول فكرة تطويرالأمل القومي في الانتصار وهو حلول مملكه الله نحو مذهب " النجاة " ولو ثبت هذايمكننا القول أن بولس (=شاول) يكرههم كل الكراهيه اعتماداً علي ما تشير إليه أعمال الرسل "من تشدده وتشدد عائلتة في دين

(*) لم نستخدم لقب «العذراء» لأن الطهارة البتولية وإحصان الفرج هي صفات أكثر دقة من العذرية فإن العذرية لفظ له دلالة طبية وليس بالضرورة دلالة أخلاقية ومتعدد المعاني منها العذرية النفسية التي يجب أن تفقدها المرأة إذا حملت أو أنجبت (ولدت) أو أرضعت وهذا الأمر محل بحث تحت الطبع بعنوان: «عصا هارون... مريم بين العهد الجديد والقرآن» للمؤلف.

أجـدادهم إلا أنه لم يـكن ليتـجـاهلهـم بل هو اسـتـقي منهم الـرأي في "النجـاة "وفي"الفادي"أو المنقذ (المسيحية .. نشاتها وتطورها ص١٠٥)

ولو تأكد لدينا بصفه قاطعـه أنه تأثر بهم في شبابه لقلنا أن ذلك كان العنصر الأساسي أو تجاوزنا إن ذلك كـان العنصر الاساسي أو إذا تجاوزنا لقلـنا أنها البذرة الأولى في تطور عـقيـدته ومن هذا المنطلق لم تكن "طرسـوس " بمحض المصادفـة مهـدًا لـ " الحواري المرسل إلى المشركين " أي للـرجل الذي ساهم بأكبـر قسط في نشر دين جـديد للنجاة باسم المسـيح يسوع (=عـيسي) وإنما كانت نتـيجـة لعوامل متعددة .

ويضيف"شارل جـينيير " أستاذ تاريخ الأديان : أن بولس غـير أنه عاش في وسط يتحدث باليونانية ويسـتـخدم كلمات مثل "الله " و"عقل " "منقذ "، "منطق "، "روح "، "ضمـير " فلم تـكن بالكلمات الغـريبة عليـة بعد ذلك ويمارس نوعًـا من البلاغـة إستطاع به أن يطرح أساليبة القوية الملفتـة وكان هذا الوسط يهتم بفلسـفة معينه بعض أحكامها والكثير من مصطلحاتها الفنية في ذهن داعية المسيحية، وكان كذلك وسطًا يـتعلق عامـة بأنماط من الأمل في حيـاة أخري تعقـب الموت، ويسعي إلى تحقـيقـها بل يؤمن أنه يـحققـها بوسـائل مخـتلفه ولم يكن بـولس (=شاول) ليجهل هذه الآمال ولا لينـعمي عن المظاهر الأساسية للوسائل المسـتخدمه من أجل تحقيقهـا وقد قيل أن الروح اليونانية ليست بالعنصر الأول في شـخصية بولس وإن كان يهوديًا قبل أن يكون يونانيًـا والقائلون بذلك علي صواب ولاشك في دعواهم هذه إلا أنه كان يهـوديًا من طرسوس تدرج في مـراتب الثقافـه اليونانية واليـهودية لهذا العـصر حتي بلغ منتـهاها، وكانت هذه الثـقافة تنحصـر في الدراسة المتبـحرة للنصوص المقدسة .

ومع ذلك فمن المسائل التي لا تقبل الجدل أن رسائل بولس تشهد بمعرفة للنصوص المقدسة مماثلة لما اعتدنا عليه من معرفة علماء اليهود بها، ويتضح من خلال هذه الرسائل روح مؤلف أخذ الكثير من الفريسيين(*) في تكوينه الفكري فهو يعشق الجدل ويمتاز بالبصيرة النافذه الدقيقة وبالدهاء الشديد في تقديم البراهين أوهدمها، كما نراه يهاجم الشريعه اليهوديه بنفس الأساليب التي استخدمها من قبل في الدفع عنها ويتضح في رسائله أيضًا أنه يعتمد علي منهج فلسفي ديني عالي المستوي .

أثر البيئة الهلنيستية علي مسيحية شاول

من المعروف أن البيئة في انطاكيا ساعدت علي التطور السريع نحو "تأليه " المسيح حيث كثر المؤمنون الذين علقوا بيسوع كل الآمال وإن لم يعرفوه لذا مثل هذه البيئه سعت نحو "تمجيده " علي الأقل في البداية (شارل جنيبير _ المسيحية نشأتها وتطورها ص١١٦) كما نري أن هؤلاء المؤمنين ينزعون في تصورهم لشخصية ليرقوا به إلى مفهوم أعم وأوسع وأرفع ذلك المفهوم الذي يقترن بلقب "سيد "او "الرب " ونلاحظ هنا أمرًا هامًا (نفس المرجع) ذلك أن الإثني عشر تلميذاً قد تملكهتم الحيرة في بدء دعوتهم، عندما نظروا في النصوص المقدسة وفي كتب الأحبار الحديثة فلم يجدوا كلمه واحدة تشير إلى إمكان قيام مسيح يعذب تعذيبًا شائنًا، بل قرءوا علي العكس من ذلك سطوراً تبعث منهم الرعب : "لعن الله كل انسان يشنق بالغابة " (تثنية الاشتراع ٢١-٢٣) فكان عليهم إذن أن يفسروا لأنفسهم كيف دبر الله موت

(*) الفريسيون طائفة من المتدينين اليهود الملتزمين بالشريعة في تزمت ولكن بدون قلب سليم وما كان صراع يسوع المسيح الفكري معهم إلا أن يعبدوا الله دون غرور بأعمالهم ولكن بالنية الطيبة وفهم مقاصد الله وتطهير القلب من الغرور والحقد وأن المعاملات تعلو قيمتها على العبادات وهم يشبهون السلفيون المسلمون حاليًا في كثير من السلوكيات (=المؤلف).

يسوع المسيح (= عيسي) ضمن تدبيره انتصار شعبه وحلول مملكته وقد وجدوا إلى ذلك سبيلاً معتمدين علي " واقع " البعث وسائرين علي المنطق التالي:" إذا كان الله قد بعث يسوع (= عيسي) فلا يمكن أن يكون ذلك ألا ليقوم بدور جلل وهل هناك له دور غير دور المسيح ؟ وكان الموت هو الشرط اللازم للبعث، أي كان الطريق الذي أراده الله ليترفع بيسوع من مستوي البشرية إلى " المجد المفروض له " وهكذا أصبح يسوع هو المراد وقد أسماه النبي دانيال بـ " إبن الإنسان " الذي سوف يظهر وشيكًا علي قباب السماء" إلا أن مفهوم " ابن السماء " غير موجود لدي بولس . ولقد بدله بمفهوم آخر لاصله له بالجماعات المتصله باليهودية إذن "بولس " لم يؤسس مفهوم لشخص المسيح بناء على ما أخذه من تلك الجماعات (إن موت يسوع في نظر الإثني عشر ليس بالتضحية التكفيرية أما عند بولس هكذا، وفي عقيدته أيضًا أن المسيح مات من أجل خطايا البشر ولم يكن أيضًا الإثني عشر ليوافقوا علي وصف يسوع بـ (ابن الله " مكتفين بتعبير " خادم الله " وهي التي تساوي " عبد الله "(*) أما عند بولس فلقب " إبن الله " لقب كثير الإستعمال استخدمه بولس (= شاول) لنعت يسوع به، لذا فإن بعض المفاهيم الجوهرية لدي المجتمع الإيماني في الزمن الأول نجدها غريبه لدي " الحواري المرسل إلى المشركين " وهو بولس، وأما المفاهيم التي عرفت عنه لم يختلقها وانما قام بتطويرها وتنميتها ولابد لنا من القول بأنه أخذها من مصادر أخري غير المجتمع المسيحي الذي أسسه أصحاب يسوع أنفسهم، ولابد لنا من الإعتقاد بأنه وجد هذه المصادر في أحد المجتمعات الهلينستية وأغلب الظن انه مجتمع " انطاكيا "

(*) يتشابه هذا التفسير مع السياق القرآني (قال إني عبد الله) ويوصف المسيح في نسخة الملك جيمس المعتمدة من الكتاب المقدس Man of God أي رجل الله أو عبدالله تحديدًا (=المؤلف).

الفصل الثالث

عمر في رحاب الدعوة المحمدية (= الإسلامية)

المرحلة اليثربية (=المدينة المنورة)

توطدت علاقة عمر بمحمد (=النبي) حينما طلقت إبنته حفصة فقام محمد بالزواج منها تقوية لعري الرابطة بينه وبين عمر، وكان محمداً قد تزوج من قبل عائشة بنت أبي بكر . وقد بدأ دور عمر يبرز مع هجرته إلى يثرب وهو الدور البطولي السابق ذكره عن "الفاروق " الذي واجه الجميع وجهر بهجرته وصارت منذ هذا الحين علاقة مميزة بين عمر ومحمد (=الرسول) زادت أواصرها بعد زواج حفص من محمد وأكد تثبيت علاقة صارت مميزة أكثر فأكثر بين محمد وعمر وأبي بكر .

وعندما وصل محمد إلى يثرب قام بمؤاخاة المهاجرين والأنصار وتؤكد الروايات أن محمداً آخي بين عمربن الخطاب وعتبان بن مالك (=الخزرجي) بيد أن ثمة روايات لدي ابن سعد(= طبقات ابن سعد) تقول إن محمداً آخي بين أبي بكر وعمر . وأخري بين عمر وعويم بن ساعدة وثالثة بين عمر ومعاذ بن عفراء في حين توضح رواية بأن مؤاخاة أبي بكر وعمر كانت في مكة ويؤكد إبن سيد الناس مؤاخاة أبي بكر وعمر بوجه عام (عيون الأثر ١/ ٢٣٠) وكانت لهذه المؤاخاه دور في توفير الأمن الإجتماعي للمهاجرين في أول أمرهم، لكنها لم تلعب دوراً

في العلاقة المستقبلية بين أجنحة المسلمين المختلفة (يثاربة _مهاجرين) كما لم يكن لها أي تأثير علي المنظومة العامة للدعوة المحمدية (=الإسلام) فقهيًاأو سياسيًا، وبالتالي لم يكن لهذه المؤآخاه من أثر علي سيرة عمر .وقد أوقف محمد (=الرسول)بالإستغناء عن منهج المؤاخاه بعد موقعة بدر مع توفرأولي الغنائم التي سمحت للمهاجرين بالاستغناء عن دعم اليثاربة المالي وقد جاء الأمر بذلك بأية قرآنية "وأولوا الأرحام بعضهم أولي ببعض في كتاب الله " (سورة الانفال ٧٥) وقد ذكر في (عيون الأثر ١/ ٢٣١) أنه أعيد الاعتبار بهذه الآية أو التفسير للتوارث من منطلق صلة النسب وألغي معيار الهجرة والمذكور في الآية ٧٢ من نفس السورة "إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين أووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتي يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلأعلي قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير "لقد تمت العودة إلي منظومة القرابة (كما يؤكد مالك مسلماني في مؤلفه عمر بن الخطاب .. السيرة المتوارية) وهي فترة كانت حدود الإسلام لم تصل إلى حد جعل الرابطة العصبية أن تكون القاعدة التي تحكم علاقة المسلمين الأوائل وقد حدث بذلك رجوع إلي قواعد ناظمة للحياة الإجتماعية كما هي مؤسسة علي منظومة سابقة . والإسلام هنا يحاول أن يستوعب الظروف القائمة بأقصي درجات المرونة .

الثالوث الأكبر في يثرب

في يثرب مع التطور الجديد في الـدعوة المحمدية (=الإسلاميـة) لعب عمر دوراًمهمًا فـي حياة الجماعة الاسلامـية، فمن أجل إدارة شئون هذه الجـماعة، قام محمد (= الرسول) بصياغه السياسة العامة لها بالتعاون والتشارك مع الشخصيات الأساسـية في هذه الجـماعة . وكـان المثلث البارز دائمـا هو : (محـمد ـ أبو بكر ـ عمر بن الخطاب)

وهذا المثلث لا يلغي حقيقة التوازنات التي كـانت تفرزها الحقائق القبلية في مجتمع يثرب، والدور الذي إضطلعت به الشخصيات الممثلة للأطياف القبلية في يثرب(يثأربة ومهاجرين).

لكننا سنركـز علي هذه العلاقة الثـلاثية أو الثالوث الأكـبر(*) دون أن يلغي وجود شخصيات أخري شاركت ولكنها لم تكن بهذا القدر من الأهمية .

ويقول مالـك في كتاب (السيرة المتوارية) برزت في سيرة عمـر مع محمد (=النبي) مسـألتان، المسأله الأولي هي أن عـمر مثل علي الدوام الجناح المتـشدد في الحركة الإسلامية والمسألة الثانية هو قـيام الجناح المتشدد في الحركة الإسلامية بدور هام والمسألة الثانية هو قيام عمـر بدور تشريعي بارز إلى جانب محمد (=الرسول)

(*) يخـتلف هذا الثـالثـوث إصطلاحـيًـا terium عن الثـالوث الأقنومي في اللاهوت المسـيـحي فشـخصية مـحمد (=الرسول) تظل في منأى عن التـداخل والإمتزاج في الثنائي عـمر وأبي بكر ورؤية الثالوث الإسلامي تختلف لدى طائفة الشيعـة باعتبارهم يرون أن هناك ثنائية وليس ثلاثية وهي النبي – الولي (مـحمـد – علي) بمثـابة موسى وهارون الجـديدين وأن علي هو باب مـدينة العلم والمدينة هي محمد كما يرون أن عليًـا ولي الله وأمير المؤمنين ووصى الرسول بموجب بيعة الغدير في حجة الوداع أمام ١٠٠ ألف مسلم قبيل وفاة محمد (=المؤلف).

وهذا ما منحة سمة نبوية أو تنبؤية جعلت منه متنبيًاوهذا يرجع إلى قدرات عمر الشخصيه كما أرادت أن تنقلها لنا روايات السيرة وهي في غالبها دونت في العصر الأموي لتغليب عمر علي (عليٍّ بن أبي طالب) الذي ظل معروفًا بأنه باب مدينة العلم وأعلم الأمة بالقرآن أي أن المقصود هو خلق أهمية تعلو فوق علي بن أبي طالب بوجه عام وهو ما يطابق الفهم السني تمامًا. (=المؤلف)

عمر المتشدد في الدين

في سنوات العمل المشترك مع محمد (=النبي) تميز عمر بالتشدد ورغم قوة شخصيتة محمد في يثرب وسمته النبوية في مكة لم تعطه مطلقًا حق أن يكون حاكمًا طاغيًاحتي وفي أوج هذه السلطة الكاريزمية والزعامة السياسية والدينية في يثرب(*) .

ولعل رواية حاطب بن أبي بلتعة التي وردت في الطبري (٢/ ١٤) إذ كان محمد (=النبي) يتهيأ للمسير صوب مكه، قام حاطب بن أبي بلتعة بكتابة رسالة إلي قريش يخبرهم باستعدادات المسلمين، وقيل أنه أعطاها لإمرأة، وقد أكتشف أمر المرأة والرسالة، فاستدعي محمد حاطبًا، الذي برر فعلته بعدم تخلية عن الإسلام لكنه قال كنت إمرأ ليس لي في القوم أهل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم أهل، وولد، فصانعتهم عليهم فطلب عمر من محمد (=الرسول)السماح له بضرب عنقة .ولكن محمدًا رفض(**)، مبررًاعفوه بأن حاطبًا شارك في معركة

(*) لأن القرآن حدد لشخصية محمد (= الرسول) بالتحكيم بين المؤمنين دون الحكم وأعطى سلطة القضاء والتذكير والتبشير وأنه في ذات الوقت «ليس عليهم بمسيطر» (=المؤلف).

(**) لم يكن محمد (=النبي) مفوضًا في قتل أحد خرج عن الدين إلا إذا حاربه طبقًا للنص القرآني «ولم يقاتلوكم في الدين» وغير ذلك فإن عقابه مؤجل إلى يوم القيامة (=المؤلف).

بدر، فكان تصرفًا مرنًا فقد تفهم أسباب حاطب وإن ندّد به القرآن لاحقًا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ... ﴿١﴾﴾ (الممتحنه)

وموقف آخر ورواية أخري ظهرت في موقف عمر من أسري بدر (رمضان ٢هجرية / مارس ٦٢٤ ميلادية) إذ كانت مسألة أسري بدر أمر بالغ الحساسية للمسلمين فقد كانت هذه المعركة الأولي بينهم وبين قريش ثم إن النتيجة التي تمخضت عنها وهي انتصارهم، أصابتهم بنشوة ظاهرة، ولم يكن محمد (=الرسول) قادرًا علي اتخاذ قرار منفرد فأقترح عمر أن يقوم كل مسلم بقتل قريب له من الأسري للتأكيد علي أنه لم تتبق ثمه من مودة في قلوب المسلمين للمشركين، كان عمر يدافع عن وجهة نظره ، ويغلظ غلظًا شديدًا علي رافضي وجهة النظر هذه وهناك رواية تقول بأن عمر لم يكتف بالحض علي قتل الأسري بل قتل بنفسه أسيرًا يدعي معبد بن وهب؛ بل طالب من آسره ضرب عنقه ففعل (=المغازي للواقدي) ثم أنه كان هناك ثمة موقف متشدد من قريش يتعلق بالموقع الإجتماعي له، والجذر الحبشي، وهذا لابد أنه كان يعمل علي مستوي اللا شعور في صياغة هذا الموقف أما بالنسبة للمنستوي الشعوري فعمر كان ينطلق من أهمية تعزيز وحدة الجماعة الاسلامية أنصارًا ومهاجرين وجعلها الوحدة الأساسية في الدعوة، فعندما أراد أو اقترح أن يقتل كل مسلم قريبًا له، فإنه أراد بذلك الحفاظ علي التراص الداخلي للجماعة علي أساس العقيدة ووحدة الهدف وثانيًا أنه أراد قطع الروابط القبلية بين المسلمين وبين القريشيين والراجح أنه كان يري بأنه تحقيق ذلك يستدعي التضحية ببعض الهاشميين أيضًا فإن قتل القريب قريبة لن تخلق تداعيات داخل الحركة الاسلامية بإثارة نزاع بين المسلمين أنفسهم أن يقتل قرشي علي يد مسلم من قبيلة أخري لابد لهذه القضية منان تشعل الروح القبلية

والتضامن داخل الحركة الإسلامية ولم يتفق مع عمر في رأيه إلاشخصيات يثربية فكان سعد بن معاذ وقال لمحمد (= الرسول) " كانت أول واقعه التقينا فيها والمشركون، فأحببت أن يذلهم الله، وأن يثخن فيهم القتل (المغازى للواقدي ٤٧١٢) كما رأي عبد الله بن رواحة وهو يثربي من الخزرج -مثل ابن معاذ - هذا الرأي واقترح أن يكون تصفية الأسري حرقًا (ابن عساكر، السيرة النبوية لابن كثير) لكن القرار النهائي الذي توصل إليه محمد (=النبي) وأبوبكر هو الابقاء علي الأسري، وإطلاق سراحهم مقابل فدية مالية وان كان ذلك جري فلأن المصلحة الآنية هو عدم تفكك المهاجرين بقتل الأسري الذي يسبب العصبية القبلية التي تلعب دوراً كبيراً في جماعات الجزيرة العربية إذ لم يكن يسعد أي مهاجر بما في ذلك محمداً قتل الأسري من قريش والإعتبار البعيد كان هدف محمد النهائي هو ضم قريش لدعوته وهذة قضية تتطلب منه أن يقلل ما أمكن من روح العداوة في قريش نحوه لاأن يزيدها وخصوصًا أنه كان قد قام قبل حوالي شهرين من معركة بدر تغيير القبلة صوب مكة (بوحي قرآني) وقد عمل محمد (=الرسول) من أجل ألا يؤثر هذا القرار المحدد بالاعتبار المالي وبالعصيبة القبلية علي المعيار الديني الذي كان يشكل الموحد الوحيد لغاية الآن للجماعة الإسلامية (المهاجرين / الأنصار) كان علي محمد أن يزيد قوة الرابطة العقائدية بين هذة الجماعة ودعمًا لهذه المهمة العاجلة جاء القرآن يؤيد وجهة نظر عمر وإن كان بعد فوات الأوان ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨)﴾ (سورة الأنفال) وقال وقتهما محمد (=النبي) :"لو نزل عذاب عظيم، لم يفلت منه إلا ابن الخطاب، وسعد بن معاذ، إذ لم يكن عمر بعيداً عن التكتيكات السياسية فقد قبل بهذه الصيغه المرنة للممارسة السياسية وتقدم شوطًا مهمًا في ترسيخ حضوره في

الحـركة، وكـسب المزيد من الخبـرة السـياسـية إن الإدانة. القـرآنية لإطلاق سـراح الأسـري قـدمت لعمر الكثيـر من الحضور والأهميـة في الدعوة الإسلامية إذ صار بشكل نهائي الشخصـية الثالثه المهمة في هذه الحركة (بالمفـهوم الأقوي) ومنذ اليوم سيحق له أن يقف مواقفه المنسجمة مع رؤاه هو بالضد من رؤي نبي الإسلام، دون خوف العـواقب، إذ أن المقدس جـاء دعمًا له، ولن يفـتأ المقـدس (=القرآن) منذ اليـوم عن أن يأتي نصـرة لآرائه، وبالتـالي صارت لـه سمـه نبـوية أو تنبـؤيه بنظر المسلمين، وهذه السمة ستـتطور باستمرار ممارسة السياسة في مـوقعة أحد (شوال ٣هجرية / مارس ٦٥٢ مـيلادية)وهي المعركة التي هزم فـيها المسلمون ولجأ فـيها نبي الإسلام (=محـمد) مع مجموعة من صـحبة من ميدان المعركـة إلى الإعتصام بقمة جبل وكان هدف المعركة بالنسبة لقريش هو رد الإعتبار لهزيمتها في بدر وربما بدرجة أقل محاولة قتل محمـد (= النبي) للتخلص من حالة الحرب التي أشعلتها الحركـه الإسلاميـة بعد اتخاذ ها يثـرب قاعدة لهـا، وانضمام يثـاربة لها. مع هزيمة قوات المسلمين، وهرب بـعضهم من مـيدان المعركـة حتى أن (كتاب المحـبر ص٢٨٣) أكد أن عثمـان بن عفان فرمن المعركـة وهي رواية محل شك لأن التدوين لمثل هذه الكتب بدأ بالعصر العباسي . وقد تقدم أبو سفيان بن حرب ليسأل بصوت عالٍ إن كان محمد حيًا فلما لـم يسمع جوابا سأل عن أبي بكر وعمر، وربما كانت الرواية لاتصور الحدث بدقة فـهذا الترتيب هو ترتيب الخلافة، ولكن المؤكـد أن أبا سفيان بن حرب كان يريدان يـعرف مصير الشـخصيات الإسلامـية في الحركة الإسـلامية وخـصوصًـا مـا أصاب الثلاثة مما يقطع بأن قـريش كـانت تصلهـا أخبـار الوضع الداخلي في يثرب، كـما أن أسري قريش السابقـين قد لمسوا الفعاليـة التي يحوزها عمرفي الحركة الإسـلامية والذي كان لأبي سفيان أن يسأل عنـه وكان موقف عمر

من الدعايات التي صاحبت هزيمة" أُحد" ضد المسلمين عنيفًا متشدداً فقرر قتل كان من يردد بتشكيك في صدق نبـوة محمد لكن محمـداً (= الرسول) آثر أن يتجاوز عن هذه الحملة مستـنداً إلى أن ثمة " ذمة " مع اليهود واقراراً شفـويًا بنبوته من قبل المعارضين (=المنافقين) إلـى أي حد موقف عمر مـفيداً لتخفـيف شد ة هذه الحملة الدعائية ضد نبـوة محمد وما مدي التنسيق بصـدد معالجتها بين عمر ومـحمد أمراً يصعب تبينه، لكن الأحداث التـاريخية هي التي جعلت الحركة الإسلامـية تتجاوز هذه الهزيمة وأن بقي روح العداء متوقـداً بين المعارضين اليثاربة وعلي رأسهم "إبن أُبيّ" الذي كان علي رأس المشككين بمحمد بعد "أُحُد" .وابن أبيّ لمن لا يعرف كان اسمـه مطروحا علي بساط البـحث كمرشح وحـيد بين اليثـاربة لتولي الملك، لكن المؤكدأن هذا الرأي الشـائع بين اليثـاربة لم يجد القوي الاجـتماعـية لتـحويله إلى واقع، فصار مجئ محمـد (=الرسول) إلى يثرب هو الحل الأفضل ، لهذا فإن ابن أبيّ رأي أن محمداً هو من قوض فرصه "ان يكون ملـكًا" فصارت العلاقة بينهما مـحكومة بعـداوة شديـدة، وكان مـحمـداً (=النبي) قـادراً علي التعـايش مع هذا العـدو، فلم يتردد فـي زيارته حتي أنه قـال ذات مـرة وقد جـاء مـحمـد (=النبي) راكبًـاعلي حمـار "إليك عني، والله لقد آذاني نتن حـمارك) (السيرة الحـلبية ٢/ ٢٥٠) وبكل الأحوال كان علي محمد ممارسة كل درجات الحكمة وأعلاها معه .

نزاع مياة بني المصطلق

سـرعـان مـا تفـاقم الوضع مـجـدداً بين هـذه المجـمـوعـة وبين المسلمين (=المؤمنين) عندما حدث إزدحام بين رجلين من جنود محمد(=الرسول) علي ماء كان أولهم مهـاجراً، وهو أجير لعـمر بن الخطاب والآخر يثربيًـا، توسل كل واحد

منهما عصبيته فقال عبد الله بن أبي بن سلول لمن حوله :"لقد كاثرنا المهاجرون في ديارنا، والله ما أمرنا وإياهم إلا كما قال الأول :سمِّن كلبك يأكلك، أما والله إن رجعنا إلي المدينه ليخرجن الأعز منها الأذل " (تاريخ بن خلدون، الاستيعاب ٥/ ٨) وصلت هذه المقالة محمداً(=الرسول) وكان عنده عمر، فطالب الأخير بقتل إبن أبيٍّ، بيدأن محمداً رفض مقترحه، متسائلاً عن عواقب ذلك، وأضاف بأن الناس ستقول إن محمداًيقتل أصحابه، ثم أصدر أوامره بمغادرة المكان .

هذا الموقف العمري المتشدد، والمرونة المحمدية، دفعت "إبن أُبي " للتوجه إلي محمد (=النبي) منكراً ما نسب إليه، ومكذبًا ناقلي الخبر . وهنا إنتقل محمد (=الرسول) قليلاً نحو عمر، عندما جاء القرآن يكذب إدعاء ابن أبي " في سورة المنافقون ٧-٨ ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾ .ذلك دون أن يصل الأمر إلى حد اقتراح قرآني بقتله وكان ذلك انتصاراً إضافيًا لمحمد (=النبي) فهو إنتراع اعتراف رأس المعارضين (=المنافقين) بخطئه عندما كذب مقالته، ووفر نفوذًا إضافيًا له، ودون هذا الإنذار العمري، ربما كان موقف "إبن أُبي "أقوي .

وبقي موقف عمر هو الصوت المعارض الهادر، فبعد أن قام محمد(=الرسول) بتوزيع غنائم معركةحنين، وخص بها الملأمن قريش، الذين أعلنوا إسلامهم بعد الإستيلاء علي (=فتح)مكة، إعترض ذو الخويصرة التميمي علي قسمة الأنفال قائلاً لمحمد :"أنك لم تعدل اليوم ؟"فاقترح عمر قتله، لكن محمداً (=النبي)كعادته رفض (ابن هشام ٢/ ٤٩٦، الكامل ٢/ ٢٧١) واذا كنا معتادين

علي اعتراضات عـمر علي محمد (=النبي) كثيراً،إلا أنه لم يكتف بالصمت علي هذه القسمة هنا، بل وقف مؤيداً من خـلال تهديده للمعترض، وهذا يدل علي انه كان لديه حس سيـاسي يرشده إلى مواطن الإعتـراض ويبدو أنه كان يدرك أن هذه الخطوة الإسـتراتيـجيـة ضـرورية كون قـريش نفسـها كـانت تقـوم بذلك في نظام الإيلاف . كان هذا النظام يقوم علي تقديم الهدايا والعطايا لشيوخ البدو . او عطاء نسبـة من المكاسب مقـابل حمـاية الطرق التجـارية . وبدون الإلتزام بهـذه القوانين القبلية ما كان للحركة الإسلامية أن تنجح .

واصل عمـر سياسـة التشـدد تجاه زعيم المعـارضه إلى آخـر مدي وفي نفس السيـاق في سنه ٩هجـرية قـام محـمـد (=النبي) بالصـلاة علي عـبـد الله بن أبي فاعتـرض عمر علي مـحمد قيـامة بذلك، مذكراً إياه بمعـارضة إبن سلول وتذهب رواية أخـري إلي أنـه لما أراد مـحـمـد الصـلاة جـاء عـمـر فـجـذبه من الخلف، مستنـكراعليه أن يصلي علي "إبن أُبي " (إبن أبي الحديد المعتزلي ٦/ ٢٣٠) لكن محمداً (=الرسول) قال إنه في الخيار لأن القرآن يقول ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (التوبة) لقـد كان هذا التـصرف السيـاسي الماهر من محـمد (=الرسول) قد ظهر أثره علي التأثير في بني الخزرج، وكـما أعلن محمد لعمر بأنه يهدف من وراء ذلك إلى تأليف بني النجار (ورد في كتاب ابن شبة)ولقد وصلت الرسـالة إلى الخزرج بأن مـحمـد (=الرسول) صـلي علي معـارض (=منافق)مما أكسبه أهمية أضافية، ولهـذا فإنه بقية المنافقين (=المعارضين) رضخوا لهذا الواقع الجديد .

ثم تطورت المراحل فيما بعد وزادت قوة محمد (=النبي) في يثرب حتي لم يعد يقبل تسويات ولهذا جاء نص قرآني ينسجم مع التوجة العمري حيث يقول القرآن في سورة التوبة (٨٤): ﴿ وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ... ﴿٨٤﴾ ﴾ يقول مالك مسلماني في "السيرة المتوارية ١٠٧)كان واضحًا أن عمر صار يدرك بوعيه السياسي الذي كان يتزايد يوما بعد يوم ، الوضع القائم وميزان القوي في هذه المرحلة والأهم من هذا كله وعيه بسلطانه المتزايد علي محمد (=النبي) وتأثيره علي حركة الإسلام، واذلم يقبل محمد ذلك منه فوراً،فراجع إلى تصرف تكتيكي منه، فهو أراد إسترضاء القوة القبلية الثانية في يثرب، وبكل الأحوال فإن تعدد الآراء في هذه النقطة أعطي محمداً (=النبي) فرصة الظهور بمظهر الرحيم خلافًا لعمر وبالتالي كانت العلاقة بينهما تتسم بالكثير من الاحيان بالحاجة المتبادلة إن لم نقل بالتنسيق الكامل " وبعيداًعن الرؤية الاستشراقية لمالك مسلماني نقول إن محمداً (النبي) كان يتصرف بطبيعية الإنسانية بالإضافة إلى الإنتظار لرأي السماء فلم يكن محمداً (=الرسول)بصدد تنسيق أو تبادل مواقف مع عمر في استراتجيات سياسية للسيطرة علي القبائل لصالح الحركة الإسلامية (= المؤلف)

موقف عمر من صلح الحديبية (٦ هجرية /٦٢٨ ميلادية)

رفض عمربن الخطاب الصلح الذي أبرمه محمد (=النبي)مع سهيل بن عمرو موفد قريش _ وسأل محمداً ماأن كانوا علي حق، وأعداؤهم علي باطل فأجابة محمد بنعم، عندها قال له عمر :"فعلام نعطي الدنية " _ ومعني الدنيه هي

الدناءه _ من ديننا ونرجع ولم يحكم الله بيننا وبينهم ؟"لكن محمد أجاب بأنه رسول الله وأن الله لن يضيعة أبدًا " وعندما توجة إلى أبي بكر، والذي لم يكن جوابة مختلفاً عن جواب محمد (=الرسول) وكثيرًا ما طلب أبي بكر من عمر أن يتبع محمد كونه نبيًا (إبن ابي الحديد المعتزلي ١/ ١٤٢) . ويروي أن شخصيات اخري داخل قيادة الحركة الاسلامية (= المجتمع الإسلامي) في يثرب في مواجهة محمد (=الرسول) وأبي بكر تري إن شروط الصلح جائرة بحق المسلمين ويذكرون اسم عثمان بن عفان ضمن هذا التيار (بنت الشاطئ ٤٨٣). ويؤكد مالك في "السيرة المتوارية " :علينا أن نحاول فهم موقف عمر الرافض للصلح . من قول عمر السابق لمحمد (=الرسول) محتجًا : فعلام نعطي الدنية من ديننا، ونرجع ولم يحكم الله بيننا وبينهم ؟" والملامة التي قالها :"ألم تعدنا أنا نأتي البيت، ونطوف به ؟" ونقد أصحاب محمد :"أين رؤياك يارسول الله؟ " (السهيلي ٨١ الجزء السابع _ أسباب النزول للسيوطي ص ٢٣٧) ويري "نلدكه " الباحث الإستشراقي إن القضية لم تكن مسألة أداء عُمرة وإنما كانت حملة بغرض الاستيلاء علي (=فتح) مكة، ويضيف "بيدأن البدو كانوا قد تخلفوا عن تقديم العون له، ولهذا فإنه (محمدًا) فكر بإن من المستحسن عقد صلح الحديبية ، وكانت هذه سياسة ممتازة، وفتحًاحقيقيًا" وإلى هذا تشير الآية : ﴿سَيَقُولُ لكَ الْمُخَلَّفُونَ منَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفرْ لَنَا ... ⑪﴾ (الفتح) .

Geshichte des Qorans p.161.-

-The Historical Development of the Quranp (140).

إذ كانت الحكمة تقضي التوصل لإتفاق يمنح محمداً (=الرسول) مبرراً لتراجعه ولكن بالمقابل فإن الصلح منحه شرعية كبيرة بإنتزاع إعتراف قريش به، فكان هذا مكسبا لا يجوز تضييعة، ولتسوية الأمر مع أتباعه كان لابد لمحمد أن يتوسل السماء دعمًا لقراره، ولهذا نزلت عليه آيات من سورة الفتح فسأل عمر وقتها" أو فتح هو ؟" فأجابة محمد (=النبي) بالإيجاب، وعندما طابت نفسه (صحيح مسلم رقم ٤٥٨٧) كان لابد لعمر أن يقتنع رغم تشدده وهوالذي كاد يتمرد بالسلاح وكان ضروريا أن تدخل البراجماتيه السياسية إلى حيز تفكير عمر لتتغلب أحيانًا علي مواقفة المتشدة والمتصلبة . في وقت كان فيه المسلمون (=المؤمنون) لا يملكون القوة الضرورية لأقتحام مكة . وقد تلقى محمداً (=الرسول) وعداً قرآنيًا بحدوث ذلك في فترة لاحقه ووعداً بالإعداد للهجوم علي مكة ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ (الفتح ١٦) كما أكدأن النهاية المطلوبة :﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ (الفتح) .

وقد اكتسب عمر بهذا الموقف المزيد من البراجماتية والخبرة السياسية وبالمقابل فإن موافقة عمر سهلت علي محمد (=الرسول)إقناع القوات المرافقة له وبكل الأحوال لم يكن أمام محمد (=الرسول) إلا أن يعوض عن هذا الإخفاق الجزئي وعدم الحصول علي غنائم في هذا الحدث فأمر بالهجوم سريعًا علي خيبر، التي قدمت تعويضًا مرضيًا للمسلمين .(إبن هشام ٣/ ٩) .

الإستيلاء علي (= فتح)مكه (٢٠ رمضان ٨ هجرية /يناير ٦٣٠ ميلادية)

كان عمر حاضراً في لحظات الإستيلاء المفصلية علي مكة (=فتح)(*)

(*) يأتي المصطلح «فتح» للدلالة على النتيجة وليس الفعل وهو مصطلح ثقافي للمجتمع الإسلامي الأول الذي فرق اصطلاحيًا بين الحرب غير المقدسة والمقدسة منها تسمى حروب المسلمين ب «الغزوات والسرايا» والتمكن من البلاد عسكريًا ب «الفتح» (=المؤلف).

فعندما كانت قوات المسلمين تزحف صوب مكه، وصل العباس بصحبه أبي سفيان بن حرب فرآه عمر فقال وفي نيته تصفية الحساب معه :"الحمد لله الذي أمكن منك بغير عـهد ولا عقد" ولكن العـباس سبق إلى محـمد (=النبي) قائلا إن أبا سـفيان قادم ليعلن إسلامه(*) (اليعقوبي ٢/ ٥٩) وجاء عمر، فطلب من محمد (=الرسول) أن يقطع رأس أبي سفيان فـاعلن العباس أنه أجاره، بيد أن عمـراستمر يدافع عن رأيه مما أثار عليه العبـاس، الذي قال له بانه يريد ذلك لأنه أبا سفيـان من بني عبدمناف، ولوكان من بنـي عدي (=قوم عـمر)لما كان طرح هذا المقـترح ، رفض عـمر ذلك، وقـال بان إسـلام العـبـاس أحب اليـه من إسـلام الخطاب لو أسلم . (تاريخ الطبـري ٢/ ١٥٧)، الكامل ٢/ ٢٤٤، أبي الحديد المعتزلي ٩/ ١٨٨) أما محمـد (=الرسول)فقد وافق علي إجارة العباس لأبي سفيان في تصرف ستظهر حكمته لاحقًا،ثم أنه جرت بين محمـد وأبي سفيان محادثة، تسـاءل فيها أبو سفيـان عن مصير العزي فسـمع عمر المحادثة، وكان خارجًا فقال "تخرأ عليهـا " فرد ابو سفيان عليه "ويحك ياعمر إنك رجل فاحش دعني مع ابن عمي، فإياه أكلم "(السيرة الحلبية ٣/ ١٨-١٩).

" عمر " وإلحاق الأذى بقريش:

إن الدوافع التي كانت لدي عـمر تجعله يميل لمجابهـة قريش، إلاان جزءاً من المحددات التي كانت تعمل علي مستوي وعيه وهو المحدد القبلي فبقي يشعر بقربه

(*) هناك عدة مصادر لروايات كـثيرة تؤكد أن أبا سفيان لم يعلن إسـلامه وأنه نطق نصف الشهادة «لا إله إلا الله» ولم ينطق النصف الآخر فاضطر محمـد (=الرسول) أن يعلن بيت أبي سفيان - رغم ذلك- داراً للأمان «من دخل دار أبي سـفيان فهو آمن» ويقـال إن ذلك تم بإيعاز من الدولة الأمـوية أي الادعاء أن أبا سـفيـان قـد آمن لكي يتفـوق على أبو طالب والد الإمـام علي وذلك ليعطي مـزية إضافـية لمعاوية عـلى الإمام علي بن أبي طالب بينمـا مصادر الشـيعـة أكدت أن أبا طالب قد آمن لأنه ببـساطة لم يكن وثنيًا باعـتباره حفـيداً لإسماعـيل بن إبراهيم وهذا عكس ما يعتقده أهل السنة والجماعة حتى الآن كما سبق بيننا (=المؤلف).

من قريش رغمًا عن الكراهية التي كان يكنهـا لها وهذا ما تؤكده روايات سيرة ابن هشام منهـا تقول بأن عمر لما سـمع سعداً يقول "اليـوم يوم الملحمة، اليوم تسـتحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشًا" فـإنه طلب من محمد (=الرسول) أخذ الراية منه، أي عزله عن قـيادة الجيش (=أخبار عـمر ٣٩) ومن الصعب أن نري وظيـفة لهذه الرواية وبالتالي لهـا من يصدقها رغم ذلك . ومـا إن إستتب الأمر لمحمـد (=الرسول)في مكه بعـد دخوله السلـمي، حتي قـام باتخاذ الإجـراءات الضـرورية للحفـاظ علي الوضع القائم بظل الخضـوع للحركة الاسلامية (المجتـمع الإسلامي) ، وكانت من جمله الإجراءات التي اتخـذها هو فرضه علي القرشيين إعلان الخـضوع، فجاءت نساء من قريش لمبايعة محمد (=النبي) فطلب منهن وعوداً، وقال في سياق حديثه لهن :"ولا تقـتلن أولادكن" فـقالت له هند بـنت عتـبه (=زوج أبـي سفـيان) قـد ربيناهم صـغـاراً، وقتلتـهم يوم بدر كـباراً، فـأنت وهم أعلم. فـضـحك عمـر بن الخطاب من قـولها حتي استغـرب (=ضحك بشـدةحتي كاد أن يقع عـلي ظهره) ويبدو انه يشير إلى حاله السرور التي أدخلهـا علي قلبة تذكر مأساة قريش، وبذلك لا شعور عمر يكشف عن فرح بكسر شوكـه قريش، وهو أبعد من مسألة العقيدة . بل يتعلق بجذره الإجـتماعي فموقـفه نحو قريش كان مـحكومًا يتناقض وجداني، فهو إذ رفض أن يلحقِ يثربي أذي بقريش إلا أنـه كان يبهجه أن يكون ذلك علي يد أحـد المهاجـرين . (السـيرة المتـوارية ١١٢) (تاريخ الطبـري ٢/ ١٦١، ابن أبي الحـديد المعتـزلي ٩/ ٢١٠، البداية والنهاية).

ختام العلاقة مع محمد (=النبي):

عشيـة وفاته في صفـر (١١ هجرية م ٦٣٢ ميلادية) وتقـول الروايتان أن أوامره بتجهيز حمله بقيادة أسامة بن زيد، وتقول الروايتان أن محمداً أمر بتوجيهها

إلي أرض البلقاء وقـد ضمت كبار الشـخصيات القـيادية في الحركة الإسـلامية بما فيهم أبابكر، وعمر، وأبا عبـيدة بن الجراح وغيرهم من الرعيل الأول من المسلمين (=المؤمنين) (اليعقـوبي ٢/ ١١٣، الكامل ٢/ ٣١٧) (ابن الحـديد المعتـزلي ١/ ١٢٤) وبقيت القـوات في الجـرُف، وتأخرت لأن ثمـه من اعتـرض علي تكليف أسـامـه قيـادة زعامات الحركة الأسلامية، لكن محمداً (=النبي) شدد غاضبًا علي تنفيذها، إلا أن الحمله تعثرت مجـدداً بسسب الأنباء التي كات تتري بأن محمداً يحـتضر، وقيل أن أسامة توجه ومـعه أبوبكر عمر . وبينما هم مستعـدون للإنطلاق وصل خبر رحيل محـمد (=بـني الاسلام) (ربيع الأول ١١هجـرية / يونيو ٦٣٢ مـيلادية) فـرجع أسامه مع الزعـيمان (ابن أبي الحديد المعتزلي ١/ ١٢٤-١٢٥) . وفي غضون ذلك إقترح العباس عـلي "علي بن أبي طالب " مبايعتـه قائلاً له بأن الناس ستقـبل الأمر لأنهم سيقولون عم محمد يبايـع ابن عم محمد، لكن عليا أثر التريث، قائلاً :" أو يطمع ياعم فيها طامع غيري " وما هي إلا سويعات حتي جاءت الأخبار باجتماع السقيفه وانه تمخض عن تسلم أبي بـكر القيـادة، فشـعـر " علي " بالندم (إبن الحـديد المعتـزلي ١/ ١٢٥ -١٢٦ _ ميلاد الدول الاسلامية ص٥٩-٦١).

إن خبر تجهـيز حملة عسكرية أثارت الرأي القائل بأن مـحمداً (=النبي) أراد إبعـاد الشخـصيـات البارزة في الحـركة الاسـلامبـة تمهيـداًلخلافـة "علي " والرواية بصيغتـها المختلفة ضعيفة وتـفتقد لقوة الإقناع، فبناء علي المعطيات التـاريخية كان عمر شخصية صلبة، يصـعب علي أحدهم أن يقصيه من أجل أي مخطط بالإضافه إلى أن أبا بكر كـان الشخـصـية ذات الأهمـية الكبيـرة بعد مـحمـد (=النبي)(*)

(*)إن اعتـبار أبي بكر هو الشـخصية ذات الأهمـية الكبـيرة بعد مـحمـد (=النبي) هي رؤية لأهل الجمـاعة والسنة حـيث أن مدرسـة أهل البيت (=الشيـعة) يرون أن علي بن أبي طالـب لا يدانيه قيمة ولا فضل ولا أهمية فقهية وعلمية أحد من الصحابة وهو لديهم أعلى بكثير من مجرد قيمة الصحابي ويرون أن الأهمية لا تقررها الروايات وإنما المؤهلات فضلاً عن كون عليًا من آل البيت (=المؤلف).

وبالتالي لـم يكن وارداً أن كانت فيـه الحركـة الإسلاميـة (=المجتمـع الإسلامي) لـم يكن يسمح مـوضوعياً بانتـقال وراثي للسلطه، كون السـلطه لم تتكون بعد، وهذه المسأله لن تكون متاحة إلا بعد سنوات من حكم معاوية ابن أبي سفيان .

وخلال السنوات التي قضـاها عمر مع محمد (الـنبي) لم يسجل لنا التاريخ انه بعث قائداً لحملة عـسكرية، لا هو ولا أبو بكر ولا أي من الشخصيـات الكبيرة في الحركة الاسلاميـة، ومشاركتة العسكرية (=عمر) كانت مـقتصرة علي المعارك الأساسية (بدر، أحد، الخندق)

أن الأهمية التي يتمتع بها عمر، إلى جانب الشخصيات الأخري،جعلت من غير الممكن أن تقود حملة صغيرة هنا أوهناك . فعمر أكثر أهمية من أن يزج بحملة صغيرة، ولا حقًا سيكون كذلك حاله فترة حكم أبي بكر .

سطوة عمر النفسية، علي محمد (=الرسول)

أحـد أخطر الحـوادث التي أظهرت مـدي قـوة وسيطرة وسطوة عـمر تجـاه تحريك الأحداث حتى أنها جعلته في موقف "مسير الأحداث " هو موقف عمر من محمد (=الـنبي) الذي كان علي فراش الموت . فالروايات تتحدث عـن أن محمداً أراد أن يكتب كتابًا، بيد أن عـمر بن الخطاب منعه، وتضيف الرواية (طبقات أبن سعد ٢/ ٢٤٢-٢٤٥) انه طلب عـدم الإستـجابة لطلب الـنبي (=محـمد) كـونه يهجـر(*) (=الهجر معناها الحلم والهذيان كما وردت في لسان العرب . مادة : هجر).

(*) هذه الرواية يعتبرها الشيعة منتهى الفحش وعدم التأدب مع الرسول وأن لو أحداً غير عمر قالها لما تسامحت معه أهل الجماعة لذا فقد ضعف البخاري الرواية منعًا لإساءة عمر الأدب مع النبي في فراش المرض والموت في الوقت الذي تؤكد روايات الشيعة هذه الحادثة (=المؤلف).

إن السياق التاريخي الذي لدينا يجعل هذه الرواية رغم تواترها في المصادر الإسلامية الأولي وفي أقدمها (طبقات ابن سعد)وربما في ذلك المصادر السنية المعتمدة، وأكثرهم ثقه لديهم (=البخاري) يجعل هذه الرواية مختلقة أي منحوله وغير حقيقية .

ورغم ذلك التواتر فقد لجأ ابن أبي الحديد (القريب من الشيعة) لتلمس تفسيراً لايتعارض مع القصة، وبالمقابل لا يلحق إساءه في حق عمر فقد جعل تصرف عمر وكلماته تعود فقط إلى جفاء وخشونه غريزية ولم يتحفظ منها . ولكن لكي يكتمل الإختلاف كان لابد من إيجاد شخصية كبيرة لها كاريزمية مثل عمر بن الخطاب . وبذلك أصبح عمر هو المتهم الأول في منع انتقال الخلافة للوصي المفترض (=علي بن أبي طالب)(*)، وعلي هذا تأسست حالة العداء لعمر التي يجدها في مختلف أطياف الفرق الاسلامية التي تتبنى نظرية الولاية واذا كان هناك مبرراً لهذا الاختلاف من قبل الراوي الشيعي، لسبب نظرية الإمامة، فإن العقل السني قد قبل بها، في زمن التدوين، ومن أجل أن يثبت حق الوراثة في السلاله الحاكمة: أمويًا وعباسيًا ومن هنا فإذا كان العقل السني يرفض وضع عمر في قفص الإتهام، إلا أن قبل تهمته إساءة عمر لمحمد (=الرسول) من أجل أن يؤسس لمماثلات سابقة لموضوع الوصاية والخلافة . وبغض النظر عن أن التدوين

(*) نال «علي» الوصاية والولاية في حضور ١٠٠ ألف حاج في حجة الوداع عند بيعة الغدير عند بئر «غدير خم» وجاء ذكرها في البخاري لدى أهل السنة وفي الكافي لدى الشيعة حيث أكد محمد أن عليًا ولي المؤمنين ووصية على الرسالة من بعده وأكدها «ألا من كنت مولاه فإن عليًا مولاه اللهم والي من والاه وعادي من عاداه» ولكن الأحداث أخذت مسارها الآخر في إمامة أبي بكر الصلاة فترة مرض محمد ثم ما حدث بالسقيفة أيضًا أثناء دفن علي لابن عمه محمد (=المؤلف).

كان في عهد العباسيين، العهد الذي عول علي نظرية القرابة تبريراً لثورته وتسويغًا لقيام حكمه . إلا أن العقل السني إذ أخذ بها _تبريراً لمبدأ الوراثة لا أنه لم يكن متسقًا مع نفسه (=السيرة المتوارية ١١٦) فقام رواه منهم بالرد علي هذه الرواية برواية مضادة تحاكيها وتقول بان محمداً (=النبي) أراد الكتاب من أجل أن يوصي بالخلافه إلى أبي بكر، إذ "يأبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر " حسب ما تنسبه إليه هذه الروايات . وفي رواية أخري دعا محمد عبد الرحمن بن أبي بكر وطلب منه "كتفًا " (=لوح كتابة) من أجل أن يكتب لأبي بكر كتابًا لا يختلف عليه، وتقول إحدى الروايات أنه طلب من عائشة (=أم المؤمنين) دعوة عبد الرحمن بن أبي بكر ثم عدل عن رأيه وقال لها :"معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر " (طبقات ابن سعد ٣/ ١٨٠-١٨١) .

وإلى موقف آخر يظهر مدي التناقض الوجداني في شخصية عمر .

موقف عمر من رحيل محمد (=النبي) :

عندما شاعت أنباء موت النبي (=محمد) كانت ردة فعل عمر هي الأبرز إذ رفض الخبر، وقال :"إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفي، وأن رسول الله - والله - ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسي بن عمران، فغاب عن قومة أربعين ليلة، ثم رجع بعد أن قيل قد مات . والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال، وأرجلهم يزعمون أن رسول الله مات، ولم يكتف (تاريخ الطبري ٢/ ٢٣٢، الكامل ٢/ ٣٢٣،ابن سعد ٢/ ٢٦٦-٢٦٧) برفض حقيقة موت محمد (=الرسول) والإشارة لغيابة مثل غياب موسي، بل كان يتوعد وحتي أنه ضرب كل من قال بموت محمد . (ابن أبي الحديد المعتزلي ١/١٣٨-١٣٩) وكما روي في (الشهرستاني ١/ ١٧) ان عمراً قال من قال إن محمداً قد مات، قتلته بسيفي هذا،

وانما رفع كما رفع عيسي عليه السلام (=يسوع المسيح) ولعل تواتر هذه القصة في المصادر السنية وهذه الرواية تنهض كإشكاليه وعلينا أن نتلمس تفسيرها فهل يجب أن نرفضـها علي أسـاس أن لعمـر فقهًـا وعقـلاً، ولا يمكن له أن يظن أن محـمداً (=النبي) يبـقي في أمتـه، ويعـيش إلى الأبد، وهو قـارئ للقـرآن(*)، يعي بشـرية محمد (=النبي) (أخبار عمر ص ٤٧) .

إن هذا الشك بصحـة الرواية مشـروع، لكن التـواتر وفي المصـادر السنيـة بالتحـديد، يدفع بنا للبحث عن التـفسيـر لها، إذ لايبدو أن هذا التـفصيل مـحاولة تقليل من شـأن عمـر، لأن ترددها علي مسـامع المسلمين (=المؤمنين) وعلي مـدي القرون، لـم يجعل عمر أقل أهمية للسنة . وبـالتالي هناك سؤال يفرض نفسه يتعلق بوظيـفه الـرواية وما يجب أن تؤديـه في حال كـانت مـصنوعة ووظـيفـة الروايات تاريخيًا هو وظيفة سيـاسية بامتياز (السيرة المتوارية .مـالك مسلماني ص١١٨) وبما اننا لـم نجد وظيـفه لروايتنا هذه من ناحية السـياسة خاصـة في سياق الصراعـات الداخلية (هاشمي _أموي) ولاحـقًا (هاشـمي _ عـباسي) وغـيـاب التوظيـف السيـاسي أوالديني لها كما هو ظاهر في بعض الراويات، والرواية السابقة على سبيل المثال بصدد قصة كتاب محمد (= الرسول) المزعـومة . وهذا الغياب للوظيفة السياسية يجعل هناك مـيل للأخذ بواقـعية الحـدث وهناك من له تحفظ بأنه لا يمكن لعـمر أن يعبر عن رفضه بهذه الطريقة الإنفعالية .

وان كان هناك تفاسير لموقف عمر من موت النبي (=محمد) .

(*) ربما عكست هذه الواقعة ضعف دراية عمر بآيات القرآن كـما يؤكد المستشرقون وتكرر الموقف في مواطن عديدة بنفس الأسلوب حـتى إن امرأة أصابت في الفقه والقرآن أمـامه وأقر بأنه أخطأ وقال أصابت المـرأة وأخطأ عمر. ثم أن الخلفاء الثـلاثة استعانوا بعلي بن أبي طالبٍ فـي القضاء والفقه وفهم القرآن إذا كان هو الوحيد بينهم الذي يعرف أماكن وأسباب النزول (=المؤلف).

١- التفسير السياسي

خشية عمر من وقوع الفتنة في القيادة و خوفه من حدوث ردة في الإسلام والإسلام لم يزل ضعيفًا بعد ثم أنه كان لديه مخاوف من إنبعاث قضايا الثأر بين الناس، و لهذا كانت المصلحة العامة تقتضي تسكين الناس بأن أظهر ما أظهر من كون محمد (= الرسول) لم يمت و أوقع الشبهة في قلوب المسلمين، و يعتقد ابن أبي الحديد بأن ذلك كبح كثيراً من المؤمنين عن القيام بأعمال شغب كما يحدث عند موت الملوك حيث تعم الفوضي فكذلك أظهر عمر ما أظهر حراسة و حماية للدين و الدولة الوليدة إلي أن جاء أبو بكر و كان غالبًا بالسنح و هو منزل بعيد عن المدينة فلما إجتمع بأبي بكر قوى به جأشه و كان أبو بكر محببًا للناس لا سيما المهاجرين (ابن أبي الحديد المعتزلي ١/ ٢٨٧-٢٨٨) وخاصة أن ساعة وفاة محمد (=النبي) لم تكن المعطيات قد تبلورت بعد عن الاتجاه الذي ستسير إليه الأمور، كما لم تكن مسألة تولية أبي بكر الخلافة أمراً مؤكداً، فكيف كان سيمهد عمر لأبي بكر الدرب ؟ والأهم أن الحركة الإسلامية لم يكن لها وقتها مؤسسة حكم متبلورة فما زالت العلاقة هي علاقة قائد إذ أن الناس كانوا ينفذون الأحكام عن إقتناع بوحي السماء و ليست بقوانين دولة وضعية و لا يملك الحاكم (= النبي) سحب أو تعذيب أو قتل من يخالفه لأن طاعته مربوطة بالإيمان و ليس بوثيقة عقد إجتماعي سياسي ملزم كما هو في الحكم السياسي والذي مارسه الخلفاء والملوك والسلاطين من بعده (= المؤلف)

٢- التفسير الديني

ارتباط موت النبي بفكرة بعض الأنبياء الذين رفعوا إلي السماء و لم يعودوا للأرض مرة أخرى قد تكون تفسيراً دينيًا لموقف عمر .

وفي (السيرة المتـوارية ص ١٢٠)إن الباحث الإستشراقي " كـازانوفا " كان يري أن محـمدًا (=- الرسول) . " كـان يؤمن بثبات و يعلم بأن مـجيئـه، و نهاية العالـم مرتبطان سـببيًـا . و أنه يجب أن يشهـد الدمار النهـائي قبل مـوته، و يلمح كازانوفا إلي أن ردة فعل عمر من موت محمد تعود إلي هذه العقيدة فيقول : "ومن المعروف كذلك أن أدني أتباعه آصرة رفض في البدء تصديق نبأ موته "

Mohammad et la fin du monde

ونحن نرى (= المـؤلف)ان كـازانوفـا لـم يوفق تمامًـا في رأيه بـرغم أنه من المؤكـد إطلاعه علي القـرآن ويعلم أيضًـاان المزيد من الآيات في وقت مبكر كـانت تري أن محمدًا (= الرسول النبي) سوف يموت مثـلما يموت البشر لأن حياته مثل حياة البشر . " و ما أنا إلا بشر مثلكم يوحى إلي " " وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فـهم الخالدون "(*) و إنك مـيت وإنهم ميـتون " و في خطبـة الوداع التي تشابه مـوعظة الجبل التي ألقاها يسوع المسـيح (= عيسى) علي تـلاميذه .. حين قال النبي (= محمد) : تركـت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا " و لـم يدع محـمد (= الرسول)ان معني «بعـدي» أنه ذاهب في مجهـول التاريخ والزمن ويعود في آخر الأيام أو أن نهايته مرتبطة بنهاية العـالم و إنما ربما ما فهمه " كازانوفا " بطريق الخطأان إرتباط رسالة مـحمد بنهاية العالم و ليس شخص محـمد و عمره الزمني علي الأرض فلم يدع أن الدنيا تنتهي بنهايته كما أنه رفض أن يفهم أصحابه

(*) هذه الآية القرآنية تنفي صعود أحد للسماء حيًا قـبل محمد كما يؤكد بعض المستشرقين ويعني ذلك انطباقهـا على حالة يسوع المسيح (=عيسى) الذي ترى الروايات (وليس الـقرآن) أنه صعد حيًا للسماء وسوف يعود في نهاية الزمان مع المهدي (عند السنة) أو المهدي المنتظر (عند الشيعة) (=المؤلف).

(=حواريوه) يوم وفاة إبراهيم ابنه حين حدثت خوارق طبيعية بمحض المصادفة ربما كانت كسوفًا للشمس كما تقول الروايات فنفاها محمد (= النبي) و قال إن القمر والشمس لا تكسفان و لا تخسفان لموت أحد ".

ويضيف الباحث الغربي " كازانوفا " يبدو أن هذه المسألة كانت تجول في أذهان أتباع الأديان الأخرى، ففي كتاب عربي منحول من مصدر قبطي " لقد قيل لنا بصدد أخنوخ (إدريس) و إيليا (إلياس)، اللذين صعدا إلي السماء بدون أن يموتا في يوم العلق و الخوف والضيق، و في عمل قبطي آخر " تاريخ مريم النائمة " نقرأ الكلمات التالية : و لابد لهما (أخنوخ و إيليا) أن يذوقا الموت " كما كان يسوع (= عيسى) يبشر و ينصح أتباعه بالتوبة لأن ملكوت الله قريب (متي/١ ١٤-١٥، ١٧/٤)

ويضيف كازانوفا : لا شك أن محمداً وقد سمع هذه الأفكار، وكان متأثراً بهذه الرؤي، حيث ورد في القرآن مرتين " كل نفس ذائقة الموت " (آل عمران ١٨٥/٣)

ويقول مالك مسلماني في السيرة المتوارية ص ١٢١ : " و إذا ما أخذنا بعين الإعتبار وجود المؤثرات اليهودية في فكر عمر فإن موقفه لا يكون مناط إستغراب، ذلك أن في الفكر اليهودي رؤية تفيد بأن المسيح خالد، لا تطاله يد الموت (يوحنا ٣٤/١٢) و شيوع هذه الفكرة جعلت معاصري يسوع يعتقدون أن تلميذاً محبوبًا ليسوع (= عيسى) . ربما كان يوحنا _ لا يموت، و قد أحدث موت التلميذ (=يوحنا) لاحقًا صدمة في نفوسهم .

تفسيرات ما قبل الإسلام (= الرجعة)

هناك تفسير ينطلق من عقيدة كانت منتشرة بين بعض عرب قبل الإسلام التي تقول بالرجعة أي الرجوع إلي الدنيا بعد الموت ثمة رأي يعتمد علي مأثور إسلامي قاله الباحث الغربي " ويرى " بأن محمداً قد تنبأ بأنه سينهض من الموت خلال ثلاث أيام، وان هذا التنبؤ قد يفسر موقف عمر من موت محمد و أنه لهذا السبب، فإن جثمان محمد دفن بدون غسل . (الإسلام والمسيحية ص ٣٥١)

NOTE QUATED BY WHERRY , 35- VolI .ISLAM AND CHRISTIANITY

وفي نظرنا (= المؤلف) هي رواية مردودة و غير مشهورة في المأثور الإسلامي السني و غير معروفة و إن كانت هي المؤسس لمفهوم " الغيبة" في الفكر الشيعي الذين يرون أن الإمام لم يمت حتي وإن رأته العين وهو يموت أو يقتل وأن هذا مقصور علي الإمام الغائب في الفكر الشيعي و ليس شخص النبي (=محمد) .

إقرار عمر بموت محمد (= النبي)

وصل أبو بكر بعد وصول نبأ موت محمد، فذهب إلي بيت النبي (=محمد) حيث قام بمعاينة الجثمان، ثم خرج للناس طالبًا من عمر الصمت، والذي استمر في لغطه، فتوجه أبو بكر للناس ملقيًا عليهم كلمة هدأ من روعهم فقال : أيها الناس، إن من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت " ثم أضاف لحديثه نصين قرآنيين ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)﴾ (آل عمران) ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ... (٣٥)﴾ (الأنبياء ٣٤/ ٣٥).

وتذكر رواية ثانية أنه أستشهد بآية قرآنية أخرى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١)﴾(الزمر).

ما إن سمع عمر تلك النصوص القرآنية حتي أقر بحقيقة وفاة محمد و وقع علي الأرض لا تحمله رجلاه، و الأشد غرابة ما ورد بالطبري (٢/ ٢٣٢- ٢٣٤) أن جماعة من أصحاب محمد أكدت جهلها بالآيات المستشهد بها و قالوا أنهم لم يكونوا علي علم بها حتى قرأها أبو بكر بقولهم " و كأنها ما نزلت قبل اليوم " (كتاب العواصم من القواصم) و هذه القصة جعلت باحث مستشرق " يميل إلي تبني أن أبي بكر إختلق هذه الآيات بينما ذهب نقاد آخرون مثل " نلدكة " و "موير" و"سيل" إلى رفض هذا الرأي .

The historical development of the quran p.122

الفصل الرابع

بولس مع المسيح

(ذلك افضل جداً)

إذا كانت علاقة عمر بن الخطاب مع محمد (= النبي) علاقة فعليه وارتباط شخصي وإنساني وروحي باعتبار محمداً (=الرسول) كان القائد الروحي لعمر وباعتباره كان النبي والرسول مستلهم وحي السماء وكم تمني محمداً أن يكون عمر ضمن طائفة المؤمنين برسالته (حسب الروايات) ورأينا في الفصول السابقة كيف آمن عمر ودخل ضمن طائفة المؤمنين في وجود وعهد وعلي يدي محمد نفسه وهو ما دون تاريخيًا وثابت بتواتر الرواة والشهود وكتاب السيرة إلا أن روايات شاول الطرسوسي (=بولس) عن إيمانه لم تؤيدها أية روايات أخري برغم أن شهود واقعة ظهور المسيح يسبوع (= عيسي) له في الطريق إلى الشام في وضح النهار يصل عددهم إلى حوالي خمسائه في أحد الروايات ورغم ذلك لم يتطوع أي منهم لإثبات الرواية(*).

ولعل مدلول هذه المقارنة تكون موضوعًا لنا حين نناقش شخصيتي (عمر وشاول) بين التأمثل والتأبلس أي بين التصورات المثالية والتصورات الشيطانية عن الشخصيتين ولم يمنع الأمر من هجوم الكثير من علماء النقد المسيحي بأدلة

(*) هذا ليس تشكيكًا في رواية بولس بقدر ما هي مقارنة بين الحدثين الكبيرين في كلا الديانتين فقط (=المؤلف).

تاريخيـة قوية علي هذا المسيـح التاريخي وقد بدأت في أواخـر القرن التاسع عـشر الميـلادي، وازدادت توهجًـا في مطلع القـرن الواحـد والعـشـرين وقـد نشب هذا الصـراع بين علماء المسـيـحيـة في الغرب حـول مـا يطلق عليـه المسيح التـاريخي (=عيـسى بن مريم الإسـرائيلي المولود من عذراء بدون أب في فلسـطين) وبين ما يطلق عليـه المسيح الكوني (مسـيح الإيمان الذي نادي به بولس) وكانت المفـاجأة المذهلة هو توصلهم لعدم وجود مسيح تاريخي بل تخلو المصادر التاريخية منه ومن ذكـره وكذا خلـو المصادر المسـيـحيـة في القـرون الثـلاثه الأولي ومن قـبل تدوين الأناجـيل عمـومًـا ومن ضـمنهـا الأناجـيل الأربعة القـانونيـة التي بين أيدي الناس ونزلت أبحاثهم بالمسـيح التاريخي من عالم البشـر إلى عالم الأساطير وهـو نفسه المسـيح الذي لم يقـابـله بولس (= شـاول الطرسـوسي) المسـيح النـبي ذلك النبي الإسرائيلي الذي قال لقومه من بني اسرائيل كما جاء في يوحنا (٨ : ٤٠) "انا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سـمعه من الله " أمـام مسيح بولس فهـو " اللوجوس " أي الكلمة في الكتابات اليونانية المسيحية .

يقول جمـال شرقاوي باحث مقارنات الأديان :إن المسيح الكوني هو نـتيجة طبيـعيـة للتلاقح بين اللوجـوس المذكر والشكينة المؤنثـة في كتب اليـهودية (يسوع النصراني ص٨)

ويضيف جـمال : ومـعلوم عن الجمـيع أن من أحب شخـصًا سعـي إليه في موطنة ليلقاه فـإن لـم يجده فربما وجد من رآه، فإن شق علية الأمـر من بعد الغياب فما عليه إلا تجمـيع أقواله ومحاولة فهمها بلغة الحـبيب ولسانه الذي كان يتكلم به لعله يظفر بما يريد " وذلك مالم يفعله بولس (=شاول) اذ لم يعتمد اللسان الآرامي في تحليل تاريخ وكلام وسيرة يسوع المسيح (=عيسي) وحوارييه.

ويضيف جمال (نفس المرجع السابق) :"والدين الصحيح دائما وأبدًا يكون واقعًا وعمليًا يري فيه الذكاء الإنساني والإيمان الإلهي يعملان جنبًا إلى جنب في توافق واستمرارية وكما قال المسيح في إنجيل يوحنا (٣٢:٨) :" إنكم إن ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونوا تلاميذي، إبحثو عن الحق والحق يحرركم " كأنه قد علم بما يحدث للأتباع من بعده، فطالبهم بالتمسك بكلامه هو لابكلام الآخرين . وطلب منهم البحث عن الحق فهو وحده الكفيل بفك قيود الذكاء الإنساني والإيمان الإلهي . ومعلوم أن المسيح كان يبلغ رسالته إلى قومه بلغه آرامية بسيطة سهلة، يفهمها عامة الناس في فلسطين علماءهم وجهلاءهم مستعملاً في ذلك القصص والأمثال والصور الحسية في إيصال ما يريد تبليغه إلى قومه . ولم يثبت عنه ولا عن تلاميذه أنه قد تكلم اليونانية فلكي يتعرف الإنسان علي الديانة المسيحية الحقه لابد له أولاً أن يتعرف علي المسيح وأقواله وليس العكس

فعلي سبيل المثال نجد أن معظم المسيحيين العرب يعتقدون أن بني اسرائيل في زمن بعثة المسيح في فلسطين كانت لغتهم هي العبرية وهذا خطا جسيم متمسكين به رغم أن المكتشفات الأثرية الحديثة للتاريخ القديم أثبتت أن لغة المسيح وقومه كانت الآرمية وليست العبرية ونجد صدي ذلك في انجيل يوحنا (١٩:٢٠) من الترجمات العربية . أما عن الترجمات الإنجليزية فقد ظهرت في الأسواق بعض الترجمات التي أصلحت هذه الخطأ نجد مثلاً في نسخة الملك جيمس المعتمده (kJv) كلمة في نص يوحنا السابق تم إصلاحها في نسخة (niv) الانجليزية أيضا فظهرت لنا كلمة الآرامية بدلاً من العبرية المزعومة .

وشهدت الآثار وكتابات البحر الميت التي يعود تاريخها إلى عصر المسيح والترجوم الفلسطيني الآرامي الذي كان معمولا به في فلسطين من قبل ومن بعد عصر المسيح إضافة إلى كلمات آرامية كثيرة في الأناجيل اليونانية كل تلك الكتابات والآثار تشهد علي لغه المسيح وقومه كانت الآرامية موافقه لما جاء في نسخه (niv) الإنجليزية . والملاحظ أن الترجمات العربية بعيدة كل البعد عن أمثال تلك الإصلاحات الجديدة الصحيحة حيث لايصحح مترجموها أمثال تلك الأخطاء التي تقلب المفاهيم رأسًا علي عقب ولذلك فإن بالبحث عن يسوع أو Jesus لن يجدي فليس لهما وجود في زمن بعثة المسيح و انما هناك عيسي(*) فقط وكذلك البحث عن كريستوس أو christ لن تجد لها وجوداً في الآرامية وانما هناك مسيح أو مسيحا وكذلك لن يكون هناك ابن الله فلن تجد سوي ابن الإنسان (يسوع النصراني ـ جمال شرقاوي ص١٥،١٦) وخروجًا من هذه التفرعات التي لابد منها قبل أن نعرج إلى قصة بولس (= شاول) مع المسيح رغم انه لم يكن معاصره علينا أن نعرف أهم خصائص شخصيته كما شاهدنا ذلك عند دراسة شخصية عمر .

بولس الفريسي:

بولس هو شخص مزدوج الثقافة و يظهر ذلك من اسمه المزدوج بولس الطرسوسى فى الإمبراطورية الرومانية ـ شاول فى أورشليم أول ملوك اسرائيل من

(*) في الترجمة اليونانية ISU أو بتصحيف عربي تصبح «عيسى» وفي ترجمة «الإنجيل الشريف» عن اليونانية بأخذ يسوع المسيح اسم «عيسى» ويوحنا المعمدان اسم «يحى المغطس» أما الإسم يسوع فهو ترجمة للإسم العبراني «يشوع» وبما أن الأناجيل بدأت باللغة اليونانية فإن الترجمة للإسم «عيسى» هي الأقرب للآرامية أيضًا وليس «يسوع» (=المؤلف).

سبط بنيامين-وشـاول (بولس) هو أيضا بنياميني و اسم "شـاول "الذى يعنى" سائل" أو ساول أي الذى يسأل أو محب للمعرفة (saul)

وكان فى زمن يسوع وما يليـه بفترة قليلة كان اليهود فـئات وكان اتجاهاتهم إما جليـلى قومي _ أو الصاوقـي الأرستقـراطى المحافظ والمنتـمى لجمـاعه قـمران المنعـزله_ أو الفـريـسى الخبيـر بالتـوراه ويقـول دانيـال مـرجـيـورا فى (بولس الطرسـوسى١٨-١٩) يجب قـبـل كل شىء أن نتـخلص مـن الصـورة السلبـيـة عن الفريسـيين التى نقلتها الأناجيل الـتى تم تحريرها فى وقت متأخـر ففى ذلك الوقت قاد الفريسيون العداء ضد الكنيسة.

و" الفريسـيـة "هى حركـة دينية(*) تكونت من اتقيـاء يرغبون أن يعيـشوا فى إيمانهم بكل اخـلاص من كل قلبـهم وأن يحـافظوا على أدق ترتيـبـات الشريعـة و يمكننا أن نشبهـهم اليوم بالمسيحيين المحـافظين (=ربما يقصد الأرثوذكس= المؤلف) أشد ما كان يحرص عليه هـؤلاء هو أن يظلوا طاهرين و بالتالى ابتعدوا عن كل ما هو نجس و عن لمس المرضى و عن مخـالطة الاشرار و الاستسـلام للأفكار الشريرة حيث تقول إحدى حكمهم "و لا تشارك الشرير فى أى شىء"

بولس المجاهد:

كان بولس أحد هؤلاء المحـافظين على الشريعـة بدقة تثيـر الاندهاش ويعلن

(*)تتشابه حركة الفريسيين تمامًا مع حركة السلفية الإسلامية التي تفهم الدين على أنه إغراق وتشدد في العـبـادات وتصوراتهم عـن الله أغلبـها يشـوبهـا التـضليل بأن الله يعطي أهمـيـة للمناسك والعبادات ويحاسب بكثرتها ويشعرون دائمًا أنهم مقصرين في الأداء الديني وأن الإله يحاسبهم بالقطعة فتجد في الفريسي تدين قوي وقلب غير نقي غـير متبرر بالإيمان وإنما بالأعمال فقط وقد عادوا من سبي بابل قبل ظهور المسيح بحوالي أربعمائة عام إلى القدس (=المؤلف).

عن ذلك بامتنان وبدون تواضع زائف: "ومن جهة الختان مختون فى اليوم الثامن من جنس اسرائيل من سبط بنيامين عبراني من العبرانيين، من جهة الناموس فريسى، من جهة الغيرة مضطهد الكنيسة. من جهة البر الذى فى الناموس بلا لوم" (فليبى ٣ :٥-٦)

يقول مارجيورا (كتاب الرجل الذى قاوم الله ١٩ -٢٠). "يتضح من طريقة التقديم ذاته أننا أمام محارب متمرس في التزاماته الفريسية وواع بانجازاته هذا المحارب هو نموذج مثالي لعصره. أدي السلام الذي ساد ربوع الأمبراطورية أيام أوغسطس إلى ازدهار التجارة والأعمال وكانت كلمة الجهاد (آجون) للوصول إلى أفضل المناصب هي شعار العصر ويحتل بولس مكانة عالية بانجازاته وهو يعرف ذلك جيدًا لم يتلق بولس تكوينة الفريسي في طرسوس لأنه في ذلك العصر لم تكن توجد جماعات فريسيه خارج فلسطين وقال هو عن نفسه في (أعمال الرسل ٢٢:٣) " أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكية ولكن ربيت في هذه المدينة مؤديًا عند رجلي جمالائيل علي تحقيق الناموس الأبوي " و هى الراوية التى أنكرها عالم تاريخ الأديان بالسوربون د. شارل جنيبير بأن بولس لم يقابل جمالائيل مطلقا لأسباب منطقيه نراها فى حينها قال عنه(لوقا كاتب اعمال الرسل) وأشهر الربيين فى ثلاثينات القرن الاول الميلادى "نال بولس تكوينه على أى حال" فى اورشليم قبل أن يبلغ الخامس و العشرون عاما من عمره و هناك مارس نشاطه كفريسى-و كان ناسج خيام(*)-حيث اشتهرت طرسوس بزراعة الكتان -ومارس بولس هذه المهنة اثناء اضطلاعه بالرسالة تحول الرجل الحضرى المتفتح الافق إلى محارب فى

(*) أكد ذلك أيضًا ما ورد في كتاب «بولس الرسول» للأب العظيم متى المسكين (=المؤلف).

سبيل قناعات أقوى ولكنها أضيق أفقا، تطفو قناعاته الفريسية على السطح فى مسائل معينة _لا كبقايا أو زوائد يتخلص منها، بل كعنصر مكمل لإيمانه الجديد،كثيرا ما يكون التغير نظرة جديدة لذات الأشياء. (نفس المرجع ص٢٠)

معنى اهتداء بولس (=شاول)

عندما تكلم عن اهتداء نفس نتخيل كيف انتقل إنسان من الرذائل إلى الفضائل من الشر إلى الخير_من الظلام إلى النور وكيف خرج من دين إلى دين لنجد أنه لم يحدث إطلاقا شيء من هذا القبيل مع بولس وأن حدث بشيء من التصرف مع عمر بن الخطاب-إذ أن شاول (=بولس) لم يترك الرذائل و ينتقل إلى الفضائل_انه انسان يقال عنه أنه ناجح فى حياته مواطن عالمى مندمج فى أعلى درجات الثقافة فى الإمبراطورية الرومانية. بولس الطرسوسى هو مثال الفريسى الناجح .محاور رائع.يحفظ التوراه فى ترجمتها السبعينية عن ظهر قلب و يفسر الكتب كمعلم . قال عن نفسه"من جهة العزة مضطهد الكنيسة من جهة البر الذى فى الناموس بلا لوم"(فى٣:٦) متمسك بولس بأنه لا يصلح لأيا من الملامح الرائعة الجذابة لقد ألقى الظلال على هذه الملامح كل من القديس أوغسطينس فى القرن الخامس الميلادى ومارتن لوثر فى عصر الإصلاح ورسم له صورة انسان نغصت نقائصه حياته إنسان.. فشل فى مثله العليا وفى بره ولكن علينا أن نتخلص من هذه الصوره لأنها تنطبق أكثر على مسيرة أوغسطينس الإنسانية أو على مسيرة مارتن لوثر لاعلى مسيرة بولس .

ويضيف مارجيورا (نفس المرجع ص من ٢٢) بقوله"لا يتردد بولس فى الإعلان أنه بلغ قمة التقوى الفريسية"و انه لذلك اضطهد المسيحيين _ باعتبار أنهم جماعة مرقت و خرجت عن إطار الجماعات اليهودية المتعددة أنه يعلن هذا فى دمشق فى

اطار قصة إهتداءه فى سفر الأعمال (اعمال الرسل ١ ٩-٢).أنه اجراء تنقية لاهوتيه لإقصاء هذا النشاز فى اليهودية الذى يؤمن أن يسوع هو المسيح المنتظر.أنه يفعل هذا لا يسبب يسوع المسيح بل يسبب الشريعة ثم أن الشريعة وأن كانت تسمح بالحوار والجدال حول ضرورة و كيفية تطبيق الفرائض فإنه لم يكن من المسموح مس سلطة الشريعة فالمساس بالشريعة كأنه تقليل من شأن الليتورجية بالنسبة للكنيسة الأرثوذكسية أو إلقاء الكتاب المقدس في سلة المهملات بالنسبة للكنيسة البروتستانتية . انها مسألة هوية.

هوى بولس فى طريق دمشق من أعلى لا من على ظهر الحصان (لا يذكر سفر الاعمال هذا)(*) بل من أعلى قناعته كان عليه أن يعيد جمعها و ترتيبها و تقويمها من تلك اللحظة يتكلم بولس(=شاول) عن الله بالطريقة الخاصة به لا كما يتكلّم عنه الآخرون.

ولادة انسان من جديد

بولس لم يكن على رذيلة ولم يكن فاشلا و لم يتعلم أن يزين كلامه فقد اكتشف أن نجاحه أبعده عن الله بدلا من أن يقربه إليه بقوله:

" أحسب كل شئ أيضا خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى الذى من أجلة حشرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكى أربح المسيح " (فيليبى ٣: ٧-٨).

أنه انقلاب باهر أن يكون بولس (= شاول) مع المسيح إنها صدمة أن صح التعبير فقد انقلبت حياتة رأسًا على عقب ، وإن صح أن نقول أن الله هدى بولس، وليس بولس هو الذى _ نتيجة تأمل ونفكير-- اكتشف أنه تعب من جهاده

(*) بحسب مؤلف كتاب «الرجل الذي قاوم الله» (=المؤلف).

كـفريسى، وقـرر أن يتخلي عن التـوراة التى لاتمس ويتـفق على هذا سفـر أعمـال الرسل وبولس نفسة لهـذا التحول الجذرى فى حيـاته عله وحيدة . الله هدى بولس فى لحظة ما فى حياته . وألقاه من أعلى فأنهارت قناعته ، لقد أجبر نصعوبة ، على النظر إلى الله نظرة جديدة، حيث أصبح باطلا ما كان بالنسبة له حقيقيا، وما كان باطلا أصـبح حـقـيقـيـا أن أسـاس رسـائل بولس من أولهـا إلى آخـرها،هى هذه الروحانية التى تحطمت . اضطر الذى يتكلم قبل أن يكتب، أن يطبع هذه العبارات فى جسده، مع ما يقتضى هذا من ألم.(الرجل الذى قاوم الله ص ٢٦)

بولس الأصولى

كـان بولس (= شـاول) وهو يتـابـع رجم اسـتـفـانوس - أول شـهـيـد فى المسيحـية- فى أورشليم مقتنعا بصـحة موقفـه أن كلمة «يتابع» ضعيـفة للغاية لأن كاتب أعـمال الرسل يقول عن بولس إنه كـان يؤيد عمل الراجمين وكـان يحرس ثيابهم (أعمال الرسل ٢٨:٧: ٢٢: ٢٠) وهو عمل رسمى كما تـؤكد " المشنا " (مجموع أقدم حكم الربيين) اليهودية.

كان " اسـتفـانوس " من يهود المهـجر مثل بـولس يتكلم اليونانيـة ، ليبـراليا واهتدى للمسيـحية باختصار وكان " هيللينيـا " إعتنق الديانة الجديدة فى أورشليم ويختلف إيمانه عن الكنيـسة المحققـة مع بطرس ويعقوب أخى الرب وهم جـماعة النصارى الموحدين المقيمين فى أورشليم فقد اعـتبروا أن المسيح يسوع (= عيسى) مرسل من الله إلى اسـرائيل ، وكانوا يحافظون على الشـريعة ويصلون بانتظام فى الهيكل ويحافظون على ترتيـبات طهارة الأطعمه التى تحرم الأكل مع غـير اليهود . كمـا أنهم يعـرفون أن يسـوع لم ينتظر خلاص الشـريعة بل ملكوت اللـه ، وكان يخرق السبـت أحيانا (مرقس٤:٣) كمـا أنهم لـم ينسوا أن يسوع (= عـيسى) طرد

يوما مـا بدون سبب الباعـة من الهيكل وقال أن جـماعة المؤمنـين هى هيكل جديد (=بولس الطرسوسى ٢٧) لقد شـعر هؤلاء الهللينيون أنهم غـير مرغوب فـيهم لذلك عبروا جـبل حرمون وأسسوا جمـاعات مسيحيـة فى سوريا . هذا هو السبب الذى من أجلة يتـوجه بولس إلى دمـشق لقد شـعر أن المسيـحيين الهـيللينين يتاجـرون بالخلاص ولايحق لهم أن يعلموا أنه يمـكن الإلتفاف حول الشريعة ويهـملوا تتميم حتى أصغر الأعـمال بطاعة دقيقة ، بينمـا خضعت كنيسة أورشيلم لقـواعد اللعبة أما الفريـسيين فيعتـقدون أن الهللينيين يبيـعون النعمة بأرخص الأثمـان ، وعندما يعلن هؤلاء أن الشـريعه أمـر اختـيارى فـإنهم يفـرقون بين الشـعب المختـار باقى الشعوب وهذا هو الفرق.

فمـاذا يميز اليـهودى سـوى الختـان والعبـادة فى الهيكل وحـفظ الشريـعة ؟ الشريعة هى حصن الهوية اليهودية ومن يهاجمها يجتث من أصله .

يسوع الإفتراضي

سبق أن أكدنا أن بولس (= شـاول) لم يقابل يسوع تماما وإنما كـما يؤكد مارجيورا (فى كتـابة الرجل الذى قاوم الله ص٢٨) أن صورة يسوع التى رسـمها بولس الفريسى كونها من احتكاكه مع المسـيحين من أصل يهودى الذين اتبعوه فى منطقة اليهـودية وسوريا أى الذين هاجـروا إليهـا من أورشليم ، لقد اكتـشفـه من خلال نظرة الفريسيين إليه ، والتى ترد أثارها فى الأناجيل ! " هو ذا انسان أكول وشريب خمر ، محب للعشارين والخطاه " (لوقا ٣٤:٧) ويرد حكم الفريسيين على يسوع فى عبـارة فى الرسالة إلى غلاطيـة " ملعون كل من علق على خشـبة " (غل ٣: ١٣=

تثنية (٢١: ٢٣) هذا الذى لعنه الله والذى علق ما هو إلا معلم منشق(*)، يمثل خطرا على الله وعلى إسرائيل . ذلك أن بولس لم يقابل يسوع إلا فى الرؤيا أو الاحتكاك مع الغير ممن عاصروا المسيح (=عيسى) لذا نجد هناك من يشكك فى صورة يسوع الذهنية لدى بولس حتى ولو لم يشكك فى الرؤيا التى رأى فيها بولس (= شاول) يسوع من الأساس وهو ما قررناه من قبل من فروق أساسية ميزت عمر بن الخطاب فى معاصرته لمحمد فى حال حياته واستمراره بعد وفاته فى مشروع سياسى دولتى بما يشبه إمارة اسلامية حدث من خلالها تمدد عسكرى ، جغرافى بينما ظل بولس فى تمدد وتوسع دعوى جمع من خلاله أتباع كثيرين فى أماكن عديدة شيد خلالها عدة كنائس وإن اختلفت عن تصور بطرس ويعقوب تماما فى أورشليم ومن الغرائب كانت الغلبة فى النهاية لتصورات من لم يعاصر يسوع (= بولس الطرطوسى) ، أما من عاصروه فقد اتهموا بالتجديف والزندقة وكان الزمان كفيلا بالتعامل معهم تدريجيا وحكم عليهم بالإندثار وربما كان من أسباب فشلهم أصرارهم على اليهودية القديمة مع الإيمان بيسوع (=عيسى النبى المرسل لبنى إسرائيل) وحصر دعوتهم فى أورشليم وما حولها حسب ما جاء فى الأناجيل وذلك فى الوقت الذى سهل فيه بولس على أتباعه ولعله السبب فى كسب الكثير منهم _ نقض الناموس الذى لم ينقضه يسوع (كما ورد في إنجيل متى ٥: ١٧) وأنما أراد إكماله فلم يلزمهم بولس بالختان ولا بأوامر الناموس وجعل ناموس النعمة وليس الإلزامات الدينية المقلقه الموجودة فى التوراة بالإضافة إلى تشابه

(*) ترى بعض التفسيرات أن يسوع المسيح كان معلماً يهودياً وأنشق عن الخدمة ليبدأ رسالته الخاصة به وليبدأ العهد الجديد ودليل ما سبق أن تلاميذه وغيرهم كانوا يناذونه بـ «المعلم» في معظم إصحاحات العهد الجديد (=المؤلف).

إلى تشابه اللاهوت " البولونى " الهيلليني المنسوب إلىٰ بولس مع الوثنية الرومانية فلم يجد المؤمنون بالدعوة من اليونانين والوثنيين الرومان أية موانع أو فوارق يمكن أن تحول بينهم وبين الإيمان بدعوة بولس إلى المسيح الكونى ولإلقاء مزيد من الضوء على هذا الرأى تعود فى ذلك إلى الرؤيا التى يسمونها علماء اللاهوت الإنارة وتتجلى فى رسالته إلى كورنثيوس " ألست أنا رسولا. ألست أنا حراً أما رأيت يسوع المسيح ربنا " (كورنيثوس١ : ٩) وذلك ردا منه لنفسه وعلى نفسه أنه رأى يسوع المسيح وعندما يتكلم بولس عما عاشره فانه يدمج خبرته مع خبرة التلاميذ الذين أراهم يسوع ذاته بعد قيامته : فى هذا لا يختلف عنهم فى أى شيء (كورنثيوس ١٥:٥- ٨) وفى رسالتة إلى غلاطية عبر عن نفس الصورة حيث يواصل كلامه بعد أن ذكر اضطهاده الشديد للكنيسة " ولكن لما سر الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعا فى نعمته أن يعلن ابنه فى لأبشر به بين الأمم للوقت لم استشر لحما ودما"(غلاطية ١ :١٥- ١٦).

شاهد الفصح

نجدها فى العلاقة المتكررة بين الكشف (الرؤيا) APOCALYPSE أو الإنارة وبين اضطهادة للمسيحيين : لقد اهتدى وهو فى قمة نشاطه ضد المسيحيين (= الهراطقه من وجهة نظره) هل هى قصة الجلاد الذى قاد ضحاياه إلى الاهتداء؟ هل تملك العنف منه لدرجة أنه لم يعد يستطيع خدمه الله إلا بالقتل ؟ أيا كان الأمرفإن حدة القمع هى التى فككت علاقته بالشريعة . وكان الكشف هو أنه اكتشف فجأة الذى علق على ربوة الجلجثة (=الجمجمة باللغة الآرامية وهو مكان

الصلب) ابن الله الحى(*) ، وإن الله كان بجانب الضحية ، وليس بجانب الجلادين ، إنه الفصح ، إن بولس هو شاهد القيامة الوحيد الذى يتكلم عنها بطريقة مباشرة وذلك برغم انهّ لم يحضرها بالعقل ولم يشاهدها ورغم ذلك أيضا يضيف اسمة فى صيغة الإيمان القديمة (١ كورنثيوس ١٥ : ٣-٨) مضافا إلى لائحة الذين رأوا القائم : بطرس ، يعقوب وباقى الرسل .. والنساء عند القبر ، ومريم المجدلية ، توما ، مريم الأم .

وتميز بولس فى نص القيامة بالنعمة باعتبارها الولادة الجديدة فهى هبة خالصة مجانية " لأن ما أنا عليه هو عمل النعمة (راجع كورنثيوس الأولى ١٥:١٠) وعن العلاقة التى يقيمها بولس بين الكشف ودعوته لاعلان الإنجيل للأمم فتغيرت نظرتة لله إذ يقول : لقد آكتشفت أن اله العهد مع إسرائيل يريد أن يقيم عهدا مع الكون بأسره وأنه يقدم هذا العهد مجانيا بلا شروط .

يقول العالم اللاهوتى مارجيورا : إننا نجهل ماذا عمل بولس بعد هذا الكشف وكيف اعتنى به مسيحيو دمشق؟ يذكر لوقا اسما واحدا فقط منهم هو "حنانيا" (اعمال الرسل٩:١٠-١٩) ومع ذلك اننا على العكس نعرف مالم يفعل : انه لم يصعد إلى أورشليم عند الإثنى عشر، بل انطلق إلى العربية ، ربما إلى البتراء عاصمة النباطيين (بالأردن) قبل أن يعود مرة أخرى إلى دمشق (الرساله الأولى إلى غلاطية ١٦-١٩) ويضيف مارجيورا (نفس المصدر ص ٣١) نال بولس الكشف والدعوة من الله إنه غير مدين بشىء لأى إنسان ، ويبدأ رسائله فيما بعد مؤكدا على هذا الأمر:

(*) طبقًا للاهوت وقانون الإيمان المسيحي يعد الإبن إقنومنًا متصلاً بأقنومين آخرين هما الآب والروح القدس ليمثل الثلاثة معًا الثالوث المقدس Terium الممثل الجوهر الله المتحد في هذه الأقانيم كإله واحد (=المؤلف).

"بولس المدعو رسولاً ليسوع المسيح"(كورنثيوس الأولى ١:١ ـ رو ١:١ ـ كورنثيوس الثانية ١:١) وأيضا "بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان بل بيسوع المسيح والله الآب (غلاطيه ١:١) إن الاختلاط والإمتزاج تام بين خبرة بولس الروحية وسلطته الرسولية من جانب والفكر اللاهوتي الذي يقدمه في الرسالة من جانب آخر إن ما يفكر فيه يترجم كيانه وما هو عليه (كيانه) ناله من الله.

الشريعة أم المسيح :

نصل إلى أصعب نقطة فيما يقوم بالتحديد هذا الإهتداء بهذا التغيير في القناعات فتقتضي الشريعة أن يرفض بولس وهو الفريسي كما سبق وقلنا المسيح لأنه من يتبعه لا يحافظ على الشريعة بالكامل. تظل المعادلة ذاتها ولكن معكوسة. من الآن فصاعدا يستوجب حبه للمسيح رفض الشريعة. بل يحتل المسيح كل المجالات التي كانت تسود فيها الشريعة لقد وضعته رؤية القائم بين الأموات أمام مأزق جذري ، فأصبح عليه اختيار أمر من اثنين : إما أن الشريعة محقة والمسيح مخطئاً ، أي إن الله محق واتباع الشريعه أمر خاطئ ، اما أن الشريعة هي فعلا إعلان الله و هو الأمر الذي كان بولس مقتنعا به حتى تلك اللحظه وهو ما يبرر الحكم على يسوع بالموت "لأن المعلق ملعون من الله "(التثنيه ٢٣:٢١) أي أن الله أظهر أن المصلوب ابنه وأن الله لم يعد يبالي بالتوراه. إن المسألة أكثر تعقيداً: يعتقد بولس أن الله متمسك جداً بالشريعة ولكن الإنسان استبعده منها لقد استغل الإنسان الشريعة لإشباع رغبته بان يكون مقبولاً أو معترفًا به بدون أن يكون وعية بالشريعة وعياً حقيقياً ،إن الظلال هي التي تكشف لبولس إعلان دمشق مايعرضه بولس في

مضاداته فى رسـاله إلى رومية(الإصحاح السابع) (لأنى لست أعرف ما أنا افعله اذ لست أفعل مـا أريده بل ما ابغضه فـإياه أفعل (رو١٥:٧) لقد نقش بولس إكتـشافه فى صيـغة معروفـة وشهيرة :إذ نعلم أن الإنسـان يتبرلاًبا عمـال الناموس بل بإيمان بيسوع المسيح" (رساله غلاطية ٢: ١٦) تفصل بين سبل حياتنا بـين مرحلتين مختلفتين من مراحل تاريخ الخـلاص : محاولة التـبرر أمام الله بأعـمال الشريعـة هى العالم القديم (غلاطيه ١- ٤: ٦: ١٤) بينما يميز العهد الجديد قبول الروح بالايمان (غلاطية ١-٥ ، ٤: ١-٧) أن المفهوم المنتشر والسائد عن التضاد بين أعمال الشريعة والإيمان بيسوع المسيح وهو تضاد بين التمسك بالشريعة والخلاص بالنعمة إنه محاولة الخلاص عن طريقة أعـمال الشريعـة يشير إلى مـحاولة الإنسـان أن يتبرر بمجـهوده الذاتي وأن يحصل على بره بأعمال طاعة أو باستحـقاقات ذاتية أوما شابه ذلك هذه القراءة أو التفسير الكلاسيكى فاشل لسببين: الأول: هو أن هناك إعتقاد وحتى زمن قريـب أن بولس صاغ عبـارة "أعمال الشريعة" لكى يعلن بـره وهي نفس العبارة التي وردت بالعبرية في مخطوطات قمران عام ١٩١٤ لاتحمل أي مضمون سلبي إنها تشير إلى إتباع أوامر الشريعة

أما السبب الثـانى: هو أن التعرف بعمق على الإطار الذى ينتـمى إليه يسوع يدعونا إلى التخـلى با طراد عن فكرة يهودية شرعية ضـيقة الأفق مفـرطة التمسك بصغـائر الأمور فاليـهودية كـديانة تؤمن أن الله هو الذى يبرر أن صـورة الفريسى الذى يضمن خـلاصه بأمانتـه هو قالب مريح ولكنه خـادع ماذا إذن ؟ إذا لـم يكن هناك تناقض بين الإيمان وأعـمـال الناموس وكـمـا أنه لايوجد تـناقض بين قبـول الإخلاص واكتساب الخلاص .

لم تكن اليهودية قديمًا شريعة بحصر المعنى ولكنها جازفت مجازفة كبرى لقد وضعت الشريعة، الناموس فى مركز الإيمان ومنذتلك اللحظة لم يعد يحدد الهوية إلا المحافظة على الشرائع. كأنما يميزالشعب المختار عن باقى الشعوب هو إحترافه للتوراه فى بعديها الأخلاقى والطقسي. يعرف الفريسى أنه يخطأ، ولكنه يعوض عن ذلك بأعمال تكفيرية تضمن له البقاء فى العهد(*).

هى عطية! ولكن على المؤمن واجب تجاه ذلك،هذا مايميز المختارين عن غير المختارين كما يرى الفرنيسيون أن هناك درجات حتى داخل شعب إسرائيل المتعاونون مع الرومان ، المرضى ، النجسون لأى سبب (= اتباع المسيح اليهودى) كل هؤلاء خارج دائرة المختارين .

اعتبرت "جماعة قمران" أن الحفاظ على الشريعة هو الحد الفاصل بين بركات الله ولعناته. ومما تقدم هناك شعار يتكرر فى رسائل بولس عن موقفه : "ليس يهودى ولا يونانى _ ليس عبد ولا حر _ ليس ذكر ولا أنثى "(غلاطيه٣:٢٨ رومية _ ١٥:١٢) هذا الشعار هو مركز الإنجيل الذي يبشر به بولس لقد أضاف إلى طرق التعبير مفهومًا جديداً عن الله وصورة جديدة للإنسان ، ومن الآن وصاعداً يقبل الله الإنسان دون النظر إلى صفاته أو انتماءاته الله يحب الانسان كما هو وبلاشروط ، بعض النظر عن أى فضل له .

(*) يشبه الإغراق في النوافل والصيام التطوعي عند المسلمين مؤخراً بصورة جنحت إلى الظاهرة لتكفير الذنوب واكتساب الحسنات (=المؤلف).

يمثل إعلان بولس هذا ثورة حقيقية فـي عالـم اللاهوت ،كان الإعتقاد السائد هو أن الإنسان تحـدد صفـاته وأعماله . والتـوراه . مثل أي قـانون تقسم البـشر إلى فئـتين ، المحافظون والمخـالفون ، ويحكم النامـوس إيجابيـاً أو سلبياً عـلاقه البـشر بالله، كما يكون لـلإنسان صفته في المجـتمع حرًا أو عبدًا ، رجـلا أو امرأة ،غنيًا أو فقيرًا .

والهوية المنغلقة تعنى التجمع حـسب الجنسيات(= نظام الجيتو) أو النوع أو المستوى الإقـتصادى ، أو الإتفاق فى الرأى . تشارك الشريعـة فى هذا الأمر منظمة العـلاقه مع اللـه حسب سلم ثابت : الأبـرار ، المؤمنون جدًا ، قلـيلو الإيمان ، غيـر المؤمنين ، إنها الهوية المنغلقة . تنتفي الشريعة حسب الصفات والخصائص .

الصليب

إن ما يسميـه بولس (حماقة) الصليب (كورنثيوس الأولى ١ : ١٨) هو إعلان الله الذى يموت وقيـامة إبنه ، جـعل الإنسان خليقـة جديدة (غلاطية ٦: ١٥) خليقه مؤهله لأن تعى بذاتها وبهويتـها وبخصائصها ، خليقـة قادرة أن تقول " أنا " يسوع هو خلاصنا لأنه إذ سلم ذاته ليصلب ، أصبح إنسانًا ترذله الشريعة ففى رسالته إلى (غلاطية ٣: ١٣) " المسيح افتدانا من لعنة النامـوس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة "

إن يسوع بموته هذا ، أبطل كل محاولة الـوصول إلى الله عن طريق الشريعة لقد دشن طريقًـا جديدًا (دانيال مـارجيوار _ بولس الطرسوسي ص ٣٧) حسب مـفهوم بولس : يسوع هو الإنسـان الجديد الذى يقبله الله بغض النظر عن كل الصـفات . هذا الإنسان " بلا صفات " رفعه الله بالقيامة وعرف الآخرين إنه الابن.

لاهوت بولس

إنّ الله الذى إختبره بولس ليس هو إله الشـريعة الذى يفصل ويضيف ، بل هو الذى يأكل مع جبـاة الضرائب والخطأة وصديق النسـاء الساقطات والذى يرثي لحال كل المرذولين والمهمشين (بولس الطرسوسي ص ٣٧)

بقى حاجز واحـد... وقد تخطى بولس هذا الحاجز " فأحـيا لا أنا بل المسيح يحيا فى" (غلاطية ٢: ٢٠) وهذا لا يبرر إطلاقًـا أن تذوب شخصيـتى ، بل الطريقة التى انظر بهـا إلى ذاتـى هى التى تتـغـيـر تمامًـا ، إلى ترك منطق الربح والخـسـارة والكسب لأدخل منطقة ومنطق الهـبة والعطية إني أصبح أمام الله إبنه أو ابنتـه كما أن يسوع ابـنه ، لأن الله يتبناني دون النظر إلى حـالتى ، أو أصلى أو انتـماءاتي أو أفضالـى . إنى أو لد أمام الله كشخص هذا الخـبر السار (=الإنجيل) لايوجـه فقط إلى جـماعـة المختـارين وجـماعـة الشـريعة ، بنى اسـرائيل ، بل لكل إنسـان لديه الإستعداد أن يقـبله ويعيش بموجبه ، لذلك يشعر بولس بـأنه " المدعو رسولاً المفرز لإنجيل الله ... لاطاعة الإيمان فى جميع الأمم " (رسالة رومية الأولى ١-٥)

الجسد والروح

يدخل التـضـاد الشـهـيـر بين الجـسـد والروح فى إطـار هذه الفكرة ومع تراكمـات القرون وبتأثيـر من الفلسفة اليـونانية الرومانية ، إعـتبار الجـسد على أنه الجنس والروحوعلى أنه النفس إن هذا المفهوم غير وارد اطلاقًا فى فكر بولس الذى

اتبع المفهوم العبرى عن الإنسان : الجسد هو كل كيان الإنسان من حيث هشاشته وضعفه وتعرضه للموت وكما ورد فى اشعياء (٤٠: ٦) " كل جسد عشب وكل جماله كزهر الحقل " ويكتب بولس إلى كنيسة رومية " نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح "(رومية ٨:٤) ماذا يقصد بولس بقوله إن المسيحيين يخضعون لطغيان الجسد ؟ يدفع الجسد المرء لتأكيد ذاته ولإ ثبات أنه قوى ومحبوب ومحترم وذلك عن طريق اتباع الشريعة تعنى أن المرء يكون محبوباً بسبب صفاته .

ولكن الله ، الذى يحب بلاشروط ، يسمح بأن يخلص روح الإنسان من الخوف والقلق اذ يؤكد له أنه "ابن / إبنة الله". بدون فضل منه أو استحقاق ما عاد الجسد هو الذى يملى شروطه علينا . هذا مايؤكده بولس . إن دفة حياتنا لم تعد فى يد الخوف ، حتى وإن ظل عدو حياتنا الرهيب ، الروح هو الذى يثبت فينا نظام الثقة .

لاعودة إلى الامتيازات

مسألة الجسد كانت تشابه السبب الذى أدى لثورة بولس العارمه ضد أهل غلاطية ولابد أن نعلم أن بولس قد انتظر حتى العقد الرابع قبل أن يبدأ فى كتابة رسائل إلى الكنائس لقد كتب رسالة الأولى إلى تسالونيكى سنة ٥٠ ميلادية بعد ثمانية عشر سنه من العمل فى الخدمة الرسولية .. فلماذا تأخر هكذا ؟ نستطيع القول أن بولس لم يكن شخصا مبادراً ، أنه يكتب عندما تكون هناك ضرورة لذلك، وعندما كانت الجماعات تطلب منه التدخل . بالإضافه إلى ذلك كان العام السابق على كتابة الرسالة هو العام الذى انعقد فيه مجمع أورشليم ، حيث أقر أن

الخلاص بدون الشريعة (=الناموس) ، وهو الإنجيل (= الخبر السار) الذى يبشر به بولس (= الإنجيل الشفهى) ، هو من الروح القدس (غلاطيه ٢:١ _ ١٥) سرعان ما يتواتر بعد ذلك نشاط بولس الكتابى ، لقدا اعترف الآخرون بدوره كقائد، لذلك رأى أن حقه وواجبه يقتضيان أن يثبت مفهومه الخاص عن الإيمان وأن يقاوم معارضيه.

ترد الكلمه غير اللائقه فى رسالته إلى غلاطية ، التى تدخل فى خط رسائل التصحيح تكلم بولس عن المبشرين الذين يوصون الغلاطيين بالختان ، ويتمنى بولس لوأن هؤلاء " الذين يقلقونكم يقطعون أيضًا " (أى يتم قطع أعضائهم التناسلية كلها وليس الختان فقط) (غلاطية ١٢:٥)

اندهاش الغلاطيون

وربما تساءلوا ماذا دها مؤسس كنيستهم ؟ (غلاطية ١ :٣) يجب الإقرار أن بولس كان حاد الطبع . ولكن فى نفس الوقت يجب الإقرار أنه لم لكن يفقد هدوءه وإتزانه بسهوله (مارجيورا ص ٤٠)(*) . وقد أسس بولس عام ٤٩ ميلادية . فى الرحلة الرسولية الثانية . كنيسة غلاطية ، وهى منطقة متوسط سهل الأناضول ، شمال طرسوس زار بولس هذه الكنيسة مرة أخرى في ٥٢ ميلادية ، وإستقبلت الكنائس التى أسسها بولس بعده مبشرين مسيحيين آخرين . حسبما كانت العادة وهنا تتشابك الأمور . كان هؤلاء المبشرون مسيحيين من أصل

(*) ويمكن أن نضيف إلى ما قاله مارجيورا بأن هذه الصفات تشابه إلى حد كبير شخصية عمر بن الخطاب من حيث الحدة وقوة الشخصية التى تعيد له هدوءه وإتزانه بسهوله (=المؤلف)

يهودى قادمين من أورشليم أومن كنائس قريبة منها وكانوا يدافعون عن فكرة عدم فصل الإيمان المسيحى (=الإيمان بالمسيح)عن تقليد إسرائيل القديم الطويل وبالتالى يشددون على المحافظه على عادات اليهود فى النظام الغذائى ، وكذلك ممارسة الختان للذكور فى اليوم الثامن من الولادة كما تقتضى الشريعة) يبدو أن الغلاطيين قبلوا بارتياح هذه النصائح . لقد أدهشتهم ثورة بولس العارمة واتهامه إياهم بأنهم قبلوا إنجيلاً آخر غير الذى بشرهم به (غلاطية ١:٦) إنهم أرادوا فقط أن يكملوا الخلاص بالختان وبالإمتناع عن بعض الأطعمة أى الخطأ فى هذا ؟

يرد بولس الأمر إلى صحيحة بالنسبة إلى فكرة هو فيقول إن الأمر يتعلق بمبدأ أساسي ، إما أن نعمة الله هى مجانية تمامًا ولا شىء يفصل البشر بعضهم عن بعض ، لأن الله أحب الجميع بنفس الطريقة ، وإما أن للخلاص ثمنًا يدفعه المؤمن، وبه يؤمن حقًا ، إكتسب بصفات وإمتيازات دينية : الختان . " أهكذا أنتم أغبياء . أبعد ما ابتدأ تم بالروح تكملون الآن بالجسد " (غلاطية ٣:٣) بعبارة أخرى :

بعد أن بدأتم بالهبة العظيمة تتجهون إلى الإستحقاق ! إستشعر بولس إن خلف الإقتراح البرئ غير الضار بتبنى بعض العادات اليهودية ، عودة إلى الجسد واعتبار ،أن حب الله ليس مجانيا بالفعل إن التمييز بالختان يحيى مرة أخرى ، بطريقة مستترة ، فكرة أن رضى الله يشترى وأن هناك من يجيد فنون هذه اللعبه أكثر من غيره .

يسرب المبشرون المنافسون فى غلاطية ، ببراءه خادعه، الربح فى نظام المجانية المطلقة . لذلك إنفعل بولس بشدة . إن التضاد يبين أعمال الناموس والإيمان بالمسيح فى نهايته ، ليس تضاداً فى الكم . كم أقل من الوصايا بالنسبة للمسيحى ،

يقابله حب أكبر من الله ." أما الذى يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل نعمه بل على سبيل دين (رساله رومية ٤ : ٤) لهذا فإن النعمة هى نقيض الشريعة

إله الجميع

ويمضى " مارجيورا " ليقول : هناك تواز بين عنف رفض بولس وشدة الخطر : فالعودة إلى أعمال الناموس هى تدمير للنعمة ، ذلك يعنى إعادة إقرار استحقاق الإنسان أمام الله . العودة إلى الربح وإلى إقرار الفوارق هو إعلان موت الإنجيل إذا الجميع أخطأ وأعوزهم مجد الله ، متبررين مجانًا بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح (رومية ٣: ٢٣-٢٤)

يجب اعتبار كلمة «مجانًا» أهم نقطة فى رسالة بولس : بحريه تامه ، بلا أى سبب سوى جودة وسخاء الله الواهب ، لامكان للمؤمنين وإيمانه ذاته ليس استحقاقاً لأنه مدين به . إحذر لئلا تمكن الربح ، الذى طرد من الباب ، العودة من نافذة التقوى ، الإيمان يعنى الثقه فى الله .

إن إنقلاب بولس جذرى وهو الإبتعاد عن الإيمان بالله مقترنا بحب الله للصفات البشرية . إذا ماذا يعنى الإيمان التوحيدى إلا أن الله الواحد . فاذا كان هناك إله واحد وحيد فهو بالتالى اله الجميع لا يمكن أن يكون واحدًا وحيدًا إذا كان اله شخص بعينه أو فئه بعينها " أم اله اليهود فقط ، أليس للأمم أيضًا ، بلى للأمم أيضًا ، لأن الله واحد هو الذى برر الختان بالايمان والغرلة بالإيمان

(رسالة رومية ٣: ٢٩-٣٠)

بالتالى لايمكن أن يستمر العهدالمبرم مع شعب واحد (= العهد القديم) ويصبح الإيمان حق كل الذين يؤمنون أن الله الواحد هو إله الجميع وإله كل واحد يتمعن بولس هنا فى ما أعلنه يسوع بحياته وأعماله . النعمه وحدها هى التى تليق بشمولية الله ، بدلاً من الناموس (= الشريعة) الذى يوزع الأدوار و يصنف المؤمنين حسب صفاتهم واستحقاقاتهم . يمنح إله الجميع نعمته بالتساوى .

بولس عدو إسرائيل

تشبه عداوة بولس لإسرائيل العداوة النفسية عند عمر بن الخطاب لقريش وهى إن كانت مبرره بشكل قوى فى حاله عمر إلا أن مبرراتها ضعيفة فى تفسير حالة بولس فإن خلاص النعمة يلغى ناموس إسرائيل وكذلك فتح بولس التوراة للوثنيين فى العالم كله وقد كتب عن ذلك الباحث دانيال بويارين Boyarin فى كتاب عن بولس عام ١٩٩٤ يقول " إنه (= بولس) أصل الانفتاح العالمى فى الغرب ، إنه لرغبتة الشديدة فى إيجاد مكان للوثنيين فى [illegible] ى حددته التوراه زرع رغماً عنه بذور خطاب مسيحى نزع تماماً كل [illegible] خاصية الإثنية والثقافية لليهودية وجعلها لعنة فى نظر المسيحيين من أصل وثني.

(بولس الطرسوسي ص ٥٩)

لقد كان تعليم بولس عن التبرير بدون الشريعة تعليماً موجهاً ضد اليهودية ولكن يطل هنا سؤال برأسه : هل كانت هذه نية بولس فعلا، هل هو عدو اليهودية فعلا؟

للإجابة عن هذا السؤال يجب أن نتخلص من فكرة سطحية وهى أن بولس وحده هو الذى سبب الإنفصال بين الكنيسه والمجمع اليهودى ، لأن عملية الإنفصال بين اليهود والمسيحين نمت على مدار نصف قرن تقريبًا لقد كانت عملية بطيئه مطردة ، غير منظمة ، غير متوازية ، اختلفت حدتها وسرعتها حسب المناطق الجغرافية ، لقد كانت فى ايطاليا أسرع من سوريا . يعتبر إنجيل مرقس أن الانفصال كان سنة ٦٠ ميلادية تاماً بينما كانت بداية الإنفصال الحقيقى حسب أنجيل متى ، فى سوريا سنه ٧٠ ميلادية . كان الإنفصال ثمرة تدهور بطئ فى الروابط لأسباب متعددة، واذا كانت هناك أسباب عجلت بالإنفصال فهى الصدمة التى تعرضت لها اليهودية بسبب كارثه عام ٧٠ ميلادية حيث سقوط أورشليم فى أيدى قوات "تيطس" وتدمير الهيكل . أجبرت هذه الكارثة اليهودية أن تعيد ترتيب أمورها بدون الهيكل . أعادت تجميع حطام اليهودية بعد الصدمة العنيفة. جماعة ربطت اليهودية برباط وثيق حول محور الشريعة. إنهم الفريسيون الذين تولوا مصير إسرائيل من الناحية الدينية ، بعد الكارثة ، أما باقى التيارات فكانت أقل أهمية وتأثيرا. الغيورون هم الذين عجلوا بالكارثه والصدوقيون لم تقم لهم قائمة بدون الهيكل . لا عجب إذًا ، إذا نظرت الأناجيل وقد كتبت كلها ، ما عدا إنجيل مرقس بعد سنة ٧٠ ميلادية إلى اليهود عمومًا والفريسيين خصوصًا بطريقه سلبية يصطبغ بها الأناجيل وخاصه متي ويوحنا(*) ، بهذا كانت المأساه التى أصبحت على وشك أن تتحقق : الإنشقاق التام بين اليهود أى الإيمان بإله إبراهيم ، وبين

(*) وجهة نظر تعكس رؤية الأناجيل للفريسيين على أساس غاضب ومنحاز ضدهم وأن الأمر لا يعتمد على وحي الروح القدس وهي رؤية قد لا تعبر عن وجهة نظرنا (=المؤلف).

المسيحيين أي أتباع المسيح يسوع (بولس الطرسوسي ص٦١) ولا يوجد تشابه بين كتابات بولس وبين تطور أحداث الانفصال اليهودى المسيحى لا من قريب ولا بعيد ، قد لا تجد فى كتاباته أى حكم على اليهود ولا فكرة سلبيه عن إسرائيل ، ولا روحًا عدوانية ضد اليهود وتتم الأمور فى سنه ٥٠ ميلاديا حيث جمعت الكنائس التى أسسها بولس مسيحيين من أصل يهودى وأخرين من أصل وثنى ، واعتبر بولس اليهود أخواتهم وبنى جلدته الذين يفصلونه عن المسيح (روميه ١٣:٩)

إنه يفتخر بهويته اليهودية ومن جنس إسرائيل ، من سبط بنيامين، عبرانى من العبرانين (فيليبى ٥:٣) ، وقد كتب بولس هذه الرسائل قبل أن تقع الكارثه." يؤكد مارجيورا فى كتابه"بولس الطرسوسى "وجهة نظر أخرى أن بولس لم يكن مناديا بقطع ما بين اليهود والمسيحين وأن كانت يشعر بقرب حدوث ذالك ويحزن بسببه إنه نظر لما يميز بين الإيمان اليهودى والإيمان المسيحى، ويمكن القول أنه دفع المسيحيين للتفكير فى القطيعه التى حدثت فيما بعد ، وأن يتفهموها ويبرروها لاهوتيًا . أى أنه لهذا أرضية تقف عليها المسيحيه فى مواجهة اليهوديه، لجأت الكنيسه عندما تفجرت الأزمة إلى حجج بولس وبراهينه كسلاح قوى لكى تدافع بها عن نفسها ولكى تهاجم اليهودية ويعتقد بولس أن إله إبراهيم هو إله اليهود وإله اليونانيين كما أنه لايشك لحظة فى أن إسرائيل سيخلص ، لم يكن اعتقاد بولس المسيحى بأن إسرائيل ملعون لأنه قتل الابن (أى شعب إسرائبل ملعون لأنه قتل ابن الله = المؤلف)

وهناك سؤال آخر ، هل يعنى لبولس أنه لا يمكن الجمع، بين الإيمان المسيحى والإيمان اليهودى ، كما أنه لا يمكن الجمع بين اليمين واليسار ، فى المجال

السياسى؟ الرد على التساؤل هو طبعا بالنفى ، يكون الإنسان مسيحيا إذًا آمن بإله جاء ضعيفا. بإله يقبل الإنسان كما هو . بدون النظر إلى إستحقاقاته أو أعمال الناموس ، هذا هو أول قلب أوضاع مثير لإنجيل بولس

كيف يتوجه بولس إلى اليونانيين أو الرومان الذين لا تعنى التوراه شيئًا بالنسبة لهم ؟ لدينا مثل واضح فى جماعه كورنثيوس ، حيث كان المسيحيون من أصل يهودي نفرًا قليلاً. نلاحظ أنه فى الرسالتين اللتين يوجههما إلى الكورنثوسيين (= أهل كورنثيوس) لا يذكر التوراه إطلاقا . ولا يلجأ بكثرة إلى مفرادات التبريد التى يحتفظ بها للجدال مع تعاليم اليهود . إنه يستعمل بغزارة. بدلاً من ذلك ، مفرادات الحكمه أو مفرادات الفلسفة " فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله لأنه مكتوب سأبيد حكمه الحكماء وأرفض فهم الفهماء "

(كورنثيوس الأولى (١:١٨-١٩) هكذا يكلم بولس أولئك الذين لا يعرفون التوراه من الصليب .

الجميع يخلصون بالإيمان

يقول بولس أن كون المرء يهوديًا لا يعنى ذلك التمتع بامتياز الوصول المباشر إلى إله الصليب . فلدى اليونانيين شئ يعادل التوارة : إنها حكمتهم وتصورهم عن

" الإلهى " يعنى الإهتداء إلى الأنجيل ، بالنسبه لهم هدم تصورهم عن الله، وهو تصور يعادل فى رسوخه تمسك اليهود بالتوراة واعتبارها طريق الخلاص.

لذلك يوضح بولس للكورنثوسيين (= أهل كورنثيوس) سواء كانوا من أصل يهودى أو يونانى أنهم على خطأ ويحتاجون جميعًا للإهتداء أى لتغيير تصورهم عن الله «ولأن اليهود " يسألون آيه واليونانيين يطلبون حكمة ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوبًا لليهود عثرة ولليونانين جهالة ، وأما المدعوين يهودا ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمه الله" (كورنثيوس الاولى ٢٢:٢٤) يقول مارجيورا (نفس المرجع ٦٥) تعليم بولس ليس أسلحه حرب موجهة ضد اليهود واليونانين يكون بولس صورة إله الصليب ، رافضًا بحث اليونانين عن الحكمة ، وكذلك تقوى اليهود القائمة على الناموس يسمح هذا لبولس فى تحليله أن يلخص معا محاوله الوصول إلى الله، تقود الحاجة إلى القدرة إلى جعل الله أسيرًا للأمانة البشرية وتطارد الطاعة والناموس النعمة والمعجزات تصبح مكافأة للإيمان. نقول مع ذلك أن الهوة التى فتحها بولس بين المسيحية واليهودية كانت واسعة جداً ويوصلنا هذا إلى التساؤل الثانى : ما هو مصير الناموس الذى امتدحته تقوى اليهود وأعتبرته هبه لا استحقاق؟، كان اليهودى التقى يعدد مرارًا كثيرة فى اليوم مآثر التوراة!(*) ناموس الرب كامل يرد النفس إشهادات الرب صادقة نصير الجاهل حكيمًا ، وصايا الرب مستقيمة تفرح القلب: أمر الرب طاهر ينير العينين (مزمور ١٩: -٧-٨) وسبق ورأينا أن الفريسيين غالوا في هذا الأمر فأصبحت الشريعة بالنسبة لهم العنصر الذى بدونه لا تكتمل الحكمة الإلهية . ويرد بولس على ذلك الاهتمام بالإصلاح من رسالته إلى رومية أنه يدافع عن تعليمه ويختم هذا الدفاع بموجز

(*) يشابه كثيراً حالة الهوس الديني التي اجتاحت معظم المجتمع المصري المسلم في الأربعين سنة الأخيرة حيث اجتاحت دوجما التدين والتشدد العباداتي والإغراق في السلفية إلى حد خانق والأغرب أنه لم ينعكس إيجابيًا على حركة المجتمع (=المؤلف).

تعليم عقائدى ، هو قمة إعلانات رسائله . يصر بولس على إظهار أن القول بعجز الناموس عن الخلاص ليس خرقًا للقدسيات : وهو يملك البراهين التى تدعم وجهة نظره . أنه يستقى أقوى براهينه من الأصل اليهودى لبنى إسرائيل ألا وهو إبراهيم . وليس موسى ، لأن أبراهيم هو أبو الشعب وهو الذى نال أول وعد والشعب هو إبن الموعد." أجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة وأبارك مباركيك ولا عنك ألعنه ، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض"

(تكوين ١٢: ٢-٣)

إن مقصد بولس هنا واضح هو التمثل بإبراهيم الذى كشف الله له ذاته بوضوح شديد " آمن إبرام بالرب فحسب له براً" (تكوين ١٥: ٦) ويفيدها بولس بدقه الفريسى هل اعتبر إبراهيم باراً ، هل على أساس الطاعه ؟ كلا بل على أساس إيمانه بالله وثقته فيه ، فالنتيجة التى يستخلصها من هذة العبارة هى : الله يبرر بدون أعمال (رومية ٤: ٤-٨) والنقطه الثانية أن الله يعطى وعدة للمختونين وغير المختونين فقد أعطى ابراهيم الوعد قبل أن يختن (حيث كان اسمه إبرام=المؤلف) ويلجأ بولس هنا إلى طريقة أثبات إتبعها "ربيون" بأسلوب التتابع فى الكتاب المقدس حيث يضع التقليد التاريخى بين تبرير ابراهيم بالإيمان (تكوين ١٥) وختانه (تكوين ١٧) مدة ٢٩ سنه بالتالى كان إبراهيم بارا قبل أن يختن. والنقطة الثالثة أنه يجب على ورثه إبراهيم إن أرادوا أن يكونوا أمناء لجدهم أن يحافظوا على هذه الشروط.. والحال أن الإرث ، الخلاص خاضع للناموس وبالتالى يفقد الإيمان معناه ويلغى العهد..إن المعادلة : الإيمان = نعمة الله ، تصلح لأتباع الناموس. أى بنى إسرائيل ، وللذين هم خارج الناموس أى لأمم والنتيجة أن إبراهيم هذا هو أبو المختونين وابو الذين بلا ختان.

صورة بولس المتناقض

هل كان بولس مع الناموس أم ضده هل ناقض رسالته إلى كنيسه فيلبى؟ أم مع رسالته إلى كنيسة رومية ؟ أن بولس يقول فى الاصحاح السابع تحت شعار إن الناموس ليس شيئا ولكن الخطيئه التى تعمل فىّ تمنعنى عن عمل الخير الذى أريد وتدفعنى إلى عمل الشر الذى لا أريد (رومية ٧) وهو يبرز رفض قاطع لتعليم اليهودية أما ما كتبه لكنيسة فيليبى " من جهة البر الذى فى الناموس بلا لوم"(فيليبى ٣:٦) هل كان بولس الفريسى قبل اهتدائه ، بلا لوم حسب الشريعة (فيليبى ٣) أم كان المؤمن العاجز عن .عمل الخير؟(رومية٧) إننا هنا أمام جدال كبير فلقد كان بولس تلميذ الفريسيين يهوديًا ممارسًا محافظاً ولكن لقاء طريق دمشق غير آراءه لالأنه كشف له بعض المخالفات التي كان يقع فيها قبل اللقاء بل لأنه كشف له أن هذه الطاعة التي "بلالوم" هي خطأ فادح ، كان واقع طاعته هذه الرغبة الملحة كما يقوم هو بأن ينال النعمة مقابل صفاته واستحقاقاته وعملية التبادل أهم ما عمله بولس هو أنة كشف الجوانب المظلمة التي قد تصاحب الطاعة الدينية .وبالعودة مرة أخري إلى إبراهيم إذا كان بولس قد جعل من ابراهيم جداً لليهود وللوثنين علي السواء فما هو فضل إسرائيل .. وما هي جدوي علاقة طويلة بين الله وشعبة المختار ، إذا كان في النهاية نتخلي عن العلاقة الخاصة التي تربط به ؟ وإذا كان الخلاص لايتم إلا بالإيمان ، فأي خلاص ينتظر الذين لايقبلون أولوية الإيمان علي الناموس ؟ يجيب بولس عن ذلك في رسالته إلي رومية تمتد من الاصحاح التاسع حتي الحادي عشر . وتتوزع بولس منازع مختلفة متناقضة بين أبناء جنسه وبين المسيح "فاني كنت أود لو أكون أنا نفسي محروما مع المسيح لأجل إخوتي إنسبائي

حسب الجسد ، الذين هم اسرائيليون ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد . ولهم الآباء (روميه٩: ٣-٥) هناك من جهة تقليد مجيد مرتبط بوثاق حميم . ولكن هذا التقليد ، من جهة أخري ، يرفض مسيحه.

يؤكد بولس إن أبناء إبراهيم الحقيقيون هم أبناء الموعد (أي المسيحيون) يلاحظ بولس أن تاريخ الشعب المختار يشهد بأن أغلبهم رفض أن يستمع لصوت الأنبياء بل تغلظوا قلوبهم ، ولكن هناك "بقية" تخلص اختارها الله بالنعمة

(رومية ١١:٥) يرد هذا التعبير " البقية" أيضًا في مخطوطات قمران حيث اعتبرت الجماعة ذاتها "البقية" وتمثل علاقة بولس بالمسيح علاقة فريدة من حيث كونها علاقة إفتراضية تحول خلال تصوراته (=بولس) من هويه منغلقة إلى هوية منفتحة أسس بولس من خلالها لنظرية الجماعات المتعايشة والحياة المشتركة الجديدة لذا فإن بولس طبق خبراته الرعوية حيث تمتاز الجماعات التي أسسها بمبدأ الهوية المنفتحة التي تتصف بالتعايش ، بالمساواة في القدر والقيمة بين الرجال والنساء ، بين المختونين ، بين الأغنياء والفقراء

من يستقبل الإنجيل يدخل في وضع جديد أو كما يقول بولس في كيان جديد حيث لاتوجه إختيارات للإنسان بالمخاوف بل الصورة الجديدة التي ينفخها فيه الروح عن ذاته وعن الآخرين .

وهناك سؤال آخر .. ما جدوي الطاعة الأمينه إذا كان الله يقبلنا كما نحن ؟ ألايؤدي تركيز بولس علي التبرير بالإيمان إلى إضعاف الإلتزام الأخلاقي ؟

ويختبئ وراء هذه المسالة أمر آخـر أكثر خطورة لماذا لم ينادي بولس ببرنامج تغيير المجتـمع علي أساس الهوية المنفتحة ،لكي يمنح المرأة كرامـتها الواجبه ،ولكي يلغي نظام الرق والعبودية ؟ (مارجيورا _ الرجل الذي قاوم الله)

مجانية الخلاص

يظهر سؤال مـهم جداً يتـعلق بمدي توازن وتعليم بولس "هل جـار بولس علي الجـانب الأخـلاقي .عندمـا وضـع كل الثـقل علي مـجـانيـة الحـصـول علي الخلاص؟ (دانيال ما رجيورا.." الرجل الذي قاوم الله "ص٧٦) يميز اللاهوت التقليدي بين التبرير والتقديس يقـوم التبرير في منح النعمة للمؤمن .أما التقـديس فهو يشير إلى تحول حياة الإنسان منذ اللحظه التي يؤمن فيها بالله، ألم يراهن بولس بكل ما يملك علي لحظة التبرير ، مهملاً مسيرة االتقديس الطويلة التي تستمر طوال حياة المؤمن ؟ وهل يستطيع الإنسان ، الذي حصل علي الخلاص أن يعيش كما يحلو له ؟

وقد وجه بولس سؤالاً لجماعته " فماذا إذن ،أنخطئ لأننا لسنا تحت الناموس بل تحت النعـمة ؟" (روميـة ٦:١٥) فـإذا تتبـعنا تاريخ نـشأه المسـيـحيـة لوجـدنا أن الكاثوليك تأثروا بالجـيل متي وزاد تركيزهم عـلي التقديس أكثـر بكثير من التـبرير وأن البروتستانت الذين تأثروا أكثر بتعليم بولس أظهروا رغم ذلك ضعفا خلقيا في صيانة الـتبرير والتقديـس ويمكن فهم ذلك من خلال إليه أنه ليس من المهـم ترجمة الإيمان بالأعمال ، طالما لايحتاج الإنسان أن يعمل أي شئ ليكون مقبولا من الله .

لقـد تحمل بولس فـى حال حـياته تـبعـات إجابة هـذا السؤال ، لقـد توصل الإنجيل الذى بشـر به فجأه فى كـورنثيوس إلى موجـه روحانية حـماسية سـمحت

بجميع أنواع الحريات لبعض المسيحيين ، تمادى البعض بلاحدود فى الممارسات الجنسية بينما وقع آخرون فى لامبالاه مفرطة تجاه آلام الآخرين وهلل خصوم بولس وقالوا (إنظروا إلى أين يقود التخلى عن الناموس ؟ لذا لجأت غلاطية إلى ملحق إيمانى يهودى تمثل فى الختان وبعض المبادئ الخاصة بالأطعمة على الطريقة اليهودية وملأ هذا الملحق الفراغ الذى شعر به المسيحيون ، وأدى هذا إلى اعتراض اليهود وقالوا : " بولس يبيع النعمة بثمن بخس "

نقطة لاهوتية

لعل من النقاط اللاهوتية الهشنة التى ركز عليها " مارجيورا" من وجهة نظره أن "بولس " افترض أن مجرد قبول الرجل أو المرأه رسالة التبرير بالإيمان فإن الله يقبلهم بمجرد قبولهم الخبر السار (=الإنجيل) فلا يمكن أن يستمروا فى سلوكهم القديم .

ولعل بولس لم يدرك من قبل أنه أكد إن الانسان العتيق داخلنا يرفض ترك ذاته للنعمه ، ويتشبث بالهوية المنغلقه الضيقة (رومية ٦ : ٦) ويتطور الأمر فى النهاية بالخروج من التبرير فى اتجاه حياة جديدة ، حياة ضرورة الحب والانفتاح على الآخر

" فدفعه بالمعمودية للموت ، حتى كما أقيم المسيح من الأموات لمجد الآب ، هكذا نسلك نحن أرضا فى جدة الحياة " (رومية ٦:٤) ثم يمر المصير حتى نهايته بعد الموت " إحسبوا أنفسكم أمواتا عن الخطية ، ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا " (رومية١١:٦)

هناك ، إذا ، لدى بولس خروج من التبرير فى اتجاه جديد ، حياة خدمة الحب والإنفتاح على الآخر . (نفس المصدر)

تقدير الذات

سعي بولس لإثبات شئ مختلف أتي به العهد الجديد بديلاعن العهد القديم يقول "مارجيورا" ص ٧٩ (الرجل الذي قاوم الله) أن بولس قال إن قبول خبرأن الله يقبلني ،بغض النظر عن استحقاقاتي"علي فقط أن أثق بذلك يعني قبول تقدير ذات راسخ دائم ، عندما أستطيع أن أتخلص من الحزن االشديد وأن أفني حياتي لكي أثبت بغباء شديد أي موضع حب وتقدير ويسمي بولس نمط الحياه المنطوي ومن يتمركز حول نفسه ومن يحاول أن يثبت لذاته أنه يعيش ويستقبل الآخرين في سبيل هذه يسميهاَ بولس "أعمال الجسد" : الزني والعهارة والنجاسة والدعارة وعبادة الأوثان والسحر والعداوة والشقاق والغيرة والغضب والدس والخصام والتحزب والحسد والسكر "(غلاطية ٥:٩:٢١) و"الجسد " : .. الكتاب، يشيير إلى الكيان البشري كلـه في هشاشته وما يحتاجه من أسس بسبب نقائصه وخشيته من ألا يكون محبوبا وعنيفا بسبب الحزن والأسى يوجد في المقابل نمط مفتوح علي الآخر ولايعني هذا النمط أن ينسي الإنسان ذاته ويضحي بها إنها تعني انه يثق أن الله يسمح أن تتحرر حياته من انغلاقها علي ذاتها لتشترك مع الآخر. يسمي بولس هذه الحياة ،" ثمر الروح :المحبة والفرح والسلام وطول الأناة واللطف والصلاح والإيمان والوداعة والتعفف (غلاطية ٥ -٢٢-٢٣) عندما يتمعن المرء في هاتين اللائحتين التى تعددإحدهما الأعمال المؤديه إلى الموت والأخري

العادات الخلاقه المؤديه إلى الحياة فانه يقتنع أن المؤمن فى نظر بولس هو إنسان الجسد والروح فى وقت واحد أن بولس لا يريد وضع شريعة جديدة ولا تعليمات ولا قانون أخلاقى مسيحى أنه يكتفى بالتذكير بالتوراة بعيدة عن الأوامر والنواهى تحب قريبك كنفسك (رومية ١٣-٨ و غلاطية ٥-١٤) وحريه حب مطلقه.

ويقودنا ذلك إلى سؤال حتمى لماذا لم يفكر بولس فى وضع برنامج سياسى لتغيير المجتمع وإصلاحه؟ لقد أقام جماعات سادت فيها المساواة بين اليهود واليونانيين بين الأحرار والعبيد بين الرجال والنساء فلماذا انتظرت المسيحية طويلا حتي أدانت كنيسة أمريكية quakers الرق ١٧٨٠م وشجبة البابا «لاون» الثالث عشر في عام ١٨٨٨ ووصفه بأنه ممارسة لا إنسانية بينما كانت في عهد بولس وظروف عصره كانت مسألة العبودية أمرا مقبولاً حتي من بولس نفسه فقد أعاد إلى فيلمون مع أصغر رسائله عبده الهارب أوينسموس ولا يطلب من مالك العبد أن يحرره بل يطلب منه "ولا كعبد فى ما بعد بل أفضل من عبد أخا محبوبا "(فيلمون ١٦) لا ترد كلمه مساواة فى رسالة بولس كما أنه لا يثير مسأله العبودية من زاويتها مما يؤدى إلى القول أن العلاقه بين السيد و العبد علاقه لا يدينها ولا يرفضها الإيمان المسيحى ولكن علي الإيمان أن يظهر آثاره وثماره والعلاقة بين الإنسان وأخية الإنسان داخل الكنيسة أوينسموس هو عبد ولكنه أخ ،عبد في المجتمع ، وأخ في الايمان .

بولس ونهاية العالم

هناك عنصر يظل غالبا منسيا كان بولس مقتنعا بأن نهاية العالم قريبة جداً.. وعلم هذا لجماعاته "المسيح علي الأبواب" (تسالونيكى الاولي ٤: ١٣-١٧) لذلك فان الوقت غير ملائم لتغيير عالم أوشك المسيح أن يأتي ليوقف مسيرته وعن المسيحية بعده أن الانتظار يطول وعليها أن نجد لها مكانا في المجتمع حتي المجيء الثاني.

بولس وتجاوزات «الإفخارستيا»

صنع بولس دستوراً جماعات الإيمان الأولي تحت شعار "لأنكم جميعا واحد في المسيح يسوع (غلاطية ٢٨:٣) إذ أن الأعضاء في الجماعات ظلت خارجيا ، عبيداً أوأحراراً، أغنياء أوفقراء تقترب اكثر من واقع كورنثيوس حيث لم تكن المعايشة مثالية ، بلا مشاكل بل كانت هناك صراعات شديدة يتطلب تدخل بولس الرعوي لكي يضع الأمور في نصابها (كورنيثيوس الاولي ١١:١٧-٣٤)

تفجرت الأزمة أثناء العشاء الإلهي المقدس (الإفخارستيا) ومن المعروف أن مسيحي كورنثيوس منقسمون إلى جماعات صغيرة متفرقه لكل جماعه خصائصها اللاهوتية ، كان بعضها كاريزماتيا أكثر من البعض الآخر ويجب الإشارة أن عشاء الرب آنذاك يحتفل به في ختام وجبه جماعية كان يجب أن يكون هكذا ، علي كل حال ، وإن اختلف الأمربكورنيثيوس.كان المسيحيون في كورنثيوس يأكلون في جماعات صغيرة وحدث ما كان لا بدله أن يحدث : بما أن كل واحد يحمل معه طعامه فكانت هناك فوارق عديدة في نوعية الأطعمة وكمياتها ، كل حسب قدراته

والنتيجة الحتمية حينما يحين وقت مائدة الرب "فالواحد يجوع والآخر ليسكر " (كورنيثيوس الاولي ١١:٢٢) وكان من الذين يجوعون هم العبيد ، فكيف تصرف بولس ؟ وصل نقده لعمق المسألة إن هذا الإحتقار لا يمس فقط الفقراء ، بل كنيسة الله (كورنيثيوس الاولي ١١:٢٢)

بولس و يسوع

لعل سؤالاً يبرز في هذا الصدد : من أسس المسيحية يسوع أم بولس ؟ وللإجابة عن هذا السؤال لابد أن تعرف أولاً ما هي المسيحية . هل المقصود بها إعتبارها نظامًا أو تفكيراً منظمًا أي أيدولوجية ، وإذا كان كذلك فقد تنسب لبولس أكثر من يسوع (مارجيورا ـ نفس المرجع ـ ص ٨٩)

يكتشف من يقرأ الأناجيل أن يسوع لم يطمح إلي إقامة نظام ، إنه بكلماته و تعليمه و فكره ، وكما يعلم الرسام المبتكر بل يعبر عن أحاسيسه و إنطباعاته عن طريق الألوان ، ألوان واضحة بالأمثال ، ألوان حيه بعبارات مفاجئة من أراد أن يخلص حياته يفقدها ، وألوان غامقه عندما يعلن عن الدينونة الأخيرة .

إتفق يسوع تمامًا مع الديانة اليهودية التي لم يكن لديها قوانين تعليم أو عقائد بل إستندت علي الكتب المقدسة و علي عدد هائل من أقوال المعلمين (التلمود) تمتع يسوع باتساق واتزان و في نفس الوقت لم يكن لديه نمطية توما الإكويني (القرن الثالث عشر ميلادي)

يقتضي لقب مؤسس المسيحية أكثر من مجرد ضربة البداية ، بل يفترض نشاطًا طويلاً لتأسيس ديانة جديدة و صياغة تعاليمها و أسسها و عبادتها و كهنتها

لم يكن لدى يسوع أي نية لتأسيس ديانة جديدة ، تنافس الديانة اليهودية ، لقد تركزت كل جهوده علي إصلاح الإيمان اليهودي ، ولكن اليهود رفضوا ذلك . لهذا توقف نشاطه بين أفراد شعبه بطريقة مفاجأة و مأساوية . يقول " مارجيورا " : إن لم يكن يسوع هو مؤسس الديانة المسيحية كحركة محددة و منظمة فمن يكون غير بولس ؟ولقد لعب بطرس دوراً هامًا كضامن لتقليد يسوع كما تقر بذلك الأناجيل (متي ١٦ : ١٦-١٩) و (يو٢١ : ١٥ _ ١٩) و كان يعقوب (= أخو الرب يسوع)(*) أسقفًا لأورشليم بعد بطرس حتى و إن كان هذان التلميذان تشرفا بصحبة يسوع وشاركاه حياته إلا أنهما لا يصلان إلي قامة بولس : شخصيته الفذة ، عمق تفكيره اللاهوتي ، خصوبة إنتاجه الأدبي ، جذرية خبرته الروحية . ويضيف : تسيطر شخصية بولس،بلا منازع علي المسيحية في الجيل الأول ، ويرجع لبولس الفضل في تأسيس جماعات مسيحية غطت بثقلها الكبير ، حوالي نصف مساحة الإمبراطورية الرومانية ، وأكثر من ذلك إدخال مفاهيم مثل : الفداء ، التبرير ، الحرية ، الضمير وهي لا توجد في الأناجيل ، ولكنه ثبتها ورسخها في قاموس الكنيسة . تمت صياغة العقائد المسيحية من هذه المفاهيم إبتداء من القرن الثالث الميلادي . يؤكد البعض أنه هو مؤسس المسيحية ولكن ويخفي هذا الفضل الذي ينسب إذًا لرسول الأمم ، ثمرة سامة ، لأن هؤلاء أنفسهم يرون أن بولس أصاب رسالة يسوع الرائعة والبسيطة بالتعقيد وأضفي عليها ظلالاً قاتمة ، كما يري بعض المفكرين اليهود أن بولس فصل الحركة المسيحية عن جذورها ، وهي عهد الله مع

(*) اختاروه التلاميذ ليحل محل التلميذ الثاني عشر (=يهوذا) الذي - بحسب الأناجيل- قد خان المسيح وسلمه لليهود والرومان مقابل ثلاثين فضة ثم شنق نفسه على شجرة ندمًا على ما فعل (=المؤلف).

بني إسـرائيل .لذلك لا يمكن فصـل السؤال حـول مؤسس المسـيحـية عن السـؤال الآخر حول مدي أمانه بولس ليسوع المسيح . يقول " مارجيورا " في كتابة (الرجل الذي قـاوم اللـه ص ٩١) إني أدافع عن النظرية الـتي تنفي عن " بولس " تـأسـيس المسيحـية ، ولكنه أصبح كذلك ، لقد أصـبح مؤسسها من الفكرة التي كـونتها عنه المسيحية . إنه من الناحية التاريخية ، ليس مؤسس المسيحية ، يتضح من استعراض كل أبطال الجيل المسـيحي الأولي (ما بين أعوام ٣٠الي ٦٠ مـيلادية) أن بولس هو واحد من الأبطال الكثيـرين ، فهناك التيار الهلليني الذي أسـسه مسيحيـوا إنطاكية والذين أعدوا برنامج تبشيري الذي ـ كما يشهد سـفر أعمال الرسل ـ قام بدورها في الثغرة التي فتحها المسيحية خارج إسرائيل (أعمال الرسل ١١) كما كان هناك تيار آخـر برعاية يوحنا الرسـول سـر هذا التيـار في طريقـه بدون أن تكون له علاقـة أو اتصال مع عمل بولس التبشيري ، ومن هذا التيار نشأ الإنجيل والرسائل التي تحمل إسم يوحنا .هذا بدون التـعرض للمـسيـحيين من أصل يهـودي في أورشليم تحت قيادة يعقوب ، تمسك هذا التيار حتي القرن الثالث الميلادي ، بالإيمان بالمسيح يسوع والتمسك بالمحافظة علي التوراة والطقوس اليهودية محافظة دقيقة .

بولس المبشر (=الكارز)

إن عمل بولس التبـشيري ، ما هو الا أحد روافد المسـيحية الناشئة ، نافـسته وعارضـته روافد أخري ، وخـاصة فيـما يتعلق بالموقف من الشـريعة ، وأن تبشـير الوثنين بدأ قبل بولس وكـانت هناك مفاهيم منتـشرة قبله ، تبنتهـا المسيحيـة بعده ، وانتقل بعضهـا إليه ممن سبقوه ، علي سبيل المثال : لقب "الرب" ، التعليم عن "الروح القدس" ، "الفداء" بالمسيـح ، اعتبار "الصليب" كذبيحة . وأن مـا يطلق عليه اللاهوتيون كلمه " كـيرجـما " : كرازة أو وعـظ هي صيغـة إيمان مسـيحي قديمة تـركزت علي

"موت يسوع" الذي حمل الغفران لكل إنسان والقيامة ، لقد ربط التقليد المسيحي لأهل أنطاكية هذه الصيغة ببولس ودليل ذلك هو النص الذي يذكره في نهاية رسالته الأولي إلى كورنثيوس حيث يجذّر بولس إيمان المرسل إليهم في تقليد الذين سبقوة :" وأعرفكم أيها الأخوة بالانجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه وتقومون فيه وبه أيضًا تخلصون إن كنتم تذكرون أي كلام بشرتكم به إلا إذا كنتم قد آمنتم عبثًا فإنني سلمت اليكم في الأول ما قبلته أنا أيضًا أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب ، وأنه ظهر لصفا ثم للإثني عشر" (كو ١٥ :١-٥). لم يخف بولس اطلاقًا أن هناك من سبقة في العمل والتبشير ، ليست المسيحية قضية فرد بعينه ، إنها حدث جماعي ، خلقٌ يتم في جماعة ، نشأت المسيحية من نفحات الروح القدس في قلب إناس عديدين ،لقد أوجدت ، منذ بدايتها أوجه عديده وطرق كرازه مختلفة تلائم كل منها الثقافة والعادات المتنوعة ، دعوة المسيحية ، منذ نشأتها ، هي دعوة التعدد .

بولس رائد المسيحية المستقلة

بولس هو أحد أفراد جماعة تدين لها المسيحية بوجودها إلا أنه تحول في ذاكرتها (=المسيحية) إلى مؤسسها ومن المستحيل أن نتكلم عن المسيحية منذ اللحظة التي فيها إنقطعت الروابط بينها وبين اليهودية ،الذي حدث كما سبق وقلنا بعد سقوط أورشليم عام ٧٠ ميلادية . لقد قاومت المسيحية رفض اليهودية لها كما يشهد بذلك إنجيل متي ولكنها لم تستطع أن تتصدي له . واحتاجت أن تكّون ملامحها الخاصة ، ومن كان يستطيع أن يمنحها هذه الملامح سوي مسيحية بولس؟،

التي تعود علي الحياة بدون التوراة . إكتشفت المسيحية في بولس رائداً لاستقلالها عن اليهودية ، إن بولس ، الذي إعتبر في حياته أصوليا متشدداً ، أضر بالعلاقات الحسنه بين جماعة المسيحيين الصغيرة وبين جمهور اليهودية الكبير ، وأصبح الآن منظراً نبوياً للإنفصال الحتمي ، وعندما أعيدت قراءة رسالته التي جمعت في نهايه القرن الأول (رساله بطرس الثانية ١٦:٣). إعتبر مؤسس المسيحية المستقلة لقد أثبت التاريخ صحه وجهة نظر بولس (نفس المرجع ٩٣).ويضيف «مارجيورا» إن الإشارات الأولي نجدها في الصورة التي يرسمها له (=بولس) سفر أعمال الرسل ابتداء من عام ٨٠ ميلادية وترجع إلى نفس الفترة الزمنية رسائل كتبها علي الأرجح تلاميذه لا هو مثل (كولوبسي ،أفسس ،١،٢ تيموثاوس ، تيطس) ، وقبلتهما الكنائس باحترام شديد .لقد أصبح بولس فجاة معلم التفكير لغالبية المسيحين ويلاحظ أن تمجيد بولس ، رسول الأمم ،يوحي بتعميق اتجاه الإنفصال عن اليهودية في حين أن بولس أراد الاحتفاظ بتقليد بني إسرائيل - كما يحدث غالباً - فهم قرأوا ما كان يناسب زمنهم وبذلك أخلوا باتزان فكره وشوهوه .

أمانة بولس ليسوع

أولاً يعرف كل قارئي العهد الجديد أن الأناجيل والرسائل عالمان مختلفان عن بعضهما تماماً بتناول كلاهما يسوع المسيح ، ولكن أي بون شاسع بينهما.تروي الأناجيل من وجهتها أعمال يسوع وتنقلاته وتعليمه وعلاقاته بالناس وأخيراً موته وسر قيامته .

أما بولس فـإنه لا يذكر أي شئ لا عن حيـاة يسوع ولا عن أعمـاله ولقاءاته باستثناء وحيد : كلمات العشاء الأخير (كورنثيوس الأولي ١١: ٢٣-٢٥) حتي هنا يذكر بولس تقليداً طقسياً . أنـه لا يتكلم عن تعاليم إلا في مواضع ثلاثه عن كلمه الرب (كورنثيوس ٧ :١٠: ٩: ١٤) (تسالونيكي الأولي ٤ :١٥-١٧) وهي لا تطابق بدقه ما نعرفه عن ذلك من الأناجيل .

إنه يذكر فقط موت يسوع وقـيامته وكثيراً ما يذكرهمـا كحدث مصمت ، لا يروي عنه أية تفاصيل ، يالها من مفاجأة أن نكتشف أن بولس يقل من ذكرما تعتبره الأناجيل مـضمـون الإيمان ألا وهو حياة وكـلمات إبن الله (=يسوع المسيح) هل الذي يهم بولس هو يسـوع الميت ؟يمكن الـرد علي ذلك بأن الكنائس التي كـانت ملمـة بحياة يسـوع وأنه كان لديهـا بعض الأناجيل ، قـبل أن يتم تحرير الأنـاجيل الكبري حـتي إذا أخذنا كل هذا بعـين الإعتبـار ، مضـيفين أن بولس كتـب رسائلة عندما دعت الحـاجة ، لحل مشكلة أو توضيح أمـر معين ،إلا أنه يظل غريباً ومـثيراً للدهشة ألا يتعرض في حله للمشاكل ، ليسوع الأرضي بشحمه ولحمه.

يجب الإقـرار بأن هذا شئ ناتج عن تعددية المسيحـية التي ذكرناها قـامت المسيحـية منذ نشأتها علـي عامودين مختلفـين ، عامود يقوم في الأمانه لـيسوع ممن يحفظون كلمات يسوع في الأناجيل ، ويرتكز العامود الثاني علي الإيمان بالصليب والقيامة ..

والكرازه إنقسمت لقسـمين (متي ، مرقس) ، (لوقا ويوحنا) هم الذين نقلوا كلمة يسـوع . وبولس للكرازة اللاهوتية المركـزة علي موت يسوع وقـيامتـه حيث يتحقق مـخطط الله .ويضيف (دانيال مـارجيورا ص٩٥)" ويمكن تفسيـر تركيز بولس

علي الكرازة بسهولة شديدة انه لم يعايش بولس يسوع الناصري ، بل تراءي يسوع له بعد قيامته .

بولس ناقل رسالة يسوع

ترتكز مهمة بولس علي نقطتين مركزيتين بخصوص يسوع . النقطة الأولي هي أساس الرسالة ذاتها . الحدث الأساسي في رسالة يسوع هو ملكوت الله الذي إقترب بوجود يسوع ذاته ، أما مركز الرسالة عند بولس فهو التبرير بالايمان والتبرير بالايمان هو نقل أمين لملكوت الله .وبرغم عدم ورود أية عبارات عن ملكوت الله في نصوص بولس ولكن هذا لا يعني غياب الفكرة عنه .هناك تناسق سيمتري بين يسوع وبولس قوي جداً وأن طريقه معالجة يسوع وبولس للمجال الأخلاقي متشابهة وهذه هي النقطة الثانية وتعرف بأن تعليم يسوع الأخلاقي يتركز في موعظته علي الجبل مثل عدم جرح الآخرين بالاتهام بتقديم "الخد الآخر" ، وحب الأعداء ، والصلاة لأجل المضُطهِدين (متي ٥ :٢١- ٤٨) إنه تعليم التفوق الذي يترجم إرادة الله في حياة الإنسان اليومية

ويختصر بولس شريعة المسيح في حب الآخر حيث ، يقوم تعليم بولس الأخلاقي في إتاحه مجال لاستقبال الآخر (راجع كورنثيوس الأولي ١٣: ٢-٣).

يستطيع المرء أن يعمل ولا يكون شيئا ، لقد اختبر بولس هذا الأمر فقد يصل الإنسان إلى البطولة الدينية ، ثم يجد ذاته صفر اليدين حيث أن أمر الإختيار بين الحب والإيمان لا وجود له ، والحب في تعاليم بولس بسيط للغاية ، كما هو في تعليم يسوع : (راجع كورنثيوس الأولي ١٣ :٤-٧)

الفصل الخامس

عمر بن الخطاب
(السِّمة النبوية)

لعل الملاحظ أن بولس الرسول (= شاول الطرسوسي) كان مشُرعاً ونعت نفسه بـ " الرسول " وظل اللقب ملازماً حتي الآن علي إعتبار أنه أحد أهم مؤسسي المسيحية المستقله كما بينا في الفصل السابق أي أن بولس كانت لدية "السمة النبوية " إذ كانت سمات الوحي تلازمه كما قال هو لذا ظهرت تعاليمة ورسائله ومساجلاته وتحديه لتلاميذ يسوع (= عيسي) وانتصاره عليهم في النهاية . (=المؤلف) وقد رأينا أيضاً أن اعتناق عمر الاسلام كان مترافقاً مع تحول في مناهج وأسلوب الدعوة المحمدية (= الاسلامية) إضافه لإدخال عناصر جديدة فيها فجعل هذا المنعطف من إسلام عمر الحدث البارز في تحول الدعوة .

ما ميز عمر هو أن رؤيته صارت تشريعاً والتي وجدنا بعضها في رحلته مع محمد (= النبي) فرأينا كيف أن القرآن جاء مراراً يؤيد وجهة نظرة عندما كان قادة الحركة الاسلامية يختلفون بطريقه التعاطي مع قضايا سياسية، حتي قيل لاحقاً بأن عمر كان يري الرأي فينزل به القرآن وسميت فيما بعد " موافقات عمر "(*)

(*) نحاول هنا وضع تأصيل جديد لمفهوم اصطلاح «المتنبي» ليس بمعنى إدعاء النبوة الذميم الذي لصق بالشاعر المشهور وإنما بمعنى الموهوب في استلهام الصفة النبوية والتي عرفت بـ«الموافقات» (=المؤلف).

الأذان وتعدد الوحي

بعد ما استقر محمد (= الرسول) في يثرب فإن الصلاه أخذت شكلها النهائي، فتناقش مع صحابته بشأن الوسيلة التي يجب أن يتخذونها لدعوة جمهور المؤمنين للصلاة . والروايات تتحدث عن أنهم طرحوا مقترحات مختلفه : استعمال بوق من قرن كبش لأجل الدعوة للصلاة مثلما كان سائداً في كُناس اليهود الشرقية (برو كلمان ص٤٧) لكنهم عدلوا عن ذلك إلى فكرة استعمال ناقوس خشبي مثل ناقوس المسيحيين الشرقيين (الإسلام في مرآه الغرب ١٨٢) فكلَفُ عمر بشراء خشبتين له . ألا أن عمر وفجأة يتوجه إلى محمد ليخبره بأنه بينما كان نائماً في داره، رأي منام من يطلب منه عدم استعمال الناقوس، بل الآذان(*)، لكنه لما وصل وجد أن الوحي قد سبقه، وثمه روايه أن عبد الله بن زيد الخزرجي قد سبقه إلى محمد (= النبي) بينما تقول رواية أن عبد الله بن زيد حصلت له رؤية تعلمه الآذان، وبنفس الوقت رأي عمر في المنام من يعلمه ذلك، فلما ذهب إلى محمد ليخبره، وجد «بلال» يؤذن فقال محمد له " قد سبقك بذلك الوحي " (إبن هشام ١/ ٨٠٥، السيرة الحلبية ٢/ ٢٩٩-٣٠٠)

وثمه رواية منزوعة الهالة القدسية تقول بأن المسلمون كانوا يجتمعون فيتحينوا الصلاة، وليس ينادي لها أحد فجري بينهم ذات يوم نقاش أفضي إلى اقتراح عمر بأن يبعثوا رجلاً ينادي للصلاه، فطلب محمد (= الرسول) من بلال أن يعلن النداء (الدر المستطاب ص ١١٣) .

يبقي أن نشير إلى روايتين بعد الآذان، إذ تتحدث الروايات عن اقتراحات أخري :

(*) لا يوجد بالقرآن ذكر كلمة «آذان» للصلاة وإنما نداء وذكرت بصيغة قرآنية «يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله» بينما جاءت صيغة آذان لمناسك للحج وليس للصلاة مثل «وأذن في الناس بالحج» (=المؤلف).

فاقترح نـصب بدايه لدي موعد الصلاة، ليعلم الناس قواعـدها، واقترح رفع نار بحيث تؤذن بالصـلاة، فرفض لأنه خاص بالطقوس المجـوسية (السيرة الحـلبيه٢/ ٢٩٧) كما تحـكي روايات ضعيفـة السند عن أن بلالاً أوغيره أذن بمكة قبل الـهجرة (السيرة الحلبية٢\٢٩٧) والثابت في المصادر التاريخيه أن الأذان كان أول مرة في يثرب إذ أن المسالة تـتعلق لا بتوقـيت فرض الصـلاة فقط، بل أن الآذان بقـدره الجمـاعة الإسلامـية علي إعلان طقوس عـقيدتها، وهذا لـم يكن ممكنًا إلا في يثرب، إذ لم يكن الوضع السـياسي يسمح بـذلك في مكه، دع عنك أن إسلام يثـرب أخذ في تأسيس كيان مستقل، وكف عن أن يكون مجرد دعوة إصلاحيه (الشهرستاني:الآذان بين الأصالة والتحريف ص٤٩٢)

الإستئذان اليومي

يطلب نص قرآني من المؤمنين عـدم اقتحـام بيوت الآخرين بدون استـئذان حيث يحدد ثلاثة أوقات تفرض فيها الإستئذان قبل الدخول علي بيوت المسلمين : صـلاه الفجـر، ولدي قيلولة الـظهيـرة ومن بعد صـلاة العشـاء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ (النور).

وحـسب إحدي الروايات فـإن الآيه جـاءت بناء علي حـدث يخص عمـر، إذيروي أن محمدا (= النبي) أرسل غلاما أنصاريا إلى عمر وقت الظهيره ليدعوه فـدخل عليـه وكان نائـما تظهـر أجـزاء من جـسده، فـطلب عمـر من ربه تحـريم

الدخول عليهم وقت النوم (التفسير النبوي، البيضاوي) . وفي روايه أخري أعلن عمر عن رغبه في أن يأتي تشريع بهذا الشأن وقد جاء القرآن بشرعية دعاءه .(أخبار عمر ص٣٨١)

عمر ومقام إبراهيم

طلب عمر من محمد(=الرسول) أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلي، وقيل أن محمدا (=النبي) أجابه بأنه لم يؤمر بذلك، فلم تغب الشمس حتي نزلت الآية (الدر المستطاب ص٥٩) .﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ... (١٢٥) ﴾ (البقره)

وعلينا الإشاره إلى إننا نجد إختلافا في تحديد المقام، فهل هو الحجر المعروف، والذي يصلي عنده كما توحي بذلك الآيه، وتري أراء كثيرة هذا الرأي، أم الحرم كما في آراء أخري و كما ثمه أراء غيرهما، ولاحقا في حكمه (=خلافه). سنه ١٨ هجريه كان هذا الحجر ملصقا بحائط الكعبه ، فقام عمر بإبعاده قليلا إلى موضعه الحالي (تاريخ الخلفاء ١٦٦، الكامل ٢/ ٥٦٢، البداية والنهاية) وعلل فعله بأن الله قال ."واتخذوا من مقام إبراهيم مصلي" (تاريخ عمر٩٥) وتقول الروايات أن سبب إبعاده من جانب عمر كان مجئ سيل في عهد خلافته يقال له سيل"أم نهيل"، أدي هذا السيل إلى ازاحه المقام وعندها نقل إلى عامل عمر في مكه، الذي أخبر عمر فقدم عمر مكه، واستعلم عن مكانه القديم أعاد وضعه اليه (أخبار مكه ٢/ ٣٣-٣٤)

صلاة التراويح

بعد حوالي السنة علي توليته (=عمر) الحكم وفي سنه ١٤ هجريه/ ٦٣٤ ميلادية قام عمر بسن صلاة التراويح، (الكامل ٢/ ٤٨٩، تاريخ الخلفاء ١٥٩) ولم يكن

هذا الطقس المستحدث للتو خاصًا بالرجال فحسب، بل للنساء أيضا، إذ عين قارئين أحدهما للرجال وآخر للنساء (تاريخ عمر ٩٦-٩٩-١٠٢، الشيخان٢٠٢) ويبرر طه حسين هذه السنه العمرية بأن الروايات نقلت أن محمدا (=النبي) قام ليله يصلي في المسجد، ولما عرف الناس بذلك تقاطروا اليه ليشاركوه صلاته، ثم أن الناس كثروا في الليلة الثانيه، وما ظلوا يكثرون، حتي اكتظ بهم المسجد، فلما رأي محمدا منهم ذلك كف عن الخروج للمسجد، وصار يصلي في بيته، معللاً تصرفه بخشيته أن تتحول الصلاة إلى فريضه قد تثقل كاهل المؤمنين ويري طه حسين أن عمر لم يزد علي أن عاد إلى سنة محمد(=الرسول) في رمضان. (الشيخان٢٠٨)

ونحن نعتقد أن عمر كان يريد بهذا المنسك أن يربط المؤمنين أكثر بالعقيدة(*) (=السيرة المتوارية ص١٩٥).

عمر ضد النص المقدس

ممارسة الجنس في رمضان

لم يكن المسلمون في المرحله المكية يتبعون صيامًا، لكن مفرده الصوم وردت في القرآن المكي في سوره مريم "كلي واشربي وقري عينا ،فإما ترين من البشر أحد فقولي، إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً " (مريم ٢٦) وسورة مريم تنتمي للمرحله المكيه الثانيه وبعض آياتها تنتمي للمرحلة الثالثة

(*) يراه باحثون غربيون مخالفًا لرؤية الرسول وأثقل كاهل المؤمنين وحمل عليهم إصرًا كما حمل على الذين من قبلهم واجتهد فيما لا يجب الإجتهاد فيه (=المؤلف).

اليثربية إلا أن فرض الصيام جاء في يثرب في قول القرآن ﴿يا أيُّها الَّذين آمنُوا كُتب عليْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)﴾ (البقرة) وهي الآية الوحيدة التي تشير إلى فريضة الصيام وليس واضحا كيف كان الصيام تحديدا فثمة من يقول أنه كان خمسين يوما، في حين قال آخرون بأنه كان ثلاثة أيام من كل شهر أو انه كان منسكا تطوعيا، ولم يكن الصيام منقطعا عن التقاليد قبل إسلاميه (= جاهلية)، إذ ذكرت الأخبار أن ثمه صياما متبعا قريبا من الصوم الإسلامي الحالي، وهو الامتناع عن الاكل والشرب وممارسه الجنس (المفصل ٦/ ٣٤١،٣٤٢) وثمه إشارة إلى صيام كان يتبعه "المتنصرون" في شهر رجب، والذي كان شهرا ثابتًا في التاريخ ويوافق أبريل (=نيسان)

إن الغموض يكتنف شكل فريضة الصيام في الإسلام المبكر والمؤكد أن ممارسه الجنس كانت محظورة في فترة الصوم وثمه اختلاف في مصدر هذه النقطه،فمنهم من قال بأن ممارسه الجنس كانت مسموحه بعد الإفطار إلى صلاة العشاء فحسب، واذا مانام المؤمنين قبيل العشاء، وحتي لو لم يأكل، لا يجوز له تناول الطعام، والشراب ولا ممارسه الجنس إلى الليلة الثانية لكن ذات مره خرق عمر هذا الحظر، وجاء إلى محمد(=النبي) معترفا بما اقترف، فقام رجال آخرون معترفون بأنهم فرقوا هذا القيد (تفسير الزمخشري) ولا شك أن ذلك كان مؤثراً علي حقوق إلتزام الشرط، وتذهب روايات أخري إلى أن الجنس كان محظوراً هذا الشهر . وبعد إعترافات عمر ورجال مسلمين جاء القرآن ليلغي هذا القيد و نعني به قيد الجنس.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا

واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ﴿١٨٧﴾ (البقرة) وكان تعيين الصيام الذي يبدأ بعد صلاة العشاء يشابه التزمين اليومي لدي اليهود، ذلك أن اليوم كان يبدأ عندهم، من غروب النهار السابق إلى غروب اليوم نفسه، فيوم الجمعه يبدأ مساء الخميس بعد الغروب (تاريخ المسيحية١/ ٣٣٧، صوفيه المسيحيه١م٢٦١-٢٦٢) ولدي حلول عيد الفصح عند اليهود الذي يقع في ١٤ أبريل (نيسان عبري) فان أكل الفصح يتم مساء (١٣ نيسان عبري) علي حسابنا الذي يساوي ١٤ نيسان عبري، علي حساب اليهود (صوفية مسيحية١/ ٢٦٣) وفي الآيه القرآنيه" وكلوا واشربوا حتي يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود" وهذه الآيه تحيلنا إلى تشريع يهودي وارد في المشناه براخوت(١/ ٢) يحدد اليوم بأنه يبدأ من الوقت الذي يقدر فيه المرء أن يتبين الخيط الأزرق من الخيط الأبيض (p.128،sources of qur'an) ويبدو أن التعيين الزمني المرتبط بالتمييز بين الخيط الأبيض والخيط الأسود اليهودي كان منتشرا في الأوساط التوحيديه، إذ يرد في شعر منسوب إلى أميه بن أبي الصلت، قوله:

الخيط الأبيض ضوء الصبح منفلق والخيط الاسود لون الليل مركوم

(السيرة المتوارية ص ١٩٨)

(*) يقلع معظم-إن لم يكن كل- المسلمين عن الطعام مع آذان الفجر وليس مع الخيط الأبيض والذي يأتي بعد ساعة كاملة من الآذان ويلتزمون في ذلك تعليمات الفقهاء دون الإلتفات للآية القرآنية بصفة نهائية وكذلك يحل موعد الإفطار في الليل كما في الآية «ثم أتموا الصيام إلى الليل» ومعروف أن المغرب يسبق الليل بحوالي نصف ساعة ومع ذلك يفطر المسلمون ساعة آذان المغرب دون التفات للآية القرآنية أيضًا (=المؤلف).

ويمكن هنا أن نجد تأكيدا غير مباشر علي ذلك من خلال الأمر الذي أصدره عمر لاحقا والذي يقضي بمنع الصائم أن يقبل، قائلا بأن ليس لأحد منهم من الحفظ والعفه ما كان لمحمد (=النبي) (تاريخ عمر٣٠١) فهذا الأمر يدل علي أن خرق عمر لم يكن بدافع الحاجه الجنسيه، بل كان يهدف إلى إجراء قطيعه مع تحديد يهودي للزمن ولاحقًا سيقوم محمد (=الرسول) بإجراء قطيعه ذات طبيعه زمنيه مع الوثنيه، عندما يلغي نظام النسئ في حجة الوداع، سيؤكدها القرآن أيضا في سورة التوبة (في الآيتين ٣٦-٣٧)

الحجر الأسود

لما قام عمر بحجته الأولي وهو أمير المؤمنين، دخل المسجد، واقترب من الحجر الأسود، فقبّله، ثم قال " والله، لولا أني رأيت رسول الله قبلك، ماقبلتك، ولقد أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع" (تاريخ عمر ١٨٦، اخبار مكه ١/ ٣٢٩)

شجرة الرضوان

ولا شك انه لما شرع الناس يأتون إلى الشجرة التي بايع محمد (=النبي) تحتها بيعة الرضوان، فصاروا يصلون عندها، فإن عمر هدد بعقوبه القتل كل من يصلي عندها، ثم أنه أمر بقطعها، (ابن أبي الحديد المعتزلي ١/ ١٣٨) (تاريخ عمر ١٨٧ الفاروق٢٩)

إن موقفه من الحجر الأسود (=الأسعد) يماثل موقفه من طقس الهرولة، والكشف عن المناكب في الحج(*)، فقد تساءل عن الحاجه للتقيد بهذا الطقس بعد

(*) يقال أنه نفس الطقس التي يحاول الشيعة عمله في كل موسم حج ويتسبب في مشاكل مع السلطات المسئولة عن الحج ذلك لأنهم - أي الشيعة- لا يرونه قد تم منعه اللهم إلا بمنع عمر. وكلنا يعرف موقفهم من عمر (=المؤلف).

أن حقق المسلمون إنتصارهم الكاسح علي الوثنيين، إذكان محمد(=الرسول) قد سأل المسلمين القيام بأداء هذا الاستعراض بعد أن وصل وصحبه مكه لأداء العمرة حسب بنود الإتفاق (=إتفاق الحديبيه) حيت تناهت إليه أنباء بأن القرشيين علقوا علي أن محمدا (= النبي) والمهاجرين صاروا أكثر وهناً (=ضعفاء)، ولهذا طلب محمد(=الرسول) من رفاق الهجره أن يهرولوا، كان هذا الطقس استعراضا عسكريا، واذ أدرك عمر إنتفاء الحاجه إليه الآن، فإنه أثبت قدرته علي نقض المقدس إلا أنه مضي بالتقيد به، ويبدو أن ذلك يعود إلى حاجه عمر إلى التعبئه المعنويه التي كان يوفرها هذا الطقس. (السيرة المتوارية، مالك مسلماني ص٢٠١)

فريضة الاجتهاد

قام عمر بسلسة اجتهادات بعد وفاة محمد (=الرسول)تتعلق بالنص التشريعي الأول في الاسلام ونفي القرآن فاذا كان ايقافه أخذ الضريبة (= الزكاة)(*) عام الرمادة يذكر في هذا السياق إلا أنه يمكن اعتباره ضروره كان سيقوم به غيره في هذه المحنة التي عاشتها الجزيره العربية، ولكن الاجتهادات الأخري كانت بعيدة عن أن تكون تحت الضغط الخارجي

سهم المؤلفة قلوبهم

نجد في النص القرآني ذكر لهم خاص من الغنائم يخص المؤلفة قلوبهم (سوره التوبة٦٠) وقد استمر تطبيق المبدأ في عهد أبي بكر، مع بعض الاستشارات حيث أن سهم المؤلفه قلوبهم أيام محمد(= الرسول) يعود إلى ضعف

(*) استخدمنا مفردتي الضريبة- الزكاة لضرورة ذلك للترجمات الأجنبية ولقارئ غير مسلم لا يعرف معنى الزكاة لتقريب المعنى له (=المؤلف).

الإسلام (السيرة المتوارية٢٠٢) وان القرآن شـرعه بسبب من الظروف الموضوعـيه التي كانت تحيط بالحركه الاسلامية أيام محـمد . وبسبب من التغيير الحاصل في موزاين القوي، فإن عـمر من وجهة نظر حاكم رأي أن الوقت قد حـان لوقف هذا التدبير الذي لم يعـد ضروريا بعـهده، وبهـذا أوقف العمل بهـذا المبدأ، وهذا خـرق لنص قرآني ثابت بشأن " المؤلفه قلوبهم"(*) لكنه كان ينطلق من وعي باختلاف الظروف الموضوعيه، وتاليًا بضروره تعديل الاحكام بما ينسجم مع المستجدات.

زواج المتعه (=العقد المؤقت)

هو زواج مؤقت يشترك مع الزواج الدائم بشروط العـقد، مثل المهر، بيد أنه يخـتلف عنه بأن الطلاق يقع فـيه آليـا بعـد انقضـاء المده المعيـنة في العقـد كمـا أن الطرفين لا يتوراثان في العقد المؤقت وهناك إثبات للنسب.

كان هذا الزواج معـروفا قبل الإسلام (المفصل ٥/٥٣٦) وغالبا مـاينسب أولاد المتعه إلى أمهاتهم، وذلك بسبب اتصالهم المبـاشر بالأم ولارتحال الأب عنها إلى أماكن أخري قـد تكون نائيه فـتنقطع الصـلات بين الأب والأم ولهذا يأخـذ الأولاد نسب الأم ونسب عشيرتها (المفصل ٥/ ٥٣٧) وقد أخذ بها القرآن وشرعها في سورة النساء ٢٤)

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤) ﴾(**).

(*) يرى مستشرقـون أنه مخالف للمبدأ الإسلامي «لا اجتهاد مع نص» مهـما تغيرت الظروف فإن عـمر ليس لديه مـبرر لمخـالفة القرآن سـوى إتهامـه باعتناق مـبدأ تاريـخيـة النص التي يعيـبهـا المتشددون حاليًا على المجتهدين بوجه عام (=المؤلف).

(**) في التأويـل يقرأها الشيـعة «فـما استـمتـعتم به منهن» (إلى أجل مـسمى) فأتـوهن أجورهن فريضة» بمعنى أن الزواج المؤقت (=متـعة) وأن لفظ «استمتعتم» هو لـلمتعة وليس للزواج الذي يصفه القرآن دومًا بـ «النكاح» (المؤلف).

ولم يرد نسخ قرآني (= إلغـاء وبمعني آخر إعـادة كتابة) للآية التى تشـير إلى المتعـه، وبهذا فـإن المتعـة في التشريع الأول، لـكن عمر أعلن وقف الـعمل بزواج المتعه، كما نهي عن متعه الحج (= التحلل من بعض مناسك الحج) رغم أن البعض أراد أن يعتبـر الغاء المتعه موقفـا محمديا (= أمر به النبي محـمد)، إلا أن المعطيات التي في كتب التفسير تـشير إلى أنه تشريع عمري(*) (= أمر به عمر بن الخطاب) ولهذا ذكر أنه أول من حرم المتعه(تاريخ الخلفاء ١٦٥)

وروي أنه قال مؤكدا عزمه علي انفاذ قراره " مـتعتان كانتا علي عهد رسول الله : أنا أنهي عنهمـا، وأعاقب عليهـما " (ابن ابي الحديد المعـتزلي ٦/ ٣٥٩) ولهذا يري أحد مفسري الشيعة بأنـه لو كان الله نسخ الآية أو نهي عنها محمد (=الرسول) أو أباحهـا في وقت مخـصوص ـ حسب تأويلات السنة ـ دون غيـره لأضاف عـمر التحـريم إليه، لا إلى نفسـه، ثم يلاحظ المفسر أن عـمر قرن بين متـعه الحج ومتـعه النساء، وأنه لاخلاف أن مـتعه الحج غيـر مشوفة ولا محـرمة توجب أن يكون قلم متعه النساء حكمها (مجمع البيان في تفسير القرآن).

يذكر ابن حـبيب أسـماء من كان يؤيد المتـعه من أصحـاب محـمد (=النبي)وهم:

١ - خالد بن عبدالله الانصاري

٢- زيد بن ثابت الانصاري

٣- سلمة بن الاكوع الاسلمي

(*) ويرى مستشرقون أن ذلك تحريم ما أحل الله في القرآن مهما كـانت الأسباب الإجتماعية والسياسية في فترة خلافة عمر وقد سبق وتمت الإشارة إلى مبدأ إسلامي يقول «لا إجتهاد مع نص» (=المؤلف).

٤ – عمران بن الحصن الخزاعي

٥– عبدالله بن العباس بن عبد المطلب .

ويلاحظ ابن حبيب أنهـا شخصيات ضعيـفة النفوذ (المُحبر ٢٨٩) ويتفرد ابن عباس بأنه أقوي شخصية من هذه المجموعة ولم يكن ابن عباس يؤكد سريان زواج المتعه فحسب، بل نقداً لعمر فقال " رحم الله عمر لولانهي عن المتعه مازني أحد " ويذكر القرطبي في تفسيره أن أتباع مذهب ابن عباس في مكة والـيمن يرون المتعه حلالاً .

ويضاف إليهم إسم مـعاوية وابن مسعود وجـابر بن عبد الله (الناسخ والمنسوخ للمعافري ص١٣٤) .

فيما يخص الآية المتعلقة بزواج المتعه، بأن فريقاً من أهل السنه رأي بأن تحريم زواج المتعه فرضه محمد (نفس المصدر السابق ١٣٦، تفسير البغوي) ويرفض ابن الجوزي ذلك لوجهين :

الأول : إن الآية سبقت لبـيان عقدة النكاح بقول (محـصنين) أي متزوجين عـاقدين النـكاح فكان معنـي الآية :"فمـا استمـعـتم به منهن " علي وجـه النكاح الموصوف فآتوهن مهورهـن، وليس في الآية ما يدل علي أن المراد نكاح المتعه الذي نهي عنه، ولا حاجه إلى التكلف، وإنما جاز المتعه برسول الله ثم منع منها .

الثاني: أنه لو كان ذلك لم يُجرُ نسـخه بحديث واحد. (نواسخ القرآن ص١١٤) في حين أن جـماعـة علماء القـرآن انقسـموا بدورهم إلى رأيين بصـدد هذه الآية: ففـريق رأي انها منسوخـه، وآخر أنها مـحكمة (الناسخ والمنسوخ للمـعافري ص ١٣٤)

وعلي أي حال، فـإن لهذه الآيه سياقـاً تاريخيًا مـثيـراً للجدل الأخلاقي فـنقرأ في أسباب نزولها بأن مسلمين سَبَوا في "اوطاس " نساء متزوجات بيـد أنهم أحجموا عن " الوقوع علـيهن " عمـلاً بسلوكيـات العهد قـبل الإسلامي (=الجاهـلية) التي تعتبر مقارفه هذا العمل إثما . وقد استشاروا محمداً بشأنهن، الذي نقل اليهم بعد حين الآية : " والمحصنات من النساء إلاما ملكت ايمانكم " فقـال أحد المسلمين: " فاستحللنا بها فروجهن " (أسباب النزول للواحدي ص ١٢٣) ليس لدينا ما يبرر بأن فكر عـمر تسامي إلى سلوكيات مُمثلنه، وزاهـده، فإذا لم يكن بوسـعنا اعـتبـار عمـر إمبراطورا بسبب العصر أولاً وبسبب الشخصية ثانياً، إلا أن المواد التـاريخية التي لدينا تشـير إلـى أن سلوكه وان كـان فيـه زهد نسبي إلا أنه لم يصل حـد الرهبنه، اوتبـتل و كف جنسي، و إذ كـان وعـيـه لم يبلغ درجـة التـفكير بـإلغاء التـسـري بالجواري الـسائد في عـصره، ولا حتي إلى درجـة التفكيـر في الإشارة إلى إلـغائه فإننا بالحقـيقة لانستطيع أن نجد في موقـف عمر تفسيراً مـقنعاً من منظور أخلاقي، ولهذا نميل لتـبني أن تشريعه يعـود بالدرجة الأولي إلى تطور مـوضوعي في النظام التشريعي للدول الناهضة والتي أخذت معالم الذكورة تزداد قوة، ومن هنا فإن هذا التشريع كان يهدف إلى تصفية بقايا الأمـومية في السلوكيات العربية وتأثيراتها في الإسلام، إن هذا الخرق المقـدس جري وفق مقتضـيات التطور التاريخي والذي أتم بالذكورية، فإلغـاء زواج المتعة كان يهدف لهـدم آخرالنزعات الأموميـة في المجتمع بألوان ذكورية أبقي عليـها مثل التسـري بالجواري التي صبغت المجتـمع العربي(*)

(*) نختلف مع هذا الرأي لأن الرق والتسري بالجواري وما ملكت اليمين نظامًا لم يخترعه الإسلام ولا المجتمع العربي وإنما كان نظامًا اجتماعيًا اقـتصاديًا عالميًا مارسته البشرية لسنوات طويلة حتى ألغيت في القرن التاسع عشر الميلادي (=المؤلف).

وقتها بها، فالآية تسمح بشقها الأول بانتهاك جسد الأسيرات المتزوجات إلى خرق يجسد أخلاقية سادت قبل الدعوة الإسلامية، وهي تظهر ذكورية الإسلام وهذه الرخصة لم يمسها عمر، بل قام بنسخ الشق الثاني فحسب ولحساب الشق الاول بطريقة غير مباشرة وربما لهذا بالضبط تقبلت الرؤية السنية هذا الخرق وقدمت له كل التشريعات (السيرة المتوارية ص ٢٠٥).

متعه الحج

هو التحلل من المحظورات خلال فترة الحج، وذلك خلال المدة بين الإحرامين : من العمرة إلى الحج، وقد قال عمر بأنه مع علمه بأن محمداً كان يمارس، إلا أنه كره أن ياتي الرجل من العمرة، ثم يأتي النساء، وبعد ذلك يذهب يهل بالحج (ابن أبي الحديد المعتزلي ٢٩١) أن التبرير الذي قدمه بأن التمتع في الحج يسيئ إلى الحالة التطهرية لمنسك الحج (مسند أحمد رقم ٣٥٣، سنن النساء الكبري رقم ٣٦٨٤) ورغم أنه أقر بأن متعه الحج وزواج المتعه كانتا تمارسان في عهد محمد (=النبي) إلا أنه أصدر أمرًا قاطعا بمنعها، وأضاف : فافصلوا حجكم(*) عن عمرتكم، فإنه اتم لحجكم، واتم لعمرتكم، والأخري متعه النساء، فلا أوتي برجل تزوج امرأه إلى أجل إلا غيبته في الحجارة " (ابن شبه ص ١٩٨-١٩٩).

عقوبة شارب الخمر

لم يتقيد عرب قبل الاسلام بخطر شرب الخمر . ولا نستطيع أن نقدر

(*) هذا الرأي العمري يراه بعض المستشرقين مخالفًا لظاهر الآية القرآنية «وأتموا الحج والعمرة لله» والآية تتجه في تفسيرات بعض الفقهاء بتلازم الحج مع العمرة في توقيت واحد وخالفهم آخرون وهذا ما يتبعه كثيرون حتى الآن (=المؤلف).

حجم انتشار عادة شرب الخمر ومهما كان انتشارها، فليس لدينا ما يشير إلى انها كانت ظاهرة مرضية مستفحله، لكن يمكننا التقدير بأنها كانت منتشرة بشكل واسع نسبياً، ذلك أن عمر _ الشخصية التي سيكون لها لاحقاً يد الطولي في تحريم الخمر التي كان يتعاطاها . لكن عبد الله بن جدعان التيمي، صاحب الدار الذي عقد فيه حلف الفضول (السيرة الحلبية ١/ ٢١١) وهو ينتمي لآل ابي بكر وعثمان بن مظعون (السيرة الحلبية ٢/ ٢٦٢) وعثمان بن عفان، وعبد المطلب بن هاشم، وورقه بن نوفل والوليد بن المغيرة . الذي ضرب إبنه هشاماً علي شربها (المحبر ٢٣٧) والجدير ذكره أن الوليد من زنادقه قريش، الذين تعلموا الزندقة من نصاري الحيرة (المحبر ١٦١) كما تقول عنهم الأخبار .

وعندما جاءت الدعوة المحمدية، فإنها لم تتعامل مع قضية شرب الخمر في مكة، بل لربما تجد فيه آية الهية، كما ورد في آية قرآنية تعود لنهاية المرحلة المكية " ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً و رزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون " (سورة النحل ٦٧) لكن لاحقاً، وبعد الهجرة إلي يثرب، فإن الإسلام تعاطي بطريقة مختلفة مع قضية شرب الخمر، الذي أخذ منه ثلاث مواقف متعاقبة، انتهت أخيراً بتحريمه :

١- نظرإلي شرب الخمر علي أنه آثم، مع الإقرار بوجود منافع ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ... (٢١٩) ﴾ (البقرة).

٢- بعد ذلك جاء أمر بتحريم أداء طقوس الصلاة في حاله السكر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ... (٤٣) ﴾ (النساء).

٣-وأخيراً التحريم القطعي لشربها ﴿يا أيُّها الذين آمنُوا إنَّما الخمرُ والميسر والأنصابُ والأزلامُ رجسٌ مِّنْ عمل الشَّيطانِ فاجتنبُوهُ لعلَّكُم تُفلحُون ﴿٩٠﴾ ﴾(المائدة).

لكن لم يرد في القرآن عقوبة محددة لشارب الخمر، والعقوبة التشريعية لشاربها هو من استحداثات عمر الذي سن عقوبة ثمانين جلدة لشارب الخمر (تاريخ الخلفاء ١٦٥) ويقال إن علياً أشار عليه بهذه العقوبة . ويقول آخرون بن الذي أشار بهذه العقوبة هو عبد الرحمن بن عوف (الدر(*) المستطاب ص ٧٢) وكما قيل أن خالد بن الوليد قد كتب اليه منبها إياه إلى انهماك الناس في الخمر بسبب ضعف العقوبة، وإن عمر تشاور مع المسلمين مهاجرين وأنصار فكان رأيهم تحديد عقوبة شاربها بثمانين جلدة (مجموعة الوثائق السياسية لعهد النبوي والخلافة الراشدة ٥١٥) فأخذ عمر بهذا الرأي وطبقة في المدينه، ومن ثم أمر بتنفيذ هذه العقوبة في مناطق أخري (الفاروق عمر ٢/ ٢٤٤) ومع ذلك لم يعتبر المسلمين أن هذه العقوبة منصوص عليها في القرآن، و يبدو أنهم استمروا في شرب الخمر فروي أن أبا عبيده بن الجراح علم بخبر جماعة من المسلمين شربوا الخمر مبررين تصرفهم بان القرآن قد خيرهم في قولة " فهل أنتم منتهون "(المائدة ٩١) وأنه ليس في النص القرآني تحريم قطعي، وقد أنبأ أبو عبيده عمر بوجهة نظرهم، فرد علية عمر بأن " فهل أنتم منتهون " معناها " فانتهوا " وطلب منه أن يسألهم رأيهم فإن زعموا أنها حلال قتلهم وان قالوا إنها حرام فيجلدهم ثمانين جلدة .

(*)يصعب التصديق أن عليًا بن أبي طالب فقيه الإسلام والأعلم بالقرآن وحبر أحبار الأمة المحمدية يتصدى لعقوبة شرب الخمر ذلك باعتبارها أمرًا لا يثبت بإقرار أو شهود وإنما بالاعتراف وأن الجريمة فيه هي الخروج إلى العلن وإيذاء الناس بسبب الخمر فقط خاصة أن الحد أقيم قياسًا على حد قذف المحصنات الغافلات على أساس أن من شرب هذي ومن هذي قذف المحصنات بينما المنطق يرى أن من هذي قد يسرق أو يقتل أو يكذب أيضًا ثم أن من ذهب عقله وهذي فقد فقد مناط التكليف ولا عقوبة عليه (=المؤلف).

والظاهر إن تشدد عمـر داخل الجزيرة العربية بشأن الخمـر، وإنزال عقوبات شديدة بحق شاربيـها قد دفع ببعضهم لتـرك ديار العرب ، اذا يروي إنه أحرق بيت رجل من ثقيف، ونفاه إلى خبير، فهرب إلى بلاد الروم (الشيخان ٢٠٥) . كما هرب ربيعـه بن أميه بن خلف الجمـحي إلى أرض الروم لأن عمر جلده الحد فـي الخمر، وقد كان ربيـعه بن أمية معـروفاً بالأنفه والسخاء، وقيـل أنه أقسم بألا يقيم بأرض حُدَّ فيها، فرحل إلى بلاد الروم، ليعتنق المسيحية (المفصل ١١٨) .

ويري مالك مسلمـاني في كتابة (السيرة المتوارية ص٢٠٩) علينا أن نتعامل مع الروايات بحذر، فلربما كـان الثقفي قـد عوقب بوصفـة صانع للخمـر، وفي حالة ربيعه بن أمية كان عمر يريد أن يكسر أنف هذه الشـخصية البارزه متذرعاً بأنه ينفذ الحد، وخـصوصـاً أن لدية روايه تقول بـأن عمر ضـرب رجلاً لشـربه النبيـذ، بل لسكره . (أخبار عمر ١٧٧-١٧٨) .

ويضـيف مسلمـاني : إحدى االـقضـايا التي يتعين لـفت الانتبـاه إليهـا هو أن السَكَر، لفظه عبـرية تعني المسكر وان الخمر كـان مباحاً في اليـهودية والمسيحـية، من دون السكر منه، بيد أن النصاري من بني إسرائيل الآسـينيين المتنصرين قالوا بتحريمه، حتي أنهم حرموا استعماله في القربان من خبر. وخمر فقال باستعاضة الخمر بالماء في القربان . ويقول كتاب أعمال توما :" إن القربان من خبز وماء لا خمر فيه .

ويحق لنا أن نطرح تساؤلاً إن كان ثمـة مؤثرات دينية اخري تلعب دوراً في رؤية عـمر ؟ وبكل الأحـوال هذا يؤشر علي أن اكـتمـال بناء المنظومـة الإسلامـية الكتابـية ومن ثم التشـريعيـة كان مـا يزال مستـمراً وأن عـمر هنا كـان يقوم بدوره النبوي(*) .

(*) نحن نري وكما أكد القرآن أيضًا أن الدور النبوي اكتمل تماماً برساله محمد (= النبي) ولم يعد هناك مجال في عهد عمر أو غيره استكمالاً لما قد استكمل بالنعل (= المؤلف).

الكلالة

وهي من لا ولد ولا والد. كل الرجل يكل كـلالة (لسان العرب والحاج مادة كلل) وتنشأ الإشكالية عن كيفية نقل ميراث الكلاله وقد تطرق القرآن لهذه القضية في سورة النساء (١٦٧) ويروي أنها آخر آية نزلت في القرآن (الاتقان ١/ ٨٦) "يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله ، إن امرؤهلك له ولد وله أخت فلها نصف ماترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد ، فإن كانتا إثنتين فلهما الثلثان مما ترك ، وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء ،فللذكر مثل حظ الانثيين ،يبين الله لكم أن تضلوا ، والله بكل شئ عليم "وحسب الأخبار يبدو أن عمر إنشغل بهذه القضية وقال بانه راجع محمداً (=النبي) وان محمداً اجابة بأن الآية الواردة في سورة النساء تكفيه (طبقات بن سعد ٣/ ٣٣٦) ومن الواضح بأن الآية يكتنفها الغموض وللدلالة علي مبلغ غموضها تقول الأخبار أن عمر بقي إلى آخر حياته لايملك رؤية واضحة عن المسأله .(مالك مسلماني-السيرة المتوارية ص٢١٠)

ومن خلال هذه الاستحداثات فإن عمر كان يتابع تطور المنظومة التشريعية فكما كانت هناك نسخ أحكام قرآنية أو نبوية فإنه قام وفق سوابق القرآن الذي تكررت في نصه قضايا النسخ وعمر كان يعيش في تكون الدولة وبالتالي مرحلة تأسيس التشريع وحيث بدأت تتبلور في عصره أولي المفاهيم الحقوقية ومن غير المسوغ اعتبار ذلك مطعناً علي عمر ، وخصوصاً إن القرآن النص المقدس _ شكل سابقة في تغيير الاحكام بالنسخ والتبديل . دع عنك أن العلماء المسلمين اشاروا الى إن الآيات المنسوخة هي في أغلبها مكية والناسخة مدنيه(*) ، وهذا يعود بالطبع

*) يرى مستشرقون أن النسخ بمعنى الإلغاء والتبديل يعني أن منهجية القرآن تتبدل حسب المواقف أو أن الله لم يتنبأ بمستقبل الظروف ولم يقدر لها الآيات المناسبة وطرأ التعديل بتعديل المواقف رغم وجود آية «لا يضل ربي ولا ينسى» فلماذا لا تعالج كل آية موقف معين دون إلغاء واحدة الأخرى حتى لا يحدث فراغ للنص القرآني بانتهاء صلاحية ثلث آياته تقريبًا وفقًا لمنهجية الناسخ والمنسوخ؟ (=المؤلف)

إلى الشروط المختلفة التي كانت تعيشها الحركه الإسلامية (=المجتمع الإسلامي) في طوريها المكي والمدني وكان علي عمر أن يتابع نفس الخط القرآني وذلك بتطوير أحكام ونسخ أحكام أخري استجابة لمستجدين المرحلة التي كان يحكم فيها .

ويقول مالك مسلماني (في نفس المرجع ٢١١) أن المسلمين يقفون حياري لا يجرءون علي الاقتراب من الإجتهاد في موضع النص والتي يظنون أنه (=الاجتهاد في النص)يزيل عن القرآن تلك الهالة المقدسة التي يحوزها اليوم ولو أدركوا حركه الاسلام في بداياته لما ترددوا لا بالاجتهاد والنسخ كما فعل عمر ،بل بالنسخ أسوة بالنص المقدس نفسه الذي تمتع بمرونة كبيرة من خلال الناسخ والمنسوخ .

واذ كنا نقول عن هذا التأسيس الحقوقي العمري أنه اجتهاد ،فاننا تقدم وصفا من باب المجاز اللغوي ، فإن عمر لم يكن يجتهد في النص بقدر ما كان يصنع النص(*) .

ذلك أنه عاش في عهد نهوض واذ كانت الدولة سبيل التكون فإن النص الديني كان سبيل الإكتمال أيضاً والمنحي النبوي الذي ظهر في عهد محمد (=الرسول) كان لابد له من أن يتطور في فترة حكمه ،فهو ضرورة العصر وعمر بالذات كان يحتاج إلى (الحاكم / المشرع) أو (الزعيم / النبي) ، كونه عصراً انتقاليا فإسقاط سهم ذوي القربي وإلغاء المتعه وغيرها من الأحكام هي قضية مصالح سياسية عملية مفروضة لم يكن عمر ليتردد أبداً بصياغة النص الديني وفق

(*) رؤية إستشراقية تختلف عن الثابت لدى جميع المستشرقين من أن محمداً (=الرسول) هو صاحب الوحي ومستقبله الوحيد والوحي صانع النص بينما عمر أو غيره قد تكون له رؤية في تطبيقه فقط (=تأويل) (=المؤلف).

مستجدات عصره .،كما أن وجهة نظرة كانت قد أخذت مراراً في عهد محمد (=النبي) علي أنها النظرة الأكثر صواباً والموافقة للقرآن (دون أن يعني أن هذه الأحكام لم تكن مطبوعه بشخصية عمر ، وإذا كان العصر يتطلب هذه التجديدات فإن عمر رسم التشريعات بميسم شخصيته وهذا ما يمكن تبينه في حالات كثيرة ، فعلي سبيل المثال طلب عمر من القائم علي جمع الغنائم قبل تقسيمها أن لا يفرق بين أخوين أسيرين (كتاب السيرة ١٤١) كما كتب لقائد جيشه هو نافع بن عبد الحارث ألا يفرق بين الأخوين ولا بين الأم وولدها في البيع (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ٤١٠-٤١١) وهذه ليست بعيدة أبداً عن مشاعره الحانية علي أخية زيد ، وحزنه عليه لدرجة أنه كثيرا ما كان يطلب من أخ مالك بن نويرة ، الذي كان شاعراً أن يعيد علي مسامعه رثائه لأخيه مالك وربما كان عمر بتشريعاته المرنة واستجابة لمتطلبات مرحلته قد أعطي دفعاً غير مباشر لقيام مدرسة الرأي .

ومن خلل وجود عبد الله بن مسعود في العراق الذي كان يكن تقديراً عاليًا لعمر ، والذي اعتبر إسلام عمر "فتحاً" وقد تطورت مدرسة الرأي وبلغت بأبي حنيفة النعماني أوجها ،ثم أنه جري تطور في طرحها الذي قال " إن السنه حاكمة علي الكتاب ،وليس الكتاب حاكماً علي السنة ، حتي كان في العصر الثاني من يقول أن السنة تنسخ الكتاب) (فجر الإسلام ٢٤٣-٢٤٤)(*) .

(*) هذا الرأي من وجهة نظرنا كباحث هو بداية تحريف القرآن بصورة عملية غير مباشرة دون المساس بحروفه من خلال تحريف الكلم عن مواضعه وصرف المعنى عن مراده وإلغاء الآيات عمليًا والإكتفاء بقراءتها بعد تفريغها من مضمونها لصالح النص المحمدي (=السنة) برغم أن النص المقدس (=القرآن) يعد لدى المسلمين مصدقًا ومهيمنًا وحاكمًا على كتب الأمم السابقة (=المؤلف).

وما دام وصلنا إلى القرآن ، فعلينا أن نشير إلى الروايات تعبر أن بدء عملية تدوين القرآن كانت بمبادرة منه ، وتبدأ هذه الروايات من واقعة تقول أن عمر سمع هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فلاحظ أنه يقرؤها علي "حروف كثيرة" لم يسمعها من محمد (= الرسول) ، فلما انتهي هشام من صلاته ، أمسكه من تلابيبه، وسأله من أقرأه السورة ،فقال له محمد (= الرسول) فكذبه عمر ثم إنهما ذهبا إلى محمد ،الذي ما لبث وبعد أن سمع قراءة هشام أكد أنه أقراه إياه كما سمعها منه قائلاً "هكذا أنزلت " ثم أضاف إن هذا القرآن أنزل علي سبعه أحرف فاقرؤوا ماتيسر منه " (البخاري - مسند أحمد).

وبعد وفاة محمد (= النبي) تجمع الروايات علي أن عمر هو الذي لعب الدور الرئيسي في جمع وتدوين القرآن . وشرط أن يكتب بلغة مُضر، لأنه نزل علي مضري كما اشترط أن يكون محررو القرآن قريشيين أو ثقفيين (تاريخ عمر ١٩٣-١٩٤)(*).

(*)كل ما ورد في ذلك من روايات هو محل شك.من الباحث المؤلف باعتبار أن النص المقدس (=القرآن) أمانة لدى أمين الوحي (=محمد) فإذا مات ولم يجمع القرآن كما نصت الروايات فاحتمال تحريفه مؤكد خاصة أن الروايات المتواترة تشكك في أن بعض النصوص تم حرقها وأخرى أكلتها بعض الحيوانات الصغيرة (=الداجن) والرأي الغالب لبعض المشككين في الروايات أنه ربما ما أكل وحرق كان هو القرآن الحقيقي(!!) والثابت لدينا أن الروايات رغم غلبتها غير دقيقة وأن القرآن جمع كتابة في عهد أمين الوحي (=النبي) بدليل الآية والتعهد الإلهي (إن علينا جمعه وقرآنه) ورؤيتنا أن الروايات التي أكدت أن أبي بكر وعمر جمعوا القرآن وقام عثمان برسمه بطريقة معينة هو تدوين خاص في عهود سياسية خاصة أرادت إضافة مكرمة لأبي بكر وعمر على حساب الحقيقة والمنطق فماذا لو مات الحفظة ولم يفكر أبو بكر وعمر في جمع القرآن؟ ألا يعني ذلك أن أمين الوحي - طبقًا لروايتهم- ترك الأمانة (=القرآن) في مهب الريح؟ وهذا مستحيل مهما أسرفت الروايات في ذلك ومهما كان الرواة (=المؤلف).

وتؤرخ الروايات لاقتراحه إنه جاء بعد المعركة الكبيرة مع مسيلمة (=الكذاب) (١٢ هجرية -٦٣٣ ميلادية) في إطار السيطرة علي الجزيرة العربية ، وتصف الروايات تردد أبي بكر في قبول اقتراح عمر ،بيد أن عمر أقنعه بالحجة فدعا زيد بن ثابت الذي أبدي في البدء تردده أيضًا لكنه ما لبث أن شرع يجمع القرآن من الرقاع والكتاف والعسب وصدر الرجال الحفظه (الكامل ٣/ ١١٢) بينما تقول رواية أخري أن ابا بكر طلب من خمسة وعشرين رجلاً قريشياً وخمسين أنصاريا كتابه القرآن وطلب منهم عرض النص علي سعيد بن العاص لفصاحته . (اليعقوبي ٢/ ١٣٥).

ولا حقاً كان قرار عثمان بن عفان توحيد قراءة القرآن وفق نص زيد بن ثابت وإحراقه بقية المصاحف ، أحد المطاعن علي عثمان من جانب ناقدية وأعدائه، ومن الجدير ذكره أن هذا المطعن وحسب الروايات كان من ضمن تفكير عمر الذي كان إحدي الروايات عازما علي فعل هذا الشئ (ابن أبي الحديد المعتزلي ٢/ ٣٥) ويمكن أن يكون قد فكر عمر بذلك في أواخر أيامه إذا أن المسأله مرتبطة بطبيعة التطور الاجتماعي لدولة الإسلام الناشئة .

وما يروي في المصادر من إن عمر نهي عن كتابة أحاديث محمد ،وأنه بلغ به التشدد في تنفيذ هذا القرار أن حبس ثلاثه من كبار الصحابه ،ابن مسعود[١] أبا الدرداء[٢] ،وأبا مسعود الأنصاري[٣] (الفاروق عمر ٢/ ٢٦٠) وان كان هناك من يري أن عمر لم يمنع تدوين الأحاديث المحمدية نقول أن هذه الروايات لم يقصد بها سوي دعم موقف الذين يرون عدم تدوين الحديث وهذا لا يعني أن نلغي احتمال حدوث

واقعة معينة قد يكون فيها عمر قد وجه لوما أو حتي أنزل عقوبه بحق بعض الرواة، في حال كـان يري منهم خطراً علي الدولة بسبيل التكون ،فمثلما كان موقـفه من شعر الهجاء منطلقاً من اعتبارات سياسية لا ناكره للشعر بقدراته ،وهو الذي عرف بشغفة به فإن سياسته بصدد منع تدوين أو رواية الأحاديث إذا ما جرت فإنها كانت محددة النطاق وذات بعد سياسي .

وبنفس السيـاق علينا أن ننظر إلى مـا يروي عن تجـربة وامـتناعـه عن رواية الأحـاديث ، وانه ورد له في الصحيـحين أحد وثمـانون حديثـا (تاريخ عـمر ٢٦٢) فالراجح أنها أحاديث تـسبت روايتها لعمر لما يتمـتع به من مكانه ،إذ لـم يكن عمر يستند في صـياغـه قرراته إلى الحديث ،فـهو مشـرع بالمقام الأول وله جـانب نبوي ،وهذا يبعده عن الحاجه إلى الاستشهاد أو رواية الأحاديث إن عمر صانع للمقدس لا ناقل له (السيرة المتوارية ٢١٤).

ويتـوجب الإشارة إلى أن بعض الروايات تعطي لـعمر دوراً لا فـي صيـاغة التشـريع الإسلامي الذي نجـد له أثاراً في القرآن ،بل نتحـدث عن آيات كان لعـمر قصب السبق فيها . فيروي انه لما تنزلت الآية ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ (المؤمنون ١٢) قال عمـر "فتبارك الله أحـسن الخالقين ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (المؤمنون ١٤) وفي رواية أخري أن يهودياً لقي عمر فـقال له " أن جبريل الذي يذكر صاحبكـم عدوٌ لنا " فـقال عمر ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ (البـقرة) فـتنزلت كمـا جاءت علي لسـان عمـر . (الاتقان ١١١).

آية الرجم (= الوحي العُمري)

ثمة تفصيل يتحدث عن أن عقوبة الزني هي الموت في العهد قبل الإسلامي (= الجاهلي) (الاتقان ١١١)،مثل ما هي منصوص عليه لدي العبرانيين ، الذين كانوا يعاقبون الزاني والزانية بالرجم بالحجارة حتي الموت (المفصل ٥/ ٥٥٩) وعن عمربن ميمون قال : رأيت الرجم في الجاهلية في غير بني آدم ،كنت اليمن في غنم لأهلي ،فجاء قرد معه قردة فتوسد يدها فنام فجاء قرداً أصغر منه فغمزها ،فسلت يدها من تحت رأس القرد برفق ، وذهبت معه ، ثم جاءت فأستيقظ القرد فزعاً فشمها فصاح فاجتمعت القردة ، فجعل يصيح ويومئ إليها بيده ، فذهب القردة يمنة ويسره فجاءوا بذلك القرد فحفروا لهما حفرة فرجموهما .

قال في «الاستيعاب» : وهذا عند جماعة من أهل العلم منكر لإضافة الزني إلى غير المكلف ،وإقامة الحدود في البهائم ولو صح هذا لكانوا من الجن ، لأن العبادات في الإنس والجن ، دون غيرهما (السيرة الحلبية ٢/ ٣٣٦).

أما بالنسبة للزني الآدمي فليس واضحاً من من القبائل العربية التي طبقت هذه العقوبة ،وما أن كانت منزله علي كلي الطرفين ، لكن الإسلام تبني عقوبة الرجم ، وعلي الرغم من خطورة هذه العقوبة فإن المستند التشريعي لهذه العقوبة ،يعود إلى الآية التي يؤكد عمر أنها آيه قرانية (The Recensions p6) إذ كان عمر يتلوها علي جمهور المؤمنين.

" والشيخ والشيخة ، إذا زنيا فارجموهما البته ،نكالاً من الله ، والله عليم حكيم "وقد قال :" لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله ، لكتبتها بيدي

،فقد قرأتها في كتاب الله " (طبقات بن سعد ٣/ ٣٣٤) اليعقوبي ٢/ ١٦٠ ، تاريخ عمر ٣١٣). وتحاول رواية أخري أن تفسير عدم تدوينها في القرآن بأن زيداً رئيس لجنه تحرير القرآن كان يشترط وجود شاهدين لتثبيت النص ولما أتي عمر بآية الرجم لم يكتبها لأنه كان وحدة (الإتقان ١/ ١٨٥)(*).

إن قضية عدم تدوين هذه الآية في القرآن تثير إشكاليه كبيرة ذلك أن لهذا الحكم ،تأكيد وارد في المصادر ،التي تقول بأن جماعة من بني قريظه تناقشوا مع محمد بشأن آيه الرجم ،فقال لهم محمد (=الرسول) بأن آية الرجم في التوراه (السيرة الحلبية ٢/ ٣٣٤ -٣٣٥) ويقال عن حوار محمد مع اليهود بهذا الشأن كان سبباً لمجئ (إنا انزلنا التوراة فيها هدي ونور) (سورة المائدة ٤٤) وقول القرآن:" ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون "(المائدة ٤٥) وفي آية أخري " فأولئك هم الفاسقون "(المائدة ٤٧) وفي أخري " فاولئك هم الكافرون) (المائدة ٤٤)(السيرة الحلبية ٢/ ٣٣٦).

وتتواتر الأخبار بشأن تأكيد هذا الحكم ،كما تتواتر الأحاديث بشأنها والتعاطي القرآني مع الزني مثبت في سورة النور : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِد

(*) يختلف النص العمري عن النص القرآني في لغة وموسيقى وسجع ووزن قافية وذائقة تميز بها المقدس (=القرآن) ثم أن النص الأساسي في سورة النور يبدأ بالزانية قبل الزاني كما في آيات أخرى في عقوبة السرقة قدم النص السارق عن السارقة فإن نص عمر قدم الشيخ على الشيخة وهو مخالف لدقة النص القرآني الحقيقي الذي يضع اللفظ بموضعه ثم اختلاف كلمة «شيخ وشيخه» عن الذائقة القرآنية بالإضافة لركاكة النص تماماً برغم رغبة عمر في تدوينها وهي من وجهة نظر بعض المستشرقين محاولة لتحريف القرآن ولم تنجح ويؤكد صحة وجهة نظرنا من أن تدوين القرآن من دون تحريف لابد وأن يكون قد تم في عهد أمين الوحي (=المؤلف).

مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ (النور).

وكمثال علي الرؤية التي تؤثم المرأه في آية حد الزنا ،وقدم الرجل في حد السرقة ؟ قلنا : لأن الزنا أنما يتولد من شهوة الوقاع ، وشهوة المرأة أقوي وأكثر ، والسرقة انما تتولد من الجسارة والجراءة والقوة وذلك في الرجل أكثر وأقوي .

كما أن المصادر لا تفيدنا عن نسخ لهذه الآية الواردة في سورة النور هي سورة مدنية ،والتطور الذي حصل في المنظومة التشريعية من عقوبة الجلد إلى الرجم لا نجد له نصاً قرآنياً ويبدوا أن عمراً أدخلها في المنظومة التشريعية الإسلامية ،من خلال إستلهام المأثور التشريعي للمنطقة وبالتحديد التشريع التوراتي ، وهذه المنافحة عن حكم الرجم ، واعتبار آياته منسوخة لفظاً قائمة حكماً أثارت جدلاً بصدد تهمه إسلامية تدعي تحريف الكتاب المقدس (=كتاب المسيحيين)،وقد نفيت التهمة بالتاكيد علي وجود النص في التوراه وفي فصم الجدل الديني صدرت كراسة في مطلع القرن العشرين تدفع عن الكتاب المقدس هذه التهمه ،وتردها علي القرآن ،فتقول الكراسة أن آيه الرجم سقطت من القرآن لا من الكتاب المقدس ،كما طرحت الكراسة تساؤلاً آخر ، من كان الذي لا يتحدث " عمر الذي أكد وجودها.. أم الصحابة ؟ (The verse of stoning. p.19) وتقول الكراسة إن

العهـد الجديد يبرهن علي وجـود هذه الشريعـة لدي اليهود في زمن المسـيح يسوع (=عيـسي) كما جـاء في إنجيل يوحنا ٨/ ١-١١) ويشير المؤلفون إلي أن العـهد الجديد يذكر الرجم في (سفر التثنية ٢٢/ ٢٠-٢٤) و(اللاويين ٢٠/ ١٠ ٩) والجدير ذكرة أن ثمـة ترجـمة عـربيـة للكتـاب عن آية الرجم من التـوراه والقـرآن ، (القس جردنر الانجليزي بمعاونه عضو مجلس الكنيسة الشيخ إسكندر عبد المسيح الباجوري والشيخ بولس فوزي الريماوي ،المكتبة الإنجليزية بمصر ١٩٠٩ طبع بالمطبعة الإنجليزية الأميركية ببولاق مصر).

علي أي حال كـان الرجم وسيلة عـقوبة شائـعة في المنطقة ،فـحسب العـهد الجديد كان يسـوع المسيح يقتل رجماً من قبل اليـهود بعد كل مناظرة (يوحنا ٨/ ٥٩، ١٠/ ٣١) . وعـلاوة علي ذلك يتسـاءل مـحرر الكراسـة عن سبب منع تدوين هذه الآية في القرآن وثمة شهود تاريخيـون تذكرهم المصادر مثل عائشة (=أم المؤمنين) وزيد بن ثابت ، إضـافه لـعمـر بن الخطاب الذين يشكلون النصـاب(*) الضروري المطلوب لتـوثيق آية (p15.The verse of stoning). وانتـهت الكراسة بالسـؤال الاستنكاري كيف يعـُاقب الناس علي جريمة ليس ثمة نص يمنعـها ، أليس هذا أمر بعيد كل البـعد عن الرحمة؟ وفيـه مبلغ القسوة والظلـم .(ربما يقصـد نص للعقوبة وليس للمنع = المؤلف) ولعل الموافقة التـي ابتدعها الفقهاء للتـوفيق بين ممارسات محـمد (= النبي) في تطبيق حـد الرجم علي إمرأة التي زنت جرياً علي الشـريعة الموسوية (=نسبة إلى موسى) قبل نزول آية الجلد فاعتبر جمهور العلماء أن التطبيق

(*) وجود نصاب لقيـد الآية في النص القرآني يؤكد ما ذهبنا إليه مـن أن أسلوب التدوين القرآني المعلن في كتب التاريخ يؤكد الشك في هذا التدوين أكـثر مما يعني الثقة فيه ويؤكد للمرة الثالثـة ما ذهبنا إليه سابقًا أن التدوين بعد أمين الوحي (=الرسول) غيـر ممكن وغير منطقي ولا يؤدي إلا إلى تحريف النص المقدس (=القرآن) (=المؤلف)

النبـوي مـساوياً لـلقرآن في الحـدود بأن جـعلوا المحـصنين من المتـزوجين إذا زنوا يواجهـون الرجم بينما لغـير المحـصن أو المحصنة حـد الجلد القرآني في سـابقة لم تتكرر في الإسـلام أن يكون هناك تشـريعان .. تشـريع قـرآني وتشريع نبـوي دون نص حديث مـحمدي (=مـا يعرف بالسنة)عليـه وانما هي مواءمـات لربط القرآني المثبت بالنبوي المطبق بالمدينة علي زانية رجمهـا النبي (=محمد) بشريعة موسي مع أن القرآن كان واضحاً بأن تطبيق حد الجلد علي الزانية والزاني دون تحديد لحالتهما الإجتماعية سواء المحصن (= المتزوج) أو غير المحصن . (= المؤلف)

الفصل السادس

بولس والمراة

«لتصمت نساؤكم في الكنائس»

"**بالأوجاع** تلدين ، وإلى زوجك يكون اشتياقك ياحواء،وهو يسود عليك هل تجهلين أن حواء هي إنت؟ أن حكم الله علي جنسك مازال قائما في العالم عيشي إذًا ،كما يحق ، كمتهمة،انك باب الشيطان.أنت التي كسرت خاتم الشجرة، إنك أول من خالف الشريعة الالهية . أنت خدعت من لم يستطع الشيطان أن يهاجمه . أنت التي استنزفت الإنسان ، صورة الله أجرتك وهي الموت ، سببت موت ابن الله . هل تريد أن تزيني قميصك الجلدي ؟"(*)

يقول مارجيورا العالم اللاهوتي " هذا النص ليس لبولس .. إنه مقتطف من كتابات أحد الآباء الكنيسة الإفريقية وبالتحديد من قرطاج وهو ترتليانوس (ص٤٥)من كتاب بولس الطرسوسي ..

لقد كتب ترتليانوس في بداية القرن الثالث الميلادي بالتحديد عام ٢٠٢ ميلادية فقالاً عن " زينة النساء " حيث يهاجم الإغواء ويشجب قطعيًا زينه النساء ،

(*) «البيوريتانية» المسيحية نشأت من أجل تغليب الروح على الجسد وضمن ظواهرها احتقار الجنس حتى ولو في الزواج وقصره على الإنجاب فقط ووضع أسسها القديس يوحنا ذهبي الفنم في باب البتولية وزادت سطوتها في أوروبا بالعصور الوسطى واعتمدت أساسًا على هذا النص والغريب أن القرآن رأى أن الشيطان أذل أي أوقع كل من حواء وآدم ليأكلا من الشجرة إلا أن المفسرون أصروا على تحريف المعنى إلى أن المرأة أغوت آدم برغم وضوح النص بعكس ذلك

إنه يعتبر كل هذا قذارة ، إن شعاره قاطع هو " اقنعن بأن تعجبن الله " أكرر أن هذه العبارة لا تعود لبولس .(يقول مارجيورا) ولعل بولس لا يختلف موقفه في الشدة والحزم من المرأة مع عمر ، وإن كانت جذور عمر من ناحية الأم والجدة ذات الجذور الحبشية المسيحية وعلاقاته بزوجاته وبإبنته حفصة (= أم المؤمنين) ونساء المؤمنين وجواريه وما ملكت يمينه هي علاقات واضحة القت ضوءاً علي جانب أخر من شخصية عمر بينما بولس (= شاول)لم تنقل لنا كتب التاريخ الكنيسة وغيرها صورة للجانب الآخر من حياته فليس هناك إشارة سوى أنه لم يتزوج أو لعلاقته بأمه أو رؤيتة بوجه عام أوخاص لوجود عنصر المرأة في حياته . ويعد هذا بالفعل من الجوانب المظلمة في حياة الكارز المسيحي الكبير بولس . (=المؤلف).

التمييز بين آراء بولس وتلاميذه

كان من الممكن أن نجد نصوصًا تسبق الرسائل الرعوية ، آراء متشابهه تهاجم المرأه انطلاقًا من سفر التكوين " ولكن لست آذن للمرأه أن تعلم ولا تتسلط علي الرجل بل تكون في سكوت . لأن آدم جُبل أولاً ثم حواء(*) . وآدم لم يغولكن المرأة اغويت فحصلت في التعدي . ولكنها ستخلص بولادة الأولاد إن ثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل " (تيموثاوس الاولي ٢: ١٢- ١٥)

وهنا الذي يتكلم أحد تلاميذ بولس بعد رحيله بجيل الذي رأي أنه يمكن استخلاص هذه النتائج من تعاليم معلمه . هذا النموذج النسائي المستسلم الخاضع

(*) يختلف ذلك مع النص القرآني «الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها» وواو العطف تعني التتابع بدون فارق زمني ولم يحدد من هو زوجها هل الذكر أم الأنثى؟ وكلمة «منها» تعني من نفس النوع وليس خروجًا من جسده كما يظن بعض المفسرين الإسلاميين وبدلاً من اعتماد النص القرآني تم «تحريفه» إلى معنى آخر مكتسب من رؤية سفر التكوين التوراتية (=المؤلف).

للرجل . هذه الصورة النسائية الخطيرة والتي تؤهل فقط بالأمومة ، غريبة عن فكر بولس ولا تنتمي اليه . اما بولس نفسه ، فلا تختلف كلماته كثيراً عن هذه حسب الرأي الشعبي منهم نساء كثيرا ويؤكد بولس بأنه السبب في التقليد القديم الذي يرجع لألفي سنه لوصاية الرجال علي النساء في الكنيسة .

ولتحليل موقفة هذا علينا أن نراجع سياساته لنجدها ترتبط بانتماء لمجتمع ذكوري أبوي (بطريركي)

وهو المجتمع القديم كله سواء يهوديًا أو رومانياًعلاقة الرجل بالمرأة هي علاقة هرمية ، لذلك يكون من العبث أن ننظر من بولس نظرة عصرية لوضع المرأه. أو أن نجرجرة أمام المحاكم بتهمه الإساءة للمرأه (دانيال مارجيورا _ الرجل الذي قاوم الله ص ٤٧) ويلزم لكي نعطيه حقه . أن نلتزم بثلاثه شروط .

الشرط الأول : عدم خلط خطابه بخطاب لاحقيه . إن الرسائل الرعوية ونص " ترتليانوس " تشير في اتجاه خاطئ ، لا يتفق مع إعلانات بولس كما نقرأها في رسالته الأولى إلى كنيسة كورينثوس .

الشرط الثاني : الحكم علي الموقف انطلاقًا من فكرته الأساسية ومبدأه الرئيسي دون انتقاء عنصر ثاني واعتباره مركزيًا ، لذلك نقول إن اختزال رأي بولس في العبارة الشهيرة "لتصمت نساؤكم في الكنائس " (كورنثيوس الأولي ١٤ :٣٤) لهو أمر خاطئ تمامًا لأنه بتر لفكر بولس .

الشرط الثالث : لا يمكن أن يتم تصنيف بولس في فئة المحافظين والتقدميين إلا قياسًا بالمجتمع في زمنه ،لا يجوز أن نقيس آراءه عن تحرير المرأه مثلاً إجتماعيًا لمقاييس القرن الحادي والعشرون ، ترجع حركة تحرير المرأه في أوربا إلى الستينات

من القرن الماضي ، (=القرن العشرين) إذا اتبعنا هذه القاعدة فإننا نصم بالمحافظه من يتمسك ويقر عادات عصره ، وبصمم بالتقدمية من نادي بفكرة وبرنامج الأدوار في المجتمع.

لاذكر ولا أنثي

ربما مبدأ بولس ذو لمسة إشتراكية وهي النزعة السائدة في المجتمع الروماني اليوناني الوثني بوجه عام في ذاك العصر إنه عالم منغلق الهوية ، يري اليهودي أنه غير يوناني ويري اليوناني أنه ليس بربريًا بلا ثقافة ، ويري الإنسان الحر ليس عبداً . ويري المواطن الروماني انه ليس مواطنًا من البلاد التي تسودها روما ، والرجل ليس إمرأه والمرأه ليست طفلاً ... الخ .

وقد لخصها في المقولة " ليس يهودي ولا يوناني . ليس عبد ولا حر . ليس ذكر وأنثي لانكم جميعًا واحد في المسيح يسوع " (غلاطية ٣:٢٨) وترتكز الهوية علي مكتسبات دينية وسياسة واجتماعية واقتصادية ،تعطي هذه المكسبات ميزات ، ولكنها في الوقت نفسة تطلب الإضطلاع بمسؤليات ينتمي المرء في المجتمعات القديمه إلى فئة وهي التي تملي عليه سلوكه وأصبحت الآن المجموعات أكثر مرونه ولكن يظل مبدأ الهوية المنغلقة قائماً. تحديد المكتسبات فئه اجتماعية الرجال والنساء ، والأغنياء والفقراء ،البيض والسود وتظل باقي الفئات محرومة من هذه المكتسبات .

يقع التبرير بالإيمان في مركز تعليم بولس اللاهوتي ،ويعلن مبدأ هوية منغلقة وهو أن: الله يتعرف علي بغض النظر عن حالتي وعن انتمائي ومكتسباتي . ما

يحدد الشخص الآن هو قبول الله اللامشروط . ولكن بولس لا يكتفي بطرح الفكرة لقد استنتج منها الذي بشر به ،يعرف أعضاء الكنائس التي أسسها أنهم متساوون أمام الله ، ويتعاملون معًا كإخوات وأخوة ، ويعرفون أنهم بالعماد أصبحوا أبناء الله ، ويعرفون أنهم يشتركون في جسد واحد هو الكنيسة جسد المسيح ، ويقسمون الخبز الواحد والكأس الواحدة علي مائدة الرب .

الكنيسة هي جماعة المؤمنين الذين لا يفرقهم أي شئ في الحياة فهم يهود يونانيون وعبيد وأحرار ورجال ونساء ، ولكن نعمة الله تساوي بينهم ، لا يستطيع أحد لكي ينال الخلاص ، أن يتباهي بشئ أمامه : ولا تقواه الشخصية تميزه ، وأنه نال كل شئ ، لذلك لا مكان لحق سيد علي عبده أو رجل على إمرأة أمام الله . هكذا الحال أمام الله . فماذا عن الناس ؟ هل كانت الجماعة المسيحية التي أسسها بولس تساوي النساء بالرجال ؟

جماعة فريدة

قبل أن نرد علي هذا السؤال علينا العودة إلى برنامج بولس ،البرنامج ثوري ، ولكن هذه الكلمه ليست قوية بالكفاية ،يترك هذا البرنامج أثرًا واضحًا في تاريخ الغرب لأنه أوجد نوعًا من الجماعة لم تعرفه لا اليهوديه ولا العالم الروماني اليوناني . ماهو نوع الجماعة الجديده هذا ؟ إكتشاف أن الشخص " الأنا " هو نتيجه سماح أو تأكيد إلهي ، يسمح بالتعرف علي الآخر كأن الآخر هو " أنت " يسمح الله ايًا كانت الاختلافات التي تفصل بيننا .

إن مجتمعنا هذا في بنيته لهو مجتمع كوني أي أنه مفتوح للجميع ، وهو مجتمع تعددي انه لا يلغي الفروق من بين الأشخاص ، ولكن هذه الفروق لا

تؤدي إلى وجود طبقات أمام الله . لم تعرف العصور القديمة إطلاقًا مجتمعات تجمع بين الكونية والتعددية الانفتاح علي الجميع وتقدير فردية كل شخص .

وقد عرف القرن الأول الكونية ، وكان هذا طموح الإمبراطورية الرومانية أن تجمع جهاز سياسي واحد لكل الكون ، كل المعمورة (=المسكونة). نظرت الإمبراطورية إلى ذاتية كونية عالمية ولكن هذه الكونية كانت كونية " الجميع شئ واحد " للجميع شريعة واحدة ،للجميع ارادة واحدة ، للجميع إمبراطور واحد اله واحد ، عرف اليهود والمسيحيون معني وثمن عدم الإنصياع لهذا المجتمع الكوني ، ولكن هذه العولمة لم تستطيع أن تتفادي إنفصالاً تامًا في حياة المجتمع فئة الرجال ، فئة العبيد ... ألخ .

كما عرف القرن الأول التعددية ، المجمع هو مثال علي ذلك ، لكن هذه التعددية كرست الفرق وأوجدت الإنفصال : كانت كل تتحدد بما يميزها . عرفت اليهودية قديمًا الفروق التي صنفت يهود الشتات إلى ثلث مجموعات في المكانة الأسمي كان اليهود بالميلاد ، ثم الدخلاء ، وهم الذين ولدوا في الوثنية ولكهم قبلوا التوارة والختان ، وأخيرا خائفو الله وهم النساء ورجال شدهم إيمان إسرائيل ولكنهم لم يهتدوا بعد إلى اليهودية ، لاقت كرازة المسيحيين نجاحًا كبيرًا أفرد الفئة الثالثة اذ قدمت الكنيسة لهم وضع العضوية الكامله في الجماعة لا وضع الأقلية الهامشية المهشمه ، الذين كانوا يعانون منه ،واهتدت أيضا نساء من هذه الفئة . ويمكن القول أن نوع الجماعة التي أسسها بولس تختلف من ناحية عن الكونية المركزية ،وفي الآن ذاته تختلف أيضا عن التعددية المفرقة المميزه ، أن الإله الذي بشربه بولس هو إله الجميع وإله الفرد .

المسيحية تجذب النساء

ضمت الكنائس التي أسسها بولس يهودًا ووثنين ، عبيدًا وأحرارًا ورجالاً ونساء وعندما يقول أنه لا فرق بين اليهودي وغير اليهودي فانه يرفض التميز القائم علي الطبقة أو الماضي أو التقوي والتدين ،وعندما يقول أنه لا يوجد بعد عبد أو حر فإنه يؤكد قيمه الشخص لا تقوم علي الفرص التي يمنحها له أو يحرمه منها المجتمع .

يمكن هذا من العيش في العالم بطريقة لا ترتبط بالوظيفة أو بالمركز الذي يفرضه المجتمع لكل فرد ، وعندما يؤكد زوال ثنائية الرجل / المرأة فإنه يريد الابتعاد عن المدارس الفلسفية والمجتمعات المحلية التي كانت وقتها محفوظة للرجال فقط ، وإن ضمت نساء فإنها كانت تميز بين أنشطة الرجال والنساء .

إتصفت الجماعة الناتجة عن كرازة (= دعوة بالمفهوم الإسلامي) بولس بأنها مختلطة في كل الأوجه فقد كانت تجمع رجالاً ونساء ، أغنياء وفقراء ، أحرارًا وعبيدًا ،يرجع سبب نجاح المسيحية وانتشارها في القرن الأول بنوع خاص ،الي هذا النوع الجديد من المجتمع حيث أدي هذا التعايش من مختلف الفئات إلى سخرية الفلاسفة الوثنيين ، لقد سخر الفلاسفة الوثنيون حوالي سنه ١٨٠ من هذا الدين الجديد الذي يجمع الطبقات الاجتماعية الدنيا :" النساء والعبيد " وقد حذا حذوهم "برفيروس " في القرن الثالث . ولاغرو في هذا ، إذ أن النساء ، في نظرهم، جاهلات يملن إلى الخزعبلات ولكن هؤلاء الفلاسفة يقدمون لنا ، دون أن يدروا ، شهادة هامة : جذبت المسيحية ، منذ بدايتها .. "النساء "

مشكلة غطاء الرأس (=الحجاب)

لم تكن هذه الجولة الطويلة التي قمنا بها قبل مناقشة مسألة النساء مجرد التفاف حول موضوع ، بل خطوة إجبارية لكي تكون لدينا فكرة واضحة عن الإطار العام ، لقد تناولنا قبل كل شئ ، برنامج بولس التبشيري : جماعة منفتحة الهوية مكونه من جميع الفئات ،ثم عرفنا أن هذا البرنامج الذي يرفض كل انواع التميز ، برنامج جديد تمامًا علي المجتمع الروماني في القرن الأول . ثم لاحظنا ، اخيرًا أنه لا يزيل الاختلافات بين الناس ، أي أن كل فئة تحتفظ بخواصها ولكنه يرفضا أن تتسلط فئة علي فئة أخرى ويتناول الكارز (=الواعظ المبشر) بولس بنوع خاص ،تعايش الرجال والنساء في الكنيسه معًا في رسالة الأولي إلى كينسة كورنثيوس ولا يبادرهو بهذا التعليم ، استنجدت به كنيسة كورنيثوس لكي يساعدها علي حل أزمة كانت تواجهها .

إذاً ماذا حدث؟ ، إنها علي الأرجح مسألة غطاء الرأس .. غطاء رأس النساء، وهي ملزمة في العقيدة اليهودية أيضا في المعبد في محضر الرب أن تغطي المرأة شعرها وأدخلها بولس في جماعة كورنثيوس وثنية الأصل وهي العادة السائدة في المجامع اليهودية ، وهي أن يصلي الرجال مكشوفي الرأس بينما تصلي النساء مغطيات الرأس . من المعروف أن هذه العادة انعكست عند اليهود الآن ، إذ يرتدي الرجال طاقية صغيرة . وهي عادة دخلت في القرن الرابع الميلادي .كانت النساء في زمن بولس ، تغطين رؤسهن وهذه علامة أنوثتهن ، أما في الامبراطورية فقد اختلفت الأمور من جهة إلى أخري تقتضي طقوس الذبائح عند الإغريق أن يكون الرجل عاري الرأس ، أما الرومان فكانوا عند تقديم الذبائح يغطون رؤوسهم بالرداء .

وكان إن أرادت بعض النساء ،في كورنثيوس أن تتحرر من غطاء الرأس (=الحجاب) (كورنثيوس الأولي ١١:٢-٦) وبرغم صعوبة تحديد أسباب موقفهن هذا ، افترض البعض أنهن أردن إسقاط غطاء الرأس لكي تتشبهن بنبيّات (=جمع نبية) ديونيسيوس وإيزيس اللواتي كن يمارسن العبادة وشعور رؤوسهن طليقة كما أنه من المحتمل أن تكون الطقوس المصرية أثرت علي الممارسات الدينية الديانه المصرية منافسًا خطيراً للمسيحية (الرجل الذي قاوم الله ٥٢) إذ أنها كانت _ مثل المسيحية _ تعد بالقيامة لأن هذه الديانة كانت تتقيد بنوع خاص لإلهة الأم.

هل أغوي البعد النسائي في الديانة المصرية مسيحي كورنثيوس ؟ لا ينوه بولس إطلاقًا إلى هذا الأمر . قد يكون الأرجح أن النساء في كورنثيوس استلهمن شعارات بولس وأردن التخلص من علاقة أنوثتهن المميزه لكي تكن مثل الرجال "ليس رجل وامرأة " ربما اوقع موقف النساء هذا بولس في حرج وسبب الحرج هو أن النساء كن أكثر فعالية في تطبيق شعارات بولس من بولس نفسه .

الشئ المؤكد أن بولس لا ينظر إلى المسأله من زاوية التبرج والزينة ،بل من زاوية هوية المرأة يجب أن نعرف انه كان للشعر قديماً قيمة رمزية كبيرة كان اليهود يساوون بين إسدال المرأة شعرها على كتفها وكشف صدرها: كانوا يعتبرون مثل هذه النساء زانيات (لوقا٧:٣٨) وكان من العار أن تحلق المرأة شعرها .

تبادل ضروري

يرفض بولس تخلي النساء عن تغطية الرأس .هل كان رد فعله هو تقهقر معلم فريسي مصدوم ؟الرد علي هذا التساؤل قصير ، إذ يكتب :"ولكن أريد أن

تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح .وأمـا رأس المرأة فهو الرجل ، ورأس المسيح هو الله . كل رجل يصلي أويتنبـأ وله علي رأسه شـئ يشين رأسه. وامـا كل إمرأة تصلي أو تتنبـأ ورأسهـا غيـر مغطي فـتشين رأسـها لأنهـا والمحلوقة شـئ واحد " (كورنثيوس الأول ٣:١١-٥)

إن الترتيب الهرمي (= الهيراركي) الذي يـعرضه بولس هو ترتيب الخليقة ، حسب المفهوم السائد وقتـها : تنتمي المرأه للرجل ، الذي ينتمي بدوره لله . الكلمة التي يستعملهـا هي "الرأس " وعندما يقول أن الله رأس المسيح أو أن الرجل رأس المرأه . فإنه يقصد بذلك الأصل أو المنبع أو الحمـاية ،بمفهوم السلطة كما أن الرجل يحيا من عـلاقته بالمسيح . والمسـيح من علاقته بالله فكذلك المرأه تعـيش في العالم من علاقتها بالرجل .

لنعتـبر الأشـياء التي كـانت تضايق بولس : هل من العـار أن يصلي الرجل ويتنبأ وهو مـغطي الرأس وأن تفعل المرأه ذلك مكشـوفه الرأس؟يدخل هذا الخلط الفوضي لا يمكن التبديل من العلاقات : أن علاقة الرجولة (الصلاة سافر الرأس) وعلاقة الأنوثة (الصلاة مغطاة الرأس)(*) .وعندما تتغاضي المرأه عن غطاء الرأس فإنهـا تلغي الفارق بين الجنسين وتتنكر لأنوثتـها : لهذه الأسـباب يرفض بولس أن تتخلي النساء عن غطاء الرأس .

يؤدي التـمـسك بهذا الموقـف إلى تكريس عـلاقة هرمـيـة بين الرجل والمرأة وتثبيتها بتفادي بولس جيداً الوقوع في هذا الفخ الذي وقع فيه عدد كبير من قرائه ، إن قراءة متأنية للنص تثبيت أنه يؤكد ثلاث مـرات منطقًا نسميه منطق التبادل وهو الذي ينظم العلاقة المتوازن بين الرجل والمرأة .

(*) نفس أسلوب الصلاة عند المسلمين (=المؤلف)

وبعـد أن يقـول "لان الـرجل ليس من المرأه ،بل المرأه من الـرجل " يضـيف بعدها " لذلك يجب علي المرأه أن تغطي رأسها علاقه الخضوع " لأنها مجد الرجل ثم يقول بعدها "غـير أن الرجل ليس من دون المرأة " ثم يضيف " ولا المرأه من دون الرجل " وفي هذا ينطلق بولس من أصول يهودية توراتيـة حيث في سفر التكوين " لانه كما أن المرأه هي من الرجل " إلا أنه يستنتج " الرجل أيضًا هو بالمرأة . ولكن جـميع الاشـياء هي من اللـه "إنه من التسـرع اتهام بولـس بالانحيـاز للرجل وانما بالتبـادل فإن حاله النقص التي يمكن أن تـعيش فيهـا المرأة بدون الرجل ،تطبق علي الرجل بدون المرأة ، والقـول أن المراة مأخوذه من ضلع أدم يقـابله ولادة الرجل من المرأة ولكن في النهاية تظل نظرية " رأس المرأة فهو الرجل " بينما رأس الرجل هو المسيح "لا تنفي نظرة غير متساوية بين المراة والرجل في عيني "بولس " الذي وصل الرجل بالمسيح مـباشرة ووصل المرأه بـالمسيح بشكل غيـر مباشـر من خلال الرجل وهذا بالرغم من نـظرية التـبادلـية التـي رآها دانيـال مار جـيـورا في كـتـابه (بولس الطرسوسي ص ٥٣).

ويتـبع بولس النظام ذاته عندما يتـعرض لموضـوع الزواج (كورنثـيوس الأولي : ٧)"أما المتزوجـون فأوصيهم لا أنا بل الرب ،أن لا تفـارق المرأة رجلها " ثم يواصل فـوراً. " ولا يترك الرجل إمـرأته " أنه توازن تام في الواجـبـات ،ويقول أيضـا " لا سلطة للمـراة علي جـسدها فـهو لـزوجهـا" وقبل أي بادرة اسـتنكار لهـذا الكلام يعاجلنا بـاقي العدد (= الآيه)(*)" كـذلك الزوج لا سلطة لـه علي جسـده ،فهـو

(*) من خـلال التلاقح الثـقـافي بين المسلمين والمسيحـيين صـار هناك تبـادلاً للمصطلحـات فكلمـة «آية» المستخـدمـة في القـرآن الكريم تستخـدم الآن في الكتـاب المقدس بدلاً من كـلمة «عـدد» ويسـتخـدم المسـيحـيون بعض ألفـاظ المسلمين مـثل «حسـبي الله ونعم الوكيـل» و«بسم الله ما شـاء الله» وغيـرها ويستخدم المسلمون لقب عذراء لمريم بينما لم يصفها القرآن بذلك وإنما اكتفى بوصفها «محصنة الفرج» وهكذا (=المؤلف).

لامرأته " أنه تواز تام في المسـئوليـات : يجب علي كل منهما أن يكون مـسؤلاً عن جسد الآخر.

وتتلخص وجـهة نظـر " مارجـيورا " أنه بولـس يري حالة المرأه علي ضـوء نظام تسلسل هيراركي (= هرمـي)ينطلق من الخليقة :تتطلق في عـلاقه السلطة من الرجل تجاة المرأة وليس العكس ، ولكن امـام الله والكنيسه فـإنه يركز علي أن حق الذكر لم يعد له وجود.

ولكن هذا التساوي الذي هو نتيجة النعمة ، لا يجب أن ينفي خصائص كل منهمـا لذلك يعترض بـولس علي تشبه النسـاء بالرجال في الصـلاة أو التنبؤ وهن مكشوفات الرأس أن إعتراضة هذا ألا يقوم علي أساس تفوق الرجل وتدني المرأه _ هذه الفكرة نفيها مبدأ التبادل - بل إنطلاقا من الدور الذي رسم لكل منها .

دور المرأه هي أن تكـون فـخـر الرجل ، وصـورته ومـجـده . إن الـرجـال والنساءهم جمـيعًا مدعوون لكي يعيـشوا واقعهم _ النعمه هي للجميع _دون أن يتنكر أي منهم لدوره الخاص الذي خلق من أجلة أنها التعددية .

بولس التقدمي

ولكي نحدد مدي تقليدية أو تقدمـية بولس علينا أن نعود إلى وضع النساء في القرن الاول المـيلادي وإن كان يصـعب الوصول إلى الوضـوح كما يـقر بذلك علماء التـاريخ أنفسهم ، وذلك بسـبب قله المصادر والوثائق التي تسمح بالتـعرف علي نسيج الواقع الاجتماعي وخصائصة الشعـبية وتقدير العادات والتقاليد المحلية حق قدرها .

نقول إجمالاً أن مكانة المرأه مرتبطة بأمومتها وبدورها في تدبير شئون المنزل وإنتاجها ،كانت مدينه روما تحتفل سنويًا في أول مارس بعيد الأمومة من حيث المبدأ كانت الحياة العامة مجالاً محفوظًا للرجال وفي الوقع تمتعت المرأة اليونانية بحقوق تفوق ما تمتعت به المرأة اليهودية كما تمتعت المرأة الرومانية بحقوق تفوق ما تمتعت به المرأه اليونانية كانت هناك فنانات وعاملات وتاجرات كما كانت هناك طبيبات ، علي الرغم من ندرة هذا الأمر الذي أدي إلى تسجيل ذلك علي لوحة قبر العائلة ،اذا يقول الزوج : لقد بلغت معي قمة المجد كطبيبة ، بالرغم من كونك إمرأه لم تكوني أقل مني مهارة مما يؤكد أنه لم تكن الامبراطورية الرومانية بعيدة عن الظلم كما نتصور.

ولم تكن الكنائس التي أسسها بولس مختلفة في واقعها عن المجتمع الروماني من حيث الاعتراف بمكانه المرأة ودورها وأحسنت المرأه في هذه المجتمعات الاستفادة من الأوضاع فغصت مدن كورنثيوس وأنطاكية وروما بجماعات خاصة ونوادي وجمعيات ومجموعات دينية ، وكانت أحيانا مختلفة تضم الرجال والنساء . ولكن غالبا ما احتفظ كل واحد في هذه الجماعات والجمعيات بدوره ومكانة في المجتمع :العبيد مع العبيد ،أعضاء مجلس الشوري مع أقرانهم Seneators، والنساء مع النساء منحت الهوية المنفتحة الأفراد في الجماعات التي أسسها بولس حق المساواة وكشف الجدال حول غطاء الرأس (=الحجاب) مسألة هامة : في كورنثيوس مارس الرجال والنساء العبادة من صلاة وتنبؤ ، هذا الأمر غير مألوف وكانت النساء تماماً مثل الرجال تمارس في الجماعات وظائف سميت فيما بعد "خدمات " .

ليست النبوءة في كورنيثوس حالة خاصة فريده ، لقد أحاط بولس ذاته في عمله التبشيري برجال ونساء وشهدلهم في رسائله ونذكر بعض الأسماء التي ترد في رسائلة أنه يجيئ في نهاية رسالته إلى رومية فيبي خادمة كنيسة كنخريا (رومية ١:١٦) كما يسلم علي إكيلا وبريسكلا شركائه في المسيح (٣:١٦) ومريم التي تعبت في الخدمة (٦:١٦) أندرونكوس وبونياس ، وهي امرأه شرفها بولس بلقب " رسول" (٧:١٦) برسيس التي تعبت في خدمة الرب (١٢:١٦) روفس وأمه (١٣:١٦) نيريوس وأخته (١٥:١٦) هذا نموذج لأسماء قليلة ذكرها من أسماء معاونية العديدين ، يظهر مدي الثقة التي أولاها بولس للنساء واعحابه بعملهن في نشر الإنجيل معه .

تفتقر كل الوثائق الأدبية لذلك العصر لنموذج مثل هذا من الثقة في نساء مجهولات غير شهيرات أن بولس أحد تقدمي القرن الأول وينادي بتحرير المرأه وتردد آثار هذا في كتاب أعمال بولس وتكلا الأبوكريفي (=غير الموثق) الذي يرجع إلى منتصف القرن الثاني الميلادي . (دانيال مارجيورا ص٥٨).

ويتساءل مارجيورا في نفس المرجع : هل يمكن أن نقتصر علي وصف بولس بأنه تقدمي قياسًا بالقرن الأول فقط ؟ أين هو مكان المرأه حتي الآن في المسيحية دون أن نتعرض لمكانها في باقي الأديان ؟هل يصل مكانها الآن إلى ما كانت عليه في كنيسة كورنيثيوس ؟ في أية كنيسة بحق للمرأة مثل الرجل _ ممارسة الخدمة ؟ الإجابه واضحة باستثناء بعض الاتجاهات في الكنيسة البروتستانتية ، يظل دور المرأه الذي حدده لها القرن الأول الميلادي دوراً تقدميًا ،أكثر من دورها الآن بعد مرور أكثر من ألفي سنة .

الفصل السابع

عمر والمرأة

((إستعيذوا بالله من شرار النساء))

(يكشف موقف عمر من المرأة جوانب تشريعية أخري في فكره . برز في الموقف الصارم الذي اتخده من المرأة ولهذا نُسب لعمر قولة في المرأة :" إستعيذوا بالله من شرار النساء، وكونوا من خيارهن علي حذر (عبقرية عمر ١٩٣) كما نسب اليه " أكثروا لهن من قول " لا " فإن "نعم " مفسدة تغريهن علي المسألة . (إبن أبي الحديد المعتزلي ٦/ ٢٠٠) .

ومنذ البداية، مثل عمر الإتجاه الأبوي في تطور الإسلام فنهوض الإسلام ، عكس حالة المجتمع الناهض، وجسد حالة تطور ثورية في ذكورية المجتمع ، علي أنقاض العلاقات الأمومية التي صارت عقبة بوجه نهوض مجتمعات الجزيرة العربية . والمؤكد أن المرأة كانت تتمتع بحرية واسعة، وتلك الشواهد المنسوبة للنساء في معركة بدر تدحض ما يروي عن لسان عمر بأن نساء المهاجرين تعلمن من النساء يثرب مشاحنة الأزواج .

كانت العلاقة التي رسمها الإسلام نحو المرأة قد بدأت ملامحها بالتكون إبان العهد قبل الاسلامي (=الجاهلية الثانية) إذ يروي بأن العرب كانوا يورثون البنين دون البنات إلى أن شرع أحد رجال جزيرة العرب قبل الإسلام سّنه للذكر مثل حظ الأنثيين(*) (المحبر ص ٢٣٦-٢٣٧).

(*) ينسب هذا التشريع الجاهلي لعمرو بن يزيد بن نفيل ابن عم عمر بن الخطاب والمفكر الحنيفي الأشهر في مكة وقتها (=المؤلف).

كان لابد أن يعكس الإسلام أيديولوجيا هذه الحالة الناهضة علي المنظومات العقائدية أن تجد لهـا :مثلاً، وفي الإسلام المبكر كان عمـرهو "المشرع " الذي جسد بإسلامـه حالة تطور في الدعوة الإسـلامية ودخـولها المرحلة الإسرائيليـة الذكورية كان عليه بسبب من هذه الملابسات، وبسبب من الجانب التشريعي، الذي أظهره في سنوات ملازمـة لمحمـد وأبي بكر بحيث أنه في بعض الأحـيان لم يتـردد ابداً حتي بالتدخل بشئون محمد الأسرية وحتي الدفع لتبني الإتجاه الذكوري بشكل أكبر .

عمر وأزمة زوجات محمد (=النبي):

مما لاريب فية أن قصة الخلاف الكبير الذي حدث بين محمد وزوجاته من المعالم البارزة في تاريخ الرسالة المحمدية في مـرحلتها اليثربية، وكان لذلك أثر في النص القرآني بالتالي في التشريع الإسلامي .

لقد بدأ النزاع بين محمد (=الرسول) وزوجاته، عندما شعرت الزوجات بان زوجهن لا يعدل بينهن، فقررت إرسال زينب بنت حجش (= أم المؤمنين) اليه كان هو عند عائشة (=أم المؤمنين) مـن أجل مصارحتة بأن ظلمًـا يلحق بهن جراء ولعه بعائشة . ثم أنه لاحـقًا أنجبت مارية القـبطية "إبراهيمُ الذي شغف به محـمد وعندما صارت حفصة وعـائشة تتآمران علي محمد وهذا ما أثقل عـليه نفسيًا (السيرة الحلبية ٣/ ٤٠٢) ويبدو وأن الغـيره التي اشتـغلت بسبب المولود الجديد، دفـعت بالزوجات الأخريات إلى تأييـد حفصة وعائشـة "ويذكر الحلبي في سيرته إن الـصداقة ربطت بين عـائشـة بنـت أبي بكر (=أم المؤمنين)وحـفـصـة بنـت عـمـربن الخطاب (=أم المؤمنين) بحيث شكلا حلفًا مقابل نساء مـحمد الأخريات اللواتي كانت تناصرهن

فاطمة بنت محمد (=الرسول) ذلك أن فاطمة - الإبنه المدللة لأبيها - رأت في عائشة ضرة (*) وقد وجدت عائشة في حفصة نصيراً لها (بنت الشاطئ ص ٢٢٥-٢٢٦). وكانت زينب بنت جحش تنتمي لجناح فاطمة، ولهذا لما اثيرت قضية الإفك ، فإن أخت زينب قامت بترويج الشائعة دعمًا لاختها زينب التي كانت تشكل منافسًا كبيراً لعائشة وقد وقفت زينب بحكمة بعيداً عن القضية، التي انتهت بتبرئة القرآن لعائشة من تهمة الزني(**)، واذ دعم القرآن عائشة في موقفها من قضية الإفك، الا أنه جاء لاحقًا ليوجه نقداً لها ولحليفتها القوية حفصة، فقال القرآن بصدد هذا الثنائي (إن تتوبا إلى الله، فقد صغت قلوبكما، وا ن تظاهرا عليه، فإن الله هو مولاه، وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيراً) (سورة التحريم ٤).وموقف حفص وعائشة آثار غضب محمد (=النبي)وهددهن بالفراق، وقد تدخل عمرلحماية العلاقة ،فجاء ابنته (=حفصة) وعنفها علي سوء سلوكها مع محمد (=الرسول) ثم جاء أم سلمة _ وهي تمت بصله قرابة _ فأنبها ، لكنها إحتجت عليه بأن يتدخل في كل ما يتعلق بين محمد (=النبي) وزوجاته . (السيرة الحلبية ٤٠٤/٣-٤٠٥)، الفاروق عمر ١/٦٧-٦٨).

(*) ظلت العلاقة بين فاطمة وعائشة متوترة حتى رحلت فاطمة عن الدنيا بعد وفاة أبيها بمدة بسيطة وتوترت أكثر بمشاكل فاطمة مع أبي بكر والد عائشة ومنعه ميراث فاطمة عن أبيها في أرض «فدك» ودور عائشة في إعلان أبيها خليفة لمحمد في إمامه الصلاة مما ساعد أبي بكر على نيل الخلافة بدلاً من «علي» زوج فاطمة وهذه الرؤية تفسر جزء من كراهية الشيعة لأبي بكر وعائشة مبدئيًا (=المؤلف).

(**) هناك رؤية تفسيرية أخرى لمستشرقين لحادث الإفك من خلال الآيات في سورة النور (١١) ينصرف معناها عن عائشة تمامًا فليست هي المقصودة في الآية خاصة أنه نص غير قاطع (= غيرمحكم) ، ولم يذكر تحديدًا اسمها وإنما سياق الآية يتحدث عن مجموعة تمارس الإفك ضد مجموعة أخرى في مجتمع المدينة وهو ضمن بحث بعنوان «محاورات مع أهل القرآن» للمؤلف تحت الطبع ذلك برغم صفحات كثيرة وردت بالسيرة عن حادث الإفك كتبت لأغراض سياسية في العصر الأموي (=المؤلف).

قصة الأزمة الأخري، تتعلق بالثنائي (حفصة _عائشة)ضد محمد . وتحكي أنه بينما كانت حفصة ذات يوم غائبة، استدعي محمد ماريا إليه وواقعها في بيت حفصة، فلما رجعت وزارت ضرتها مارية، غضبت واحتجت عليه أنه واقع أمَته في بيتها وفي يومها (= اليوم المخصص لها ضمن زوجاته الأخريات) وهذه سابقة لم تحدث مع نسائة الأخريات . ويبدوا أن محمداً أحرج من ذلك فأعلن أن مارية حرام عليه، فأعلمت صديقتها عائشة بما جري، وهذا أسعد عائشة جداً .

وثمه رواية تخبر أن محمداً (=النبي) واقع ماريا في بيت عائشة وأخري في بيت إحدي نسائه بدون تحديد، (متاعب في بيت محمد – قراءة في سورة التحريم مالك مسلماني علي شبكة المعلومات الدولية) .

يقال أن ما أسعد عائشة هو غيرتها من ماريا أشد درجات الغيرة وتقول الروايات أن غيرة عائشة وبقية النساء دفعت محمداً لإبعاد مكان سكني ماريا عن مساكن نسائه . كما علم محمد بأن حفصة افشت الحكاية، لم يشعر بأنه في حل من عهده الذي قطعة لها بأن يحرم مارية علي نفسه ، بل أنه طلق حفصة (=أم المؤمنين)وجاء القرآن يؤيد ترك تحريمه لماريا :﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ① قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ② ﴾ (سورة التحريم) .

ويبدو أن محمداً (=الرسول) بتطليقه حفصة قد بلغ منها كل مبلغ، التي طالما اتبعت محمداً بكثرة مراجعته في كل شئونه، حتي أن عمر (=والدها) قد حذرها من مغبة ذلك بقوله والله لقد علمت أن رسول الله لايحبك، لولا أنا لطلقك " (بنت الشاطئ ٢٥١) ومع ذلك بقيت حفصة تجادل محمداً أو تحاوره بقضايا الدين (بنت الشاطئ ٢٥١) وهذا يدل علي أنها كانت تحوز نوعًا من ثقافة دينية

مستـمده من الأب عمـر : ثم شعوريًا بالفخـر لبنوتها إلى عمر، بـوصفه شخـصية مركزية ومحـورية في الجماعة الإسلاميـة . واذا قام محمد (=الرسول) بتطـليقها، فأنه عرض نفسة لخطر حدوث أزمة جدية بينه وبين عمر وهذا قد يسبب شرخًا في الجماعة الإسلامية ولهذا فإن مـحمداً (=الرسول) أرجعها، حسب أحدي الروايات لأن جبـريل طلب منه ذلك " رحـمـة بعُـمـر " (السـيـرة الحلبـيـة ٣/ ٤٠٦،بنت الشـاطئ ٢٥٢-٢٥٥) ولأن حفصه إمـرأه كثيرة الصيام والصلاة ، ولأنـها " زوجته في الجنة " (تاريخ الإسلام الذهبي سيرة أعلام النبلاء) .

وأعلن عمر أنـه لو تلقي أمرًا من محمد بـضرب عنق حفصة لفـعل، تضامنًا مع محمد (=النبي) الذي صار موقـفه صعبا من طلاق إلى تراجع عنه ثم أنه وقف بجانب مـحمد (=النبي) وندد بنسـائه فقال لهـن : والله لئن انتهيتن، وإلا ليـبد لن الله رسوله خيراً منكن " فرفضبت بعضـهن ذلك، فجاءت الآية لاحقًا تقول "عسي ربه إن طلقكن، أن يبدله أزواجا خيراً منكن " (تاريخ عمر ٢٥-٢٦) .

وقد ذكـر ابن عساكر أن هـناك مؤامرة نسوية ضـد محمـداً (=الرسول) من قبل حفصـة وعائشة(*) أو عائشة وسودة بـنت زمعه ضد حفصة) وعـرفت بقصة المغافـير والتي قـيل أن محـمداً إعـتزل نساء شهراً بسـببـها (راجع تفـاسيـر سورة

(*) كثـرت الروايات وتعليقـات المستشـرقين وغيرهم من الرواة أن مـشاكل بيت النبي وصـراعات الغيرة أكـثرها إن لم يكن كلها بتدبير من عائـشة ولـم يحدد أي منهم سببًا قـاطعًا لماذا بين النساء هي دونًا عن نساء محمد التي أدارت هـذه الصراعات في بيت النبوة؟ربما لو حللوا هذه الظاهرة لأمكن معـرفة أسـباب مشـاركتهـا في الفتن والحروب برغم الأمـر القرآني لزوجات الـنبي فقط (وقرن في بيوتكن) أي إبقين في منازلكن (=المؤلف).

التحـريـم) وروي أيضًا أن سـبب احتجـاجهن كـان قلة الإنفاق، ومطالبـتهن بزيادة النفـقة بحـيث أن القـرآن جاء بالآيـة التي عرفت بآية الـتخـييـر " ياايهـا النبي قل لأزواجك أن كنتن تردن الحيـاة الدنيا وزينتهـا فتعالين أمـتعكن واسرحكن سـراحا جميلاً " (الأحزاب ٢٨) ويروي أن محمداً (=الرسـول) قارب علي طلاق نساءه . وهي أحداث وتفاصيل ترصد كلها واقعـة حدوث فوضي في بيت محمد وترصيد آيه أخـري من سورة الأحـزاب تأزم محـمد من بعـض من كان يطمع في نسـائه " يانساء النبي لستن كأحد من النساء أن اتقـيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبة مرض، وقلن قولاً معروفًا ". (الأحزاب ٣٢)

إن تدخل عمـر في هذه الأزمة يؤشر إلى تعقـد حياة محمـد الأسرية في هذا الوقت، والذي استدعي تدخل شخصيـة قوية لكبح جماح إحدي أقوي زوجاته ـ حفـصه- والتهديد الذي وجـهه عمـر لبقية الزوجـات باستبـدالهن، وهذا التدخل العمري يعـود بالمقام الأول إلى المساعي الخاصة بتـقوية الحركة الاسلامـية، إذا كان يمكن للمتـاعب التي تنوء بكلكلهـا علي محمـد أن تؤثربشكل خطير علي الحـركة الاسلاميـة. وعمر كان يصـدر في تصرفة حكمة سـياسية، وليس عن مـوقف معاد للمرأه هنا، وقد أثبت عـمر حنكته وتقديره في الأزمـة الخطيرة الأخري التي هزت بيت مـحمد (=النبـي) وبذلك عندما سـرت شائعـات تسئ لسمـعه عائشـة والتي عـرفت في التـاريخ الاسـلامي بحـادثه " الإفك "(*) حـيث مـقـتـضـيـات الموقع

(*) في بحث «محاورات مع أهل القرآن» لنا تحت الطبع عرض مفسرون لآيات فيها نصوص تمنع اصطحـاب محمـد لزوجاته مـعه في الحـروب مما يعني أنه ربما حادث الإفك لم تحـدث في حق عائشة طبقًا لهذه الآيات (=المؤلف).

الاجتماعي والتأثير المحتمل علي الحركة الاسلامية في حال صدقت هذه الإشاعات، ولهذا لم يتردد في رفض هذا الاتهام بعد أن تأخر الوحي عن التدخل بهذه القضية، فقال لمحمد إن ذلك تلفيق وسرعان ما جاء الوحي بكلمات عمر نفسها ﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) ﴾ (النور ١٦)(الدر المستطاب ص٨٥) .

لقد تم السيطرة علي تداعيات هذه الأزمة وخصوصًا أن الوضع العام بسبب النهوض العسكري الذي كان يعيشه المسلمون غطي علي الأحداث لكن المفارقه إن تداعيات تعدد زوجات محمد (=الرسول)قد برز بقوة بعد وفاته، وبالتحديد بعد وفاة عمر وحدوث الفرز الإجتماعي ومن ثم السياسي فالتحالف الذي ربط حفصة وعائشة لأسباب عائلية صرف كاد يدفع بالأولي للخروج مع عائشة يوم معركة الجمل(*).

لولا تدخل أخيها عبد الله لديها لحثها علي عدم الخروج (بنت الشاطئ ٢٥٧-٥٧٨) وبالمقابل وقفت أم سلمة _ هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية _ التي كانت علي عداء مستفحل مع عائشة في بيت الزوجية ،وقد استمر العداء بينهما بعد وفاة محمد (=النبي)- وقفت أم سلمة إلي جانب «علي» رغم أنها كانت محجمة عن أي نشاط إجتماعي، لما نشب الصراع بين علي وعائشة ولا نستطيع أن نبعد حقيقة أن موقف علي من عائشة في حادث الإفك قد دفع بها إلى

(*) الحرب التي دخلتها عائشة ضد علي بن أبي طالب في فترة «الفتنة الكبرى» وانتهت بهزيمتها وعودتها مكرمة إلى المدينة إحترامًا من علي لكونها أم المؤمنين ذلك برغم أن القرآن منع زوجات النبي من الخروج من بيوتهن بقوله «وقرن في بيوتكن» كما سبق ذكرنا (=المؤلف).

معاداته لما آل الحكم إليه ذلك أن النقد القاسي الذي لطالما وجهته عائشة إلى عثمان، كان أقل من كراهيتها نحو «علي» جراء موقفه من الإفك وإشارته علي محمد بطلاقها، ودع عنك أنه كان زوج فاطمة(*) - أثيرة محمد وعدوتها اللدودة (حسب بعض الروايات) وحتي صفية بنت حيي لم تقف بعيداً عن الصراع، فقد ساندت عثمان في حصارة فكانت تمده بالطعام . يبدو أن الصراع العشائري كان يجد انعكاسة المبكر وقبل حوادث الفتنه، وموقعة الجمل ونهوض الدولة الأموية ولاحقًا العباسية، هذا الصراع كانت مرآته ببيت محمد بالذات، وبالتالي لوقيض لتلك النساء أن تلدن، لكنا شهدنا صراعًا يستند إلى شرعية النسب المحمدي وبشكل لاشك أنه سيكون مأساويًا . (السيرة المتوارية _ مالك مسلماني) علي أي حال، ليس لنا أن نتخيل فرضيات في التاريخ كما لا يجب الإستفاضة بهذه النقطة ،لأنها تبعدنا عن موضوعنا .

الحجاب (=الساتر)

تدل التواريخ علي أن الحجاب كان موجوداً في العصر قبل الإسلامي (=الجاهلية الثانية) فحسب المصادر فإن أحد أسباب حرب الفجار الأول، اليوم الثاني، هو أن إمرأة من بني عامر كانت جالسة بسوق عكاظ عليها البرقع فأطاف بها شاب من قريش من بني كنانة، فسألها أن تسفر وجهها، فأبت فجلس خلفها

(*) حسب أبحاث أخرى تبين أن رقية وأم كلثوم هما ربيبات الرسول وهن بنات الزوج السابق لهالة بنت خويلد أخت خديجة فلما ماتت تربت الفتاتين في رعاية محمد وخديجة واشتهرا بأنهما بنات محمد إذ ذهب البحث إلى أن فاطمة هي الإبنه الوحيدة لمحمد وأن زواج عثمان من اثنتين من بنات النبي هو أمر غير دقيق تاريخيًا.(=المؤلف).

وهي لاتشعـر وعقد ذيلها بشوكـة، فلما قامت إنكشف قـميصها فـضحك الناس منهـا فنادت المرأة :" يا آل عـامـر " فثـاروا بالسـلاح ونادي الشـاب " يا بني كنانة " فاقتتلوا (السيرة الحلبيـة ٢٠٨/١، وايام العرب في الجاهلية ٣٢٤) من جهة أخري ، لـم يكن الحجاب . مـعروفًا قبل العصر المحـمدي فحسب، بل ظهر الحجـاب أو الخمار في المجتـمع اليهـودي، بشهـادة المؤرخ اليهودي يوسـيفيوس، وانتـقل إلى النصاري من بني اسرائيل، وقد حاول بولس إ دخاله في المجتـمع الهيلنستي (=اليوناني) بيد أنه أخفق بذلك، فكان الحـجاب ،فارقـاً بين نساء النصاري من بني اسـرائيل، والنساء المسيحيـات في العالم الهلينستي (القرآن دعوة نصرانية ص٢١١) ويؤكد مؤلف المرجع السابق أن الحجاب من مؤثرات النصرانية وأنه دخل الحجاز مع هجرة النصاري من بني إسـرائيل وقـد تناول القـرآن مـوضـوع الحـجـاب في سـورة النور٣١، سـورة الاحزاب ٣٣، ٥٣، ٥٩ .

أي أن الإسلام لم ينشئ زي الحجاب الذي فرضتة الـعادات والتقاليد القبلية في الجزيرة العـربية وظروف المناخ التي أوجـبت حماية المرأة من الشـمس والتراب وقد ورث الإسلام الحجاب الذي كان سائدًا بالمنطقة وتعامل معه كمفردة إجتماعية لها ما يبررها في نـسيج المجتمع القائم الذي نزل فيه الوحـي القرآني ولم يفرضه - كما يظن معظم علماء الدين الاسلامي ـ كزي علي المرأة المسلمة وانما هو لـم يكن سوي مـجرد زي للمـرأة عمـومًا حـاليًا بمنطقـة الحجـاز وقد اسـتمـر بنفس شكلة وسماته بمنطقة الحجاز (=العربية السعـودية حاليًا) حتي الآن وكان مقدرًا إستمراره كتقليد قومي حتي ولو لـم تنزل الرسـالة المحمدية في هذه المنطقة وفي هذا التوقيت أي القرن السابع الميلادي (=المؤلف).

وقد صار رأي تاريخي يذهب إلى أن عمر هو الذي إقترح فرض الحجاب علي نساء محمد (=النبي) .. وهي قضية الساتر أي الحجاب الذي يحجب نساء النبي عن باقي المؤمنين وليس الحجاب الزي المعروف حاليًا .. لكن محمدا رفض في البدء ولما لم يفعل، رأي عمر ذات مرة وهو في المسجد، سودة(= أم المؤمنين) وكانت إمرأة طويلة _ وهي ذاهبة ليلاً إلى صعيد لقضاء الحاجة، فقال لها : " لقد عرفتك يا سودة " فجاء الأمر بالحجاب (تاريخ عمر ٢٦).

في حين توضح رواية أخري بأن عمر جلس يشارك محمدًا وعائشة طعامهما فأصابت يده إصبع عائشة فقال عمر : «لو أطاع فيكن، ما رأتكن عين» فجاء أمر الحجاب .(تاريخ عمر ٢٦-٢٨ ،ابن أبي الحديد المعتزلي ٦/ ٢٣١)

كما قيل في روايات أخري أن زينب (=أم المؤمنين) قد عبرت عن تبرمها من عمر بسبب من تدخله في شئونهن فقالت له : وانك علينا باابن الخطاب والوحي ينزل في بيوتنا (تاريخ عمر ٢٧) فجاءت الآيه تقول " وإذا سألتموهن متاعًا، فاسألوهن من وراء حجاب " (الأحزاب ٥٣)

وثمة مبررات تسوقها السيرة الحلبية لسبب فرض الحجاب فقيل أن آية الحجاب تنزلت عام ٩ هجرية وذلك لما كان رجال مجتمعين لدي محمد (=النبي) بمناسبة زواجة من زينب بنت جحش، وبعد أن انتهت الوليمة وخرج الناس، بقي رجال منهم يتبادلون أطراف الحديث في البيت فخرج محمد متبرمًا منهم ،ثم أنه جاء القرآن يقول : (يأيها الذين أمنو لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن أذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين

الحديث إن ذلكـم كان يؤذي النبي فـيستـحي منكم والله لا يستـحي من الحق واذا سألتمـوهن متاعًا فـأسالوهن من وراء حجاب ذلكم أطهـر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنحكوا ازوجه من بعده ابدًا أن ذلكم كان عند الله عظيمًا " (الأحزاب ٥٣).

وقصـة فرض الحجاب لـم يخرج منها عمـر بدورة علاقة سـببيـة، قد تنزلت فرضـية عدم الزواج من نـساء محـمد (=الرسول) بعـد وفاته في طلحـه بن الزبير الذي قال " يتزوج محـمد بنات عمنا، ويحجبهن عنا . لئـن مات لأ تزوجن عائشة من بعده " والصيغة الثانية أن طلحة قال : مـا الذي يغنية حجابهن اليوم و سيموت غداً فننكحهن "(السيرة الحلبية ١/ ٨: ـن أبي الحديد المعتزلي ١/ ١٤٤-١٤٥).

وهناك من يشكك في هذه الرواية من منطلق أن طلحة أحد العشرة المبشرين بالجنة(*) حسب المأثور الاسلامي السني أن مـحمداً سماه «طلحة الخـير»، «وطلحة الجود» «وطلحة الغياض» كما أطلق عليه وعلي الزبير حواريه كحواريي المسيح أن يكون مـتلفظًا ومتطلعًـا لمثل ما قـال ونقلته عنه السـيرة المعـتمدة وأن بـرأه صاحب السيـرة الحلبية بقوله أن ثـمة شخصًـا آخر بنفس الاسم يدعي «طلحة بن عـبد الله التيمي» .

مشكلة عمر مع نصر بن حجاج السلمي (=أزمة الشعر)

حسـب المصادر، سمع عمر ذات يوم إمراة تنشد شعراً، تتمني فيه وصـال نصر

(*) في بحث «أهل القـرآن» تحت الطبع للمؤلف! قـال مفـسرون على لسـانهم أن القرآن قـد بشر الجميع بالجنة في حـدود شروط معينة «وبشر الذين آمنوا» و«بشر الصابـرين» وهكذا آيات كثيرة أخـرى وشروطهـا تمتد حـتى نهـاية حيـاة الإنسان وليس «صـك غفـران» قبل مـوته كمـا روت الروايات وأصبح بمثابة العقيدة (=دوجما) لدى المسلمين (=المؤلف).

ابن حجاج، فسأل عنه، فإذا هو من بني سليم، وعندما استدعاه، طلب منه أن يجزو يستأصل شيئًا من شعره، فزادته جبهته حسنًا فأمره عمر أن يعمً (يرتدي عمامة) ويذكر ابن حبيب في كتاب المحبر أسماء المتعممين (لا لبس العمائم) بمكة فخافه النساء علي انفسهن من جمالهم وقد بلتوا ثلاثه عشر رجلاً (المحبر ٢٣٢`-٢٣٣) وبعد أن أمره عمر بالعمامة انصاع نصر للأمر فزاده حسنًا، فطلب منع عمر مغادرة البلاد ،لانه لن يبقي مع نصر في أرض واحدة، فنفاه إلى البصرة . فجاءت أم المنفي يومًا لعمر قائلة له بأن عبدالله وعاصمًا إلى جواره وبينما وبين ابنها الجبال والفيافي والأودية " فأجاب : إن ابني لم تهتف بهما العواتق في خدورهن وتتحدث الروايات عن أنه سمع نسوة يتحدثن عن أبي ذئب ويصفونه بأنه أجمل أهل المدينة فاستدعاه عمر بعد أن عرف أنه عم نصر بن الحجاج ولما رآه وعاين جماله أمر بنفية من المدينه فطلب أبو ذئب أن ينفيه إلى البصرة حيث ابن عمه نصر بن حجاج (طبقات ابن سعد ٣/ ٣٨٥ ،ابن أبي الحديد المعتزلي ٦/ ٢١٣، اخبار عمر ٣٣٩)

وكان عمر قدر رفض إلتماسًا من نصر للرجع وان كان عوضه مالاً وداراً بالبصرةوفي رواية أخري أن نصر كان رجلاً جميلاً فنفاه عمر فوراً وثمة تفصيل يحكي عن أنه رحل فيما بعد عن البصرة بسبب فتنته، فغادر إلى فارس وهناك طلب منه مغادرة فارس لنفس السبب أيضًا، فهدد عندئذ نصر باللجوء إلى "العدو" فأمره عمر أن يحلق شعره ويلزم المساجد وقيل إن عمر أعاده يثرب لما بلغة من عفته، كما روي أنه مارجع إلى المدينه إلا بعد وفاة عمر (أخبار عمر ٣٢٨).

ومسألة الحُسن، الذي يسبب نفيًا من الصعب قبولها بهذه الصيغة الحرفية، وإن اختلفت تلاوين الرواية وثمة إضاءة نجدها لدي كتاب " المُبَرّد " في رواية تقول

" فعثر عليه عمر بن الخطاب في أمر الله أعلم به _ فحلق رأسه وتضيف هذه الرواية نصًا شعريًا يتهم فيه نصر عمر بأنه حسده علي شعره وذلك أن عمر كان أصلعًا (المبردَ ١/ ٤١٧).

إن أقرب تفسير هو أن عمر وجد شبهة معينة، وهي كانت سبب النفي أما لماذا إختار عمر النفي كعقوبة فأمر يتعذر تبينه من خلال الروايات التي تركز علي فتنه نصر وربما كان من أسرة نافذه ولا يمكن لعمر إنزال عقوبة شديدة به كالقتل، فاختار أن ينفيه، ويقول مسلماني في (السيرة المتوارية ٢٢٨) من وجهة نظرنا صاغ المخيال الروائي، والمشبع بنماذج قبلية من نصر بن حجاج صورة فيها تشابه معين لصورة يوسف(*)، الواردة قصته في القرآن (والتوراه) وبكل الأحوال فإن مضمون حكاية (يوسف _ نصر)هو رغبة بممارسة عملية إغوء للمرأه، أي نوع من آليات الدفاع .

الطلاق

وفق النص القرآني لا يجوز للمرأه الإقتران من زوجها السابق لها والذي سبق أن طلقها ثلاث مرات إلا إذا تزوجت رجلاً غيره وكان هذا سائدًا أيام محمد وأبي بكر وكان إذا قال الرجل لزوجته " أنت طالق ثلاثًا " لم تعتبر إلا طلقة واحدة، ولما جاء عمر أمضي هذا الطلاق (ثلاثًا) خلافًا لما كان الحال عليه حيث قام بامضاء الطلاق الثلاث بكلمه واحدة كأنه ثلاث طلقات، وقد خالفه لاحقًا غير وأحد من الفقهاء (الفاروق عمر ٢/ ٢٥٦-٢٥٨).

(*) لدينا بحث بعنوان «صفناي.. يوسف الصديق بين القرآن والعهد القديم» - تحت الطبع- توصل البحث إلى أن يوسف لم يتمتع بجمال غير عادي وإنما بهالة ورونق وجاذبية فائقة من الله ولا علاقة لها بجمال الملامح الذي يصل إلى حد أن تقطع النساء أياديهن -حينما يرونه (=المؤلف).

ضرب المرأه

وأخيراً ، فإن أحد أخطر الأحكام التي تتعاطي مع المراة، ألا وهو السماح بمنع ضرب النساء فجاءه عمر يحذره من عواقب قرار ه، ويحرضه علي الترخيص بضرب النساء وتضيف الرواية بأن محمداً حينما نزل الوحي بضرب النساء كرخصة قام في تلك الليلة العديد من الرجال بعد ما انتشر خبرالسماح بضرب النساء _ بالاعتداء علي نسائهن في وقت واحد (الدر المستطاب ص١٣٤-١٣٥) وهذا مادفع بالكاتبات اللواتي يدافعن عن المرأه إلى اعتبار أن الوضع الحقوقي المجحف بحق المرأه يعود إلى عمر بن الخطاب ولا سيما مسأله الضرب، والمسأله هي تطور في المنظومه الإسلامية ككل ولم يكن عمر إلا أحد ممثليها ،لا ممثلها الأوحد ، إذ كان محمد (=الرسول) ممثلها البارز أيضًا فكيف يستطيع المرء أن يتجاهل ما ورد في نص خطبة حجه الوداع (ذو الحجة ١هجرية / آذار (مارس)٦٢٣)بشأن المرأه، حيث يقول محمد (=النبي) في خطابه الأخير (=تقابلها موعظة الجبل للسيد المسيح) لجمهور المؤمنين " أما بعد أيها الناس، فإن لكم علي نسائكم حقًا، ولهن عليكم حقًا، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحد تكرهونه، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينه، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجرهن في المضاجع. وتضربوهن ضربًا غير مبرح، فإن انتهين فلهن رزمتهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً فانهن عندكم عوارة لا يمكن لأنفسهن شيئًا، وانكم إنما أخذ تموهن بأمانه الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله " (عوان جمع عانية = الأسيرة) و(ابن هشام ٢/ ٦٠٣-٦٠٤، تاريخ الطبري ٢/ ٢٠٥ -٢٠٦)

وتتبني كـاتبة معـاصرة وهي فاطمـة المرنيسي هذا التـوجه في كتـابها (الحريم السياسي _ النبي والنساء، ترجمـة : عبد الهادي عبـاس، دار الحصاد، دمشق الطبعـة الثانية، ١٩٩٣) ويتسم الكتـاب باللاتاريخية . حيـث حمل عمر مـسؤلية مناوئة " مشـروع المساواة النبـوي " وتري المؤلفه في كـتابهـا أن ثمه فـارقًا بين مـحمـد وعمـر، الذي يعكس رؤتيين متعـارضتين تمامًا في العلاقة الزوجـية، وبخاصة استعـمال العنف ضد المرأة لقد فاجأ النبي جميع من يحيط به برقته مع نسائه لأن الكثيرين من الصحابة وعلي رأسهم عمر، لم يتـرددوا في صفعهن، كما تكرر دائمًا الإتهامـات لعمر بانه سبب الإجحـاف الذي لحق بالمرأه في الإسلام ومـؤلف آخر يقول " وعـمر ينصب نفـسه داعيـة وحاميًا لحق الزوج فـي ألا تراجعه زوجتـه وينهي زوجات محـمد عن ذلك ويهددهن بان الله سـيهلكهن وكان أجـدر بالزوج نفسـه أن يفعل ذلك وهذا أعلي شانًا وأكثر مقدرة من عمر بن الخطاب لصفة النبي والرسول والمشرع(*) وتضيف : ويتـضح كيف ترك عـمر بن الخطاب وأمـثاله من الرجـال العرب من ذوي النـزعة الأبوية المتسلطة بصماتهم علي كثيـرمن الإحكام التي تفرض علي النساء العربيات اليوم باسم الإسلام مع انها ليست من الإسلام كما رآه واتبعه "محمد" (الوجه العاري للمرأة العربية المؤسسة العربية لدرسات والنشر بيروت ١٩٧٧،ص٤٤-٤٥).

ويقـول مالك مـسلمـاني في كتـابه (السيرة المتـوارية ص٢٣٠) علينا أن نلاحظ التطور في المنظمة الإسـلامية بلغ في سنه سـحمد الأخـيرة أعلي درجات التمـركز

(*) في بحث «أهل القرآن» تحت الطبع للمـؤلف ينفي مفكرون إسلاميون صفـة التشريع عن النبي وأن صفاته ووظائفه حسب القرآن هي البـلاغ والتبشير والإنذار والدلالة على طريق الهدي دون أن يكون هاديًا فالذي يهدي هو الله ثم القرآن فقط (=المؤلف).

الذكـوري وهذا يعـود إلى نقطتين الأولي، الميل الذي اظهـره مـحمـداً أكـثر نحـو ذكـورية تقتـرب من العادات والسلوكـيـات الأسر الملكيـة الشرقـية، وربما كـانت واضحه في النص القرآني بعدم حق نسائه من الزواج بعد وفاته والتي وردت سابقًا في التلمود الذي قدم منعًا مشابها بحق نساء ملوكهم، كما كان هذا العرف منتشراً في أوساط حكام الشرق (معجـزة القرآن ص٢١٢) وقد ظهر هذا الميـل أكثر بالأخص مع السلطة التي بدأ القرآن يمنحها لمحمـد (=الرسول) بتكرار المطالبة بإطاعة " الله والرسول " في المرحلة اليثربية الأخيرة، وحيث بلغت قوة محمد (=النبي) أوجها، الذي وصلت حد إشتراط تقديم صدقه علي مقابلته كما شرط القرآن " ياأيها الذين آمنوا، اذا ناجيتم الرسـول فقدموا بين يدي نجواكم صدقه، وذلك خـيرلكم وأطهر، فإن لم تجدوا فإن اللـه عفور رحيم " (المجادلة ١٢) والتي قال المفسـرون بأنها جاءت للتخفيف عليـه من ثقل حضور الناس الذي كثروا علي محـمد (=الرسول) وقال آخرون بأن شرط الصدقه كان علي الأغنياء غـير أن منطوق الآيه يشير إلى أمر عام وليس إلى طلب خاص (علي أي حال وبسبب الظروف الموضوعية لم تكن تسمح بهذا السلوك الإمبراطوري فإن القرآن ألغي هذا الشرط في الآيه التاليه " أشفقتم أن تقدموا بين نجـواكم صدقات "(المجادلة ١٣) في حين أن عمر وهو أمـير المؤمنين لم ير غـضـاضـة من قـول رجل له اثناء نقـاش " اتق اللـه يا أمـير المـؤمنين ويرد علي معـترض علي الرجـل دعة فليـقلها لي نعم مـا قال وأضـاف : لا خير فـيكم أن لم تقولوها ولا خير فينا اذا لم نقبلها منكم (= تاريخ عمر ٢٣٥).

نظرة عمر للمرأة مشوبة بتناقضاته الشخصية، وتناقضات عصره فهذا التشدد والتمظهر الذكوري لتشريع عمر، كان له جانب " رأفه " وهو جانب الذكر _ الاب فقد نصح الآباء بعدم تزويج المرأة للرجل القبيح الدميم، لأنهن " يحببن لأنفسهن ما يحب الرجال لأنفسهم " (تاريخ عمر٢٩٦، عبقرية عمر ١٩٣) فعندما أتته إمرأة طالبة الطلاق من رجل أشعثَ أغبر، فإنه أمر بأن يحُم (=يستحم) ويُزين ويُرتب، وقال هكذا فأصنعوا لهن، فوالله إنهن ليحببن أن تتزينوا كما تحبون أن يتزين لكم " (عبقرية عمر ١٩٣-٢١٧) وذات مرة، وبعد أن وصله خبر أن شابه قتلت زوجها الشيخ لأنها زوجُتً منه كرهًا حث في خطبته علي عدم زواج ذوي الفارق الكبير بالسن، لا الشابه من. الشيخ الكبير، ولا الشاب من العجوز .(ابن أبي الحديد المعتزلي ٦/٢٩٨) .

إن التناقض الذي يحكم أو كان يحكم عمر، تجسد بدوره في موقفه الحاني من المرأه العربية المسلمة، فقال . لأمنعن النساء إلامن الأكفاء " (المُبرد١/ ٣٤١) ولما علم بأن إمراة تزوجت أحد أرقائها، ضربها، وفرق بينهما، ثم كتب إلى أهل الأمصار :

" أي إمرأه تزوجت عبدها، أو تزوجت بغير بيِّنة، أوولي فأضربوها الحد "(مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافه الراشده ص ٥١٢) والذي بلغ باعلانه قبل مقتله بأيام حذر من الزواج من الأجنبيات فقال بأن " في نساء الأعاجم خلابة، فإن أقبلتم عليهن غلبتكم علي نساءكم " (عبقرية عمر ٢/٢) كما ضرب ذات مرة

(=عمر) أمَه لأنه رآها تلبس مثل نساء الحرائر قائلاً لها " يالكعاء أتّشبَهيّن بالحرائر "(*).

أن هذه التراتبية تبخس من قيمة الأرقاء، وترفع من شأن الأحرار بطريقة تلغي إنسانية الرقيق فذات مرة علم إن امرأه كانت تكره زوجها جراء فساد رائحة فمه، فاستدعي الزوج وعرض عليه خمسئة درهم وجارية مقابل طلاقها فوافق الرجل علي الصفقة (ابن عساكر ٢/ ٢٧٢-٢٧٣) وحتي بفرض أن هذه الرواية غير صحيحة، فإن فيها معالم التحول نحو أبوية _ تراتبية جاء بها الإسلام وعملت هذه الرواية وظيفيًا علي شرعية الأحكام التي تتعلق بالرقيقات من منظور التراتبية الدينية _ الإجتماعية وهي تجلي أكثر معالم قيم عبودية في العلاقات الاجتماعية للإسلام في عهد عمر والحكم الوحيد الذي يوحي باهتمام بالرقيقات هو قرار بمنع بيع أمهات الأولاد (تاريخ الخلفاء ١٦٥) ويبدو أن السبب حسب توضيح عمر أن الله قد أفاء عليكم من سبي الأعاجم ما لم يفئ علي رسول الله ولا علي أبي بكر من نسائهم وأولادهم وإني قد عرفت أن رجالاً سيلهون بالنساء فمن ألم بإمرأه فولدت له فلا تبيعوا أمهات أولادكم وهو لا يشعر (ابن شبه) ثم أنه أضاف حكمًا آخر، وهو أن الأمَه التي ولدت لا تباع عقب وفاة سيدها . كما أن عمر بن الخطاب خطي أبعد باتجاه هذه التراتبيه الإجتماعية فالقرآن يسمح لجمهور المؤمنين بالزواج من إماء أهل الكتابيين _اليهوديات والمسيحيات- فقد نص علي ذلك " ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات، فمن ما ملكت إيمانكم من

(*) زي الحرائر وقتها هو نفس زي النقاب المنتشر حاليًا أما الإماء فكن يكشفن شعورهن وأيديهن وأرجلهن بعض الشيء لتمييزهن اجتماعيًا عن نساء المجتمع (=الحرائر) (=المؤلف).

فتياتكم المؤمنات " (النساء ٢٥) لكن عمر في حالة محددة طلب من حـذيفة الذي سلمه إمرة المدائن بإن يطلق زوجته الكتابية فكتب حذيفة متسائلاً عن السبب وهل هذا الزواج محرم فكتب عمر لابل حلال ولكن في نساء الأعاجم خلابة فإن أقبلتم عليهن غلبتكم علي نساءكم " وعند ذلك طلقها حذيفة .(تاريخ الطبري ٢/ ٤٣٧)

زوجات عمر

تاريخ زواج عمـر واضح بشكل يزيل اللبس بعكـس الحال عمـا كان علـيه تاريخ شاول الطرسـوسي (=بولس) في هذا المجال .. فلم نعرف المزيد عن حـياته العائـلية قبل أو بعـد اتصاله بالمسـيح وبدء كرازته للـعالم في أواسط آسيـا والدولة الرومانية الهلينيستية سوى أنه لم يتزوج .

أولي زوجات عمـر قبل إسلامه كانت زينب بنت مظعـون بن حبيب وانجب منها عبد الله وعبد الرحمن الأكبـر وحفصه (= أم المؤمنين زوجة محمد) ثم قبل الأخيرة قبل إسلامه وهي أم كلثوم بنت حرول بنت ماللك وأنجب منها زيد الأصغر وعبيد الله والأخيرة قبل إسلامه وكانت قريبة بنت أبي إمية المخزومي (فاطمة بنت أبي أمـية في رواية " المحبر " وطلقت لاحـقًا) وقـد تزوج عمـر من إبنة علي أبي طالب ... وهي أم كلثوم وأنجب منهـا زيد الأكبر ورقـيه (= وهذا رد سني علي من يفرقون بين علي وعمر في الفكر الشيعـي وانهاء لفكرة الخصومه بين قطبي الحركة الإسلامية) وتزوج من جمـيلة بنت ثابت (الأوسي الانصاري) في عام ٦ هجرية وانجب منهـا عاصم ثم طلقـهـا ويقال إن مـحمـدًا (= الرسول) غـير إسـمهـا من "عاصية" إلى "جميلة " (تاريخ الطبري ٢/ ١٢٦ ، الكامل ٢/ ٢١٠) وقيل أن عمر أول من

سماها وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة وأنجب منها فاطمة وعائلة بنت زيد بن عمر وبن نفيل وتزوجها عام ١٢ هجرية وانجب منها عياض ثم تزوج الجارية " لهية " أم ولد " وأنجب منها عبد الرحمن الأوسط وتزوج فكية " أم ولد " وكانت جارية أيضًا و أنجب منها زينب وهي (أصغر الأبناء) . وأخيرًا تزوج سمية بنت الحارث وبذلك يكون عمر قد تزوج بتسع زوجات من الحرائر وجاريتين أنجبتا له ولدًا وبنت (أمهات الولد) فيبلغ عددهن جميعًا إحدي عشر زوجة .

الفصل الثامن

بولس وتلاميذ يسوع (=عيسى)

يعد التلاميذ رسلا، وتعني كلمة رسول باليونانية أبو ستلوس معناها السفير المفوض أو السلطات المطلقة من الذي فوضة ، فله أن يبرم الاتفاقيات والتعاقدات مع الرسل اليهم فإن كانت هذه السفارة في مجال الدين فله الحق في أن يحلل ويحرم أمورا في الدين ، وأوامره واجبة الإتباع وهذا المعني يختلف تمامًا عن المعني العربي لكلمة رسول المرسل من الله إلى الناس فرسل الله ليس لهم ذلك التفويض الكامل المعطي لمعني كلمه " أبو ستل" دائمًا هم مبلغون فقط عن الله . فرسل الله لا يحرمون شئيًا ولا يحللونه إلا بما أمرهم الله فهم مبينون الأمر الله من بعد الإبلاغ عنه (وما علي الرسول إلا البلاغ)فأنبياء الله هم رسل الله وأصحاب رسالة واما رسل الله فمن الجائز أن نطلق علي كل منهم كلمة رسول ولكن بمعني سفيرًا أي " أبو ستلوس " باليونانية وليس العكس فالأبوستول اليوناني لا يكون رسول من الله إلى الخلق دائما هو رسول من مخلوق إلى الخلق (جمال شرقاوي ـ يسوع النصراني ، ص٣).

فرسل الله يتكلمون بما يوحي إليهم من الله وهذا الأمر ظاهر بين في قول يسوع المسيح وهو يناجي ربه بقول " الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم " وفي قول " أنا قد أعطيتهم كلامك " (يوحنا ١٧:٨-١٤) إضافه إلى أنهم يكونون مؤيدون بالمعجزات الباهرة لتقنع أقوامهم بأنهم رسل الله حقًا .

أمـا عن رسل ، رسل الله أي اتبـاع رسل الله ودعاتـهم فهم يتكلـمون بما حـفظوه ودعوة عن نبيهم فيقول مثلاً قال المسيح كذا ونهي عن كذا وأمر المسيح بكذا وفعل كذا ويشـرحون كلام المسيح للناس ، ولا يقولون قال الله لنا كذا أو أمرنا الله بكذا مـباشـرة بينهم وبين الله وسواء كـانت الأقـوال بوحي من الله أو عن طريق الرؤي والأحلام .

وتلامذه المسيح الإثني عشـر يطلق علي واحد باليـونانية " أبو سـتولوس " منهم المبلغون لرسالـة المسيح وهم سفراء إلى أناس وعددهم ثابت لا يتـغير ، إثني عشر تلمـيذًا (= محاكاة الأسبـاط الإثني عشر في الفكر اليهودي والعـهد القديـم) لذلك فقد اجتمع هؤلاء التـلاميذ بعد انتهاء بعثة المسيح وقبل انتـهاء فترة الخمسين يومًا علي صعود المسيح للسماء ليـختارو خلفًا بديلاً ليهوذا الاسخر يوطي (أعمال ١:١٥-١٧ ، ٢٠-٢١) ليكتـمل عددهم وهذا يدل علـي أنهم الوحيـدون الذين لهم ذلك الأمر _ ممن شهدوا له ولم يشهدوا لأحد لم يشاهد المسيح في أثناء البعثة ولم يأخـذ عنه وطبقًـا لما جـاء في سفـر الرؤيا (١٢:١٤) أن " رسل الحـمل إثني عشـر " ومعناه أن عددهم لم يتغير وهو مكتوب في السماء وتم ترشيح رجلين هما يوسف بارسـايا ومتـياس (وهو الإسـم اليوناني لمتي وهو غـيـر كاتب الإنجـيل) ثم صلي التلاميذ لله لكي يعين لـهم أي الرجلين يختاروا ألقوا القرعه فقـرعت علي متياس فضموه اليهم ليكون الرسول الثاني عشر .

ذلك هو فـعل التـلامـيـذ الذين قـال لهم المسـيح " إن كل مـا تربطونه علي الأرض يكون قد ربط في السمـاء ، وما تحلونه علي الأرض في أي أمر مهـما كان ما يطلبانه ، فإن ذلك يكون لهما من قبل إلهي الذي في السماوات (متي ١٨:١٩).

وتم استكمال عدد الرسل ، ولم يذكر التاريخ أنهم اجتمعوا مرة ثانية _ لضم واستبعاد أحدًا من الإثني عشر الذين صاحبوا المسيح منذ تعميده علي يد يوحنا المعمدان وإلي أن رفع إلى السماء .

ومعلوم أن معظم تلاميذ المسيح غير متعلمين لا يجيدون القراءة والكتابةوعلي الأخص المشهورين منهم مثل سمعان ويوحنا ويعقوب فهم صيادو سمك وهم مطالبون بالحفاظ علي تعاليم المسيح ونشر ها بين قومه من بني إسرائيل وليكونوا شهودا عليهم .

وهذا الأمر يدعوهم لأن يختاروا من يقرأ ويكتب ممن صاحب المسيح وفهم عنه وليكتب لهم الإنجيل الذي بلغة المسيح ، يكتب لهم الإنجيل الذي سمعوه من فم المسيح ، وهذا أمر بديهي يشابه الذي حدث في صدر الإسلام حين اجتمع كبار الصحابة واختاروا زيد بن ثابت ليجمع لهم القرآن المكتوب علي جريد النخيل والرقاع ومن أفواه الرجال .

ربما كان متي (متياس) هذا الذي اختاروه هو كاتب المصدر الذي نقل منه كتبه الأناجيل الحالية ، والذي تواترت عنه الأخبار في كتب مؤرخي الكنيسة من أن متي قد كتب انجيله بالآرامية لقومه في فلسطين وهذا الإنجيل مفقود الآن ولا يعرف عنه شئ ، وهو غير إنجيل متي المعروف الآن (يسوع النصراني ٣٩) ويقول د. محمد توفيق صدقي في كتابة (نظرة في كتب العهد الجديد والعقائد النصرانية) أن تلاميذ يسوع جلهم لم يكتبوا أنا جيلا أي أن ثمانية منهم لم يكتبوا شيئًا وهم أندرواس ويعقوب وفيلبس وبرتولماس وتوما وسمعان القانوني ويعقوب بن حلفي ويهوذا

الإسخريوطي وباقي التلاميذ الأربعة لهم ما يفي اشتغالهم بالتأليف الديني أو استخدام الغير في ذلك .. ويري بعض علماء اللغات في تسميتهم " بالتلاميذ " أنها بمعني حرفي أي أنهم تتلمذوا بالفعل وأرسلوا رسلاً بالفعل عبر يسوع المسيح.

الحواريون

يري بعض علماء اللغات أن كلمه " حورايين " في القرآن هي معربه عن اللغه الحبشية ومعناها فيها " الرسل " أو المرسلون " سماهم بذلك القرآن إما بحسب العرف الجاري في ذلك الزمن بين النصاري العرب كما نسمي دعاة النصرانية (بالمبشرين) وإما لأن المسيح أرسلهم في حياته لدعوة اليهود إلى المسيحية كما في الأناجيل (متي ١:١٠-١٥) .

ولوقا (١:٩-٦ :١-١٢) وكذلك كان محمداً (-الرسول) يرسل بعض أصحاية إلى بعض الجهات لتعليم الدين والحكمة والحكم بينهم وغير ذلك كمعاذ بن جبل الذي أرسله إلى اليمن وكانوا يسمون "رُسل رسول الله" وقد اختار القرآن هذه الكلمه الحبشية " الحواريون " دون مرادفها باللغه العربية لمنع الالتباس لتكون علمًا خاصًا بهؤلاء التلاميذ المتازين من أصحاب يسوع (=عيسي) في الترجمة اليونانية واللغه الآرامية) والظاهر من نصوص القرآن أن إيمان بعضهم علي الأقل لم يكن كما يجب وخصوصًا بعد عيسي (=يسوع) إن الخلاف في مسائل الدين نشأ منذ عصرهم فطباعهم كانت كطباع أسلافهم قوم موسي بل قد نص المسيح علي أنه لم يكن عندهم إيماناً مطلقًا (متي ١٧:٢٠) وقال بطرس أيضًا وهو الصخرة

الذي سيبني عليها الكنيسة (متي ١٤:٣١) " ياقليل الإيمان ، مع أنه أعظمهم ، فما بالك بغيرة " ؟!

توما

ويري " صدقي " إن يسوع المسيح أفلت من الصلب والقتل معًا وفر إلى جزر الهند الشرقية وسافر معه من تلاميذه توما وتوفر هناك مستنداً في ذلك إلى قاموس (يوست مجلد ص ٢٩٥) وإن توما هو التلميذ الوحيد بحسب الأناجيل الحالية (يوحنا ٢٥:٢٠) الذي عارض التلاميذ في قولهم بقيامة المسيح وسمي ذلك بـ توما الشكوكي أو الشكّاك نسبة إلى شكة اليقيني في هذه الواقعه وله إنجيل يوناني ذكر معجزة خلق يسوع (=عيسي) طيراً من الطين وغيرها مما ذكره القرآن ولكن أغلب المسيحيين يرفضون هذا الإنجيل ويعتبرونه غير قانوني (=أبو كريفا).

بطرس (الصخرة)

لم يكتب سوي رسالتين وكان ضعيفا ولذلك أنكر المسيح وقت الصلب(*) من شدة الرعب والجبن وسماه المسيح من قبل شيطانًا (متي ١٦ : ٢٣) و (مرقس ٨: ٣٢) وكان يرائي اليهود في انطاكية حتي زجرة بولس (غلاطية ٢:١١-١٤) وكان بولس كثير التأثير عليه ولا يخلو هذا التأثير من الرسالتين اللتين كتبهما ويبدوا أن تسمية المسيح له "بطرس الصخرة" كان في بدايات إيمانه وهي صفة جميلة في يسوع

(*) هناك رؤية تفسيرية أخرى تقترب من وجهة النظر الإسلامية ترى أن بطرس لم ينكر المسيح عن جهل أو جبن ولكن لأن من رآه كالمسيح لم يكن المسيح الحقيقي الذي عاشره وعاش معه وإنما شبيه له حيث قال لهم المسيح «كلكم تشكون في "هذه الليلة" (مرق ١٤ : ٢٧)» أي أنه سوف يكون محل شك لكثيرين ليلة محاولة القبض عليه. (=المؤلف)

المسيح أنه يحسن الظن والمعاملة حتي يثبت العكس حتي أنه بشر يهوذا الخائن بالجنه (متي ١٩-٢٨).

متي

جمع بعض أقوال المسيح بالعبرية وما جمعة مفقود الآن .

لبَاوس

المسمي " يهوذا " كتب رسالة واحدة ليس فيها شئ يذكر من العقيدة. واستشهد بكتب غير قانونية (أبو كريفية).

يوحنا

مشكوك فيما كتبه أنه أنجيله . وهناك من يدعي أن من كتب انجيل يوحنا إما كتبة مجهولون أو ينسب إلى مريم المجدلية ."(توماس ويكر من كتاب مصادر المسيحية") .

بولس وبرنابا

تذكر أعمال الرسل (١٥-٣٩) مشاجرة بولس مع برنابا مع أنه هو الذي قدمة للرسل وجعلهم يثقون به (أعمال الرسل ٩:٢٧) وعدم وصول شئ لنا من برنابا تثق به الأمه المسيحية الآن مع أنه كان شريك بولس والمخصص معه لدعوة الأمم غير اليهودية إلى المسيحية (غلاطية ٩:٢) ووصول جميع كتابات بولس وتلاميذه إلينا وانتهاز بولس لبطرس في أنطاكية وكلام بولس القاسي وتحامله

وبغضه لأكثر تلاميذ المسيح كما هو صريح في رسالته إلى أهل غلاطية (إصحاح ٢،١) وتهكمه بهم وترفعه عليهم (غلاطية ٦:٢ وكورنثيوس ١١: ٥،٧، ٢٣) وتذكر بعض المصادر كان " بولس " مستبدًا علي التلاميذ مسلطًا مستأثرًا بالغلبة عليهم مع أنه لم ير المسيح ولم يعرفه ولا أمن به في عهده بل كان عدوًا له ولمن اتبعه طوال حياته ثم إنه كان يناقض نفسه في قصة ايمانه أوما بين سفر الاعمال ورساله الأولي إلى تسالونيكي (أعمال الرسل ١٧ : ١٤ -١٦ . ١٨ :٥) مع (تسالونكي الأولي ٣: ١-٢) .

وكذلك جاءت في رسالته إلى أهل كورنثيوس الأولي (كورنثيوس ١٩:٩-٢٣) وجاء فيها أنه نصراني للنصاري ووثني للوثنيين وفي أعمال الرسل (١٨:٢١-٢٦) عنه قال أنه يهودي لليهود ليريح الجميع لمذهبه وتعاليمه التي يسميها " الإنجيل " وواضح من رسائل بولس أنه كان له إنجيل خاص يدعو الناس إليه ويزعم أن الله سيدين سرائرهم يوم القيامة بحسب هذا الإنجيل (رسالته الثانية لرومية ١٦:٢ ، ٢٥:١٦) ولم يعرف أحد ماهو هذا الإنجيل وهل هو مجرد البشارة بيسوع وحيث أنه قال إنه كان غير إنجيل تلاميذ المسيح المسمي بانجيل الختان (غلاطية ٢: ٧) أي تعاليمه كانت خلاف تعاليم موسي وعيسي وأنه وحده أؤتمن علي هذا الانجيل (تيموثاوس الأولي ١١:١) فهو في الحقيقة الكل في الكل (نظرة في كتب العهد الجديد ص ٥٨) وجميع العهد الجديد هو مؤلفة إما بنفسه أم من خلال تلاميذة إلا القليل جدًا منه وقد قضي علي كل عمل لغيرة تقريبا من أعمال التلاميذ الآخرين وأما من اختلف معه من الحواريين صراحة فكان يمقتهم ويذهب إلى انهم يريدون تحريف الإنجيل (غلاطية١: ٧) وانهم دخلاء على المسيحية (غلاطية ٢:٤) مع أنه لم يكن مع

سوع من الإبتداء مثلماكانوا هم. ومن شدة تأثيره في الناس في ذلك الوقت أنه لما تشاجر مع برنابا وانفصل عنه مرقس (أعمال الرسل ١٥: ٣٩) نبه علي الكنائس بعدم قبول مرقس إذا جاءهم واعظًا ولما صالحه أرسل اليهم بقبوله فكانوا طوع أمره دون غيره من الرسل و، يدل علي ذلك قوله في رسالته إلى أهل كولوسي ٤ :١٠ ومرقس ابن اخت برنابا الذي أخذ تم لاجله وصايا . أن أتي اليكم فاقبلوه)ولولا هذه العبارة ربما ما كان هناك أنجيل مرقس الباقي حتي اليوم ولكان مصير مؤلفه كما حدث لباقي تلاميذ المسيح (الحقيقيين) الذين إنطفأ ذكرهم ولم يفق أحد لهم علي أثر أو خبر وخصوصًا المحافظين منهم علي تعاليم موسي ويسوع وهم الذين كانوا قدوة لبعض الفرق القديمة كالأ بيونيين (= الفقراء) والناصريين .

الأبيونيون وبولس

قال الأبيونيون (=الفقراء) وجمهورهم وكانوا هم النصاري الحقيقيين(*) في القرن الاول والثاني وقد أكدو أن بولس لم يكن يهوديًا وكذبوه فى هذه الدعوة التي ادعاها عند من لم يعرفه في رسائلهم وقال أنه دخل في اليهودية لكي يتزوج بنت رئيس الكهنه واختتن فلما رفض رئيس الكنيسة أن يزوجه ابنته دخل في المسيحية وادعي أنه رسول المسيح إلى النصاري فلم يحب أن يري أثرًا في النصرانية من الديانه الموسويه (=اليهودية) ولذلك سعي إلى إخراج المسيحيين عن الناموس وأبطل جميع شرائع موسي وتبعته الأمم الداخلون حديثًا في المسيحية في

(*) وهم أتباع المسيح من اليهود الملتزمين بالإضافة إلى تنفيذ تعاليمه وإنجيله وكانوا يعرفون باليهود المتنصرين لفترة سبقت تسميه أتباع يسوع بالمسيحيين فيما بعد ويعرفهم القرآن خاصة فيما جاء «الذين قالوا إنا نصارى» تمييزًا عن الآخرين «النصارى» في آيات أخرى (المؤلف).

ذلك لأنه كان أسهل بكثير من عبء الناموس (كتاب دين الخوارق ـ صدقي ص٧٨) وبقي تلاميذ يسوع المسيح والنصاري والأولون محافظين علي تعاليم موسي وعيسي(=يسوع) وظهر ذلك في رؤيا يوحنا ٢ :٢ (وقد جربت القائلين أنهم يهود رسل وليسوا رسلاً فوجدتهم كاذبين وتجديف القائلين أنهم يهود وليسوا يهودًا بل هم "مجمع الشيطان" أن هناك عندما أتونا متمسكين بتعليم "بلعام" الذي كان يعلم "بالاق" أن يلقي معثرة أمام بني إسرائيل أن يأكلوا ما ذبح للأوثان ويزنوا . والمراد بالزنا هنا عدم مراعاة أتباع بولس أحكام الشريعة الموسوية في مسائلهم الزوجية والظاهر أيضًا إن كانت رسالة يعقوب كان من اليهود المتنصرين أو من الأبيونين ولذلك خالف في رسالته بولس في دعواه الخلاص بالإيمان وحده (كما جاء في رومية ورسالته إلى غلاطية ٢:١٦، ٣:٢-٢٩) وبين صاحب رسالة يعقوب إن العمل الصالح لابد منه مع الإيمان (يعقوب ٢:١٤-٢٦) والراجح أن الكنيسة لم تقبلها (رسالة يعقوب ، "سفر الرؤيا " إلا بعد بولس بمده وربما كان قبولها لرغبتهم في ضم أصحابهم إليهم (نظرة في كتاب العهد الجديد ٥٩) .

بولس المغرور

بدأ بولس بالتواضع الشديد بل أنه ذكر أن المسيح ظهر لبطرس ويعقوب (=أخا يسوع) في قائمة من شاهدوه تملقًالهم في أوائل الأمر ليرضوا عنه وليعترفوا له بالرساله فإن دعوي الرؤية هذه كانت عندهم كالشهادة العظمي " دبلوما " بعد أن أعطاها لهم بولس جميعًا والرؤيا تشبة عند المسلمين رؤيا محمد (= النبي) في المنام فانهم يقولون أنه لا يظهر إلا للمومنين الصالحين ولكن سرعان ما إنقلب تواضع بولس وتملقه إلى الفخر بنفسه المعجب المتكبر (نظرة في كتب العهد الجديد ص٧١) فقال " أنا تعبت أكثر من الرسل جميعهم " (كورنثيوس الثانية ١١ :٢) وقال

"فإني أغـار عليكم غيرة الله لأني أحـسب أني لم انقص شيئـا عن فائض الرسل ، وإن كنت عاميـا في الكلام فلست في العلم بل نحن في كل شئ ظاهرون لكم بين الجميع ، أهم خـدام المسيح وأقول كمخـتل العقل فانا أفضل في الأتعـاب أكثر في ضربات أوفـر . في السجون أكثـر . من الميتات مـرارًا كثيرة ، بأسـفار مرارًا كثـيرة بأخطار سـيول بأخطار لصوص ، بأخـطار من جنسي، بأخطار من الأمم ، بأخطار في المدينه ، بأخطار في الـبرية ، بأخطار في البـحـر ، بأخطار من إخوة كـذبة ، في تعب وكـد ، في أسهـار مرارًا كـثيـرة في جـوع وعطش في أصوام كـثيـرة في برد وعري، يتراكم علي كل يوم ، الإهتمام بجميع الكنائس ويضعف وأنا لا أضعف، من يعثر وأنا لا التهب ، أن كان أحدا يحب الإفتخـار فسأفتخر بأمور ضعفي ولم ينلهم شئ مما ناله من المتاعب ولم يعلمـوا أعمالاً مثله مطلقًـا . بل أنه طلب بنفسه من أتباعه أن يمدحوه ولا يسـتحي من ذلك كما رسالته الثانيـة إلى أهل كورنثيوس (١١:١٢) " قد صـرت غنيًا وأنا افـتخرأنتم الـزمتمـوني ، لأنه كان ينبـغي أن امدح منكم ،إذا لـم أنقص من فـائقي الرسل وان كنت لست شـيئـاً أن علامات الـرسول صنعت بينكم في كل صبر ، بآيات وعجائب وقوات ، لأنه ما هو الذي نقصتم عن سائر الكنائس إلا إني لم أثقل عليـكم ؟سامحوني بهـذا الظلـم " . ومما تقدم علمنا أن ظهور المسيح هي بمثابة شرعية لـلرسول بوجه عام وكرر بولس ذلك عدة مرات كمـا في سفر الأعـمال وفي رسـائله حتي ادعي(*) أنه اختطف إلى السمـاء الثالثة وإلي الفردوس ورآه هناك وسـمعه (كورنثيوس الثـانية ١٢:١-٤) " أعرف إنسانا في المسيح "يقـصد نفسه " قبل اربعـة عشرة سنة أو في الجسـد ؟ لست أعلم أم خارج

(*) حسب تعبيرات مؤلف كتاب (نظرة في كتب العهد الجديد) (=المؤلف).

الجسد ؟ لست اعلم ، الله يعلم أنه اختطف هذا إلى السماء الثالثة . وأعرف هذا الانسان أفي الجسد أم خارج الجسد أم خارج الجسد ؟ لست اعلم. الله يعلم أنه اختطف إلى الفردوس "

بولس والصرع

يذكر صدقي في كتاب (نظرة في كتب العهد الجديد ص٧٢) اذا كان بولس صادقا في حكاية هذه التخيلات وما ماثلها فالأرجح أن السبب في حصولها له وهو كونه عصبي المزاج كثير التفكير والإجهاد لقواه العقليةوالجسمية مع أنه كان مصابًا بداء الصرع كما يفهم من عبارته عن نفسه الواردة في (رسالة كورنثيوس الثانية ١٢:٧-٩)

وأمثال هذه التخيلات معتاده عند أهل الصرع وغيرهم من ذوي الأمراض(*) العصبية ومن أشهر مشاهير العالم مثل نابليون بونابرت ويوليوس قيصر كان مصابًا بالصرع فإن ذلك لا ينافي كونه عاقلاً ذكيًا مدبراً ويضيف صدقي: المتابع للعلوم الطبية في قصة ظهور المسيح في سفر الأعمال (٩:٣-٩) اتضح له انها تشبه النوب الصرعية شبها كبيراً جداً والدليل علي ذلك أنه لم يحدث لمن كانوا مسافرين معه أي شئ بل رأوه سقط من دونهم علي الأرض أما هم فلم يرووا أحدًا (٩:٧) ولم يسمعوا صوتًا بكلمه (أعمال الرسل ٩:٢٢) كما خيل له عند ابتداء النوبة وهو الشئ المعتاد مثل هذه الأحوال وربما أن الذي حرك عليه

(*) هناك آراء إستشراقية رأت محمد نبي الإسلام عندما كان يأتيه الوحي لم يكن وحيًا وإنما كانت تشنجات حالة صرع وقد سقطت هذه الفرضية بعد تقدم الكشوف الطبية في مجال المخ والأعصاب وزادت المعلومات عن المرض (=المؤلف).

الداء وأحدث له هذه النوبة هو تعب السفر وحصول برق ورعد شديدين ذلك الوقت (٩ :٧،٣) علي أن الأصحاء في تلك الأزمان كثيراً ما كان يخيل لهم تخيلات غريبة عند حصول شئ من الحوادث الجوية أو الأرضية لجهلهم وقتها وقصدوا مداركهم فما بالك بمن كان يعاني من الصرع وهذا يختلف تمامًا عما يقال عن محمد (= النبي) أثناء الوحي من أنه فى حالة صرع فإن إجماع الاطباء يؤكد أن المصروع إذا افاق لا يتذكر جيداً ما كان أثناء الصرع و لا يطاوعه لسانه علي الكلام بشكل جيد ، و هو ما يختلف في حالة محمد الذي كان يفيق من رعدة الوحي فيقوم ليبلغ أصحابه بما سمع بتركيز عالٍ و توازن معقول كما بينت السيرة . (=المؤلف)

فشل دعوة يسوع

لابد أن نقر واقعًا واضحًا للعيان هو أن يسوع لم ينجح في دعوته و أن مواطنيه من أهل فلسطين لم يصدقوا بالرسالة التي نسبها إلي نفسه ، و لم يسيروا علي نهج الأخلاق التي أراد أن يوحي بها إليهم ، (شارل جينبيير . المسيحية نشأتها و تطورها ص ٥٦) و يضيف أنه يجب ألا نعتمد في حسابنا لحياة يسوع كنبي علي التقديرات التي يوحي بها الإنجيل الرابع (= يوحنا) و التي بمقتضاها تكونت حياته العامة (= خدمته) قد امتدت ثلاث سنوات ، إن فترة الدعوة (= الكرازة) في حياة يسوع إقتصرت بالتأكيد علي بضعة أشهر أو حتي علي بضعة أسابيع والتقديرات غير متوافرة .

ويسوع قد جذب إلي دعوته بضع مئات من أهل الجليل السذج (نفس المصدر) فالأناجيل عندما تصف لنا جماهير الشعب و هي تقتضي خطاه في

تلهف، و تنصت إلي أحاديثه في إعجاب بالغ هذه الأناجيل لا تنسينا ما ترسم صفحات أخري تبين بواقعية قسوة قلب اليهود و تعنتهم الشديد فهو لم يتحدث إلي الشعب باللغة التي كان ينتظرها منهم فكان يدعوا إلي التأمل في النفس و حب الغير و إلي التواضع و الإيمان العميق بالله في حين كان الناس يترقبون دعوة إلي الصراع المسلح و إعلانًا للجهاد الأكبر و الأخير قبل الإنتصار الخالد ، إنه لم يقل لهم " قوموا .. فالمسيح الذي إختاره " يهوه " معكم . بل قال " مهدوا بالتوبة ليوم الحساب القريب " لم يطلب منهم العمل و الكفاح ، بل رجاهم الصبر و اتخاذ موقف أخلاقي و ديني من شأنه أن يحول هذا الصبر إلي نوع من الفروض الحتمية فيه ما فيه من القسوة علي النفس . كان من أبناء إسرائيل . و لكنه لم يتعصب لقومه ، و لم يتخذهم وحدهم في غالب الأمر موضوعًا لدعوته فقد كان يستوي في نظره الجندي الروماني التقي المؤمن أو المرأة الكنعانية المخلصة ، و اليهودي الأصيل الذي يأتي إليه معلنًا تصديقه له بل إن الكافر الذي يتحول قلبه إلي الإيمان كان مفضل بكثير في نظره من لم يصدقه من اليهود .

كان يسوع يتحدث كثيراً عن العدل ، و عن السلام ، و عن شوق النفس إلي لوصول إلي سماء الأب ، كما كان يتحدث عن التواكل و الصبر و لم يصرح قط بوجوب الثورة أو يقرب الإنتصار لشعب الله المختار علي سائر الأمم ، صدي لدي أهل فلسطين المتلهفين إلي يوم الإنتصار الموعود.

أما علماء الدين فقد رأوا فيه رجلاً جاهلاً يتطاول عليهم و يعتقد في سذاجته ، أن الحكمة يمكن أن تحل محل العلم ، و أن البصيرة يمكن أن تغني عن المنطق فكان من الطبيعي أن تنشأ العداوة بين الطرفين . (المصدر السابق)

ولكي نفهم العلاقة الملتبسة بين الطرفين بولس و تلاميذ يسوع كان لابد من هذه المقدمة و التي سوف نعرج منها إلي ظروف عصر الأناجيل و لعل من نافلة القول أن نقول إن ظروف العصر الذي كتبت فيه الأناجيل و ما تعكسه من عدم إهتمام المسيحيين بالشريعة اليهودية ، مما جعلهم ينسبون إلي يسوع هذا الإحتقار الذي يشعرون به تجاهها إلا أننا إذا ما حللنا النصوص العديدة التي يعارض فيها المسيح علماء فلسطين ، و تلك التي تصف كيف كانوا يحاولون إستدراجه بالأسئلة الماكرة لا نجد بدًا من الإعتقاد أن نزاعًا خفيًا مستمرًا كان يسود علاقتهم به والعكس . وعلي أي حال فقد كان يحترم الشرع و يبدي تمسكًا به و لكنه لم يجعل منه همه الأول ، بل أظهر إستعدادًا لأن يعطي الهام التقوي المكانة الأولي قبل تعليمات رجال الدين.

أما كهنة (= قساوسة) القدس والطبقه الممتازة من اليهود ، فقد كانوا يعدونه أكثر الفوضويين خطورة وأضرهم بمصالحهم وتعليق أيضًا الرومان من احتمال نشوب حركه عنف شديدة الثورة علي الاضطهاد والتي ينشدون دائما من ميل إلى مقاومتها لقد أذيع أن يسوع أكثر في ربوع فلسطين من " الإشارات " أي المعجزات ، بشفائه المرضي والعجزة ، ولعل الناس بدءوا ينسبون إليه إحياء بعض الموتي ، تلك المعجزة التي كانت تعتبر أسهل المعجزات في ذاك الوقت وفي هاتيك البلاد وراح أعداؤه ينشرون أن كل تلك الأعمال الخارقه مرجعها الشيطان أو كما ورد في الأناجيل " بلعزبول " ولكن البسطاء لم يصدقوا إدعائهم ، وظلوا علي جدتهم إذا أن يسوع وأن لم تثر دعوته حماستهم _ ظل محل عطفهم أما العلماء والقساوسة (= الكهنه اليهود) فقد كرهوه منذه عرفوه وكانت غلطه كبري منه أن وضع نفسه بين أيديهم فيما بعد (نفس المرجع ص ٥٩)

ويمضي " جينبير" لنقول : إن دعوته الأخلاقية (= يسوع) لم تكن لتحمل مغزاها وتؤتى ثمارها إلا في حالة تدعيهما ببعض الإشارات المنبئة بقرب ذلك اليوم العظيم الذي يعد به ،ولم تكن هذه الدعوة لتجد سندها الطبيعي إلا في تحقيق كلمته ولكن الإشارات لم تظهر ، ولم تتحقق كلمته ، فاضطر المؤمنون به إلي القول بآن الإتباع الأول لم يفهموا حديثه كل الفهم وأنه هو قد أبهم لهم الحديث وجعله رموزاً ولو اعتمدنا علي وصف دخوله مدينه القدس دخول المنتصر بين هتافات الجماهير غير أنه من جانبنا (= شارل جينبير) نشك كثيراً في صحة هذا الوصف .

ولم يكن من العسير علي العلماء والقساوسة (الكهنه والفريسيين) أن يقنعوا بيلاطس بخطر هذا الرجل من أهل الجليل الذي لا أصل له ، وبضرورة وضع حد للفوضي التي تثيرها ، حفاظًا علي النظام . فأمر بيلاطس بالقبض علي يسوع وحاكمه وصلبه ولم يتدخل الشعب في شئ (تاريخ المسيحية ص ٦٠) والأرجح أن محرري الأناجيل في سبيل إبراء ذمة الحاكم الروماني وإلغاء تبعه الحرم كله علي كاهل اليهود ، لا ترجع إلى وحي الحقيقه وواقع التاريخ بل إلى رغبه في عدم إثارة السلطات الرومانية في عصر لم يكن المسيحيون يجدون ملجأ سواها أمام كراهية أهل المعابد اليهودية .

ولم يكن يسوع قد توقع ما حدث له في القدس وارتباك أ تباعه وهروبهم هو الدليل الواضح علي ذلك . وكانت " فضيحة الصلب " وهذا التعبير يرجع إلى بولس الرسول . أن تضع حداً لمحاوله يسوع فقد قام بالتبشير بأحداث لم تتحقق ،

ثم مات ، وتشتت أتباعه في ذعر شديد ، وذهبوا إلى حد التنكير للأمل الذي غرسه "الأستاذ في قلوبهم فندموا علي الخطأ الذي وقعوا جميعاً فيه أو لعنوه (نفس المرجع، ص ٦١) ويجب علينا أن لا ننسى أنه لم يؤسس شيئًا : لم يأت بدين جديد، ولا حتي بأي طقس جديد من طقوس العبادة . لم يأت إلا بتصور شخصي فريد للتقوي في إطار الديانة اليهودية ، تلك الديانه التي لم يزعم قط أنه يبغي التغيير من معتقداتها أو من شرعها وشعائرها واعتمدت تعاليمه علي فكرة حلول مملكه الله (= الملكوت) التي آمن بها هو كما آمن بها سائر مواطنيه ، إلا أنه فهمها وعبر عنها بطريقته الخاص ، أما أن تنسب إليه إرادة تأسيس كنيسة .. كنيسة تكون كنيستة هو ... كنيسة تختص بالعبادات والطقوس التي يعينها لها والتي يظهر فيها رضاه عنها .. كنيسة يمهد لها فتح الارض جميعًا فهذا قول لا يقره واقع الاحداث، ولا صريح التسلسل التاريخي . (تاريخ المسيحيه ص ٦٢) وتتبلور فيما بعد إيمان التلاميذ (= الحواريون) علي فكرة واحدة ثابتة هي قولهم لأنفسهم لا يمكن أن يكون يسوع قد تنكر لنا ، و لايمكن أن يكون موته أمرًا نهائيًا و قدر لبطرس أن يري يسوعًا .. ثم رآه من بعده حواريون (= تلاميذ) آخرون في الصورة نفسها التي وصفها لهم و زادت الرؤي بالتلاميذ إلي الإقتناع بأن يسوع " حي " علي الأقل بروحه التي مجدها الله .

وفي هذه الظروف إنضم إليهم فيما بعد بولس (= شاول الطرسوسي) برؤياه يسوع في طريق دمشق لينضم إليهم بمعاينة الرؤيا و ليس بالمقابلة المباشرة والتلمذة الفعلية و الحقيقية علي يد يسوع فمن رأي يسوع قد حلت عليه القداسة

والرسولية و التلمذة و خاصة بعـد ما انتزع منهم أو من بعضهم شاول (= بولس) إعترافًا برسوليته والحق يقال أن الإثني عشر لم يلاقوا في القدس (= اورشليم) من النجاح سـوي القدر اليسـير الذي كان يمكـن لأي رجل منصف أن يتوقعـه ، ولقد كسبوا تأييد بضع عشرات من الناس مثلمـا الحال بالنسبة إلى كل فرقة دينية جديدة وحافظـوا علي صلات طيـبه مع الشعـب بفضل شدة تمسـكهم بالتقـاليد اليـهودية ومواطنيـهم علي زيارة المعبد ولكنهم أثاروا عـداوة الكتبة والكهنة (= الفـريسيين) واحتقارهم ولا قوامنهم ألوانًا من الاضطهاد إلا أن تواضع أصلهم وخلقهم الجانح للسلم ثم أيضًا حـسن علاقتهم بجـمهور الشـعب تلك المميزات انجتـهم من القتل ولـم تكن هذه الفتره بالنسبة إلى الكثير منهم سوي فترة تأجيل النهاية المحتومة.

وقد انضم إليـهم بعض الأتباع من المدن المجاوره للقـدس (= أورشليم) بيد أنهم وصلوا سريعًا إلى قمه ما كان مـقداراً لهـم من نجاح بين اليهود الأصلاء ، ولم يكن ذلك بالشئ الكثير بل بدا للعيان من ضـعف أمرهم وأصبح مما لاجدال فيه أن هذه الفرقه سوف تغني بغناء الجيل الذي نشأت فيه وأن ذكري أتباع يوحنا المعمدان وغيره من الأنبياء لكن المقدر لم يكن كـذلك ويعود هذا إلى ظهور عامل جديد في القضيـه غير وجهتهـا تغييراً شاملاً .. لم تسـتطيع عقيدة أصحاب يسـوع أن تشيد صرحها في مـهد اليهودية فانتقلت إلى ربوع اليـونان حيث الثقافه الهلنيـستية التي تنموفيها بشكل طبيعي العقيدة الجديدة ذات الجذر اليهودي باللون الهلينستي ولعل لبولس الطرسوسي باع طويل ومساهمة عظمي في ذلـك فاقت كل جهود التلاميذ الآخرين الذين لم يخرجوا من أورشليم (= القدس) إلا نادراً .

الفصل التاسع

عمر وصحابة محمد (= النبي)

مع أبي بكر (= الصديق)

كان لعمر الدور الأبرز في تثبيت أركان أبي بكر في الخلافه وعلاقه متكاملة فيما بينهما أثناء حياة محمد وبعدها ولقد منحه محمد (= الرسول) لقب " الصّديق "(*) وهو لفظ سامي عربي ورد في القرآن وصفًا لمريم :" المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة " (المائدة ٧٥)

ووصفًا ليوسف :" يوسف أيها الصديق " (يوسف ٤٦) ، ووصفا لابراهيم: " واذكر في الكتاب ابراهيم ، انه كان صديقًا نبيًا " (مريم ٤١) ووصفا لإدريس ، إنه كان صديقا نبيًا الا أن الرواية الشيعية المناصرة لعلي بن أبي طالب تمنحه الصفات المعروفه لعمر وأبي بكر يقول ابن أبي الحديد المعتزلي (١٣٨/٧) علي لسانه " انا الصديق الأكبر والفاروق الاول "والجذر اللغوي لكلمه صديق هي " صدق " بالعربية أو مشددة " صدّق " وأتت في القرآن بالصيغة السريانية الفلسطينيه " ذديق " والتي تعني رجل نزيه وجميع مشتقاتها وهي في العبرية " تصاده "

(*) أعطت أدبيات أهل الجماعة (أتباع معاوية بن أبي سفيان) لأبي بكر لقب الصّدّيق باعتباره في هذه الأدبيات أول من آمن من الرجال بمحمد ورسالته ويرى مستشرقون أن هناك مراجع أخرى تقول إن الآية «وأنذر عشيرتك الأقربين» أشارت ضمنًا أن أول من آمن من الرجال هم عقيل وطالب وجعفر إخوة علي بل إن أبي طالب نفسه قد آمن بمحمد إذ لا يعقل أن يساعد محمد وتؤمن زوجته فاطمة بنت أسد (سمى محمد ابنته الوحيدة باسمها) ولا يؤمن أبي طالب حفيد إسماعيل اللذين لم يسجدا لأصنام بدعوة أبيهما إبراهيم «وأجنبني وبني أن نعبد الأصنام»؟

(kuran p.89 on other style of the syriac influence) وقد اكتسبت العلاقة بين عمر وأبي بكر أوالفاروق والصديق بخصوصية شديدة حيث كانا الأقرب إلى محمد (=النبي) والذي كان يقول حين يراهما معًا " هذان السمع والبصر " (جامع الترمذي رقم ٣٨٢٢) وهو الذي آخي بينهما في يثرب وسماهما " العمران " (المحبر ٧٠).

السقيفية (سقيفة بني ساعدة)

لم تمض سويعات علي وفاة محمد (= الرسول) حتي تجمع اليثاربة في سقيفه بني ساعدة المكان المعتاد لتبادل الرأي فيما يستجد من ظروف وكان اليثاربة يفكرون بقضية التعامل مع الوضع الناشئ عن رحيل نبي الإسلام وضرورة تعيين زعيم جديد ليثرب وكانت يثرب أحوج من أي وقت مضي لمثل هذا الزعيم ، فإذا فشلت فيما مضي قبل مقدم محمداً إليها فالتطور الموضوعي صار يستدعي وجود هذا القائد بشكل أكبر لوجود تجمع غريب بين اليثاربة وهو المهاجرين وكان ثمة ميل لدي اليثاربة ترشيح سعد بن عبادة وقد وصلت الأخبار عمر بن الخطاب . فسارع إلى أبي بكر وأخطره بموضوع السقيفة ، ثم ظهر اتجاه أقل تشدداً يطالب بقسم السلطه بين أميرين أنصاري وقريشي فتوجها (عمر وأبي بكر مسرعين نحو السقيفة، وبينما هما في الطريق إلتقيا أبا عبيدة بن الجراح الذي توجه معهما وصحب الثلاثة جماعة من المهاجريين .

كان الإجتماع صاخبًا وحاداً ووصلت فيه الأمور بالاحتكام إلى السلاح علي لسان خباب بن المنذر ورد عليه بنفس التهديد عمر بن الخطاب . وأقذع له ، الكلام

إلا أن معسكر اليثاربة (= الأنصار) كان مفككًا وهو ما ساعد علي تخفيف خطورة الإجتماع ومما أضعف موقف سعد وجود خلافات بين بطون خزرجية وسعد بن عبادة مرشحهم ومن جهة ثانية كان الأولي يخشون من هيمنه خزرجية عليه فمالت الأوس إلى فكرة تولية شخص قرشي ، كما مال بعض الخزرجين لهذه الفكرة لاعتبارات تتعلق بانقسامات جناحهم واذ قام عمر وأبوعبيدة بترشيح أبي بكر وكررا اسمه مرارًا ، فإن اليثاربة وافقوا عليه ، كان إصرار عمر علي مبايعة أبي بكر كبيرًا واذا عجز في مواجهة موت محمد (= النبي) واثبات بشريته بالقرآن الا أن ذاكرته قد نشطت في السقيفة وأوجد حقًا لأبي بكر في الإستخلاف في آيه متعلق به " ثاني إثنين ، إذهما في الغار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن أن الله معنا"(*) (التوبة ٤٠)، وانتهي الاجتماع إلى مبايعة أبي بكر.

والثابت فيه هو دور عمر في مواجهة التشدد البشربي والذي وصل إلى ذروته عندما خشي بعض اليثاربة أن يؤدي تدافع الحاضرين إلى ابي بكر للبيعة إلى دوس سعد الذي كان لا يستطيع حراكًا بسبب مرضه فحذر المتدافعين من أن ازدحامهم قد يسبب موت سعد إلا أن عمر قال " اقتلوا سعدًا، قتل الله سعدًا" وتتفق المصادر علي أن عمر هو أول من بايع أبا بكر في غياب الأسرة الهاشمية فلم تعترف بنتيجة هذا الاجتماع " (اليعقوبي ٢/ ١٢٣-١٢٤ ، ابن أبي الحديد المعتزلي ٣/ ١٨٤).

(*) هناك مصادر أخرى ترى أن من كان مع محمد في الغار كان عبد الله بن أريقط الدليل الكافر (=غير المؤمن) الذي أوصله إلى يثرب (=المدينة) خاصه أن مصادر أخرى أيضًا أكدت وجود أبي بكر بالمدينة قبل قدوم محمد وأن عبارة «لا تحزن إن الله معنا» في السياق القرآني تشير إلى أن الحزن أعلى من الخوف وحين يثبت محمد رجلاً خائفًا مذكرًا إياه بأن الله معهما فهذا لا يدل على أبي بكر الرجل الذي اعتبرت أدبيات السنة والجماعة إيمانه يعدل إيمان الأمة ذلك رغم تواتر روايات تفسيرية لمحاولة إنطاق الآية بأنها تقصد أبا بكر (=المؤلف).

ويتولي أبي بكر منح قريشًا سلطة علي الحركة الاسلامية من خلال تعيين زمني يستمد من العصبية القريشية احدي ركائز تعيينه وليس مثل محمد (=الرسول) الذي كان يمثل السماء ويستمد سلطته منها .

وتنازلت الأسر القوية النافذة في قريش لتولي شخصية لا تنتمي للمجموعات القوية في قريش للحيلولة دون تفجر صراع عصبي قبلي فيما بينهما. حتي أن المجموعات والأجنحة الضعيفة في قريش أيدت أبي بكر للتخفيف من هيمنه الأجنحة القوية .

مواجهة سعد بن عبادة (صراع اليثاربة والمكيين)

كان سعد آخر العقبات في مواجهة أبي بكر وعمر ذلك أن سعداً كان قاب قوسين أو أدني من الخلافة(*) وبعد ما حدث في السقيفه بقي سعد متمسكًا برفضه ما دام حيًا وكان علي القادة الجدد مواجهة سعد لما يمثله من ثقل ومكانه فواجهوه بمزيج من الحزم والمرونه ، فكان أن تقدم عمر ذو الصوت المتشدد في الزعامة الجديدة فيطالب بإجبارسعد بن عبادة علي البيعة ، وفي حين أن أبا بكر يتدخل لمنع إكراه سعد .

لم يعط سعد البيعة لأبي بكر ، لكن الخليفة لم يتعرض له بسوء ذلك أن سياسته نجحت بإحباط أي تحرك واسع تأييداً لسعد ، ولم تتجدد مسألة سعد بن

(*) دأبت أدبيات الرواية والتاريخ تؤصل للقب «خليفة» بينما من ناحية الدين والتاريخ الإسلامي نجد أن اللفظ غير منطقي فلا خليفة لمحمد في النبوة أو الرسالة كما أنه لم يكن حاكمًا وإنما محذرًا ومبلغًا ومنذرًا «حتى يحكموك فيما شجر بينهم» و«ليست عليهم بمسيطر» فلم يكن هناك أنبياء حكام وملوك إلا في بني إسحاق المعروف بعصر الأنبياء الملوك ومنهم داوود وسليمان (م=المؤلف).

عبادة إلا بعد موت أبي بكر ، حينما ترك ابن عبادة المدينه إلى الشام ، لدي بداية حكم عمر ، بعد ما جرت مشادة كلامية بينه وبين الخليفة الجديد و من ثم مات هناك في "حوران " في ظروف غامضة (١٤ هجرية) وثمه من قال قتل في عهد أبي بكر (١١ هجرية) (ابن عساكر) فيروي أن أبا بكر طلب من خالد بن الوليد وهو علي الشام أن يقتل سعد بن عبادة وقد رتب خالد مقتله مع آخر ليلاً ، ويري ابن أبي الحديد أن لا دليل يشير إلى أن أبا بكر أصدر أمرًا لخالد بالتخلص من سعد ولا يستبعد أن يكون خالد قد قام بالعملية من تلقاء نفسه ليرضي بذلك أبا بكر ويضيف : " وما ذلك من أفعال خالد ببعيد " (ابن أبي الحديد المعتزلي ٩/ ١٥٥) إن هذه الرواية تعين سنه مقتله بتاريخ أسبق عما هو متداول في أغلب الرويات ، التي تقول إنه اغتيل في حكم عمر بن الخطاب ، والتاريخ الأسبق الذي يعتبر أن قتله تم في فترة حكم أبي بكر يمكن أن يكون أكثر قبولاً إذا أن اغتياله في فترة حكم الخليفة الأول ، يساعد الخليفة علي تهدئة عوامل التحريض في يثرب المشتعله جراء الخلافات علي الزعامة وبهذا فإن خالدًا _إن صحت الرواية _ أسدي خدمة كبيرة للثنائي أبي بكر _عمر وقد قيل تبريرًا لمقتله الغامض إن الجن قد قتلته (ابن سعد ٦١٦-٦١٧تاريخ ابن خلدون مجلد٢ ، جزء ١/ ٢٩٤) ويقول النوبختي في مؤلفه مشككًا في الرواية "لأنه ليس من المتعارف أن الجن ترمي بني آدم بالسهام فتقتلهم " ويورد النوبختي رواية أخري تقول بأن الروم قتلته.

وبقيت الأسباب التي أدت إلى مقتل سعد بن عبادة غامضة ، وبقي مجهولاً اسم الذي أصدر أمرًا بتصفيته ، وما هي بواعث هذا الاغتيال ما دامت الحركة

الإسلامية قد حازت انتصاراً كبيراً علي الجهة الخارجية وتم الدفع بالقبائل البدوية بحروب التوسع كما انشغلت بها عموم العرب علاوة علي أن الزعماء القبليين . والأهالي من الحاضرين (مكه ـ يثرب) قد حازوا علي مكتسبات تمنعهم من الإنجرار وراء أي داع للتمرد علي السلطة .

إن الشخصية البارزة في هذه الفترة العصيبة كانت شخصية عمر بن الخطاب الذي يعتبره إبن أبي الحديد المعتزلي اللاعب الأساس في نجاح أبي بكر في السقيفة ونجاحه لاحقًا بتصفية تداعيات اجتماع السقيفة فيقول :"عمر هو الذي شيد بيعه أبي بكر ، ووقم (= أذل) المخالفين فيها ، فكسر سيف الزبير لما جرّده ، ودفع في صدر المقداد ، ووطئ في السقيفة سعد بن عبادة ، وقال : اقتلوا سعداً قتل الله سعداً وحطم أنف الحُباب بن المنذر الذي قال يوم السقيفة(*) : "انا جذيلها المحكك، وعزيقها المرجّب ، وتوعد من لجأ إلي دار فاطمة من الهاشميين(**) ، وأخرجهم منها ، ولولاه لم يثبت لأبي بكر أمر ، ولا قامت له قائمة ". (ابن أبي الحديد المعتزلي ١/ ١٣٥) إن هذه الشخصية والتي ورثت بالأصل سمعه طيبة لدي المسلمين ، وكان لها حضور كبير علي نبي الإسلام (= محمد) ولعبت دور السيف

(*) مثل هذه الآراء يلقى بظلال شك كبيرة على ديمقراطية اختيار أبي بكر للحكم وإن ذلك إنما تم في أجواء متحيزة جعلت الناس يسرعون باختياره خوفًا من فتنة الإنقسام ويكفي العلم أن هذا قد تم بينما انشغل علي بن أبي طالب في دفن الرسول وانشغل الباقون في الصراع على الحكم (=المؤلف).

(**) أثار موقف فاطمة بنت محمد مشاكل لبيعة أبي بكر مع الهاشميين لم تنته إلا حينما تسبب بعض المرتزقة في قتلها خلف باب دارها بطريقة غير مقصودة حينما حاولوا تخويفها فتقط فماتت في ليلتها ودفنت في الظلام وأخفى الإمام علي زوجها مكان قبرها وتروى روايات شيعية ان عمراً وأبا بكر هم الذين أرسلوا هؤلاء المرتزقة الذين حاروا بيتها بالمشاعل والسيوف لمدة ستة أشهر ليجبروها على التراجع عن رفض البيعة لأبي بكر (=المؤلف).

في أحرج المواقف في حياة محمد ، والآن في بداية مشوار الخلافة ، كان لابد لهذه الشخصية أن تكون الشخصية الأقوي والأبرز لدرجة تساءل بعض المسلمين بعد مضي بعض الوقت علي خلافه أبي بكر ، من هو الذي يحكم بأرض الواقع ، فعندما جاء الزبرقان والأقرع بن حابس إلى أبي بكر طالبين منه أن يجعل لهما "خراج البحرين " ويضمنا عدم رجوع أحد من قومهما عن الإسلام ، قام وكتب لهم كتابًا ، وكان الوسيط طلحه بن عبيد الله ، وأشهدوا شهودًا منهم عمر ، فلما أتي عمر بالكتاب فنظر فيه ، لم يشهد ، وقال " لا والله ولا كرامة " ثم مزق الكتاب ومحاه ، فغضب طلحه ، فأتي أبا بكر ، فقال : " أنت الأمير أم عمر ؟ " فقال : "عمر ، غير أن الطاعة لي " (تاريخ الطبري ٢/ ٢٧١).

خلافات عمر وأبي بكر :

ذات مرة نشب خلاف بالرأي بين أبي بكر وعمر عندما قدم علي محمد (=النبي) وفد بني تميم فاتهم عمر أبا بكر بأنه يريد خلافه فحسب ، بدون توضيح القضية ، فجاءت الآية القرآنية : ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا ترفعُوا أصْوَاتكُمْ فَوْقَ صوْتِ النَّبِيِّ ... ﴿٢﴾ ﴾(الحجرات) ويقول عبد الله بن عمر بأن عمر وأبا بكر كانا يختلفان وأنه ذات مرة جاء عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمر أيام خلافة الأخير ، يستأذن الدخول فقال عمر لإبنه " دويبه سوء ، ولهو خير من أبيه " (إبن أبي الحديد المعتزلي ١/ ٢٧٧) وقصة الصراع بين الرجلين وحقد عمر علي أبي بكر تصنعها الروايات التي تنحو هذا المنحي في إطار نتائج السقيفة ، فعبارة عمر التي قالها ذات مرة بأن بيعة أبي بكر فلتة هي برأي أحدهم تدل علي درجة العداوة والحقد (المعتزلي ١/ ٢٨٧) فعمر يتهم أبا بكر بأنه " أعق وأحسد قريش كلها ، ويعترف بأنه لم يكن بوسعه

تسلم مقاليد السلطة لأن الناس كانوا مشغوفين بأبي بكر ، وقد عرض أبو بكر عليه في الإجتماع تسلم مقاليد السلطة كي يختبره وتبين موقفه النهائي ، ولأن أبابكر كان واثقًا بأن المجتمعين سيرفضون القبول لعمر حاكمًا وأن ذلك سيعرضه لأذي أبي بكر لاحقًا ويضعف من مكانته في المجتمع الاسلامي واستشهد عمر علي ذلك بأن الناس بعد أن سمعت عرض أبي بكر ، قالت :"لا نريد سواك يا أبا بكر أنت لها " (إبن أبي الحديد المعتزلي ١/ ٢٨٠)

ويستنكر ابن أبي الحديد المعتزلي روايات بغضاء أبي بكر وعمر كونها من قبل رواة شيعه ولأن هناك تكاملية وانسجام وكيمياء تناغم انساني بين محمد (=الرسول) وأبي بكر وعمر .

وقد أقر أبي بكر بهذا الانسجام حينما كان علي فراش الموت فاستشار كبار الشخصيات بشأن عمرفقال له عبد الرحمن بن عوف هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل ولكن فيه غلظه ، فأجابه أبو بكر : ذلك لأنه يراني رقيقًا ، ولو أفضي الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه " (تاريخ الطبري ٢/ ٣٥٢) وبالفعل برهن عمر أثناء حكمه أنه صاحب حلم وصبر وذو صدر رحب ، فيروي أن " الحسين بن علي" جاء المسجد ، وكان عمر علي المنبر يخطب ، فصعد اليه الحسين وقال له :" انزل عن منبر أبي ، وأذهب إلي منبرأبيك " لكن عمر تحلي بالحكمة معه ، فأجابه بأنه ليس لأبيه منبر ، وقد تمكن من استيعاب الطفل (في رواية ابن شبه) "إنزل عن منبر جدي " ولاحقًا سيجزل له عمر ولأخيه " الحسن " العطاء من الديوان ، في إطار اتباعه سياسة الإيلاف القرشية - المحمدية وفي القسم الخاص بخلافته سنري مدي البراجماتية السياسية التي كان يتمتع بها ، والتي مكنته من النجاح بتوطيد أركان الحركة الإسلامية ، والتمهيد لقيام دولتها .

تنسيق الأدوار بين أبي بكر وعمر

بالنسبة لعمر كان دوره الأول أن يؤدي دور المتشدد ، من أجل تمرير سياسات محدده ، وهي كلها تدخل في إطار الممارسات السياسة وقصته طلب أرض من قبل عيينه بن حصن والأقرع بن جالس تتبين درجة التنسيق العالية ، بحيث تسمح لأبي بكر أن يبدو معتدلاً ، وعمر متشدداً وبخلاف ذلك لم يكن ثمة ضرورة لجعل عمر شاهدًا ، وهو غائب ، وإرسال الطالبين اليه .(السيرة المتوارية ١٤٥)

هكذا كان عمر مع من يحب ويتكامل ويتناغم فماذا عن الذين اختلف معهم بحق من أصحاب محمد (= النبي) لعل الجانب البشري الضعيف داخل عمر الإنسان قبل القائد الإسلامي أوأمير المؤمنين يظهر هذا الجانب جليًا واضحًا في علاقته الملتبسه مع خالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح إذ تراوحت بين الجفاء والعداء والقبول أحيانًا .

عمر وخالد (صراع تاريخي)

تشكل علاقه خالد وعمر أكبر نموذج علي بشرية أصحاب محمد ونفي الهالة القدسانية التي يكيلها لهم أتباع المذهب السني أو المذهب الشيعي علي السواء وإن كان المذهب الأخير يعطي القداسة للأئمة والعصمة من الذلل والخطأ وينشأ من خلالها ما يمكن تسميته " كهانة إسلامية " لينفرد بها المذهب الشيعي عن السني ليس من باب الأفضلية ولكن من باب الاختلاف الذي يصل إلى الأسس الإيمانية وأركان الإسلام الذين هم خمسة أركان لدي السُّنَّة بينما هم ستة لدي الشيعه إذ تضاف لها الإيمان بعصمة الأئمة الإثني عشر .

وإن كان الشيعه لهم موقفًا سلبيًا من بعض الصحابة وبعض أمهات المؤمنين علي رأسهم عمروأبي بكر وعائشة (= أم المؤمنين) وغيرهم إلا أن أهل السنة يقدسون الجميع إلا باستثناء واحد هو أنهم يرتبون الصحابة في القرب من الرسول ومن الله ومن المنزله يوم القيامة ودرجة الإيمان بترتيبهم في الخلافه وهو حساب خاطئ علي كل حال يغمط كثيراً من قيمه علي بن أبي طالب حيث يحتل المركز الرابع في الذهنية السنية بينما هو فوق الجميع ولا يقارن بكثير مثل أبي بكر عند الشيعة فيرى بعض الغلاه من الشيعه (= الرافضة حسب المفهوم السني) إلي تكفيرهما بل وإثبات وتصديق حادث الإفك علي عائشة زوج محمد (= أم المؤمنين) نكاية فيها لعدائها لعلي بن أبي طالب وخوضها ضده موقعة الجمل (=صفين) من ناحية وكونها ابنة أبي بكر عدوهم اللدود من ناحية أخري . وكل هذا يؤكد ما سبق ذكرناه من أن أصحاب محمد (= الرسول) هم نماذج بشرية صنعتها هاله إسطورية تاريخية ضخمتها جانب من المذاهب الدينية وهدمتها من جانب آخر وهذا لا ينفي دورهم العقائدي وتأثيرهم في صيرورة التاريخ الإسلامي في مراحلة الأولي وقبل بناء الدولة العظمي (الأموية _ العباسية).[=المؤلف]

ونعود إلى علاقة عمر وخالد لنجد أن الرجلين كانت تحكم علاقتهما عداوات لا يمكن إنكارها وقالت الروايات ولا سيما ابن أبي الحديد المعتزلي "٩/ ٣٧٧" كان عمر منغصًا لخالد ، ومنحرفًا عنه "ورغم ذلك فكانت هناك صلة قربي فيما بينهما من ناحية الأم فإن " حنتمة بنت هشام "- أم عمر _ هي بنت عم خالد بن الوليد . ويبدو أن القرابة هذه خلقت مشابهة بين عمر وخالد ، جعلت بعض المؤرخين يزعمون أنها مشابهه خَلق وخُلق حتي قيل بأن هذه المشابهة كانت

تضلل بعض الناس فيكلمون عمر وهم يحسبونه خالد بن الوليد (ابن عساكر ـ عبقرية عمر ١٧٢).

(وثمة أرضية لحدوث تنافربين الرجلين تعود جذورها إلى علاقة عمر بعائلة خالد وهو صغير إذ كان عُمر يعمل لدي خالاته . وقد خرج مع الوليد بن المغيرة (= أبو خالد) أجيرًا إلى الشام في تجارة للأخير (ابن آبي الحديد المعتزلي ٦/ ٣١١) وفي حال شارك خالد بدوره الأب رحلته ، فإنه خرج بوصفه سيدًا لا أجيرًا ، وبهذه فثمة أرضية هنا لحدوث تنافر علي أساس التباين الاجتماعي بين الرجلين كون عمر ينحدر من جهه الأب من أسرة فقيرة (=بني عدي) ومن جهه الأم يمت بصلة نسب إلى الأسرة القوية في مكة . ويبدو أن العمل لدي الخالات ولد في عمر عداء للأسر النافذه في مكة .

ولعل سبب العداوة بينهما يعود إلى عداء طفولي المنشأ ، فيقال أن خالدًا تصارع وعمر ، فأدت المصارعة إلى كسر ساق عمر ، وان هذا الحادث قد رسم شكل العلاقة بينهما . فإذا صحت هذه الرواية (البداية والنهاية) فيجب أن نصفها في الإعتبار إضافه للتفاوت الاجتماعي (اقتصاديًا وعصبيًا بين خالد وعمر ومع بدء الدعوة المحمدية ، كان موقف الرجلين مختلفًا من الدعوة ، فإذا أخذعمر بمناوئة الدعوة ، فإنه لم يسجل لخالد أنه دخل صراعًا مع المسلمين في جميع مراحلهم في مكه ولم يبرز اسم خالد كعدو للمسلمين إلا بعد هجرتهم إلى يثرب، وهناك ظهر اسمه كعدو في معركه أحد ، حيث شارك خالد في قوات القرشيين كقائد عسكري واليه يعُزي انتصار قريش في هذه المعركة . حيث كان خالد يقوم

بواجبه القبلي بالدرجة الاولي ولم يكن علي عداوة شخصية مع محمد أو مع المسلمين كما لم يكن يكنً عداء عقائديًا للدعوة الجديدة لهذا فإن محمدًا (=الرسول) كان يفكر دائمًا في استمالة زعامات مكة الشابة اليه . وربما كان محمد يقدر بأن الجيل الثاني من المكيين أسهل عليه القبول بدعوته كونه لم يدخل بمواجهه معه ، وبالتالي لا توجد حساسية شخصيه تجاه مشروعه (=الدعوة للإسلام) . وقد بعث محمد (=النبي) رسائل معينه إلى الجيل المكي الشاب ، وعلي ما يبدو وجه رسالة واضحة إلى خالد ، فقال بصدد خالد :" لو كان جعل نكايته وحده مع المسلمين علي المشركين لكان خيرًا له ولقدمناه علي غيره" (طبقات ابن سعد ٧/ ٣٩٤) ويبدو أنها لم تكن رسالة شفهية ، بل خطية ورساله أخري قبلية بزواج محمد (=الرسول) من آخر زوجاته ميمونة بنت الحارث الهلالية وهي خالة خالد بن الوليد ، وربما كان هذا أحد أسباب التقارب معه ورسالة لخالد كما قلنا بلغة قبلية. وقد وصلت الرسالة إلى خالد فأعلن اسلامه سنه ٨ هجرية (ابن هشام ٢/ ٢٧٦-٢٧٨).

العداوة

ورغم العداء الواضح بين عمر وخالد إلا أنه لم يظهر علي السطح في عهد محمد (=النبي) إذ ربما يعود بالمقام الأول إلى أن دور خالد لم يكن كبيرًا في حركة الإسلام حيث كان عمر وأبو بكر من الصحابة الكبار ، أما كيف ظهر الصراع بينهما بعد وفاة محمد ،فراجع إلى التغيير الحاصل في المنظومة السياسية وطبيعة المواجهه التي دخلتها الحركة الإسلامية استدعت بروز رجال عسكريين من طراز

خالد إذ لما آل الأمر لأبي بكر فـانه قدر أن المواجهة مع الخـارج هي الضرورة الملحة الآن لهذا اضطر الخليفة الأول لتوظيف نخب عسكرية دعم لمشروعة كما كان عليه أن يوظف خالدًا في إطار المشروع التـوسعي للحركة الإسلامية فـي الجزيرة العربية من أجل ربط الأسـر القوية القـرشيـة بمشروعـه وقد وظف أبي بكر خـالدًا لكسب التعـاطف والدعم من بني مخزوم وهذا مـا أثار نقمة الـهاشميين وانـتقل منهم إلى الشيعـة لاحقًا وقد وجـد تعبيره الأول بوصف فـاطمة بنت محمد لخـالد بن الوليد حينما أتي مع جماعـة الحكـم الجـديد إلى منزلها عـقب وفاة محـــمد (= الـنبي) : " يابن دَيسُمَ"ومـعناها في اللغـه ولد الثُعلب من الكلبـة أو ولد الذئب من الكلبـة (لسان العرب : مادة دسم)- (ديوان حسان ٢/ ١٩٥) ورغـم اتفاق عمر وأبو بكر في كل شئ تقـريبًا الا انهـما مـا اختـلفا إلا بشـأن خالد بن الوليـد (ابن أبي الحديد المعـتزلي ١٤٨/٩).

وظل الخلاف والمشـاحنات بين عمر وخالـد في الأيام الأولي لتولي أبو بكر الخلافة ولـم يكف عمر عن مناشدة أبي بكر تنحيةخالد والتحريض عليه خاصه بعد معركة حديقة الموت (١٢ هجرية / ٦٣٣ميلادية) أو عقرباء وتزوج خالد بنت أحد زعماء بني حنيفه وهذا مما زاد عمر غضبًا علي خالد ، الذي تزوج عقب معركه قتل فيها أخوه مما جعل الخليفه (= أبو بكر) يوجه لخالد خطابًا لا ذعًا جاء فيه " لعمري يابن أم خـالد إنك لفـارغ تنكح الـنسـاء ، وبفناء بيـتك دم ألف ومـشـتي رجل من المسلمين لم يجف بعـد " وقد رأي خـالد أن يدًا لعمـر بهذا الكـتاب (تاريخ الطبري ٢٨٤/٢).

في ظل حكم عمر

بعد توليه المسؤلية كاملة قرر عمر عزل خالد ونقل قيادة ضد الشام من خالد إلى أبي عبيدة (تاريخ الطبري٢/ ٣٥٥) ثم يعلن أنه لن ينيط بخالد أية مسؤلية وتقول الروايات أن أبا عبيدة ظل يحارب تحت قيادة خالد وهو معزول دون أن يخطره حتي انتهت المعارك مع جيش الروم وإلى أن تحقق النصر للمسلمين ويورد الطبري عن ابن اسحاق أن أسباب إقاله عمر لخالد عن قيادة الجند تتمثل في :

١ - أقوال أشعلت غضب عمر منذ عهد أبي بكر

٢ -لقتله مالك بن نويره زعيم ثعلبه بن يربوع في معارك إخضاع الجزيرة العربية .

٣- سوء سلوك خالد الاخلاقي في معاركة (تاريخ الطبري ٢/ ٣٥٦).

محاكمة خالد

وبعد سيطرة خالد علي الشام ووتنوع ثروات ضخمة في يده دخل حماماً رومانيًا فتدلك بغسل فية خمر ، فكتب اليه عمر بأن الخمر محرم ، وأن ذلك يشمل مسها . فأجابه خالد بان استعمالها ممدة يجعلها لا تعود خمراً ، فلم يعجب عمر هذا الجواب فرد عليه "إن آل المغيرة ابتلوا بالجفاء ، فلا أما تكم الله عليه " (تاريخ الطبري ٢/ ٤٩٠-٤٩١) وفي واقعه إجازة الأشعث (١٧ هجرية) فكتب عمر إلى أبي عبيده طالبًا منه أن يستدعي خالدًا ليسأله من أين جاء بمال الإجازه أمن مال أصابه. بالتالي فقد خان وإن من ماله الخاص فقد أسرف ، وطلب من أبي عبيدة أن يعزله علي كل حال وكان «بلال» المكلف بتنفيذ الأمر ولما استجوبوه بقي خالد صامتًا قام بلال بعقله بعمامته (= خالد) وأضاف بلال بأنه سيبقي علي هذا الحال إلي أن

يجيب علي السؤال (تاريخ الطبري ٢/ ٤٩١) وهذا مازاد خالد إربـاكًا ، ولما كرر بلال سؤاله أجاب خالد :" من مالي " وظن أن الجواب سيكون ختام القصة ، وخصوصًا أن بلالاً أطلقـه، وأعاد قلنسـوته ، بل عـممـه بيده . ولكـنه علم بالعزلُ، فـآب إلى المدينه بعد أن ودّع أهل قنسـرين ، وحمص . وفي المدينه عاتب خالد عمـر، فحقق عمر معه بشأن ثروته ، ثم صادر عمر مال خالد عشرين ألفًا (نفس المرجع السابق).

كان لعزل خـالد ردود فعل غير راضـية ، بيد أنها لم تصـل إلى حد أحداث فوضي سياسيـة ، فقد وجه أبوعمر وحفص بن المغيرة إتـهامًا لعمر بن الخطاب أنه أغمـد سيـفًا سلّه محـمد (=النبي) وأنه حـسد ابن عمـه فرد عـمر عليه قـائلاً بأنه "حديث السن " مـغضب في ابن عـمه (تاريخ عـمر ٢٣٦) وبعد مـضي أربع سنوات وفي سنه ٢١ هجـري ، مـات خـالد وتختلـف الروايات بشأن مـكان وفاته فـقـيل حمص ، وقيل يثرب ، فلما مات تجاوز عمر عن البكاء نساء المدينه عليه _ رغم أنه كان ينهي عن الـندب علي الميت والبكاء عليه . لكنه شـرط عدم الصيـاح وإحداث ضجيج. كما كان علي عمـر أن يعلن تقديره للميت ، فقال :" لقد ثَلمَ في الإسلام ثلمة لا ترتُق . ولقد ندمت علي ما كان مني إليه " (الفاروق ١١) .

واذا صحت هذه الرواية من أن حفـصة وآل عمر قد بكوا لما علمـوا نبأ موت خالد (اليعقوبي ٢/ ١٥٧) فإن الأمـر تم بإيعاز منه ،وذلك لعدم إثارة الأحـياء، أي آل مخزوم ،كان الثنـاء علي الميت فعل سياسي ، شبيـه بموقف محمد(*) (=النبي) من «إبن أبي» ، زعـيم المعارضـه اليثـربية (= المنافـقين) ويروي أن عمـر بعـد أن عزل

(*) كان موقف محمد (=الرسـول) من ابن أبي بدافع إنساني أخلاقي فطري راق ورغم ذلك عاتبه القـرآن على هذا الموقف وأظهر له أن الاسـتغـفار لمثل هؤلاء دون جـدوى وأنّ قد نهـاه الله عن الصلاة على من مات من المنافقين والكفار (=غير المسلمين) (=المؤلف).

خالداً، كتب إلى البلدان مبيناً دواعي قراره :"اني لم أعزل خالد عن سخُطه ولا خيانة . ولكن الناس فتنوا به ، فخفت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به ، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع ، وألا يكونوا بعرض فتنه " (الطبري ٢/ ٤٩٢) .

ويقول مالك مسلماني صاحب مؤلف " السيرة المتوارية " ص٢٥٠ :" من كل ما ورد يتجلي أمرهم فنحن إذ نؤكد وجود علاقة تصارع بين عمر وخالد ، لأسباب خاصة بطبيعة عمر ، والتفارق الاجتماعي والعصبي بينهما ، والإحتكاك بسبب عامل القرابة ، إلا أننا لا نستطيع قبول كل التفاصيل الواردة في المصادر التاريخية واذا تجنبنا الخوض في تفاصيلها ، فإن ذلك يعود إلى :

أولاً ضرورة الحفاظ علي وحدة الموضوع ،وهو شخصية عمر .

ثانياً: إن الموضوع لا يعود يتصل بحقل التاريخ ، بل يرتبط بميدان المعرفة وانتاج المعرفة والتاريخ .

أبو عبيدة بن الجراح وعمر

أبو عبيدة بن الجراح ، هو عامر بن عبدالله ، من أوائل المسلمين وكان عمر ابن الخطاب يكِّن له تقديراً كبيراً وتعبيراً عن مطلق ثقته به ، فإنه قال مرة عن رجل سلمه أبو عبيده مسئولية . ويبدو أنه لم يكن يحوز علي رضا عمر قال : " ما أنا بمبدل أميراً أمرة عامر بن عبد الله " (التاريخ الكبير للبخاري) كما أن عمر وهو علي فراش الموت تمني لو كان أبو عبيدة علي قيد الحياة ليعينه خليفته(*) (ابن مسعود

(*) تحديد الخليفة لأمير المؤمنين حسب رواية ابن مسعود لم يكن يعتمد على الشورى كما يشاع وإنما تعييناً فردياً وقد يُطرح المعين في جلسة شورى صورية كما حدث في استخلاف عمر من قبل أبي بكر الذي عينه دون انتظار الشورى وظل الأمر كذلك حتى انتهى نظام الخلافة الإسلامية في ١٩٢٤ بالسلطان العثماني عبد الحميد الثاني (=المؤلف).

٣/ ٤١٣) بينا تقول روايـة أخري بأنه لو كان أيو عـبيدة أو سـالم مولي أبي حـذيفة علي قـيد الحيـاة لاستـخلفت أحدهمـا . والقاسـم المشـترك الذي يجـمع أبا عبـيدة وسـالم هم أن محـمـداً آخي بينهـما في مـكه قبل الهـجـرة إلى المدينة (المحبرً ٧١) والعامل المشـترك الذي يجمـعهمـا مع عمـر هو أنهما شـاركا عمـر رأيه في حرب القبائل ، والتي صارت تعرف بحروب الردة .

وعرف عن أبا عبيدة الإخلاص لقضية الإسـلام ولم يكن مبدعًا سياسيًا فلما كان عمـر متوجهًا سنه ١٧ هـجرية للشام وصلت إليه أخبـار انتشار الطاعون فـيها فقـرر الرجوع إلى يثـرب فقال له أبو عـبيـدة " أتضر من قدر الله ؟" فـقال عـمر : "لوغيرك قالها ياأبا عبـيدة ، نعم من قدر الله إلى قدر الله " ولما أراد عمر في السنة التاليه (١٨ هجرية ٦٣٩ ميـلادية) أن يستقدم أبا عبيدة إلى المدينه خشـية أن يصيبه الطاعون ،فإن أبا عبيدة اعتذر إليـه بأنه يريد البقاء مع جنده ، وبالفعل سيموت أبو عبيدة جـراء إصابته بالطاعون (المُحبرً ٧١) لماذا كان عمر يقدر أبا عـبيدة هذا التقدير الخاص " ربما هناك فرضية تاريخية تفيد أن أبـا عبيدة قتل أباه في معركة بدر عندما صار أبوه يتصدي له ، وبعد أن فشل أبو عبيدة بتفادي قتاله ، فإنه تبارز معه وقتله

لذا اسـتحق أبا عـبـيدة أن يـحصل علي لقب الـثالوث الصـحـابي (عمـر ، أبوبكر، أبو عبيدة)"Le triumvirat"(*).

وقد أشار القرآن لقصه قتل أبو عبيدة لأبيه :" لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادون من حاد الله ورسـوله ، ولوكانوا آباءهم أو أبنائهم ، وإخوانهم ،أو عشيرتهم "

(*) ذلك حسب تقديرات العديد من المستشرقين (=المؤلف).

وحسب التفاسير فإن الإشارة هنا لأبي عبيدة بقوله " ولو كانوا آباءهم " ولأبي بكر " أو أبناءهم " الذي دعا ابنه يوم بدر للمبارزة ، وإلي مصعب بن عمير "أو إخوانهم " الذي قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أُحد وإلى عمر " أو عشيرتهم " الذي قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر ، كما تشير العبارة الأخيرة إلى علي وحمزة وعبيده بن الحارث ، الذين قتلوا في معركة بدر عتبه وشيبه إبني ربيعه والوليد بن عتبة .

الفصل العاشر

عمر الحاكم وتأسيس الدولة

عمر مؤسس الدولة

لا شك أن عمر قد اكتسب خبرات متنامية في خلال فترة ملازمته لأبي بكر أول أمير للمؤمنين (=خليفه)(*) حوالي العامين وبضع شهور الا أن استمرار سياسة الدولة كما هي في إستراتيجية واحده برغم إختلاف الحاكم فقد ثبّت عمر مفهوم المؤسسية في صناعه الدولة شبه الحديثة حيث تسلم الخلافه عمر وبعد سويعات طالب جمهور المؤمنين بالتوجه مع المثني بن حارثه الشيباني إلى قتال الفرس ، وعلي مدار ثلاث أيام كان عمر يكرر طلبه ويتوافد عليه الجمهور لبيعته فقط وظلوا محجمين عن القتال وذلك لأن الفرس عزة وقوة وشدة سلطان ولم يتقدم لعمر سوي أبو عبيدة بن مسعود الثقفي في اليوم الرابع كما تقدم بعدها شخص آخر يدعي سعد بن عبيد الأنصاري وتقديراً منه لاندفاع أبي عبيدة فإن عمر سلمه قيادة القوة المتندبة (تاريخ الطبري ٢/ ٣٦٠-٣٦١، الفاروق٥٧).

ويروي أن أبا بكر المشرف علي الموت قد بدأ سياسة التوحيد القبلي والغزوات الخارجية ولو بالنصيحة ليتولي عمر المسؤليه ويقوم بالتنفيذ بتولية المثني بن حارث لتتوحد خلفه القبائل ، صحيح أن أبا بكر أورث عمراً كياناً كبيراً بيد أنه

(*) سبق أن بينا رأينا في مصطلح «خليفة» من قبل في هذا المؤلف (بفتح اللام) وأنه يتم استخدامه من قبيل اكتسابه صفة التداول فقط في أدبيات الرواية والسيرة والتاريخ (=المؤلف).

كان ملغوماً بالداخل بعوامل التناقض القبلية إذ كان خضوع مجموعات قبليه كثيرة للمنتصر المسلم وأعلنوا إعتناقهم الإسلام تأكيداً لإستسلامهم والخضوع السياسي للقبائل لم يكن خضوعًا وقبولاً بالدين بل كان اعتناق من الشروط المفروضه عليهم وبالتالي كانت تكمن كل عوامل الانفجار الاجتماعي بالجزيرة العربية حتي أن استراتيجية الغزو كانت مشروطة بالدوافع الاقتصادية وآخذت شكلها المكتمل بالخروج من الجزيرة العربية وأصبح الغزو هو السبيل الأوحد لتحصيل المعاش ، كما انه الأداة المثلي لتوحيد القبائل تحت راية واحدة . ورغم ذلك لم تكن الأيديولوجية الإسلامية هي المحرك لهذه النقله التاريخية لقد كانت الشروط الإقتصادية التي اقتضاها الواقع واضحة وعلي لسان كل قادة الحركة الاسلامية وعلي لسان القادة الميدانين ،أن " الجهاد في سبيل الله " كان في الخطاب التعبوي هو الأقل حضوراً مقارنه بالخطاب الإقتصادي (السيرة المتوارية ص١٥١).

من جهه أخري كانت هذه السياسة الجديدة تستدعي لإكمال دمج القبائل المختلفه أن يتم تجنيد مقاتلي القبائل التي ناوأت حركة الإسلام وأبت الرضوخ إليها وما هي إلا أيام قليله علي توليه مقاليد الحكم حتي قام عمر يأمر برد السبي إلي قبائلهم معللا ذلك بقوله :" أنه لقبيح بالعرب أن يملك بعضهم بعضًا وقد وسع الله عز وجل وفتح الأعاجم " (الكامل ٢/ ٣٨٢) لقد رفض عمر أن يعيش عربي تحت وطأة العبودية ، فقرر تحرير الأرقاء العرب مقابل تعويض مادي لصاحب المسترق (إبن أبي الحديد المعتزلي ٦/ ٢٨٨) وبذلك كسب قلوبهم كرجل دولة من الطراز الأول، فأقبلوا سراعًا من كل حرب يلبون دعوته بالجهاد (الفاروق عمر ١/ ٩٩) لكن ذلك جاء عبر إستبدال الرقيق برقيق آخر ، وبشعار استعماري هو السيطرة علي "الأعاجم " (السيرة المتوارية ص ١٥١)

والحقيقة هي اعتبار عهد عمر عصراً ذهبيًا بالنسبة للعرب لإنه شغلهم عن حروبهم الداخلية بحروب خارجية ، وربما لم تتكرر هذه الحالة في التاريخ الإسلامي إذ ضمن التوسع الخارجي أيام عمر الصراعات العصبية .

التاريخ

ويذكر التاريخ لعمر بداية فكرة تدوين التاريخ الإسلامي ضمن نفس السياق حيث كان البناء السياسي في الجزيرة العربية في طور الإنشاء وقدمت مقترحات بكتابة التاريخ علي تاريخ الروم أو بكتابته علي تاريخ الفرس ويقال إن عمر كان يفكر بأن يكتبه منذ مولد محمد (= الرسول) وهناك من اقترح أن يكون منذ بدء الدعوة المحمدية (=الإسلامية) (اليعقوبي ٢/ ١٤٥) وأستقر رأي المتناقشين علي اعتبار هجرة المسلمين إلى يثرب (=المدينة) بداية التاريخ وتعزو روايات كثيرة هذه الفكرة إلى علي بن أبي طالب (تاريخ عمر ٩٤-٩٥) ومنهم إلي عثمان (أخبار عمر ٢٠٤) (وفي البداية والنهاية لإبن كثير) عزوها إلى آخرين ونشأت هذه الحاجه إلى أن عمر كثرت المراسلات في عصره ولم يجدوا وسيله لتأريخها .

الديوان

وكانت أبرز المستجدات في عهد عمر بعد وصول ثروات كثيرة من يثرب أن يكون هناك حاجة إلى ديوان لتنظيمها فأسس ديوانًا أسوة بالفرس (فتوح البلدان ٤٣٩-٤٤٠) وحسب المصادر بدأ تدوين الدواوين عام ١٥ هجرية بينما تري رواية أخرى أنه بدأ عام ٢٠ هجرية وكان الديوان الذي تأسس في عهد عمر كان يقتصر

علي العطاء وقـد تطور المصطلح لاحقًا ليعني المـوضع الذي تحفظ فـيه سـجلات الدولة .

كما شكل عمـر لجنه خاصة مؤلفه من نساب قـريش : عقيل بن أبي طالب ، مَـخْرَمَـة بن نوفل / جـبيـر بن مُطعَم (تاريخ الطبريِ ٢/ ٥٧) من أجل تحديد نسب توزيع المال وكـانت القواعد المتبعـة في الديوان وحسب أوامـر عمـر هرميـة تأخذ إعتبارين هما القرابة والعامل العقـائدي : وتشمل القرابة في المقام الأول آل محمد في قمة الهرم ثم نزولاً إلى آل هاشم ثم بني المطلب ثم بني عبد شمس ثم بني نوفل بن عبد مناف (تاريخ عمر ١٥٦-١٥٧) والعامل الثاني عقائدي كما أسلفنا ففي حالة تساوي رتبـة القرآبة فـإن الإعتـبار كان للسـابقين إلى الإسلام وبهـذا لما دون عطاء الأنصار ، طلب عمـر البدء برهط سعد بن معـاذ الاشهلي من الأوس ، ثم الأقرب فالأقرب من سعد بن معاذ (طبقات ابن سعد ٣/ ٢٩٦) وتشبة عملية تسجيل النسب في سجلات العمـل الذي قام به الكاهن عزرا في تثبيت أنساب اليـهود وتدوينها أثناء السبي البابلي . وتري كـتب الفقه بأن هذه المسأله الفقـهية تعود إلى اجتـهاد الحاكم ووفق مصالح المسلمين وبروي أن عمر بن الخطاب إقترح علي ابي بكر العمل بمبدأ العطاء حـسب الموقع العـصـبي _ الديني لكـن أبا بكر رفض مـفـضـلاً العطاء بالتساوي، وتابعه في ذلك لاحقًا علي بن أبي طالب (ابن ابي الحديد المعتزلي ٤/ ٢٨٠).

ويري الباحث حسين مروة أن ديوان عـمر بدأ به ظهور أول ملامح " الدولة الجنينية " (النزعات المادية ١/ ٤٢٢).

ونتج عن اقتصاد الحرب في عهد عمر علي توزيع مصادر الثروة في الزكاة، الفئ وهو يقسم إلى الجزية وخراج الأرض ثم الخُمس وهو خُمس الغنائم(*) وخمس ما يكتشفه الأفراد من المعادن والكنوز الأثرية ، كما أن الغنيمة كانت تدرج في الموارد الماليه وهي تشتمل علي أسري وسبي وأرضين وأموال (الأحكام السلطانية ٢٠٧) ثم القطائع والإقطاعات التي توزع علي المحاربين من الأراضي المفتوحة وهي المنهج الذي اتبعه عثمان كهدية وصل رحم لأقاربة دون حرب أو مجيء ومنهم فأسست أو أسس عمر دون أن يدري لقيام الدولة الأموية بهذا المنهج برغم أن عمر كان متشددًا في منع أقرباءه ابتغاء وجه الله ، «وأنا أعطيتهم ابتغاء وجه الله ولن تروا مثل عمر " (إبن إبي الحديد المعتزلي ١/ ٢٤١٩).

وفي نفس السياق كان عمر وضمن شرطه الاجتماعي والشخصي يقف حائلاً دون أن تستمر سلطته كخليفه لصالح ابنه فرغم أن الملاذ الأول للمسلم بقي القبيله ، إلا أن عمر ، الرائد لجعل الأيدلوجية الإسلامية هي الحاكمة كما رأيناه في موقفه من أسري بدر ونص أن تقدم إمتيازات إلى العصبية الخاصة به ، فعندما اشتري ابنه " عبد الله " إبلاً ، وسَمّنها في أرض تسمي "الحمي" ، ثم بعثها إلى السوق، طلب منه عمر أن يأخذ رأس ماله فحسب ، وكل ما زاد يضعه في بيت مال المسلمين ، حيث وضع عمر في اعتباره أن الإبل لقيت رعاية خاصة ، فسهلت لها أفضل الكلأ لكونه عبد الله " ابن أمير المؤمنين " (تاريخ عمر ٢٣٨)، وفي قصة مشابهة رفض عمر أن يرسله يومًا للقتال خشية أن يستثمر موقعه بوصفه إبنًا للخليفه، فيحصل علي إمتيازات خاصة ، لا سيما بالنساء (تاريخ عمر ٢٣٩) .

(*) مازالت الشيعة تطبق هذا الخُمس على أن يعطي في يد كبر الملالي وهم الحاصلون على درجة «سيد» ذي العمامة السوداء باعتبارهم ورثة آل بيت النبي واعتبرته أهل الجماعة ملغيًا بوفاة النبي (المؤلف).

عمر الأب الحاني والحامي

ولعل قسوة عـمر علي نفسه في عام الرمـادة (١٧-١٨ هجرية) ومنع أكل الدسم أو السمن ولا اللبن حـتي يتمكن المسلمون جـميعًا من الحـصول علي المواد الغـذائية فـظهر عـمـر بمظهر الأب الحـامي الذي يبسط كل الحـماية عـلي الرعيـة (=الأولاد) وتسـاهل في مسـائل كثـيرة مـدفوعـًا بهذا المنحي الأبوي ، وإن الحـالة الأبوية التي يتـمثلهـا عمـر دفعت به لأن يعسّ في يثـرب ليلاً تفـقداً لحـال الأهالي (التاريخ الكبير للبخاري) والي أن يضع للعطاء مرتبـات لتأمين متطلبات المعـيشة من رضاعـه ومسكن وتربيـة مخصص لكل لـقيط مئـة دِرهم كما فـرض للمولود مـئة درهم ليصير مئتي درهم لدي ترعرعه وقد ألغي شرط الفطام فيما بعد حين وصلت إليه أنباء عن إكراه نساء للرضع علي الفطام من أجل الحصول علي الراتب الأعلي (ابن سعد ٣/ ٣٠١) وفي نفس الإطار الذي يصور رحمته أنه في إحدي المرات ضرب رجلاً ولاحقه بالزجر لأنه يحمّل جَمله ما لايطيق . (عبقرية عمر ٣٧)

عمر مع ولاته وعماله (الولاه)

ذات مره أتاه خبر يفيد أن عاملاً من عمالة (حاكم ولاية) أمر رجلاً أن ينزل في وادٍ ينظر في عمـقه وكان الرجل خـائفًا ، بيد أن العـامل أصر علي تنفيـذ طلبه وبعـد خروجـه من الوادي ، أصـابت الرجل رعـدة مات علي أثرها ، فـأمـر عمـر العامل لديه أداء الدية ، ثم عزله عن عمله ، وتماثلها مع ما يروي من أن قائد جيش أمر جنديًا أن ينزل مخاضة في يوم شديـد البرد ، لكن الرجل عبر عن خوفه من أن تؤدي برودة المياة بحيـاته بيد أن قائد الجيش أصر ، فلما علم عـمر بالأمر عزلة عن

موقعة وقال " لا يلي لي عملاً ابدًا " ولعمر مقوله شهيرة يرسم فيها علاقته بعماله : " أيما عامل لي ظلم أحداً فبلغني مظلمته ، فلم أغيرها ، فأنا ظلمته " (تاريخ عمر ١٧٨ ، ابن سعد ٣/ ٣٠٥).

وفي هذا الإطار جاءه أبو هريرة (راوي الأحاديث النبوية) من البحرين التي كان واليًا عليها فأغلظ له عمر قائلاً بأنه استعمله علي البحرين وهو حاف لا نعل في رجليه ، فأجاب أبوهريرة بأن ماله الجمّ :" خيلي تناسلت ، وعطائي تلاحق ، وسهامي تتابعت " فقام عمر بعزله بعد أن ضربه بسوطه حتي أدماه .(إبن أبي الحديد المعتزلي ٦/ ٢٢١، العقد الفريد ١/ ٤٣) وكان عمر يقاسم عماله ثرواتهم التي يشك في أنها جاءت عبر تربح من المنصب ، وعلي الأقل تنطلق المصادر من رغبة عمر في تحجيم أدوارهم الصاعدة الثانية ، تشير إلى قناعة عمر بأن عماله نهبوا المال العام برغم أن كثير منهم من رواه الحديث النبوي والذي من المفترض أن جامعي الصحاح من الأحاديث قد تحروا صدقهم وأخلاقهم ودينهم ورغم رأي عمر فيهم فقد دون عنهم العديد من الروايات النبوية (= الأحاديث)(*) وكانت الدولة العمرية في حالة نهوض ولم تكن تمتلك الآليات الضرورية لتشكيل المؤسسات القضائية التي تسمح لها بمراقبة مسلك الطبقة الحاكمه وهذه المسأله لن تكون ممكنه إلا في إطار الدولة الحديثة التي تشكل الجهاز القضائي فيها مؤسسة مستقله عن مؤسسة الحكم ولم تكن الدولة الإسلامية في كافة عهودها بقادرة علي تشكيل

(*) لم تكن هذه هي الواقعة الوحيدة لرواة الحديث ومدى طهارة يدهم وذمتهم المالية حسب مصادر روايات متعددة ذلك برغم تأكيد البخاري أنه يتحرى دقة راوي الحديث فما بالنا بأبو هريرة أغزر الرواة نشاطًا وأشهرهم مساهمة في الرواية؟ (=المؤلف).

هذه المؤسسة المستقله ، لأن القضاء لم يكن مستقلاً ، وكان مرتبطًا بالدولة بسبب من البنيه الداخلية لمؤسساتها والمشروطه بتاريخها الخاص حيث كانت الدوله تتشكل علي أساس التوسع الإستعماري ، ولهذا فأنه منع نهب المال من قبل الحاكم كان يتعلق بقدرة ونزاهة حاكم فرد ، ولم يكن ليرتقي إلى مستوي تشريع ناظم ، وهذه القضية ستبقي فاعلة حتي في المجتمع العربي المعاصر وليس كل مجتمع معاصر مجتمعًا حديثًا علي أي حال .

ويذكر أن معاوية أبن سفيان مارس بدورة سياسة مشاطرة ورثة عماله المال معللاً ذلك بأنها «سنة عمرية» (اليعقوبي ٢/ ٢٢٢).

سياسة عمر الخارجية (=الفتوحات)

تم في عهده السيطرة علي (= فتح) القدس حوالي ١٥هجرية / ٦٣٧ ميلادية وسبب أهمية القدس الذي كان (ومازال) يستقطب أنظار أتباع الأديان الثلاث ، فإن عمر جاء بنفسه لعقد الصلح مع سكان المدينه المقدسة ويقال أن أهل بيت المقدس كانوا قد طلبوا أن يعقد الصلح مع خليفة المسلمين فكتب عمر عهده المشهور وسعي إلى عدم المس بمقدس المسيحيين بالتحديد (تاريخ الطبري٢/ ٤٤٨) ، وفي إطار السياسة التوسعية التي إنتهجتها الدولة الإسلامية الناشئة للتو أمر عمر ببناء المدن الإسلامية الأولي وذلك لتكون ثكنات عسكرية متقدمة ، وبنفس الوقت بعيده عن مواطن عيش أهالي البلدان المستولي عليها (=المفتوحة) ، كان قرار بناء المدن الأولي وفق متطلبات المرحلة التي كانت أيام عمر وعلي كل اعتبر عمر أنه أول من مصَّر البصرة والكوفة .

وبالنسبـة للسياسة الخـارجية فتـقول الروايات أن عمـرًا لـم يكن لديه طموح للتوسع باتجاه مصر بيد أن عمرو بن العـاص هو الذي حرضه علي الإستيلاء عليها (=فتحهـا) لأنها ستكون قوة المسلمين وعونًا لهم ، ولأنهـا أرض غنية بالثروات ، كان عـمر مـتخوفـا من ذلك ، واعتـبره تغريراً بالمسلمين ، ولاسيمـا أن جيـوشهم موزعـه في الشام والعراق وأرمـينيا ، لكن عـمرو بن العاص تمكـن من إقناعه لأنه كان يعرف مـصر كونه كان تاجـراً قبل الإسلام (تاريخ الطبري الجزء الـثاني حوادث سنة ٢٠هجرية).إن هذا يؤشر علي أن الأفق العالمي للإسلام لم يكن ناجزاً بعد ، حتي في عهد عمر ، وأن جيوش المسلمين وإذا اندفعت خـارج الجزيرة العربية فإنها اندفعت في المجال الجغـرافي المتاح والممكن لها ، ذلك أن العرب كـانوا يهاجرون دوريًا إلى الشام والعـراق ، كما أنهم اعـتادوا شن الغارات علي تلك المناطق ، وعندمـا توجه المحاربون المسلمون بعـد السيطرة علي الجزيرة العربيـة باتجاه العراق أولاً ، ومن ثم نحو الشـام ، فإنهم كانوا يندفـعون ضمن المجال الجـغرافي الذي لطالما جالوا فـيه ، كـما كـانوا يتحـركون ضـمن قانونهم الموضـوعي ، وبالتـالي فإننا سنقـوم بتطوير فرضـيتنا التي رأينا فـيهـا أن محمـداً لـم يكن يحوز علـي أفق عالمي (السيـرة المتوارية ص١٧٣) إلى فرضـية تقول بأن هذا الأفق لم يتـكون في الرؤية الإسلاميـة حتي في عهد عمر ، وعلي الأقل لم ينضج إلا في سنوات حكمة الأخيرة . (نفس المصدر)

وقد تخـتلف مع الباحث فـيمـا ذهب إليه من عـدم وجود أفق عـالمي لدعوة محـمد بـاعتـبارها دعـوي محليـة داخل الجزيرة العـربية وعلي اعـتبـار أن الكرازة الإسلاميـة (=الوعظ)كانت بموجب آيات القرآن تدعـو للعالمية وخاصـة ماورد في

الآية " وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين " أي أن التبشير والدعوة كانت موجهة بالأساس لما بعد الجزيرة العربية المجال الحيوي الضيق للرسالة إلى باقي دول العالم المحيط بها وهو ما حدث عبر الرحلات المدنيه الفردية المزودة بأخلاقيات تجار مسلمين أثرت في نفوس أهالي آسيا والشرق الاقصي وأفريقيا بالحكمة والموعظة الحسنة كما يؤكد القرآن أو بالغزو المسلح (= الفتوحات) في دول أخرى كما أراد بعض الحكام المسلمين وإن كان لنا موقف مؤيد فقط للأسلوب الأول دون الآخر (=المؤلف).

ويضيف مؤلف السيرة المتوارية أن عمراً كان لديه نزعة لجعل الجزيرة العربية خالصه للعرب ولهذا أصدر أمره لاحقًا بترحيل اليهود والمسيحيين من الجزيرة العربية كما رفض عمر في البدء أن يتوسع المسلمون في بلاد فارس في بادئ أمره وقيل عنه " وددت أن بيننا وبين فارس جبلاً من نار ، لا نصل إليهم ولا يصلون إلينا " (الكامل ٢/ ٥٣٨) وكان هذا موقفه ايضًا فيما يتصل بالجبهة الشمالية إذ كان عمر يقول لدي ذكر الروم لوددت أن الدرب جمرة بيننا وبينهم ، لنا ما دونه ، وللروم ما وراءه " (اليعقوبي ٢/ ١٥٥) وحتي حينما حاول الوليد بن عقبة إجبار بني تغلُب علي إعتناق الاسلام ، وأبدوا مقاومة لمشروعه ، فإنه كتب لعمر يستشيره فأجابة بأن إجبار العرب علي اعتناق الدين الجديد هو في نطاق الجزيرة العربية (تاريخ الطبري ٢/ ٤٨٥) كانت هذه رؤية مالك مسلماني في كتابه (عمر بن الخطاب ص١٧٤) بينما ذهب حسين مروة الباحث السياسي التاريخي لتقديم تبرير لصيرورة التوسع بقوله إن الفاتحين العرب قد اتخذوا- وفقًا لتوصيات القرآن وتشريعات

عمر بن الخطاب بشأن سياسة الفتح قاعدة جديرة بالتقدير تتعلق باستراتيجية الفتح وتكتيكة معًا ، وهي عدم البدء بالحرب المسلحة ، وعدم اللجوء إلى استخدام السلاح إلا في ثلاث حالات : الأولي : الدفاع ضد الإعتداء والثانية : حماية الضعفاء وانقاذهم من ظلم أو هلاك .. والثالثة : حين تقابلهم المعارضة بالسلاح ، أي حين يكون البدء باستخدام السلاح من قبل المعارضين (النزعات المادية ١/ ٤٢١-٤٢٢)

نهيه عن الهجاء (= الهجوم اللفظي)

وعاني عمر بشدة من انتشار شعر الهجاء حتي أنه وصل به الأمر في إحدي المرات أن وجه تهديدًا جديًا " للحُطيئة " بقطع لسانه ، بيد أنه أخذ عليه عهدًا بعدم الهجاء ودفع له عمر ثلاث آلاف درهم علي أن لا يتطرق لأعراض المسلمين وتقديراً لحاجة " الحُطيئة" المادية التزم بذلك طوال حياة عمر وكان عمر في ذلك يسعي لعدم تفشي الفتن العصبية وبالتحديد الشعر الهجائي الذي كان بين الأنصار ومشركي قريش حذر تجديد الضغائن ، موضحًا بأن في ذلك شتم الحي والميت وتجديد الضغائن وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام (المفصل ٩/ ٢٥٣،٣٨٠،٧٤٠،٧٤٣) وإن كان حسان بن ثابت شاعر محمد (= الرسول) يخرق مرارًا هذا المطلب وقد تذرع بأنه كان ينشد شعر الهجاء أمام محمد وبالطبع كان عمر ينطلق في موقفه من ظرف موضوعي مختلف إذ تم وقتها دمج قريش داخل الحركة الإسلامية ولم تعد عدوًا للدعوة الجديدة ودرءًا لعداوة قرشية - يثربية.

إجلاء اليهود والمسيحيين من جزيرة العرب (٢٠هجرية)

في أجواء التوتر والقلق مما يحدث في العراق رأي عمر أن الوقت قد حان لجعل الجزيرة العربية مكانًا خالصًا للعرب فقام في عام ٢٠ هجرية بإصدار أمر جعلها خالصة لدين الإسلام فأشعل حادث قتل مظهرً بن رافع الحارثي معلنا أنه يتبع وصية محمد (=النبي) وهو علي فراش الموت (اليعقوبي ٢/ ١٥٥) وهي تنص علي عدم ترك دينينً بجزيرة العرب في حديث شهير يقول " لا يجتمع في جزيرة العرب دينان(*) " وأصدر عمر أوامره لقائد عملية الإجلاء بعلَي بن أمية بتفاصيل التعامل :" ائتهم ولا تفتنهم عن دينهم ، ثم اجلهم ، من قام منهم علي دينه ، وأقرر المسلم ، وامسح أرض كل من تجلي منهم ، ثم خيرهم البلدان ، واعلمهم أنا نجليهم بأمر الله ورسوله ألا يترك بجزيرة العرب دينان ، فليخرجوا ، من أقام علي دينه منهم ، ثم نعطيهم أرضًا كأرضهم ، إقرارًا لهم بالحق علي أنفسنا ، وفاء بذمتهم فيما أمر الله من ذلك ، بدلاً بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار لجيرانهم بالريف .

وقد أمر عمر بإجلاء مسيحي نجران ،وبأجلاء اليهود عن خيبر ، ونجران ووادي القري وقيل لم يجل أهل وادي القري لأنها خارجة عن الحجاز (الكامل ٢/ ٥٦٩،٢٢٢).

(*) منع القرآن دخول المشركين المسجد الحرام فقط بعد نقضهم عهدهم واعتبرهم نجس ولكن لم يمنعهم من البقاء داخل الجزيرة العربية وربما جاء قرار الإجلاء لسبب سياسي بحت الهدف منه خلق حالة استقرار ومنع فتن وليس لأسباب دينية (=المؤلف).

وقد شمل الإجلاء الجاليات اليهودية التي كانت تقيم فيما بين فلسطين ويثرب ، وقد اقتصر عليهم لأنه لم تكن هناك جاليات مسيحية ،وهذه السياسة لم تكن تشمل الأسر والأفراد ذلك أن الأخبار ذكرت وجود أسر و أفراد يهود ومسيحيين في يثرب ومكه وفي الطائف بعد وفاة عمر (المفصل ٦/ ٦٣٠) كما بقيت أسر يهودية في وادي القري وفي "تيماء" قرونًا عديدة بعد صدور أمر عمر باجلائهم، حتي إن أخبارًا ذكرت أن عددًا من اليهود عاشوا في يثرب لفترة طويلة أيضًا (المفصل ٦/ ٥٤٩) وقام عمر بالتعويض للمجليين عن ممتلكاتهم بما يعادل قيمتها (الفاروق عمر ٢/ ١٨٦) مستعينًا بالأموال التي جاءت من العراق (المغازي للواقدي) .

ومن الناحية العملية كان الترحيل الجماعي معروفًا قبل الإسلام كما في زمنه، فقد كان الفرس يجلون القبائل المعاديه لهم عن مواضعها ، ويرسلونهم إلى أماكن أخري وفعل الروم الشئ عينه بالعرب أيضًا ، وفي اليمن بحق القبائل الثائرة وبصدد أهل الذمة تذكر كتب الأخبار بأن عمر أصدر أوامره لعماله بمنعهم من التشبه بالمسلمين : لباسًا وركوبًا ، وأن يعقد كل واحد منهم زُنارًا في وسطه ، وبأن تكون ألبسة رؤسهم علي هيئه خاصة ويسمح لهم بالسكن في مدن المسلمين ، وارتياد أسواقهم للتجارة ، لكنهم يمنعون من بيع الخمور والخنازير ، كما يحظر عليهم إظهار الصلبان في الأمصار (أخبار عمر ١٧٠-١٧١)

ويقول مؤلف (السيرة المتوارية ص١٧٨): علينا أن نشكك في صحه هذه الإفادات التاريخية لا من منطلق الصورة المؤمثلة لعمر ، فعلي مستوي الوعي الاجتماعي والظروف التاريخية فإن هذه الأوامر يمكن أن تكون قد صدرت عن

عـمر ، ولكننا نشـكك بها من منطلـق الواقع التاريخي ، فـالتـشريع الاسـلامي لـم يكتـمل بعـد(*) ، من جـهـة ، كـما أن الـدولة التي يناط بهـا مـسـألة الحق ، وبناء السلطات التنفيذية لم تـكتمل بعد وبالتالي فربما تحليل تاريخي للنظام الاجـتماعي في هذا العصر والرصـد التاريخي قد يكشف بان هذا التشـريع ليس من سُنَّة عمر كون الدوله الإسلامية لم تستقر بعـد . أما علي مستوي الوعي التاريخي والحقوقي فإن هكذا تشـريع يمكن أن يصدر عن عـمر تمامًا ، ذلك أنه كـان قائد مجـتمع و إن كان قائمًا علي العصبية إلا انه كان يسـعي لبناء مجتمع علي أساس الجماعة الدينيه وبناء دولة علي أساس نظام ديني يعني إنتاج منظومة حقوقيـة ظالمة وغير متسامحة مع العقائد الآخري .وقـد عزي لعمر بن الخطاب علي مستـوي الرواية التاريخية ، كـمـا عـزي له قول فـي أهل الكتـاب :" سـموهم ، ولا تـكنوهم ، وأذلوهـم ، ولا تظلمـوهـم، واذا جمـعـتكم وأياهم طريق فألجـئـوهم إلى أضيـقهـا " (ابن عسـاكر) وهو(**) سلوك ممكن تاريخيًا أكثر بعهد عمر بن عبد العزيز كون الدولة قد أخذت شكلها شبه الناجز . (السيرة المتوارية ١٧٩)

(*) نختلف مع مـؤلف السيرة المتـواريةونرى اكتمـال التشريع الإسـلامي النصي أي المرتبط بالنص القرآني بـنهاية نزول القـرآن أما التشـريع الفقـهي فهـو مستـمر حـتى يوم القيـامة .. وأن توقف الإجتهـاد منذ حوالي ألف عام لا يعني جمود الدين إلا إذا عـاد المسلمون للاجتهاد الفـقهي مرة أخرى بدلاً من التطفل الدائم على الفقه القديم حتى الآن (=المؤلف).

(**) تلك كانـت سـلوكيات الدولة الإسـلامية تجـاه سكان الدول المسـتـولى عليها الذيـن بقوا على ديانتهم الأصلية خاصة إذا كانوا من أهل الكتاب (يهـودًا ومسيحيين) ويراها البعض أنها تأصيل فقهي لكيـفية التعـامل معهم ومازالت السلفيـة المتشددة إلى الآن ترى ذلك دسـتـورًا لها سواء لو حصلت على الـسلطة السياسـية أم بقيت فـي الظل السياسي وأصـبحت منهـجية تعـامل فردي وجماعـاتي للأغلبية ضد الأقليـات المختلفة معهم دينيًـا في كثير من الدول القـائمة على أساس ديني (=المؤلف).

عمر ضد الرشوة والفساد

شكل عمر بسلوكه الخاص عقبة في وجه تصاعد النفوذ القرشي إذا كان حدد نصيبه (= مرتبه) من النفقات من مال المسلمين وفق نفقه الرجل المتوسط " كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم " ومن هنا تحركت لزعامة القرشية لمحاولة إيجاد مدخل لإفسادة عبر إبنته حفصة (= أم المؤمنين) لكي تقنعه بأن يوسع علي نفسه ما ضيق عليها فقال لها عمر " ياحفصة بنت عمر نصحت قومك ، وغششت أباك ، إنما حق أهلي في نفسي ومالي ، فأما في ديني وأمانتي فلا " وكان عمر لا يقبل الهدايا ويعتبرها رشوة أو وسيلة مقنعه لذلك ..

وتأتي رواية لتضيف بأنه قام فخطب الناس وحرم الهدايا علي الولاة والقضاه منها رواية تقول أن رجلاً كان يهدي لعمر فخذ جمل (=جزور) إلي أن جاءه ذات يوم بخصم للقضاء علي يد عمر وطلب منه أن يفصل بينهما كما "يفصل الفخذ من سائر الجزور " وكرر الرجل قوله ، مما دفع عمر إلي أن يقضي عليه ، وكتب إلى عماله " أما بعد فاياكم والهدايا ، فإنها من الرشا).

كما أوصي بن مسعود بعدم قبول الهدية قائلاً "إياك والهدية وليست بحرام ولكن أخاف عليك الدالة " (إبن أبي الحديد المعتزلي ٨/ ٣١٤) .

وفي رواية.أخري أن أبا موسي الأشعري أهدي عائلة زوج عمر _ بساطًا ، فلما علم عمر أخذها فضرب به رأسها ، وردة إلى أبي موسي بعد أن ضرب رأسه به أيضًا (ابن سعد في الطبقات ٣/ ٣٠٨، ابن عساكر ، الفاروق ٣٢) ويبدو أن أبا موسي

تمكن في مناسبة أخري من إحداث اختراق ذلك أن ابني عمر : عبد الله وعبيد الله كانا في جيش إلى العراق فلما وصلا نزلا بالبصرة وذهب إلى ابي موسي الأشعري وهو أميرها الذي عرض عليهما أن يحملا إلى أبيهما مالا من الخزينه فيشتريا به متاعًا من العراق يبيعانه بيثرب ثم يؤديان رأس المال ويكون لهما الربح ، فلما علم عمر ،سألهما مستنكرًا هل أسلف (= قام بتسليف) جميع المقاتلين ؟ ثم أمرهما أن يؤديا المال وربحه ورفض عمر اقتراحًا بتعيين بن عبد الله واليًا علي الكوفه برغم إنطباق الشروط عليه وهي القوة والأمانة والإسلام .

صدام الفاروق مع قريش

رغم أن عمر استمد قوته من العصبيه القرشية وإن كان بشكل غير ظاهر إلا أنه كان يعادي قريش لأصوله المتواضعة بينهم من بني عدي كما أسلفنا وذلك ما دفعه في الشدة والقسوة لإخضاعهم حيث هبطت ثروات ضخمة علي قريش بعد عمليات الحروب والتوسعات الخارجية وكان وصول هذه الثروات يجعل قريشًا تستأثربها بإعتبارها صاحبة العصبية التي تقود الحركة الاسلامية فبدأ عمر في تثبيت غرور واستعلاء القرشيين ومع تسلم عمر زمام الخلافه (= إمارة المؤمنين) كان الوضع الهرمي (= الهيراركي) أو القبلي قد تعرض لهزة معنوية ، فإذا كانت قريش قد دعمت أبو بكر ولا حقًا عمر ، إلا أن زعامات الأسر النافذة كان متململة من سيطرة عمر ، بسبب تربع عمر علي السلطة وهو ينتمي اجتماعيا إلى البطن الأضعف ، صحيح أن التوازن الداخلي هو الذي دفع بأبي بكر وعمر لاحقًا لتبوء سدة الحكم إلا أن الرفض النفسي كان مسيطرًا علي قريش ، وقد كانت الأحداث بخطوطها العريضة لصالحها ، أما في التفاصيل فقد كان عمر متعصبًا لزعامات

قريش ، فعندما اشتكي مكيون من أن أبا سفيان قد ابتني داراً بمكه فضيق عليهم الوادي ، وسيل عليهم من الوادي ماء ، جاءه عمر ، وعدّل من البناء حيث طلب منه رفع أحجاراً ، وقد علّق :" الحمد لله الذي أذل أبا سفيان بأبطح مكة "(تاريخ عمر ١٥٠) أو حسب عبارة أخري :" الحمد لله الذي جعل عمر يامر أبا سفيان ببطن مكه فيطيعه "(تاريخ عمر ١٥١) وكان أبو سفيان بن حرب سيد عبد مناف بمكه لذا فإن عمر في فترة حكمة كان يصفي حسابًا مع قريش بالتضييق علي الشخصيات القرشية بحيث لا يسمح لها بالتفرد بالقيادة أو استثمار النفوذ السياسي لها ماليًا أو الإقتصادي سياسيًا وأعلن أنه يخاف علي " هذه الأمه إنتشار قريش (عبقرية عمر ١٥٩) وقال " أن قرشيًا يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عبادة ، ألا فأما وابن الخطاب حي فلا ، إني قائم دون شعب الحرة ، وآخذ بحلاقيم قريش وحجرها أن يتهافتوا في النار "(تاريخ الطبري ٢/ ٦٧٩).

ويقول مالك مسلماني ص ١٨٦ : إن هذا التسويغ هو صياغة لاحقه ، فعمر لم يكن يقف ضد قريش نتيجه لهذا الوعي السياسي _ الاقتصادي المتقدم وهو فوق مستوي عصره ، كما أن المحدد العصبي القبلي - وأهميته الكبيرة - كان لا يسمح لعمر بذلك ، كان موقف عمر يصدر عن مشاعر الطفولة المعادية لقريش، لكن ذلك لم يحل دون التتابع المطرد لهيمنة قريش علي الحركة الإسلامية ومن ثم علي دولة في سبيل التشكل ورغم ذلك كان عمر علي وعي بالسيرورة التاريخية ووعي تام بالهيمنه العصبية لقريش ومن الواضح أنه كان يقدر قريشًا حق قدرها وذلك أن عقبة عمر في وجه قريش لم تمنع من الناحية التاريخية تطور قريش وفق مقتضي التطور الموضوعي التاريخي بيد أن هذه العقبة كانت بشكل ما نفسيه وحتي قيل "لم يمت عمر بن الخطاب . حتي ملّته قريش " (إبن أبي الحديد المعتزلي ١/ ٣٦٩) .

الفصل الحادي عشر

لمحات من كرازة بولس واستشهاده

من آسيا إلى أوروبا

أزمع يوم الرحيل فأخذ بولس سيلا معه، وكان هذا يهودي المولد روماني الجنسية مثل بولس. وسافر الاثنان يطويان الطريق قدمًا(*).

من سوريا سافرا إلى طرسوس، ومنها إلى الطرق الرومانية عبر «أبواب كيليكية» إلى الهضاب الشمالية ليصلا إلى دربة ولسترة في جنوبي آسيا الصغرى و«أبواب كيليكية» كما كانت تعرف قديمًا هي معابر في الجبال بين سوريا وآسيا الصغرى، وكانت أسهل المنافذ بين القطرين.

قضي بولس وسيلا في هذه الرحلة أيامًا طوالاً، وكان ذلك في ربيع سنة ٥١ ميلادية على أرجح الأقوال . وكانا في كل مدينة يجمعان الأخوة إليهما ويشددانهم ويزفان إليهم قرار مجمع أورشليم.

ثم يصلان في رحلتهما إلى مدينة لسترة حيث خال القوم بولس إلهًا فعبدوه، ومالبثوا أن انقلبوا عليه فرجموه. وهناك يلتقي بولس بتيموثاوس الشاب المتنصر.

وبعد أيام قلائل في لسترة أنطلق الثلاثة- بولس وسيلا وتيموثاوس _ إلى

(*) تقيدنا في النص بمؤلفي «بولس الرسول» للأب متى المسكين و«سيرة بولس الرسول» لحبيب سعيد وسفر أعمال الرسل بالعهد الجديد (=المؤلف).

أيقونيد ومنها إلى إنطاكية بسيدية لتشديد الجماعات المسيحية الفتية الناشئة والأرجح أن في أيقونيد اختتن تيموثاوس ولم يكن بولس مناقضًا نفسه بنفسه في هذا الفعل كما نتوهم لأول وهلة، حين نراه هنا متشددًا في إجراء الطقس اليهودي. ولكنه كان على وشك أن ينطلق إلى مدائن تقطنها جماعات يهودية فلم يردان يعثرهم باتخاذه رفيقًا أغلف غير مختتن حسب شريعة موسى. وفي نظرة لم يكن الختان شيئًا، ولم تكن الغرلة شيئًا، ولكنه يقول «صرت لليهود كيهودي لا ربح اليهود، وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لا ربح الذين تحت الناموس. وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس... لا ربح الذين بلا ناموس».

ومن إنطاكية بسيدية تفرعت أمامهم الطرق الرومانيد إلى مختلف الأنحاء في ولايات آسيا الصغرى، ولكن وازعًا داخليًا، وهاتفًا روحيًا كان يسوقهم للاتجاه غربًا.

انطلقوا إلى ولاية بثينية على مقربة من سواحل بحر مرمرة، ولكنهم أحسوا ذلك الهاتف الروحي يدعوهم إلى أبعد من ذلك غربًا. ولما بلغوا «ميسيا» إزداد يقينهم أن روح المسيح يسوقهم إلى مكان آخر «وبعد ما اجتازوا في فريجية وكورة غلاطية منعهم الروح القدس أن يتكلموا بالكلمة في آسيا».

شخص الثلاثة غربًا طوعًا لإرشاد الروح وهبطوا من الهضاب المرتفعة إلى المواطئ، حتى أطلوا أخيرًا على البحر الذي يفصل آسيا عن أوربا، وهو بحر لا يربوا اتساعه عن مائة ميل.... ولمح الرسول في غبش الأفق جبال أوروبا في العبر الآخر، واتجهت الأنظار صوب سهول ترواس...

وفي الصباح يبكر الثلاثة ويطوون فراشهم ويحزمون أمتعتهم ثم ينزلون إلى سفينة في ميناء ترواس لتقلع بهم إلى نيابوليس ميناء مكدونية.

كان الرفيق الرابع طبيبًا شابًا، هو لوقا كاتب بشارة الإنجيل(*) وكاتب سفر الأعمال، وكان هذا أمميًا يونانيًا من عبدة الإله أبولو، إله الشفاء. ولسنا ندري أصل التعارف بينه وبين بولس، ربما كان يعرفه من قبل، أو ربما التقى به لأول مرة في ترواس، أو ربما استدعي كطبيب لمعالجة بولس من «شوكة» الجسد التي كانت تبرح به الفينة بعد الفينة. وليس يعنينا من هذا كله إلا أن لوقا رافق بولس وصحبه في ترواس، وهو يسجل ذلك في كتابه «سفر الأعمال» إذ يتبدل الكلام من صيغة الغائب إلى صيغة المتكلم الجمع «فاقلعنا من ترواس وتوجهنا بالإستقامة إلى ساموثرا كي وفي الغد إلى نيابوليس» .

ويذهب «السر وليم رمساي» إلى أن الشخص المكدوني الذي ظهر لبولس في حلم لم يكن إلا لوقا نفسه. وذلك لأنه يكن لأهالي مكدونية أيامئذ زي خاص يميزهم عن سواهم، والأرجح أن يكون بولس قد عرف الشخص الذي ظهر له في المنام معرفة شخصية ، وتمثله يدعوه إلى وطنه.

ثم هل كان لوقا مسيحيًا من قبل، أو اعتنق المسيحية على يد بولس في ترواس؟ لسنا ندري ، فإن شيئًا ما أطبق شفتي البشير فلم ينطق، وهو بطبيعته مؤرخ مقتصد في أقواله يذكر الحقائق عارية دون أسهاب أو تفصيل، وحسبنا أنه

(*) ذكرنا أن الأناجيل في أصلها طبقًا لرواية أصحابها وليست من كتابتهم أي أن الكتبة غير معروفين (=المؤلف).

صار فيما بعد للرسول بولس «لوقا الطبيب المحبوب» والزميل الأمين الذي بقى رفيقًا للرسول الشيخ إلى المنتهي : «لوقا وحده معي».

ولم تكن المراكب الشراعية الصغيرة تسافر ليلاً أيامئذ، فألقت السفينة مرساتها عند الغروب في جزيرة ساموثراكي، وفي الصباح الباكر أقلعت إلى نيابولس فبلغتها عند الظهيرة . ونزل الركاب منها إلى الميناء، وربما كان بينهم نفر من كبار الجند الروماني وطغمة من الكهنة في طريقهم إلى رومية. وربما كان فيها أيضًا تجار يحملون السلع المجلوبة من بلاد فارس وجزيرة العرب كالأبسطة والشاش الرفيع والطيور والتوابل ، عدا العبيد الأرقاء.

ونزل بولس وصحابته وصعدوا في طريق مسيرة اثني عشر ميلاً إلى مدينة فيلبي التي هي أول مدينة في مقاطعة مكدونية.

هكذا تعبر المسيحية من آسيا إلى أوربا، من الشرق إلى الغرب، على أيدي أربعة من دعاتها، ينزلون مدينة فيلبي في هدوء، لا يلحظهم أحد.

في فيلبي

دخل الدعاة الأربعة مدينة فيلبي في ولاية مكدونية، المدينة التي أسسها فيليب أبو الإسكندر المقدوني ونسبها إلى نفسه.

وكانت فيلبي في عصر الرسول مستعمرة معادلة لرومية ذاتها في حكمها وإدارتها ، وقد أقطعت أراضيها للجنود البواسل من أبناء الرومان جزاء ما أبلوا في الخدمة العامة. وأضفى عليهم وأنسالهم من بعد مزايا الرعوية الرومانية مثل أهل رومية أنفسهم. وكانت فيلبي- مدينة حصينة بها ثكنة للجنود، وعلى رأس حكومتها إثنان من الولاة Practors أشبه برومية ذاتها.

بقي بولس وسيلا وتيموثاوس ولوقا، في فيلبي أيامًا, وكان غالبية سكان المدينة من اليونان والرومان وبها إقلية ضئيلة من اليهود، لم يكن يسمح عددهم بتشييد مجمع على غرار المجامع اليهودية، فقنعوا ببناء مؤقت للعبادة شيدوه خارج أسوار المدينة «عند نهر حيث جرت العادة أن تكون صلاة» .

وفي يوم السبت إنطلق الأربعة إلى ذلك المكان الهادي، حيث اجتمع لفيف من النساء، بينهن واحدة دون السفر المقدس إسمها «ليدية بياعة أرجوان من مدينة ثياتيرا» وهي مدينة في آسيا الصغرى مسيرة ثلاثة أو أربعة أيام جنوبي ترواس بشرق وكانت «ليدية» هذه تاجرة تبيع الثياب والمرجح أنها كانت أرملة إذ ورد ذكرها كربة البيت وصاحبة التجارة، وربما كانت في أيام شبابها من عبدة أبولو، إله الشمس، وديمتر إلهة القمر، وهما معبودًا أهالي ثياتيرا. ثم رغبت فيما بعد عن عبادة الآلهة الوثنية، وعبدت الإله الواحد الذي عبده اليهود.

أصغت هذه السيدة إلى بولس وهو يتكلم ، فآمنت بالمسيح «واعتمدت هي وأهل بيتها» من بنين وعبيد في مياه النهر، ودعت الرسل إلى ضيافتها في منزلها.

وكان في فيلبي كثير من العبيد بينهم فتاة لم يحسن سادتها معاملتها فاستخدموها أداة لجر مغانم مادية. وكانت الفتاة عصبية يعتريها أحيانًا نوبة من الصرع تتمتم فيها ألفاظًا غريبة، وظن القوم أن بها مقدرة على الأنباء بالمستقبل.

ويقول كاتب سفر الأعمال «وحدث بينما كنا ذاهبين إلى الصلاة أن جارية بها روح عرافة استقبلتنا وكانت تكسب مواليها مكسبًا كثيراً بعرافتها» وقد لجأ الكاتب إلى الاصطلاح اليوناني المألوف في ذلك العصر «روح عرافة» لوصف من كان على شاكلة تلك الفتاة.

ثم نرى كاتب سفر الأعمال يتحدث بلغة القوم في تدوينه هذه الواقعة التاريخية ويومًا كان بولس وصحبه ذاهبين إلى مكان العبادة عند ضفة النهر فركضت الفتاة وراءهم وصاحت بهم «هؤلاء الناس هم عبيد الله العلي الذين ينادون لكم بطريق الخلاص». ولسنا ندري ما الذي قصدته الفتاة بهذا القول، فقد كانت بلاشك مختلطة العقل، مضطربة الأعصاب، سقيمة الوعي بما ظنته في نفسها من قوى خارقة للطبيعة، ولعلها سمعت بعض الأقوال التي تفوه بها بولس فامتزجت هذه بخيالاتها السقيمة المضطربة، وراحت تهذي بأقوال لم تدر معناها.

ظلت الفتاة المريضة تردد هذا النداء أيامًا كلما رأت الرسل في الطريق حتى مل بولس سماعها وضجر من صياحها «والتفت إلى الروح وقال: أنا آمرك باسم يسوع المسيح أن تخرج منها فخرج في تلك الساعة».

وحين عرف موالي الفتاة أنها لم تعد تلك البقرة الحلوب، وحين عرف أهل المدينة أن الروح الذي ركنوا إليها في بعض الشئون قد فارق الفتاة إلى غير ردة هاجوا وماجوا، وتألبوا على بولس وسيلا وجروهما أمام ولاة المدينة، حين كانا جالسين على مقاعد من الرخام، فوق منصة مرتفعة في باحة السوق، ووقف حول الواليين حراس «جلادون» لتنفيذ الأوامر والأحكام ، وامسك كل حارس برزمة من العصى في وسطها فأس صغيرة، شعاراً لرهبة الوالي وسطوته.

وأدرك القوم أن اتهام بولس وزميله بإخراج الروح الشرير من الفتاة لا يشفع لهما في التماس العقوبة، فداروا ولفوا وراوغوا وكذبوا، واتهموها بالثورة على النظم الدينية والمدينة: «هذان الرجلان يبلبلان مدينتنا وهما يهوديان ويناديان بعوائد لا يجوز لنا أن نقبلها ولا نعمل بها إذ نحن رومانيون».

بالأمس كـان أعـداء بولـس من اليـهـود بني جلدته، أمـا الـيـوم فتراهم من الوثنيين شركائه في وطنيته، تهجم اليهود عليه حين مس دينهم، وقام الوثنيون ضده حين مس جيوبهم.

ويقـول المؤرخـون أن الإمبـراطور كلوديوس كـان قـد أمر فـي تلك السنة (٥٠ميلادية) بطرد جميع اليهود من رومية. وطبيعي أن يثير هذا القرار روح العداء ضدهم في كل أنحـاء الإمبـراطورية ، ولم يكن الوثنيون ليـميزوا بين اليـهـود وبين المسيـحيين في ذلك الزمن، لذلك كـان هينًا على أهالي فيلبي أن يشنـوا الغارة على الرسل، وكـان هينًا على الولاة أن يحـملوا في هذا التيـار الجارف. فـعـروا بولس وسيلا عـن ثيابهما، وربطوهمـا إلى سارية الجلد، وأوقعوا عليـهما ضربات عنـيفة اليمة. ثم أودعـوهما السجن وأوصوا حارسه أن يحكم الرقـابة ويمعن في القسوة. وعملاً بالوصية ألقاهما الحارس «في السجن الداخلي وضبط أرجلهما في المقطرة) وكانت السـجون يؤمئـذ غيرها اليـوم، خلايا وبيئـة رطبة باردة، حـرمت كل منافذ النور، ثـم سلاسل غشيمة تصـدأ في أذرع الأساري وأرجلهم، ومقاطر تضغط على أضلاع دامية، فتعذب الأجساد وتزهق الأرواح.

جُلد بولس وسـيلا حـتى سالت الدمـاء، ثم زجـا في خبـايا داخلية مظلمـة تتـصاعد مـنها الرائحـة الكريهة الخـانقة، وضـغت مقطرة قـاسيـة على أرجلهـما، وربطت أصفاد حـديدية إلى أرساغهما، واتصلت هذه الأصـفاد بسلسلة من حديد أحكمت في جدار السجن. فما أعظم الفارق بين الأمس واليوم، بين المكان الهادئ حيث علما الناس على ضـفة النهر، وبين هذه الخلية الضيقـة الخانقة. ولكن بولس كان قد روض نفـسه على «أن يكون مكتفيًا بما هو فيـه» كما كتب في رسالتـه فيما

بعد إلى أهل مدينة فيلبي. وحسب نفسه «مستأهلاً إن يهان من أجل اسم المسيح» وافترض أن بولس قد استذكر يومئذ كيف كان مضطهداً فزج الأبرياء في السجون المظلمة وأحسبه شكر الله أن يُكال له الآن بالكيل الذي كال به للآخرين.

وذلك لأن سكونًا رهيبًا ساد فيلبي في منتصف الليل، أشبه بالسكون الذي يسبق العاصفة الهوجاء، ثم ارتجت الأرض بأصوات كالرعد القاصف، وارتجفت جدران السجن وتشققت، وتساقطت السلاسل الحديدية المثبتة في الجدران، وانفكت المقاطر، وانحنت عوارض الأبواب، وسقطت قضبانها، واستولى ذعر مخيف على المسجونين فلم يفكر أحد منهم في الهرب...

واستيقظ حارس السجن مذعوراً على صوت ارتجاج الأرض وتساقط القضبان وظن أن المسجونين هربوا، ولاحت له أول فكرة تخطر ببال قائد روماني يحرص على شرفه العسكري ، أن يقضي على نفسه بيده، لأن القانون الروماني يحكم بالموت على الحارس الذي يفرط في واجبه.

«ولما استيقظ حافظ السجن ورأي أبواب السجن مفتوحة استل سيفه وكان مزمعًا أن يقتل نفسه ظانًا أن المسجونين قد هربوا».

وقد اشتهرت فيلبي بحوادث الانتحار فيها، فهنا لم يقو كاسيوس الروماني على احتمال الهزيمة فأخفى وجهه في الخيمة الخاوية وأمر تابعة أن يهوي على عنقه بالضربة القاضية، وهنا آثر رفيقه تيتانيوس أن يكون «رومانيًا» فحذا حذو زميله ، وهنا ودع بروتوس رفاقه «ليهرب لا على قدميه بل على يديه» وقضى(*) غيره كثيرون من الأبطال، وختموا جهادهم بالدم في سبيل الجمهورية.

(*) قضي: مات (=المؤلف).

أما حارس السجن فلم يجهز على حياته، لأن صوت الرسول ناداه أن لا تسئ إلى نفسك «لأن جميعنا ههنا» وإذ سمع هذا الصوت الصارخ أمر بإحضار المصابيح وأخذ رجاله يقيدون المسجونين الذين فكت قيودهم. ثم سارع إلى بولس وسيلا وسقط عند رجليهما، وأكرمهما بأن حل وثقهما وأخرجهما، ربما إلى فناء السجن.

وقد آمن ذلك الحارس ، شأن بني قومه في عصره، أن الزلزلة علامة غضبة من أحد الآلهة، وربما خشى أن ينتقم منه الإله الذي عبده بولس بسبب إيداعه إياهما غيابة السجن الداخلية، أو ربما يكون قد سمع صياح الفتاة الصاخبة التي كانت تصرخ «هؤلاء الناس هم عبيد الله العلي ينادون لكم بطريق الخلاص» فود أن يصون نفسه ويقيها غضب الآلهة، لذلك تقدم إلى بولس وسيلا قائلاً: «ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟».

والذي توقعه الحارس أن يؤمر بإهداء تقدمه أو نحر ذبيحة أو حج لبعض الأماكن المقدسة، ولكن جواب بولس كان رائقًا صافيًا:

«آمن بالرب يسوع، فتخلص أنت وأهل بيتك».

وراح بولس بعد ذلك يشرح له أن «طريق الخلاص» ليست إتقاء أذى الشياطين، ولا الصيانة من الأمراض والمصائب، إنما هي الاطمئنان إلى يسوع الذي ينقذ من الخطية، ويطهر القلب، فيغلب الشر بالخير.

قبل الحارس وآل بيته هذه الدعوة ثم استحضر ماء وزيتًا وغسل الجراحات التي أصابت بولس وسيلا من الجلد الوجيع. وبعد ذلك اعتمد وأفراد أسرته على

يد بولس بالماء تيمنًا وتفاؤلاً بغسل الخطايا وانسكاب نعمة الله عليهم، وقبلوا في عداد تلاميذ المسيح الأوفياء.

وفي الصباح الباكر حمل الجلادون إلى حارس السجن رسالة من الولاة أن أطلق الرجلين. فاغتبط الحارس لهذا النبأ، وهرول ليبلغه إلى صديقيه، ولكن بولس وقف موقف الرجل المعتز بكرامته، الواثق من براءته ، فقال:

كلا ! فإنا لا نخرج لقد ضربنا الولاة جهرة أمام أعين الناس دون محاكمة أو تحقيق مع أنا من الممتازين بالرعوية الرومانية، ثم أودعونا السجن الأليم ويريدون الآن إطلاقنا سرًا؟ هذا لن يكون ليجئ الولاة أنفسهم إلى هنا وليقدموا اعتذارًا عما فعلوا بنا!

وحمل الجلادون الرسالة إلى الولاة فتولاهم ذعر واضطراب أن أحسوا أنهم تعدوا على القانون الروماني في جلدهم رومانيين وعرفوا أنه من حق المحكوم عليهما رفع مظلمة إلى رومية للمطالبة بعزل الولاة ، ولذلك أسرعوا إلى السجن وأطلقوا البريئين أحرارًا.

وشخص بولس وسيلا توًا إلى دار ليدية، ولكنهما لم يبقيا هناك وخشية حدوث الفتنة وطوعًا لا مر الولاة انطلقا من المدينة وسارا غربًا في الطريق العام إلى تسالونيكي ليذيعا فيها طريق الخلاص.

أما لوقا وتيموثاوس فقد بقي وراءهما في فيلبي لأنهما لم يطرحا معهما في السجن. ويبدو لنا هذا واضحًا من استبدال صيغة المتكلم بصيغة الغائب في الرواية التي دونها لوقا في سفر الأعمال. على أنا سنرى فيما بعد أن تيموثاوس يلحق

بولس في بيريد، أما لوقا فيبقى طويلاً في فيلبي، ربما لممارسة مهنة الطب، ولا يزامل بولس إلا في رحلته الأخيرة إلى أورشليم بعد هذا التاريخ بست سنوات .

وإن إقامة بولس في فيلبي وسجنه وإطلاق سراحه، لتصور لنا بألوان صافية ما كان عليه الرسول الأكبر من صحة في الحكم، ورجاحة في العقل، وصبر في الضيق، واعتصام بالكرامة، فقد كان يسيراً عليه أن يهرب وزميله تحت جنح الليل، وفي وسط اضطراب الزلزلة، ولكنه لم يفعل هذا صونًا لقوة رسالة الإنجيل وإبقاء على حياة ذلك الحارس المسكين، وتقديما للمثل الصالح أمام المسجونين الآخرين، وكان أثره فيهم أشبه بقوة تأثيره على بحارة السفينة التي غاصت به في إحدى سفراته كما سنرى فيما بعد.

ثم لم تخل الصورة من الصفح السمح الكريم، فكان في مقدوره أن يخلق المتاعب للولاة الذين خرقوا القانون الروماني بإهانته وضربه، ولكنه اكتفى بمجيء الولاة أنفسهم لإخراجه من السجن. وبعد إطلاقه لم يهرول هاربًا ولكنه احتفظ بكرامة الرجل البرئ الواثق من عدالة قضيته، فذهب أولاً إلى دار ليدية ليودع الإخوة، ويشدد عزائمهم، ويكل الكنيسة الفتية إلى من توسم فيه الزعامة والغيرة ربما إلى لوقا «الذي مدحه في الإنجيل» وهذا أفضل إطراء له، أما هو فلم يمتدح نفسه في شيء ولم يشر بكلمة إلى جهوده وخدمته، وأن استطعنا فقط أن نتتبع حركاته وسفرائه بطريق الاستنتاج من تغيير «الضمائر» في سرد القصة، أو تبديل في أسلوب الرواية من حيث الإسهاب حين يكون شاهد عيان، والاقتضاب حين يكون مؤرخًا راويًا.

من ثم يخرج بولس وسيلا من فيلبي....

إلى أثينا

انطلق بولس وسيلا من فيلبي في الطريق الروماني فوق أكتاف التلال حتى بلغا «أمفيبوليس» بعد مسيرة ثلاثين ميلاً، حيث تفرعت من هناك طرقات تسع، اتخذا منها الطريق المؤدي إلى مدينة «أبولونية» الذي ارتفع بهما تارة فوق ذري التلال وهبط أخرى إلى بطون الأودية، مسافة ثلاثين ميلاً أخرى. ولسنا ندري لم لم يدخل الرسولان إحدى المدينتين، واجتازاهما حتى أتيا إلى المدينة التي تدعي الآن «سالونيك» والتي عرفت في عصر الرسول بولس باسم «تسالونيكي» ولاشك إنهما استراحا في بعض مراحل الطريق، ولكن الظاهر إنهما جعلا «تسالونيكي» قبلة أنظارهما من بدء الرحلة، ربما لأن بها مجمعًا لليهود كما يقول السفر المقدس.

وكانت تسالونيكي ، وما تزال أكثر المدائن اليونانية سكانًا، وأشرف على إدراتها يومئذ حكام مستقلون لهم الحق المطلق في إصدار أحكام الحياة والموت. أما ميناؤها فكانت مكتظة بالسفائن الغادية والرائحة.

وإذ يدخل الرسولان المدينة، يبحثان قبل كل شيء عن مقام يأويان إليه. ثم يشرع بولس في عمله اليدوي لإعالة نفسه عند خيام أو في مكان مستقل. وبعد هذا التاريخ بأشهر قلال يكتب رسالته إلى أهالي هذه المدينة فيقول: «تذكرون أيها الإخوة تعبنا وكدنا، إذ كنا نكرز لكم بالإنجيل ونحن عاملون ليلاً ونهارًا كي لا نثقل على أحد منكم ... ».

وفي يوم السبت كان يغلق حانوته، ويذهب إلى مجمع اليهود «حسب عادته» وأغلب الظن أن زعماء المجمع وقادته استمعوا في باديء الأمر مغتبطين إلى

عالم من أحبارهم تتلمذ لغمالائيل وقد حدثهم بولس عن المنقذ الذي تألم وقام من الأموات، يسوع المسيح، وكثيرون منهم لم يفهموا هذه الفكرة وترقبوا المنقذ ملكًا أرضيًا عظيمًا يجيء في موكب النصر والفخار، لا إنسانًا فقيرًا يذيقه والٍ روماني ميتة العار. ولكن بولس حاجّهم بذلاقة لسانه وسداد منطقه مثبتًا لهم أن ملك المسيح ملك سماوي غير منظور، وأن أسفار اليهود المقدسة أنبأت بمجيء المنقذ الذي يتألم ويقوم واقتنع بمحاجته جمع كثير من اليهود واليونانيين المتعبدين والنساء المتقدمات.

قضى بولس في تسالونيكي ستة أشهر على قول بعض المؤرخين (من ديسمبر سنة ٥٠ ميلادية إلى مايو سنة ٥١ ميلادية) واكتسب في دعايته جمعًا غفيرًا من المؤمنين. والأرجح أن الكنيسة الفتية في تسالونيكي بزت كل كنيسة أخرى في سرعة تقدمها ، حتى لنرى بولس يكتب إليها رسالته الأولى بعد شهرين من هذا التاريخ مغتبطًا فخورًا فيقول: «لأنه من قبلكم قد أذيعت كلمة الرب ليس في مكدونية وأخائية فقط، بل في كل مكان أيضًا قد ذاع إيمانكم بالله».

ولكن اليهود غير المؤمنين استشاطوا غيظًا حين يرون أتباعًا كثيرين يقبلون دعاية بولس، ولذلك يجمعون «رجالاً أشرارًا من السوقة» ويسوقونهم إلى بيت «ياسون» حيث كان يقيم بولس وسيلا. ولما لم يجدوا بولس هناك ينتزعون صاحب الدار ويجرونه وبعضًا من رفاقه إلى مجلس الحكم [illegible] صاخبين: «إن هؤلاء الذين فتنوا المسكونة ، حضروا إلى ههنا أيضًا وقد قبلتهم «ياسون» وهؤلاء كلهم يعملون ضد أحكام قيصر قائلين أنه يوجد ملك آخر إسمه يسوع».

في فيلبي يتـهمهم الوثنيون أنهم دعـاة اليهودية، وأما هنا فيلصـق بهم اليهود تهمـة ما كرة خـبيثة، خـيانة قيـصر، وهي التهـمة عينهـا التي أقامهـا رؤساؤهم في أورشليم ضد المسيح من قبل.

وخيانة قـيصر، في وضع من أوضاعـها، تهمة شنيـعة يعاقب عليهـا القانون الروماني بأقصى عقوبة. ولذلك إنزعج الحـكام عند سماع هذا، ولكنهم كانوا أوفر حكمة من ولاة فـيلبي، فاكـتفوا بأن أخـذوا كفالة من ياسـون ورفاقـه كي يضمنوا كبت الفـتنة وتهدئة الحـال. ولعل الحكام أو عزوا إلى «ياسون» هـذا أن يعمل على إخـراج بولس وسيـلا من المدينة «وأمـا الأخوة فللوقـت أرسلوا بولس وسيـلا إلى بيرية».

خـرج بولس من «(تسـالونيكـي» التي لاحت له فـيـهـا بوادر الفـوز ولطالما اشتاقت نفسـه أن يعود إليها فيمـا بعد، ولقد عبر عن هذا الشوق بقـوله في رسالته لهم «وأما نحن أيها الأخوة فـاذ قد فقدناكم زمان ساعة بالوجـه لا بالقلب اجتهدنا أكـثر باشـتهـاء كـثيـران نرى وجـوهكم، لذلك أردنا أن نأتي إليكم أنا بولس مـرة ومرتين وإنما عاقنا الشيطان» ولسنا ندري ما الذي يقصده بولس من «الشيطان» في هذا الاصطلاح المجـازى، ولعله يـقـصد أهـل السـوقة مـن المدينة الذين وقـفـوا له بالمرصاد وحالوا دون بقـائه فيها بل لعله يقـصد المكيدة المحبوكـة الماكرة التي دبرها الحكام في أخذهـم الكفالة من «ياسون» بمثابة تعهد منه ألا يعود بولس إلى المدينة.

وكـانت هذه المكيدة الهـادئة المحـبوكـة في نظر بولس من أفـاعيل الشـيطان لعرقلة عمل الله.

سار بـولس وسيـلا في الطريق الروماني بضـعة أميـال وسط جنـات فيـحاء وسهول الحـنطة المنبسطة حول تسالونيكـي، وفي اليوم التالي عبـرا نهرين ثم سلكا طريقًا وعرة فوق الربى والتلال، حتى بلغا أخـيرًا مدينة صغيرة تدعى «بيرية» كانت تبعـد عن تسالونيـكي مسافـة خمـسين ميـلاً جنوبًا بغرب. «ولما وصـلا مضـيا إلى مجـمع اليهود، وكـان هؤلاء أشرف من الذين في تسالونيكي» ولـعلهم كانوا أنبل الجماعات اليـهودية التي لقيها بولس في كل رحلاته، فاصـغوا إلى أقواله، وراحوا يبـحثـون الكتب والنبوات ليستـوثقـوا صدق مـا يقول عن المنقـذ المتألم المقـام من الأمـوات. وآمن كـثيـرون منهم وكـذلك من اليـونانيين «ومن النـساء اليـونانيـات الشريفات».

وكان زميله تيـموثاوس قد لحق به إلى هذه المدينة من فيلبي التي تركه فـيها، وظلت الأمور تسـير في مـجراها الهاديء مـدى حين حتى بلغ مـسامع اليـهود في تسالونيكي، وهم الذين شنوا الغارة عليه في مـدينتهم ، أن أبناء جلدتهم ينصاعون إلى دعـوة بولس ويدخـلون في هذا الدين الجـديد، فـهـالهـم الخطب ، وسـاقـهم تعصبهم لأن يقطعوا الخمسين ميـلاً إلى بيرية ليثيروا ثائرة القوم هناك . وأما بولس والإخوة فلم يروا من أصالـة الرأي إعطاء فرصة للمشاغـبين ليتجنوا عليهم بتـهمة أخرى تجـرهم إلى المحاكمـة أمام الولاة. وكان يهـود تسالونيكي يضمـرون العداء الشديد لبولـس فمكثوا في بيرية أيامًا يـتربصون به، ولكن بولس وفريقًـا من أتباعه غادروها إلى ميناء على شاطئ البحر تبعد خمسة عشر ميلاً، وهناك نزلوا في سفينة

شراعية حملتهم إلى أثينا «وأما سيلا وتيموثاوس فبقيا هناك (أي في بيرية) والذين صاحبوا بولس جاءوا به إلى أثينا».

كان ثقيلاً على قلب بولس أن يضطر إلى مغادرة هذه المدن واحدة إثر أخرى، ولما يكتمل له تحقيق قصده، ولكن البذرة الصغيرة التي كان يغرسها في كل مدينة كانت تنمو وتتكاثر لتصبح فيما بعد دوحة وأرفة الظلال يستظل بفيئها كل من هرع إلى هذا الدين الجديد.

قضى في سفرته هذه زهاء ثلاثة أيام.

وأخيراً تبلغ به السفينة الخليج المؤدي إلى الميناء، فينزل بولس وصحابته ويتخذون طريقًا طوله خمسة أميال إلى أثينا الخالدة، التي أطلق عليها اسم إلهة الحكمة الإغريقية Athene.

دخل الرسول المدينة وجال في طرقاتها ووقع نظره على هياكلها وتماثيلها ومعابدها ومذابحها وأصنامها ، فهاله كثرتها «إذ رأى المدينة مملوءة أصنامًا» ولكن ذلك الجمال المادي المنثور لأن تفكيره سما فوق كل هذه المرئيات الباطلة، وارتفعت عيناه إلى مرأى الله والبر، وجمال الروح ، ومجد الحياة الخالدة، فرمق أولئك الإغريق، لا بعين الحسد ، بل بنظرة العطف والاشفاق.

وكان الرسول قد أرسل في طلب سيلا وتيموثاوس ليوافياه على عجل، وبينما كان في إنتظارهما «احتدت روحه فيه» وهو يطوف المدينة، وجذب نظره بنوع خاص مذبح قائم في إحدى الطرقات العادية كتب عليه «لإله مجهول» :

وكان في أثينا نفر قليل من اليهود ، هؤلاء لم يجدوا غضاضة في الاستماع إلى بولس وهو يكلمهم في المجمع، ولم يقتصر على اليهود فقط بل كان يكلم كل الذين يصادفهم في «السوق».

سمع بولس الفلاسفة يتحاورون فيما بينهم وكان قد سمع شيئًا من هذا الحوار في طرسوس من قبل، وهو الآن يرى نفسه في وسط معمعة كلامية فيلقي دلوه بين الدلاء. وأحسب القوم قد توسموا في ذلك الغريب شيئًا من طلاقة اللسان وقوة المنطق. ولكن حين حدثهم عن «يسوع والقيامة» ظنوه يكلمهم عن إلهين غريبين فقال بعضهم: «ترى ماذا يريد هذا المهذار أن يقول؟» ولكن آخرين قالوا: أنه يبشر بآلهة غريبة... لنأخذه إلى آريوس باغوس لعلنا نعرف ما هو هذا التعليم الجديد الذي يتكلم به ، وذلك «لأن الأثينيين أجمعين والغرباء المستوطنين ما كانوا يتفرغون لشيء آخر إلا أن يتكلموا أو يسمعوا شيئًا حديثًا» .

وكان مجلس أريوس باغوس هذا- أي المجلس البلدي _ من أقدم مجالس أثينا وأعرقها شهرة، انحصرت سلطته في الشئون الأدبية والدينية أكثر منها في الأمور القضائية ، وكانت له السلطة المطلقة على جامعة أثينا وله حق الترخيص للخطباء، فمن راقت تعاليمه لهم، سمحوا له بالمناداة بها، وإلا طردوه من المدينة...

أمام هذا المجلس وقف بولس، لا للفحص والمحاكمة ، كما ذهب بعض الشراح ، بل لابداء ما لديه من آراء وتعاليم جديدة. وكان الموظفون جالسين على مقاعدهم الرخامية، وأمامهم مذبح أثينا يتصاعد منه البخور، وحولهم فلاسفة الأبيقوريين والرواقيين، وافتتح خطابه بتلك العبارة المسطورة في الإنجيل الكريم:

«أيها الرجال الاثينيون....» وهي الكلمات عينها التي افتتح بها سقراط دفاعه عن نفسه قبل بولس بخمسة قرون.

وكان السامعون خليطًا من البشر، جلس بعضهم على مقاعد القضاة الرخامية وبينهم «ديوينيسيوس الأريوباغي» ووقف حولهم كثيرون من أساتذة أثينا وطلابها ، واليونايين الغرباء، ووقف بولس في الوسط. ولقد دون كاتب سفر الأعمال نتفًا مما قال بولس في ذلك اليوم. وكانت تلك المرة الثالثة والأخيرة التي دون فيها لوقا خلاصة ما ألقى بولس من خطب عامة في محافل رائعة.

وكان شعار بولس في بث الدعوة «صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قومًا» فنراه في أنطاكية بسيدية يسرد لليهود تاريخ إسرائيل ليستميلهم إلى دعوته، ونراه في لسترة يتحدث عن الطبيعة وإله الطبيعة ليجذب إليه الوثنيين الجهلاء، وهنا في أثينا مهد الحكمة والفلسفة ، ومهبط الشعر والجمال، نراه يجنح إلى النزعة الفلسفية في مقاله فيحدث القوم باللغة التي يفهمونها.

وقف الرسول وقفته المعهودة في الخطابة، وأشار بيده كعادته، ولعله كانت تبدو على جسمه مظاهر الضعف والهزال من فرط ما عاني من أعنات واضطهاد في المدن التي زارها، ولعل قسمات وجهه انبأت عن كآبة وقلق امتزجًا بعقيدة راسخة. وراح يعبر بفصاحة تتقد غيرة عن خلجات نفسه التي استقرت فيه مما رأته عيناه في أثينا . وكان الرسول في موقف حرج أمام فلاسفة وحكماء يزنون الكلام بميزان النقد المر. وكانت فلتة واحدة من لسانه تكفي لإيقاعه في شباك حائكة، وإثارة سخط المدينة كلها، فلو قد بدأ بالتهجم على آلهة القوم في مقادسهم وأمام حكماء وفلاسفة أريوس باغوس، لعرض نفسه لخطر الموت الذي ذاقه من قبل

سقراط العظيم، ولكن الرسول الأريب لم يتجنب الفخاخ فقط، بل قد اتخذ من حرج موقفه طريقًا لإقناع سامعيه، ولم يناد لهم بآلهة جديدة، بل خطا بهم رويدًا رويدًا من آلهتهم الكثيرة إلى الإله الواحد الذي يعبدونه وهم يجهلون.

«أيها الرجال الأثينيون أراكم من كل وجه كأنكم متدينون كثيرًا، لأني بينما كنت اجتاز وانظر إلى معبوداتكم وجدت أيضًا مذبحًا مكتوبًا عليه. لإله مجهول. فالذي تنقونه وأنتم تجهلونه، هذا أنا أنادي لكم به، الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه، إذ هو رب السماء والأرض لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي ولا يخدم بأيادي الناس كأنه محتاج إلى شيء إذ هو يعطي الجميع حياة ونفسًا وكل شيء. وصنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض. وحتم بالأوقات المعينة وبحدود مسكنهم لكي يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيدًا لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد، كما قال بعش شعرائكم أيضًا: لأننا أيضًا ذريته».

لم يجد حكماء أريوس باغوس غضاضة في سماع كل هذا، ولكن بولس معتزم أن يقول الحق، لا أن يداهن سامعيه، وعرف يقينًا أن الأقوال التي ستنفرج عنها شفتاه تعثر فريقًا من أنصار فلسفة الابيقوريين الذين آمنوا إلا فرق بين الخير والشر، وبين الصالح والطالح.

«فإذ نحن نريد الله لا ينبغي أن نظن أن اللاهوت شبيه بذهب أو فضة أو حجر نقش صناعة واختراع إنسان فالله الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا متغاضيًا عن أزمنة الجهل لأنه أقام يومًا هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل».

أراد بولس بعد ذلك أن يتـابع خطابه عن يسوع المنقذ وقيـامته وعن ملكوت البـر. ولكن هرجًـا سري بين صـفـوف السامـعين، وراح نفـر منهم يسـتهـزئون به ويسخرون منه عند ذكر «القيامة» ولكن آخرين كانوا أخف وطأة وأكثر ذوقًا فقالوا «سنسمع منك عن هذا أيضًا» أي فيما بعد.

بهذا انفرط عقد الاجتماع «وخرج بولس من وسطهم».

ولكن واحـدًا من أعضاء مـجلس «أريوس باغـوس» يدعي «ديونيسـيوس» اقتنع بصدق ما قال بولس، ولعله ذهب إليه بعد فـرط عقد الاجتماع للاستزادة من هذا التعليم الجديد، فأدرك أن يسوع هذا أعظم من كلا فلاسفة الإغريق وحكمائهم وصار تلميـذًا له. والتصق ببولس آخـرون ذكرت بينهم امرأة اسمـها «دامرس» لم يؤثر عنهـا أنها من «الشـريفـات» كمـا رأينا في مدن مـكدونية ، ولعل مـرجع هذا اختـلاف الحيـاة الاجتـماعـية في أثينـا عنها في مـدن ولاية مكدونية. فـإنه لم يكن ميسورًا لنساء المجتمع الراقي في أثينا الإستماع إلى خطيب غريب كبولس.

وربما نسى كثـرة القوم، بعد أيام قـلائل ، ما سمـعوه من بولس في «أريوس باغوس» وإن كانت الإقلية وعت منه شيئًا، فلم يكن في نظرهم إلا دفاعًا تناثر على لسان رجل غـيور يدعو إلى دين جـديد لا سبيل إلى قبـوله في أثينا، مدينة الثقـافة والعلم.

إلى كورنثوس

بقى بولس في أثينا أيامًا إلـى أن يوافيه تيمـوثاوس وسيلا، وكـان قد طلب من الإخوة الذين صـحبوه من بيـرية أن يبعثـوهما في غيـر إبطاء. وأغلب الظن أن

سيلا لم يوافه قط إلى أثينا ووفد إليه تيموثاوس فقط. ويؤخذ من رواية سفر الأعمال (ص١٨: ٥) أن سيلا وتيموثاوس انطلقا إليه بعد مغادرته أثينا إلى كورنثوس ولحقا به هناك قادمين من مكدونية ، ولكن بولس نفسه يقول في رسالته إلى تسالونيكي التي بعث بها أثناء مقامه في كورنثوس معبراً عن حنينه إلى أهل تسالونيكي، وعطفه عليهم، وغيرته على بقائهم أمناء لدعوته أبان الشدائد والمحن: «لذلك إذا لم نحتمل أيضًا استحسنًا أن نترك في أثينا وحدنا، فأرسلنا تيموثاوس حتى يثبتكم.... من أجل هذا إذ لم احتمل أيضًا أرسلت لكي أعرف إيمانكم... وأما الآن فإذ جاء إلينا تيموثاوس من عندكم... تعزينا».

ومعنى هذا أن تيموثاوس لحق ببولس في أثينا، فأرسله إلى تسالونيكي، ثم عاد إليه في كورنثوس.

غادر بولس أثينا إلى كورنثوس مسيرة خمسين ميلاً، ولم يك مضطراً إلى هذا بضغط من الحكماء أو ثورة من الدهماء ، بل ربما أحس بوازع نفسي حدثه أن ينطلق إلى كورنثوس عاصمة ولاية «أخائية»، حيث تلقى رسالة الإنجيل مرتعًا أخصب وألين من أثينا الغارقة في حكمتها العالمية وفلسفتها العقلية. ومن الحقائق البارزة أن أهالي المدن التجارية كتسالونيكي وكورنثوس قبلوا دعوة الله بأكثر استعداد من أهالي أثينا المثقفين المتفلسفين ، رسالتان إلى تسالونيكي وآخريان إلى كورنثوس، تشهد كلها على ازدهار الكنيسة في تينك المدينتين في صدر المسيحية، وليس بين أيدينا رسالة كتبها بولس إلى أثينا بل لم نسمع فيما بعد أنه زار أثينا مرة أخرى.

ولست أشك أن بولس غـادر أثينا كئيبًـا مهـمومًـا، يحمل منهـا بين جنبـيه ذكريات الإخفـاق في بث دعوته بين فلاسفـتها وحكمائهـا، وهو يردد صدى هذه الذكرى فيما بعد بقوله في أولى رسائله التي كـتبها بعد اختبار أثينا: «... العالم لم يعـرف الله بالحكمـة... ألم يجـهل الله حكمـة هذا العـالم... نحن نكرز بالمسـيح مصلوبًا لليهود عثـرة ولليونانيين جهالة، وأما للمدعوين فبـالمسيح قوة الله وحكمة الله».

وفي كورنثـوس يهجر الـنزعة الفلسفـية في دعوته التي لـم تؤت ثمارها في أثينا. ويردد صدى هذا الـشعور في رسالـته الأولى إلى كورنثـوس بقوله: «وأنا لم أتيت إليكم أيهـا الإخوة أتيت لـيس بسمـو الكلام أو الحكمة... لأني لم أعـزم أن أعرف شـيئًـا بينكم إلا يســوع المسيح واياه مـصلوبًا...وكلامي وكـرازتي لم يكونا بكلام الحكمـة الإنسـانـيـة المقنع، بل ببـرهان الروح والقـوة لكـي لا يكون إيمانكم بحكمـة الناس، بل بقـوة اللـه» وهو لم يقس في كـتـاباته الأخـرى على الحكمـاء والفلاسفة وأهل المنطق قسوته عليهم التي تبدت في دفاعه عن الطريقة التي اتبعها في بث دعوته بين أهـالي كورنثوس. ولعل لوقـا يشير إلى هذه الظـاهرة في بساطة الأسلوب وصدق العـزم وقوة الروح عند قـوله أن سيلا وتيـموثاوس ألفـيا بولس «منحصرًا بالروح» عند التحاقهما به في كورنثوس.

دخل بولس مدينة كورنثوس حوالي شهر سبـتمبر من سنة ٥١ ميلادية. كما يقول ثقات المؤرخين . وأخذ يطوف في طرقاتها _ كما فعل في أثينا من قبل- فإذا هو في وسط غير الذي عرف في أثينا... وإذ يرفع عـينه فوق التلة المطلة عليها يرى

قلعة رومانيـة حصينة تحتلهـا فصيلة من جند الرومان لحراسـة بلاد اليونان، ثم يرى قصر الوالي الروماني الذي كان يحكمها من قبل قيصر رومية.

وقامت المدينة على برزخ باسـمها يتسع لبـضعة أميـال وإلى شرقها وغـربها ميناء آن لتفريغ السفن وشحنهـا، وقد وقع نظر بولس في الميناء الغربية على سفائن قادمـة من إيطاليا وأسبانيـا، وكان المسافرون إلى الشـرق ينزلون في تلك الميناء، ثم ينطلقـون إلى كورنثـوس في طريق ممتد مـسافـة ميل ونصف، وبعـد الإقامـة فيـها يسلكون طريقًا ممتدًا إلى ثمانية أميال ونصف إلـى مينائها الشرقية (كنخريا) لينزلوا في سـفيـنة أخرى تقلع بـهم إلى أفسس. أمـا المسـافـرون غربًا إلى روميـة فكانوا يتخذون هذا الطريق عكسيًا.

وقـد شـهـد بولـس في كـورنثـوس كل صنوف البشـــر، من تجـار وجنود ومسافرين وحمالين، تجار من الهند يبيعون القطن والحرير والجواهر واللآلئ، وتجار من مصر يبيـعون الحبوب، ومن سوريا يبيعون الزيتـون والتمر، ثم رأي عدا هؤلاء تجار الرقـيق يعرضـون في الأسواق الرجـال والنساء، والصبيـة والصبـايا، عرض السلع أمام الشارين من كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية.

وكانت كورنثوس ، كأنطاكية وبافوس، تعج بالشرور والآثام والحياة الخليعة المسـتهـترة ، بل قـد بزت سائر المدائن في فـجورها ، إذ كـان فيـها هيكـل مشـهور لافـروديت إلهـة الشـهـوة، أمـة أف من العـاهرات الداعـرات لقبن «بالرقـيـقـات القديسات» وأولئك كن يـخدمن في ذلك الهيكل ويدنسن جنباته بأشنع مـا عهدته الإنسانية من صنوف اللهو والاثم والخلاعة والفجور...

يسير الرسول فـي طرقاتها، وما درى أحد يومئذ بمـقدمة، ولا عرف الأهلون أن هذه الزيارة الخفية المجهـولة سوف تصبح أثرًا باهرًا من آثار التاريخ، وتطبع على المدينة عظمتها الخالدة في مقتبل الأجيال...

يدخلها «في ضعف وخوف ورعدة كثيرة» كما قال عن نفسه في رسالته إلى أهلهـا، ولعل مـرد ذلك ما لقـيـه على أيدي فـلاسفـة أثينا من سـخـرية واعنات ، وخشيته أن يلقى هنا ما لقي هناك.

وكان على بولس قـبل كل شيء أن يدبر أمر معاشه بـعمل يديه، وحدث أن أدى به المطاف إلى حـانوت رجل يهودي اسمـه «أكيـلا بنطي الجنس كان قـد جاء حديثًـا من إيطاليا» والظاهر أن أكيـلا هذا كان قد هاجر- وزوجـته بريسكلا- إلى رومية من مدينة «بـنط» في آسيا الصغرى على شواطئ البـحر الأسود وبعد أن ظل يعمل فيها مدى حين صدر أمر من كلوديوس قيصر بطرد جميع اليهود من رومية- ويقـول المؤرخون أن ذلك كـان في أواخـر سنة ٥٠ مـيلادية. على أثر مـشـاغبـات أحدثها اليهود في رومية. وأن صح هذا التاريخ يكون آكيلا وبريسكلا قد قدما إلى كورنثوس قبل مقدم بولس إليها بستة أو سبعة شهور.

ولم يلبث الحـال طويلاً حـتى توثقت بين بولس واكـيـلا وبريسكلا أواصـر الصداقة والزمالة في العمل «ولكونه من صناعتهما أقام عندهما وكان يعمل لأنهما كانا في صناعتهما خيامين».

وفي يوم السـبت ذهب الثلاثة إلـى المجمع، وقـدم أكيـلا بولس إلى زعمـاء المجمـع ورؤسائه «فكان يحـاج ويقنع يهودًا ويونانيين» وآمـن كثيـرون من اليـهود

وغيـرهـم: ولكن بعض العـتاة منهم قـاوموا بولس جـهرة، وراحـوا يجدفـون على تعاليمه ويسـفهون أقواله. فلم يطق بولس على ذلك صبـرًا، واستشاط غـضبًا ، ثم أمسك بثيابه ونفضـها- كما نفض غبار رجليه في مدينة أنطاكـية بسيدية من قبل ـ وصـاح بـهم قـائلاً: «دمكم عـلى رءوسكم. أنا بريء.. من الآن اذهب إلى الأمم» وقد كان فإنه لم يطأ المجـمع اليهودي مرة أخرى أثناء مقـامه في كورنثوس. ولكن اتخذ له مقرًا في دار ملاصـقة للمجمع لرجل اسمه يوستس كـان متعبدًا لله. ويدل إسمه عـلى أنه كان رومانيًا، ثم انتـقل من عبادة الأوثان إلى عبـادة الإله الواحد مع اليهود، وبعد أن تهود اعتنق المسيحية على يد بولس.

ولكن صـوتًا خفـيًـا، وهاتفًـا سمـاويًا أوحى إليـه أن «لا تخف بل تكلم ولا تسكت لأني أنا معك ولا يقع بك أحد ليؤذيك لأن لي شعبًا كثيرًا في هذه المدينة».

ولذلك بقي بولس ثمانية عـشر شهرًا في كورنثـوس يدعو أهلها إلى الإيمان بالمسيح «الذي مات عـن خطايانا... ودفن... وقام في اليوم الثالـث... وظهـر لصفا (بطرس) وللإثنى عشر (الرسل) ... وآخر الكل ظهر لي أنا» ـ ويحثهم على طهارة الحياة والابتعاد عن النجاسة والزنا والعهر.

ووافاه في غضون هذه المدة سيلا وتيمـوثاوس ، واشتركا معه في بث الدعوة والمناداة بالحـياة الجديدة فـاستـمال إليـه كثيـرين وحدث أبان مـقامـه أن عين عاهل روميدة عـاملاً جديدًا من قبلـه على ولاية أخائية، التي كانت كـورنثوس وأثينا من حواضرها وكانت الأولى مقر الوالي وأكبر مدنها.

«ولما كان غـاليون يتولى أخائيـة» وهذا النص في السفر المقـدس ينسجم مع التاريخ الروماني. فقـد كان «غاليون» أخًا للفيلسـوف الروماني «شنيكا» وكان هذا مغضـوبًا ومنفيًا، ولكنه أعيـد من المنفى سند ٤٩ ميلادية وتعين رائدًا للأمـير نيرون الذي تربع فوق عرش رومـية سنة ٥٤ ميلادية ولم ينقض طويل زمن قـتل سنيسكا مربيه، وأخاه غاليون، وكثيرين غيرهما من رجالات رومية وأقطابها.

ويرجح المؤرخون أن غـاليون تولى ولاية «أخـائية» في غـضون سندة ٥١ أو ٥٢ ميلادية. ولعل نفـوذ أخيه كرائد ولي العـهد قد رفعه إلى هذه المكاند السـامية. ولـم يذكـر شيء في التاريخ عن توليـتـه حكم أخائيـه سوى مـا ذكره أخـوه من أن غاليـون أصيب بالحـمى في أقليم أخـائية واضطر للقـيام بنزهة بحـرية استـجمـامًا لصحته، ولكن قضى نحبه سنة ٦٥ ـ ويؤيد المؤرخ «بلدني» هذه الواقعة التاريخية.

وكان يعتبر قدوم والٍ جديد إلى أية ولاية حدثًا خطيرًا في حياة شعبها، ذلك لأن نظمـها الإدارية، ورخـاء أهلهـا، وحالة أحـزابها السـيـاسيـة، تتأثر بالضـرورة بأخلاقه الشخصية.

وكان غـاليون الوالي على جانـب كبير مـن دماثة الخلق، ورجحـان العقل ، وسعـة العلم. وما قالـه عنه كاتب سفـر الأعمال يتـفق تمامًا مع مـا كتبـه عنه أخوه الفليسوف سينكا في إحدى رسـائله، إذ تحدث عنه بعطف منقطع النظير لما اتصف به من النزاهة والاسـتقـامـة ورقة الجـانب وسلامـة المنطق. وأبان حكمـه قام يهـود كورنثوس بشغب كـعادتهم ، فسلك حياله مسلكًا منسجـمًا مع أخلاقه، فلم ينصع

لصيحات اليهود الصاخبة، ولم يتورط في الظلم معهم كما فعل بيلاطس زميله من قبل، بل وقف موقف عدم الإكتراث الممتزج بحزم الحاكم العادل النزيه...

والظاهر أن يهود كورنثوس أرادوا اغتنام فرصة مجيء الوالي الجديد واستغلال كرم أخلاقه، فأوغروا صدور دهمائهم ضد بولس، وأمسكوه وتقدموا به إلى الوالي بتهمة الاعتداء على دينهم قائلين: «أن هذا يشمل الناس أن يعبدوا الله بخلاف الناموس» وقد زعموا أنهم بإثارة هذه التهمة يوقعون الرسول تحت طائلة القانون الروماني، أو ربما أملوا أن يسلمه إلى أيديهم ليعاقبوه حسب شريعتهم، ولكن خاب فألهم هذه المرة وباءوا بالهزيمة والخسران.

نطق الوالي بهذا الحكم، وكان بولس قد هم بالدفاع عن نفسه فلم ير مسوغًا للكلام. وكان في حكمه رجلاً يعرف حدود وظيفته فلم يشأ التدخل في المسائل الدينية الفنية- فلو كانت التهمة اعتداء على القانون الروماني أو خيانة، لجاز له تحقيقها والنظر فيها، أما وهي «مسئلة عن كلمة وأسماء وناموسكم فتبصرون أنتم لأني لست أشاء أن أكون قاضيًا لهذه الأمور» ولم يكتف بهذا بل أمر حراسه أن يطردوا اليهود من ساحة القضاء.

وكان اليونانيون يكرهون اليهود كرهًا شديدًا، فلما رأوا غضب الوالي عليهم اغتنموا الفرصة وأمسكوا «سوستانيس» رئيس المجمع، وكان له ضلع كبير في إثارة الغوغاء، وضربوه بعصيهم أمام كرسي الوالي « ولم يهم غاليون شيء من ذلك».

أمن بولس شر اليهود في كورنثوس ، وبقي هناك مدة طويلة، زهاء سنة ونصف، أنشأ فيها جماعة قوية من أتباع المسيح، وربما يكون «سوستانيس» رئيس المجمع الذي أثار الغوغاء ضد بولس, قد أعتنق النصرانية فيما بعد، بدليل ذكر اسمه في صدر رسالته الأولى إلى كورنثوس (١:١) أو ربما يكون هذا شخصًا آخر لذيوع هذا الاسم في ذلك العصر.

ورأى بولس في هذه الحادثة مصداقًا للرؤيا التي تجلت له ليلاً: «لا تخف بل تكلم ولا تسكت لأني أنا معك ولا يقع بك أحد ليؤذيك لأن لي شعبًا كثيراً في هذه المدينة».

رسالتان

لم تك رسائل بولس بحوثًا أو عظات، بل رسائل بكل معنى الكلمة ، كتبت على نسق الرسالة اليونانية المألوف في ذلك العصر في ديباجتها ووضعها وختامها، ولم يدر بخلده عند كتابتها- أو على الأصح املائها- أنه يسطر ألفاظًا ستبقى ذخراً ثمينًا تعتز به الأجيال القادمة، وتتخذه مستقى عميقًا تستخرج منه اسمي ما عرف البشر من أخلاق وعظات بينات. وقد كتبت رسائله بموحيات الساعة الناشئة عن حاجات عاجلة حاتمة.

يشرع الرسول في إملاء رسالته ويشرك في الديباجة زميليه تيموثاوس وسيلا، ثم يبدأ بشكر الله تلقاء ما سمع عن إيمان أصدقائه:

«..... وأنتم صرتم متمثلين بنا وبالرب، إذ قبلتم الكلمة في ضيق كثير... ورجعتم إلى الله من الأوثان لتعبدوا الله الحي الحقيقي....» (١ تس: ١: ٦ و ٩).

ثم يأخـذ في تفنيد أقـوال ذوي النميمـة الذين اتهمـوه ظلمًا بأنه يسـعى إلى مغانم مادية من وراء دعايته فيقول:

«... لم نكن قـط في كـلام تملق، كـمـا تعلمـون، ولا في عـلة طمع (٢:٥) وتذكرون أيها الإخوة تعبنا وكدنا، إذ كنا نكرر لكم بإنجيل الله، ونحن عاملون ليلاً ونهارًا كي لا نثقل على أحد منكم» (٢: ١٠).

ثم ينتقل من هذا إلى تطمين قلوبهم أبان الشدائد والضيقات:

«... لا يتزعزع أحـد في هذه الضيقات، فإنكم أنتم تعلمون أننـا موضوعون لهذا» (٣:٣).

وبعد هذا يعبـر لهم عما تكنه نفسه من شوق لرؤياهم ، كـما يكتب الصديق لصديقه.

أما الجزء الثاني من الرسـالة فقد ضمنه بعض النصائح للحـياة المثلى المرضية أمام الله.. وإلى القارئ بعضًا قليلاً منها:

«... إرادة الله قداستكم ، أن تمتنعوا عن الزنا» (٣:٣).

«وأن يعرف كل واحد منكم أن يـقتني إناءه (زوجته) بقداسـة وكرامة لا في هوى شهوة» (٣: ٤).

«... لا يتطاول أحد ويطمع على أخيه في هذا الأمر» (٤: ٦).

«كـونوا هادئين ، ومـارسـوا أمـوركم الخـاصـة، واشـتـغلوا بأيديكم كـمـا أوصيناكم» (٤: ١١).

ويختم رسالته بتوصيات حارة ليسلكوا في الطريق القويم فيقول:

« لسنا من ليل ولا ظلمة فلا ننم إذا كالباقين بل لنسهر ونصحُ» (٥:٥).

«سالموا بعضكم بعضًا» (٥: ١٣).

«أنذروا الذين بلا ترتيب ، شجعوا صغار النفوس، أسندوا الضعفاء ، تأنوا على الجميع ، انظروا أن لا يجازي أحد أحدًا عن شر بشر، بل كل حين اتبعوا الخير بعضكم لبعض وللجميع» (٥: ١٤ و ١٥).

وفي ختام الرسالة يناشد الرسول تلاميذه «أن نقرأ الرسالة على جميع الإخوة» مما يدل على أن الرسائل كانت تقرأ في العبادة أمام الإخوة، كما هو الحال في هذا العصر.

أنها لرسالة فياضة بالعطف والحنان الإخوي، مفعمة بالإلهام الروحي!

وعند ما انتهت هذه الأنباء إلى بولس في كورنثوس ، كتب رسالة ثانية إلى أهل تلك المدينة، راجيًا منهم «أن لا يتزعزعوا سريعًا عن ذهنهم، ولا يرتاعوا .... أن يوم المسيح قد حضر» (٢ تس ٢:٢).

ثم يحثهم على الثبات ورباطة الجأش: «فاثبتوا إذًا أيها الإخوة وتمسكوا بالتعاليم التي تعلمتموها سواء أكان بالكلام أم برسالتنا» (٢: ١٥).

«ثم نوصيكم أيها الإخوة باسم ربنا يسوع المسيح ، أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب، وليس حسب التعليم الذي أخذه منا. إذا أنتم تعرفون كيف يجب أن يتمثل بنا لأننا لم نسلك بلا ترتيب بينكم. ولا أكلنا خبزًا مجانًا من أحد بل كنا نشتغل بتعب وكدليلاً ونهارًا لكي لا نثقل على أحد منكم» (٣: ٥ - ٨).

«فـإننا أيضًا حين كنـا عندكم أوصيـانكم بهـذا: أنه إن كان أحـد لا يريد أن يشـتـغل فـلا يأكل أيضًـا. ولـكن نسـمع أن قـومًـا يسلكون بينـكم بلا ترتيب، لا يشتغلون شيئًا بل هم فضوليـون. فمثل هؤلاء نوصيهم ونعظهم بربنا يسوع المسيح أن يشتغلوا بهدوء ويأكلون خبزًا أنفسهم» (٣: ١٠ ـ ١٢).

«أما أنتم أيها الإخوة فلا تفشلوا في عمل الخير» (٣: ١٣).

وهذه الرسالة ، كسـابقتها ، تعالج حالة طارئـة في الكنيسة المسيحيـة الناشئة في نسالونيكي.

انقـضت الشـهور الـطوال والرسول يـذيع في كورنـثوس الشـريرة الدعـوة المسيحية، فتكونت هناك جماعة قـوية من أتباع المسيح، ولم تُك سياسته الإقامة في بلد معين، بل التنقل لـغرس البذور وإقامـة من يتعدونها بـالسقيا بعـد رحيله، وها هوذا الآن يتأهب لمغادرة كورنثوس شاخصًا نحو أورشليم ، فانطاكية.

وفي أشـهر الشـتـاء تهب العـواصف في البـحر الأبيض المتوسط، وكـانت السفائن في عصره شراعية ، فكان أصحـابها وربابنتها يربطونها إلى مراسيها الآمنة في الموانئ من نوفمبر إلى نهاية فبراير من كل سنة.

في ربيع سنة ٥٣ ميلاديـة قبيل موعد عـيد الفصح اليهودي الكبـير، وكانت السـفن تبدأ سـفرها في بكور شـهر مـارس من كل سنة تحمل الحـجيج من مـوانئ اليونان وغيرها إلى قيصرية ميناء فلسطين في ذلك العصر .

نزل بولس ومعه رفيـقاه أكويلا وريسكلا من كورنثوس إلى مينائهـا الشرقية «كنخريا) وهـناك «حلق رأسه في كنخـريا» إيفاء لنذر والظاهر أنه كـان قد نذر أن

يطيل شعره مدة من الزمن، حسب عادة اليهود، إما عربون شكر على فضل أسبغه الله عليه، وأما شعار امتنان لنجاة من خطر أحاط به، وحل ميعاد النذر فأوفاه في تلك المينا.

ويذهب بعض الشراح إلى أن المقصود بهذا النذر هو أكويلا وليس بولس وذلك لأن النص غير صريح (أع ١٨: ١٨) ولأن بولس بعد هجرانه اليهودية وطقوسها لم يكن بحاجة إلى قطع هذه النذور على نفسه، ولكن هذا الرأي بعيد الترجيح، لأن كاتب القصة يجعل بولس محور حديثه وهو بطل الرواية فيها.

ومن ميناء كنخريا تأخذهم السفينة إلى أفسس مسيرة ٢٥٠ ميلاً على خط مستقيم في بحر أيجه، ولكنها كانت ترسو في إحدى الجزر المتناثرة إذا جن الليل فإذا انقضت سبعة أيام أو أكثر تبلغ المدينة مصب النهر الذي تقوم عليه مدينة أفسس فيطوي البحارة شراع السفينة ويسيرونها بالمجاديف الكبيرة داخل قناة إلى الميناء .

وكانت أفسس عاصمة آسيا الصغرى يؤمئذ والميناء الآسيوية المقابلة لكورنثوس عاصمة أخائية في أوربا, وكانت السفرات متواصلة ، بين تينك المدنتين التجاريتين، وإذ ترسو السفينة في الميناء ينهمك البحارة والحمالون في تفريغ شحنتها القادمة بها من أوربا وشحن السلع الصادرة إلى سوريا وفي خلال ذلك ينزل أكويلا وبريسكلا ومعهما بولس.

أما الأولان فينصرفان إلى البحث عن مكان للإقامة فيه والبقاء في أفسس، أما بولس فلم يكن لديه متسع من الوقت ليتفرج في المدينة ويسرح الطرف في

مسـرحها العظيم الذي كـان يسمع ٢٤,٠٠٠ نفس، ولا هيكلهـا المرمري الأبيض الرائع الذي دعى هكيل أرطاميس ، أو كما قال الرومان هيكل ديانا، ولكنه شخص توًا إلى مجمع اليهود «وأما هو فدخل المجمع وحاج اليهود».

والظاهر أن يهود أفـسس قبلوا عن طيبة خـاطر، وألحوا عليه أن يبقى مـعهم زمانًا، ولكنه كان مـتعجلاً ليحـضر عيد الفصح في أورشليم الذي كـان موعده في تلك السنة (٥٣ ميلادية) ٢٢مارس ، فبارح أفسس بعد أن ودع أهلها، واعدًا إياهم أن يعود إليهم بعد حين.

وإذ يحل موعـد قيـام السفينة، يعـود بولس إليهـا، وتسافر به جـنوبًا بمحاذاة شواطئ آسيا الصغرى. وتلقى مرساتها ليلة في ميناء جزيرة ردوس، ومنها تبحر في عرض البحر إلى بافوس ـ في قبرص- ومنها إلى قيصرية بعد أن تكون قد قطعت ٦٠٠ ميل.

وفي قيصرية يرافق بولس جماهير الحجاج الوافدين إلى أورشليم في الطريق الروماني المعبد الممتد على شواطئ فلسطين والصاعد فوق تلال اليهودية إلى المدينة المقدسة....

هذه هي المرة الرابعة التي يفـد فيها بولس إلى أورشليم بعـد الرؤيا السماوية وهناك سلم بولس علـى التلامـيذ وحـمل إليـهم أنبـاء رحلته ومـا لاقى فـيهـا من اضطهاد وتوفيق. ولكنه لم يطل المكث في أورشليم ، فـأسرع إلى إنطاكية سورية، المدينة التي أوفـدته أولاً ليلتـقى هناك بأصدقـائه القـدامى الذين يرحبـون بمقدمـه، ويستـمعـون في شغف وإصغـاء إلى قصـة مغامـراته في فيلبي وتسـالونيكي وأثينا وكورنثوس.

عند هذا الحد تنتهي رحلة بولس الثانية، بعد أن نادى برسالة الإنجيل في مدائن آسيا واليونان، وغرس بزور الكنيسة الأولى في كل مدينة وطأتها قدماه .

ولشد ما كان اغتباط الكنيسة في إنطاكية ، أن ترحب برجلها المقدام، ورسولها الكبير، وتسمع أنباء انتشار المسيحية على يديه تحدوه في ذلك قوة المسيح الحي، رب المسيحية وسيدها.

عند هذا الحد تنتهي الرحلة الثانية التي قطع فيها الرسول ٣٢٠٠ ميل براً وبحراً، ولم يكن فيها من مظاهر الرواء الخلاب وروعة القصة الروائية شيء يذكر ، ولكن تلك المدائن التي لم تحس بزيارة الرسول، أضحت فيما بعد معاقل النصرانية يتوزع منها النور الوهاج ليشع على العالم قاطبة.

إلى أفسس

الظاهر أن بولس لم يطل المكث في إنطاكية سورية ، فغادرها للمرة الأخيرة ولم يعد يراها فيما بعد. ولسنا نعرف كثيراً عما جرى في بداية هذه الرحلة فإن كاتب سفر الأعمال أوجزها في عبارة مقتضبة «وبعد ما صرف زمانًا (أي في إنطاكية) خرج واجتاز بالتتابع في كورة غلاطية وفريجية يشدد جميع التلاميذ» (أع ١٨ : ٢٣).

دخل المدن التي زارها من قبل هو وبرنابا مرة، وهو وسيلا مرة أخرى، فلقي كثيرين من الصحاب القدامى، ولعل الرجل الأعرج الذي أبرأه في لسترة هرول إليه ظافراً ليحييه، ولعل أم الشاب تيموثاوس وجدته أقبلتا إليه أيضًا لتسألاه عن ولدهما الذي كان قد أخذه في رفقته.

وكان غرض الرسول في زيارة كل مدينة أن يشدد التلاميذ في الإيمان ، وإن ينأى بهم عن حب ذواتهم، فيوصيهم أن يشاركوا الآخرين في ضيقاتهم وآلامهم قائلا «حسبما لنا فرصة فلنعمل الخير للجميع ولاسيما لأهل الإيمان».

ولم ينس بولس وعده لأهل أفسس (عند زيارته العاجلة لهم للمرة الأولى) ولذلك نراه، بعد أن يفتقد الكنائس المسيحية في ولايتي غلاطية وفريجية بآسيا الصغرى، يتخذ أقصر طريق مؤد به إلى مدينة أفسس فيدخلها من باب أزمير الكبير، ربما في خريف سنة ٥٣ ميلادية.

وكانت أفسس يومئذ مدينة عظيمة على مقربة من شاطئ آسيا الصغرى، وعاصمة الولايات الآسيوية التي خضعت لصولجان رومية، وأشهر المدن التجارية التي ارتبطت بخطوط الملاحة مع موانئ أوربا المقابلة لها لاسيما كورنثوس أسسها أندروكليس وأتباعه الاثينيون على منحدرات الجبال لتطل على البحر من بعيد.

ولم يبق من المدينة القديمة أثر في هذا العصر إلا أكوام من الحجارة استطاع المنقبون أن يتبنوا وسط ركامها بقايا هيكل ديانا، وساحة الألعاب ، والميناء ، والمسرح الكبير....

وكانت أفسس في عصر الرسول مدينة حرة، أبقى لها الغزاة الرومان دستورها وحرياتها ومجالسها التشريعية واكتفوا بعامل من قبل قيصر رومية يمثل سلطة الإمبراطورية ويكون أداة اتصال بين المدينة وبين الحكومة القيصرية.

ولكم كان الرسول موفقًا ، أن يجتاز هذه المدينة العظيمة ليجعلها معقلاً من معاقل المسيحية في عصرها الأول ولعله من الشيق أن نقول هنا أن ولاية أفسس

ضمت المدائن الست التي ذكرها يوحنا في رؤياه: ساردس ، سميرنا ، فيلادلفيا، لاودكية، برغامس، ثياتيرا مدينة ليدية بائعة الأرجوان، وكانت هذه المدائن موضع اهتمامه وتفكيره، وؤلك لأن الرسول يوحنا قضى شطرًا كبيرًا من أخريات حياته أسقفًا على ولاية أفسس التي شملت الكنائس السبع في ذلك العصر. وفي تلك المدينة العظيمة كتب الرسول يوحنا بعد هذا التاريخ بخمسين سنة بشارته التي يعدها بعض الشراح قدس الأقداس المسيحية.

وقبل أن يجيئ الرسول إلى أفسس كان قد وفد إليها رجل يدعى «أبولس» من أهالي الإسكندرية، وكان هذا قد عرف المسيحية كما أذاعها يوحنا المعمدان قبل أن تكتمل حوادثها ومعانيها في موت المسيح وقيامته. والظاهر أن يهودا ممن سمعوا يوحنا المعمدان ينادي في البرية معلنًا مجيء المسيا، خرجوا إلى ما وراء تخوم فلسطين وأذاعوا بين اليهود الآخرين هذا النبأ، فقبله نفر منهم.

وأبولس هذا لم يكن يهوديًا إسكندريًا وحسب، بل كان على ما يظهر من المناطقة الفصحاء الذين تلقنوا زلاقة اللسان وقوة المنطق في المدارس المصرية على ضفاف النيل ومع أنه نال حظًا وافرًا من البلاغة اليونانية فإنه قصر دراسته على كتب آبائه وأجداده ، ويقول عنه كاتب سفر الأعمال : «رجل فصيح مقتدر في الكتب» ويضاف إلى مزايا مولده وثقافته ما تلقى من العلم عن «طريق الرب» إما على يدي يوحنا المعمدان نفسه، وإما على يدي غيره من اليهود الذي جالوا يحملون دعاية نبي البرية ولعله هو نفسه كان من الدعاة الذين طوفوا البلدان، فكان (وهو حار بالروح يتكلم ويعلم بتدقيق ما يختص بالرب عارفًا معمودية يوحنا

فقط) ومع أنه جهل الأحداث الرائعة التي عقبت موت المسيح وقيامه وصعوده، فإنه استخدم بلاغته «ليرد قلوب العصاة إلى فكر الأبرار، ولكي يهيء للرب شعبًا مستعدًا» (لوقا: ١ : ١٧).

وكان بولس قد ترك وراءه في أفسس أكيلا وبريسكلا اللذين قدما معه من كورنثوس في زيارته العاجلة الأولى، فعندما سمعاه أخذاه إلى دارهما، وشرحا له الرسالة الحقة كما تلقياها عن بولس. ولاشك أن بولس قد وازن الحقائق وأدرك أن ما لديه من المعرفة الناقصة لم تكن إلا صورة باهتة للحق كله، فقبل التعليم الصحيح وغدا تلميذاً غيوراً من تلاميذ المسيح.

وبعد أن عرف أبولس التعليم المسيحي على حقيقته اعتزم الرحيل إلى ولاية «أخائية» ليبث الدعوة هناك في كورنثوس عاصمتها، حيث كان الرسول بولس قد أقام دعائم كنيسة قوية، وربما كانت قد انتهت إلى أفسس بعض الأنباء عن كورنثوس ، فرأى المسيحيون أن يوفدوا إليها أبولس رجلاً فصيحًا قديرًا، وزودوه رسائل (إلى التلاميذ يحضونهم أن يقبلوه) وإذ بلغ كورنثوس القى بنفسه في الأوساط اليهودية التي نذبت بولس من قبل «وكان باشتداد يفحم اليهود جهرًا في مبينًا بالكتب أن يسوع هو المسيح» ومن ثم صار عضداً قويًا للذين كانوا قد آمنوا . فسقى ما غرسه بولس، وأنمى الله عمل الغارس والساقي (١ كور ٣: ٦). ولكن من دواعي الأسف أن يقوم الشر إلى جانب الخير، وأن ينمو الزوان إلى جانب الريحان. فبينما كان أبولس هذا عونًا للمسيحيين وخصمًا لدودًا لليهود، وقوة موأزرة لبولس، فإنه صار أيضًا أداة لخلق روح التخريب والانقسام بين أهل

كورنثوس ومنافسًا لبولس نفسه، وذلك أن الفصحاء والسفسطائيين في تلك المدينة راحوا يوازنون بين البساطة التي توخاها بولس في بث دعوته في كورنثوس، وبين البلاغة التي تدفقت على لسان ذلك العالم السكندري ، فانحاز فريق منهم إليه واتخذوه زعيمًا لهم، وبقي الفريق الآخر مواليًا لبولس (١ كو ١: ١٢) ونسوا أو تناسوا أن المسيح «لا ينقسم» وأن بولس وأبولس ليس إلا خادمين «آمنوا بواسطتهما» (١كور ٣: ٥) وليس لدينا ما يبعثنا على الظن أن أبولس تورط في خلق هذا التحزب أو هيأ له أسبابه، بل نراه على نقيض ذلك يتحاشى أسباب هذا الإنقسام، إذ يقول بولس في ختام رسالته الأولى إلى كورنثوس، بعد أن ينعي الإنقسام والتحزب في الرأي: «أما من جهة الأخ أبولس فطلبت إليه كثيرًا أن يأتي إليكم مع الأخوة ولم تكن له إرادة البتة أن يأتي الآن» وظاهر من هذه العبارة أن بولس أراد فيما بعد أن يوفد أبولس مرة أخرى إلى كورنثوس ، ولكنه أبى خشية أن يذكي الإنقسام من جديد.

وصل بولس إلى أفسس ، بعد أن يكون غادرها أبولس إلى كورنثوس ولم يكن هذا الأخير الوحيد بين الذين آمنوا بتعاليم يوحنا المعمدان . فإن الرسول لقى اثني عشر من هؤلاء ممن اعتمدوا على يدي يوحنا فقط وجهلوا قوة الروح القدس التي حلت على تلاميذ المسيح. فراح بولس يعلمهم أن يوحنا لم يكن إلا داعيًا الناس للتوبة ومهيئًا الطريق للمسيح الذي هو هدف الإيمان الحقيقي . فاعتمدوا مرة أخرى وقبلوا الروح القدس «وطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون» (أع ١٩: ٦) ويشير بولس الرسول إلى هذه الموهبة السرية في رسالة كتبها إلى كورنثوس في ذلك الحين (انظر ا كور ١٢: ١٠ و ١٣: ١ و١٤: ٢ _ ٤٠).

ذكرت هـذه الواقعـة في السفـر المقدس كـحادثة منفـصلة ، والآن لنقف أثر الرسول في مـجمع اليـهود حيث أن أكـيلا وبريسكلا اتخذا أفـسس موطنًا لهـما، وأغلب الظن أن بولس نزل عندهمـا وكان يعمل بيـديه معهـما في صناعة الخـيام. وكمألوف عادته دخل مجمع اليهود كل سبت «وكان يجاهر مدة ثلثة أشهر محاجًا ومـقنعًا في مـا يخـتص بملكوت الله» ولكن قـومًا منهم قـست قلوبهم فـأشاحـوا بوجوههم وآخرين آمنوا به وقبلوه. ولذلك آثر أن يعزل الجـماعة المؤمنة عن مجمع اليهود، ومن ثم صـار للكنيسة المسيحيـة كيان مستقل في أفسس بمـعزل عن اليهود والوثنيين.

وقـد رأينا في كـورنثوس أن بـولس إتخذ له دارًا مـلاصـقـة لمجمع الـيهـود وجعلها ندوة لبث دعوته وهنا نراه في أفسس يتخـذ له مقرًا «مدرسة تيرانس» وكنا نود أن نعرف شيئًا عن هذا الإنسـان ، ولكن اسمه ذكر عاريًا عن كل وصف ولعله كان من أساتذد البـلاغة أو الفلسفة في المدينة، ولعله كان من اليهـود الذين اعتنقوا المسيحية على يدي بولس.

وكانت أفسس مـدينة كبيرة ، كمـا أسلفنا، بلغ محيط أسوارها يومـئذ أربعة أميال، ولما بدأ بولس يبث دعوته في مدرسة تيرانس ، لم يسمع به إلا اليهود والنفر القليل من المسـيحيين ، ولكنه لم يـلبث أن ذاع اسمه في الكورة المتـاخمـة وأقبلت جموعة غفـيرة من اليهود واليونانيين لسماعه. وقـد أشار الرسول إلى عنف جهاده في هذه المدينة بعـبارة ذكـرها أمـام زعمـاء كنيسـة أفسـس عندما استدعـاهم إلى ميليـتس فيما بعـد فقال: «... أنتم تعلمون... كـيف كنت أخدم الرب بكل توضع

ودموع كثيرة وبتجارب أصابتني بمكايد اليهود... كيف لم أوخر شيئًا من الفوائد إلا وأخبرتكم وعلمتكم به جهراً وفي كل بيت شاهداً لليهود واليونانيين» .

ولم تكن جهوده مقتصرة على أفسس فإن «جميع الساكنين في آسيا من يهود ويونانيين» سمعوا رسالته، وتأسست كنائس في المدن المتاخمة على يدي بولس وأعوانه الذين كانوا يوفدهم لمعاونته في مهمته.

وكانت «أفسس» مدينة رومانية يونانية، ولكنها اصطبغت بالصبغة الشرقية في حياتها وعاداتها، فكثرت فيها فنون السحر والشعوذة وامتزج ذلك «الفن الأسود» بعبادتها الوثنية للآلهة ديانا. وزعم القوم أن الأمراض والبلايا من أفاعيل الجن والأرواح الشريرة التي لا تفارق فرائسها إلا بكثير من الرقي والتعزيم والتمائم ولذلك يجد الرسول نفسه أمام قوات شريرة لا معدي عن مكافحتها بنفس أساليبها وفي ميدانها- «وكان الله يصنع على يدي بولس قوات غير المعتادة» فشفى المتألمين من المرضى والصرعى، وتحدى بذلك التمائم والتعاويذ والشعوذة و«كتب» أفسس السحرية.

وكان لهذا الفعال أثر نافذ في نفوس المشعوذين والسحرة، وكان بينهم في تلك الفترة نفر من اليهود «الطوافين المعزمين» وكان السحر محرمًا عند اليهود في العهد القديم، ولكن التلمود يروي الأنباء عن قوم منهم لم يعبأوا بهذا التحريم وطافوا أنحاء الإمبراطورية الرومانية يمارسون هذا «الفن الأسود» في عصر طغت فيه عوامل الجهل والخرافات والخديعة، وأطلق فيه العنان لقوى الشرير الجموحة ، وإذ رأي أولئك السحرة يهوديًا مثلهم يأتي تلك الفعال باسم «الرب يسوع» حاولوا

محاكاته والنهج على منواله، وكان بينهم سبعة أبناء (لسكاوا رجل يهودي رئيس كهنة» ولكنهم باءوا بالخسران المبين، ولم تسعفهم تلك المحاولات العقيمة(*).

سرت هذه الأنباء في أفسس كلها، وعلم اليهود واليونانيون أن «اسم يسوع الناصري» أقوى من «كتب» أفسس وتمائم مشعوذيها، «فوقع خوف على جميعهم وكان اسم يسوع يتعظم».

وكانت تلك الكتب والتعاويذ والتمائم مصدر غنم كبير لأصحابها، فإن المرضى كانوا يبتاعونها للبرء من أوصابهم، والمسافرين كانوا يحملونها ليأمنوا معاطب الطريق، والجبناء كانوا يتذرعون بها ليقوا أنفسهم شر الأعداء المشاغبين، والشهوانيين كانوا يتوصلون بها إلى قضاء لباناتهم وأوطارهم الآثمة.... ولك نفيًا من أولئك السحرة والمشعوذين تغلبوا على أنفسهم وعلى النزعة المادية فيهم، فاصغوا إلى بولس وقبلوا رسالته، وجمعوا كثيرًا من كتبهم الخطية، وكان بعضها مكتوبًا على أوراق البردي والبعض الآخر مكتوبًا على رقوق من الجلد، وكدسوها في ميدان فسيح ثم أعملوا النار فيها.

وكانت الكتب يومئذ غالية الثمن، نادرة الوجود، خصوصًا تلك التي حفلت بالمصطلحات السحرية الغامضة، حتى يقول كاتب سفر الأعمال أنهم «حسبوا أثمانها فوجدوها خمسين ألفًا من الفضة» أي زهاء ألفين من الجنيهات، وهذا طبعًا

(*) تشبه إلى حد كبير القصة القرآنية حول موسى النبي وسحرة فرعون حيث أنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا مثله ولكنهم في القصص القرآني آمنوا برب موسى وهارون فقتلهم فرعون بأسلوب بشع (راجع سورة طه) (=المؤلف).

تقدير أصحاب الكتب المحترقة، والإنسان يقدر أشياءه بنسبة نفعها له وقيمتها عنده.

وإنك لتستطيع أن تصور لنفسك غبطة بولس وهو يري النار الآكلة تلتهم جراثيم الشر والخرافات.

ونكاد الآن نبلغ ختام السنوات الثلاث التي قضاها بولس في أفسس، وقبل أن نغادرها يقع حادثان يستوجبان منا عناية خاصة، سنعالج كلاً منهما في فصل خاص، الأول كتابة الرسالة الأولى إلى كورنثوس والظروف التي أحاطت بها، ثم الثورة في أفسس.

رسائل الأسر

كتب الرسول الكبير من سجنه في رومية أربع رسائل : هي فليمون وكولوسي وأفسس وفيلبي. وتعرف هذه «برسائل الأسر» وقد عرفنا نتفًا من الرسائل الثلاث الأولى بقى علينا أن نذكر شيئًا عن رسالة فيلبي.

وسبق أن عرفنا أن فيلبي كانت في زمن الدولة الرومانية أهم مدن مكدونية وسميت فيلبي باسم الملك فيلبس أبي الإسكندر المعروف بذي القرنين. وعلى مقربة منها مناجم كان الملك فيلبس يستخرج منها ذهبًا وفضة حتى لم يبق فيها في زمن الرسول إلا الشيء القليل. وفي زمن الإمبراطور أغسطوس- الذي ولد يسوع في زمانه- تأسست في هذه المدينة مستعمرة رومانية ، صار لأهاليها نفس الحقوق التي كان يتمتع بها سكان رومية، وأقيم عليها حكام رومانيون استطاعوا أن يجعلوها كجزيرة رومانية صغيرة .

وكانت فيلبي أول مدينة زارها الرسول بعد الرؤيا التي رآها في آسيا الصغرى، يوم تمثل رجلاً يقول له : «أعبر إلى مكدونية وأعنا» وقد سردنا فيما سبق قصة اهتداء ثلاثة أشخاص في المدينة: ليدية التاجرة من آسيا، والعبدة اليونانية ، وحارس السجن الروماني ، وهؤلاء يمثلون الأجناس الثلاثة الرئيسية في المدينة ، واشتهرت الجماعة المسيحية فيها لا بكثرة العدد فقط، بل بالإخلاص في الإيمان، والسخاء في العطاء، والنماء في الفضائل . ولم ينس بولس الحوادث التي صادفته في فيلبي. لم ينس الفتاة التي كان بها «روح عرافة» ولا الولاة الذين ضربوه بالسياط ولا الزلزلة وحارس السجن.... ولقد زار فيلبي مرة في طريقه من أفسس إلى كورنثوس وأخرى في دعوته من كورنثوس إلى أورشليم . كما أن المسيحيين هناك لم يفتروا عن ذكر الرسول الذي هداهم إلى الحق المبين ، وظلوا يتتبعون أنباءه ويوالونه بالتقدمات والإعانات.

وفي يوم وهو سجين في رومية، يدخل عليه شاب مسيحي مبعوث من أهالي فيلبي، هو أبفرودتس يحمل إلى الرسول هدية عربونًا لمحبتهم إياه وحد بهم عليه ولقد قضي هذا المبعوث ردحًا من الزمن مع بولس يشاركه جهاده في الكفاح ضد الخطية والشر وبث مبادئ الإنجيل في رومية العظيمة. ولعله أقام مع الرسول في داره بدليل قوله عنه «الخادم لحاجتي» ولكن أبفرودتس أصيب بمرض اشتدت وطأته عليه حتى كاد يقضي نحبه. ولما تعافي جاء إلى بولس وأخذ يبث له حنينه للعودة إلى وطنه ليسكن روع أصدقائه هناك الذين بلغهم خبر اشتداد المرض عليه وإشرافه على الموت.

ولم يشأ الرسول أن تفوته هذه الفرصة دون أن يرسل معه رسالة. فاستدعي أحد زملائه، ربما لوقا أو تيموثاوس أو أبفرودتس ذاته، واستحضر دواة وقلمًا من الغاب ورقوقًا من أوراق البردي، وأملي عليه رسالته على مسمع من الجندي الروماني الذي يحرسه...

وقد خص ذلك المبعوث الشاب بأطيب القول وأرق العبارات: «... ولكني حسبت من اللازم أن أرسل إليكم أبفرودتس أخي، والعامل معي، والمتجند معي، ورسولكم، والخادم لحاجتي، إذ كان مشتاقًا إلى جميعكم ومغمومًا لأنكم سمعتم أنه كان مريضًا فإنه مرض قريبًا من الموت لكن الله رحمه. وليس إياه وحده بل إياي أيضًا، لئلا يكون لي حزن على حزن. فأرسلته إليكم بأوفر سرعة حتى إذا رأيتموه تفرحون أيضًا وأكون أنا أقل حزنًا. فأقبلوه في الرب بكل فرح وليكن مثله مكرمًا عندكم. لأنه من أجل عمل المسيح قارب الموت مخاطرًا بنفسه لكي يجبر نقصان خدمتكم لي» (فيلبي: ٢: ٢٥ _ ٣٠).

وبعد أن يهدي أصدقاءه أزكي التحيات يخبرهم كيف آلت أموره إلى تقدم موثوق إلى السلاسل من أجل المسيح (وبهذا أنا أفرح، بل سأفرح أيضًا).

وبولس واثق من براءته في المحاكمة، وهو متأهب ليلقى الموت ، ولكنه يود الحياد من أجل المسيح، ومن أجل أصدقائه في فيلبي: «لكي يزداد افتخاركم في المسيح يسوع في بواسطة حضوري أيضًا عندكم».

ثم يحثهم على الحياة الجديرة بدعوتهم الجديدة «في روح واحد مجاهدين معًا بنفس واحدة لإيمان الإنجيل... لأنه قد وُهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا

فقط بل أيضًا أن تتألموا لأجله، إذ لكم الجهاد عينه الذي رأيتموه في والآن تسمعون في».

وبعد ذلك يملي بولس تصريحًا جليلاً عن إيمانه في المسيح المنقذ:-

«فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضًا، الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه آخذًا صورة عبد صائرًا في شبه الناس. وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفس وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفعه الله أيضًا وأعطاه اسمًا فوق كل اسم.. لكي تجثوا باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض. ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب».

وحينما نذكر أن بولس الآن قعيد دار ضيقة، في سلاسل الأسر، وأن أتباع المسيح لم يرب عددهم على بضعة آلاف في كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية، وأن الدولة الرومانية العظيمة تعبد آلهة كثيرة- حينما نذكر هذا كله، يبدو لنا مستغربًا حقًا أن يملي الرسول رسالته بنغمات الثقة الأكيدة في غلبة المسيح ، وإخضاع العالم كله لسلطانه.

ثم يذكر ما يصح أن نسميه «قاعدة الحياة» في نظر بولس:

«.... لكني أفعل شيئًا واحدًا- إذ أنا أنسى ما هو وراءه وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع» وذلك «لأن لي الحيوة هي المسيح» كما يقول في موضع آخر في هذه الرسالة.

«... أخيـرًا أيها الإخوة كل مـا هو حق، كل ما هو جليل، كل مـا هو عادل، كل ما هو طاهر، كل مـا هو مسر، كل مـا صيته حسن، إن كانت فضيلة وإن كان مدح، ففي هذه افتكروا» .

وتفيض خاتمة الرسالة حمـدًا وشكرانًا للإخوة في فيلبي الذين شاطروه آلامه وضيقاته ، ويقول لهم أخيرًا: «يسلم عليكم جميع القديسين ولاسيما الذين من بيت قيصر».

ونستدل من النقوش أن بعض أسماء العبيد الذين ذكرهم بولس في تحياته في ختام رسالته إلى رومية، التي كتبها قبل هذا التاريخ بأربع سنوات ، ينتمون إلى «بيت» نيرون قيصر رومية، وهو الآن يشير إليهم مرة أخرى دون أن يذكر أسماؤهم وقد عرف أهل فيلبي من هم الذين عنيهم الرسول في كلامه.

فكأن دعاية بولس في رومية قد بلغت عبيد الإمبراطور الروماني ورجال حرسه- وقد كان هؤلاء وأولئك على جانب عظيم من سعة النفوذ في البلاط القيصري.

هذه هي الرسالة إلى فيلبي التي قال عنها الأسقف «ليتفوت» العالم الكبير في اليونانية:

«ليست الرسالة إلى فيلبي أسمى صورة لصفات بولس الشخصية تشع منها أنوار روحانيته وحسب، بل هي أثر خالدة لقوة الإنجيل، فما انقضى ثلاثون عامًا على صلب يسوع كمجرم في ولاية بعيدة من ولايات الدولة الرومانية، وما انقضى عشر سنوات على مناداة الرسول للمرة الأولى في فيلبي بنبأ موت المسيح، حتى حدث ما تذهل له العقول وتحار فيه الأفهام...

«ولم تكن الروابط التي جمعت بين هؤلاء الأنصار والمجاهدين ، روابط الجنيسة، أو المصلحة المشتركة، أو القرابة الدموية، أو العصبية القومية، بل كانت هناك رابطة سرية أقوى جدًا من هذه كلها- رابطة المحبة التي ألفت بين بولس وأبفرودتس والمتنصرين من أهل فيلبي، محبة وثيقة العرى اشبهوا بها وشيحة م.لفة من ثلاث أسدية محكمة القتل لا يستطيع كاتب الرسالة أن يتصور إمكان حلها، إذا اغتبك الواحد منهم يغتبط الآخر معه، وإذا تألم يتألم معه.

«وتلك القوة غير المنظورة التي أوجدت هذه الألفة المحبوكة الأواصر هي _ قوة قيامة المسيح (فيلبي ٣: ١٠) وتلك المحبة المتبادلة قد استفاضت من _ أحشاء يسوع المسيح _ (فيلبي١: ٨) غذيت بدمه ونمت بحياته، فإن ناموس المحبة لم يضع من حياة المسيح وموته وقيامته مثالاً يحتذى فقط ، أو واجبًا أدبيًا يحترم، بل قوة وحياة روحية لم يكن للناس بهما عهد من قبل».

كتب بولس هذه الرسائل الأربع وهو أسير في رومية- فليمون ، وكولوسي، وأفسس ، وفيلبي، وكان يظن طبعًا أنه يكتب إلى جماعات قليل عددها من الأغارقة الذين أعتنقوا المسيحية في بعض مدائن الدولة الرومانية، واليوم، بعد أن تقوضت دعائم الإمبراطورية الرومانية العظيمة وأمسست مجرد ذكرى في بطون التاريخ، ما فتئ الرسول قائمًا في العالم شاهدًا للمسيح برسائله الخالدة، التي تدخل الغبطة إلى أنفس الملايين من أتباع المسيح في بلدان ولغات لم تخطر على بال أحد من أحكم حكماء رومية في عصر بولس ، والحق قد أدى «السفير في السلاسل» أجل خدمة لسيده وملكه.

والكلمات المنطوقة تطير في الهواء ، يسمعها الأقلون ثم ينسونها ، أم «الكلمة المكتوبة» فتبقى على مر الأزمان. وبولس الأسير قد خلف آثاراً خالدة في رسائله تبقى على مر الحقب معينًا لا ينضب نستمد منه الخير والإلهام.

وأغلب الظن أن صحابة بولس تساءلوا يومئذ عن ضياع السنتين اللتين قضاهما في رومية. أما نحن الذين عرفنا النتائج فلنا نظرة غير هذه ، ولعله كان خيراً للعالم وأبقى ، أن يحتجز الرسول الكبير فترة من الزمن ليفكر. وينضج ، ويخرج من خزانته الروحية درر الحياة للمؤمنين، وبعده نفى القديس يوحنا إلى جزيرة بطمس النائية ، فكتب سفر الرؤيا، ثم بعده أيضًا أودع يوحنا بنيان غيابة السجن قرابة اثنتي عشرة سنة، فأخرج لنا «سياحة المسيحي».

محاكمته أمام نيرون

تتابعت الأسابيع والشهور، وبولس يترقب بفارغ الصبر سماع قضيته أمام محكم قيصر، وقد كان في القانون الروماني القديم- كما هو الحال في كل قانون- ثغرات ينفذ منها الخصوم إلى المطل والتسويف في فض المنازعات والفصل في القضايا. ولسنا ندري لم استطالت مدة الأسر سنتين كاملتين قبل سماع الاستئناف، فلعل خصومه، وقد يئسوا من إثبات أدانته، حاولوا إطالة الإجراءات التمهيدية والمطل في تقديم المستندات والأدلة التي تجعل القضية صالحة للنظر . ولعل الإمبراطور نفسه كان منهكمًا في مشاغله الكثيرة، وسفراته المتوالية، وألعابه وحفلاته، وكان على بولس الأسير أن يصبر، ويصبر طويلاً....

وأخيراً حل اليوم الذي تقرر فيه سماع القضية، وسيق بولس من سجنه إلى المحكمة التي عينها الإمبراطور للفحص التمهيدي ، ويظن بعض الشراح أن هذه المحكمة هي التي عينها بولس بقوله في الرسالة إلى فيلبي «وثقتي صارت ظاهرة في المسيح في كل دار الولاية».

ويخيل إلينا أن هذا الفحص التمهيدي قد بعث إلى نفس بولس شيئًا من الطمأنينة والرضى، بدليل نغمات الرجاء في رسالته إلى فيلبي التي كتبها أبان هذه الفترة وأمله في زيارة أهلها عاجلاً كما أسلفنا القول.

وبعد لأي يتحدد يوم المحاكمة أمام نيرون، فينقل بولس الأسير الشيخ من داره إلى المعسكر الروماني ليكون متأهبًا للمثول أمام عاهل الرومان، ومن المعسكر إلى القصر الإمبراطوري. ويرخل محوطًا بحراسه قاعة فخمة، صنعت أفاريزها من الرخام الغالي الثمن، أشبه في وضعها بكنيسة كبرى، وفي طرف القاعة جلس نحو عشرين من كبار المشيرين الذين اصطفاهم الإمبراطور ، وفي وسطهم سيد الرومان نفسه. وقد اصطف على جانبي القاعة جمهور من النظارة المتسكعين الذين لا عمل لهم. وإذ يدنو بولس من مجلس القضاء الرهيب يحيي الإمبراطور، على نحو ما فعل الحراس الذين وقفوا إلى جانبه، وإذ يرفع يده بالتحية ، يُسمع صليل السلسلة التي كانت مربوطة إلى يده.

ومن ثم يقف بولس ، أمام نيرون الظالم ، المستهتر، الغارق في أشنع صندوق الرذائل وكثيراً ما تشاء ممازحة القدر الساخر أن ترفع بعض فحول المجانين والأفاكين إلى عروش القياصرة كما فعلت بنيرون هذا.

يقف الرسول المقيد الذي لا حول له ولا طول أمام نيرون رأس الدولة الرومانية، أقوى دول العصر وصاحب الاملاء على سياسة العالم وشعوب الأرض. فما يخشى ولا يرهب لأن شعلة الإيمان التي كانت تضيء نفسه وقوة الحق التي سمت فوق كل قوة مادية، زودته من رباطة الجأش وثبات الجنان ما جعله غير هياب ولا وجل.

وكان الإمبراطور السابق كلوديوس قد تزوج من أم نيرون أغريبانا ولما يبلغ الصبي الحادية عشرة من عمره. وبعد هذا التاريخ بست سنوات (أي في سنة ٥٤ ب.م) بينما كان بولس يبث دعوته في أفسس ، مات كلوديوس مسموماً بيد زوجته أغريبانا ، واعتلى نيرون وهو في السابعة عشرة من عمره عرش القياصرة، وبدأ الإمبراطور الشاب حكمه بداية حسنة، فأنزله الرومان منزلة السيد، والمنقذ، والإله الصالح، وعبدوه شأنهم مع جميع أباطرتهم، ولكن حينما وقف بولس أمام نيرون، وقد ناهز الخامسة والعشرين، كان ذلك «المنقذ ومصلح العالم» (كما يؤثر عنه في بعض النقوش» قد قتل أخاه بالتبني، وقتل أمه التي قضت بيدها على زوجها لتخلي الطريق أمام ولدها، وكان قد اغتصب امرأة إباحية مستهترة من زوجات أحد قواده ليجعلها سيدة قصره، بل كان يدبر مكيدة ليقتل بها زوجته الشرعية الفاضلة .

هذا هو نيرون الذي وقف بولس أمامه للمحاكمة...

وكان يحتم القانون الروماني على المتهمين أن يحضروا بأنفسهم، فلما قرئت المستندات تقدم المدعون من أورشليم بدعواهم القديمة ضد الرسول : «هذا الإنسان

يبلبلنا في عـبادتنا، وقد دنس هيكلنا المقـدس، وارتكـب جريمة الخيـانة بمناداته بدين جديد».

وبعد سـماع أقوال المدعين والشهـود، تقدم بولس للدفاع عن نفـسه. ولسنا ندري ما الذي قال بولس في موقف الدفاع عن هذا.

وكان الإمبراطور الشـاب ما يزال تحت تأثير إثنين من أخيار مربيـه ومشيرته، همـا الفـيلسـوف سـينكا الرجل الرصين العـقل والطـيب القلب، وبروس الجنيـد المجرب المحنك، وكان ما يزال على شيء من الاحترام للإجراءات القانونية، فطلب إلى المحلفين المشيرين الجالسين معه في منصـة القضاة أن يبدي كل منهم رأيه كتابة ففـعلوا وقرأ هذه الآراء صـامتًـا كعـادته وبذلك انتهت المحـاكمـة ، وأدى حراس بولس التحية العسكرية واقتادوا أسيرهم إلى المعسكر من حيث جاء.

وفي اليـوم التـالي إنطلق بولس مـرة أخـرى يحـيك به يحـيط، إلى سـاحـة العدالة، حيث كان الإمبراطور جالسًا على منصة القضاء. وطلب إلى أحد حجاب المحكمة أن يقرأ الحكم:

«بولس بريء ، جردوا يديه من السلاسل وأطلقوه».

فـأسرع الحـراس بفك السـلاسل من يديه، التي قيـدته أربع سنوات كـاملة، اثنتين في قـيـصـرية وأخرين في روميـة، واسـتطاع الرسـول الآن أن يأكل وينام، ويمشي ويتحـدث ، دون أن يسمع صلصلتها ، واسـتطاع أن يفتقد أصـدقاءه ويقوم بالرحلات التي كان معتزمًا القيام بها.

قلنا أن كاتب سفر الأعمال وقف بنا عند قوله: «وأيام بولس سنتين كاملتين في بيت استأجره لنفسه...» وبهذا ينتهي السفر المقدس، ويبقى علينا أن نقفو آثار الرسول في السنوات الباقية من حياته، بعد الحكم ببراءته وإطلاقه من الأسر، مستندين إلى التلميحات التي جاءت في رسائله التي كتبها بعد هذا التاريخ ، وإلى مصادر أخرى من تاريخ الكنيسة في عصرها الأول.

ومما يقوله إكليمندس، تلميذ بولس (الذي ذكره اسمه في رسالة فيلبي (٤: ٣) الذي صار فيما بعد أسقف رومية، في رسالة له من رومية إلى كورنثوس:

إن الرسول «قد نادى بالإنجيل في الشرق والغرب» وأنه «علم الناس طريق البر والحياة في العالم أجمع» (أي الإمبراطورية الرومانية) وأنه «حمل رسالة الإنجيل إلى أقصى الغرب قبل استشهاده» و«أقصى الغرب» اصطلاح مألوف لدى الكتاب الرومان المعاصرين يقصد به أسبانيا.

ومما يقوله يوسيبيوس: «بعد أن دافع الرسول عن نفسه دفاعًا موفقًا، خرج من رومية لبث دعوة الإنجيل، ثم عاد إليها مرة ثانية، واستشهد في عصر نيرون».

ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم: «من الوقائع المقررة أن بولس بعد إقامته في رومية انطلق إلى أسبانيا».

ويؤيده في هذا القديس جيرونيوس بقوله: «أطلق بولس بعد محاكمته أمام نيرون، لتتاح له فرصة لبث دعوة الإنجيل في أسبانيا».

على أننا لسنا نستطيع القطع بقول جازم في ترتيب الرحلات التي قام بها، ولا تحديد الأماكن التي زارها بالضبط.

والذي نفترضــه أن بولس تبع أفروديتس ويتخيكس وأنسـيس إلى فيلبي، ثم إلى كولوسي وأفسس ، ليعزي نفسه بلقيا أصدقائه وأبنائه في الإيمان.

وتجيء بعد هذا رحلته إلى أسبانيا، التي كان مشوقًا للقيام بها، ويظن بعضهم أن أنطلق غربًا حتى بلغ جزر بريطانيا، وأن صح هذا الظن، يكون الرسول قد بلغها حـوالي سنة ٦٣ مـيلادية أي بعـد سنتين من ثـورة الملكة «بوديكا» ضـد السلطات الرومانية في بريطانيا.

ثم قام الرسـول برحلة ثالثة إلى كـريت «جزيرة أقريطش» مع تـيطس زميله، وعادره هناك ومضى لحال سبيله بعد أن عهد إليه رعاية الكنيسة هناك.

أما رحلته الأخيرة فكانت إلى شواطئ آسـيا الصغري، إلى ميليتس وترواس ومنها إلى بلاد اليونان، معتزمًا أن يقيم الشتاء في نيكوبوليس إحدى موانئ الشاطئ الغربي.

وفي غضون هذه الرحلة الأخيرة كتب رسـالتين إحداهما إلى تيموثاوس في أفسس، والأخرى إلى تيطس في كريت.

وإذ يجد الرسـول نفسه فـي مدائن آسيـا يرى المعلمين الكذبة والهراطقـة قد رفعوا رءوسهم في أحضان الكنيسة، وراحوا يضلون المؤمنين وراءهم، وقد اتحدت عناصر من الشـرق والغرب على نفث سمـومها في حق الإنجيل فأفسـدت تفاوته وبساطته ففي آسـيا الصغري وفي الإسكندرية لم تأب الفلسفة الإغـريقية أن تمتزج بالثيوصوفيـه الشرقية. كذلك اتحدث الخرافات اليهـودية بمغامرات حكماء فارس. وتكونت من هذه كلها البذرة الخبيثة التي تطورت إلى هرطقة هزت أركان الكنيسة

في القرن التالي. وليس عسيراً أن نتصور مبلغ ألم الرسول واضطراب نفسه حين يرى امتداد الشر وسريان العدوي إلى نفر من المتنصرين المسيحيين ولم يك غريبًا أن يتطرق الفساد إلى العقيدة السليمة، فإن المسيح نفسه كان قد أنبأ في أحد أمثاله أن الزوان ينبت في الحنطة.

رسالة الوداع

كانت الرسالة الثانية إلى تيموثاوس كلمة الوداع من الرسول الكبير. وما درى أحد أن شهوراً قلالاً لن تحول حتى يقف الشيخ المجاهد وقفته الأخيرة أمام نيرون الظالم.

حوكم الرسول للمرة الأخيرة ، أمام محكمة نيرون ، واتهم في هذه المرة بالخيانة والثورة على نظم الدولة وأديانها، فقضى عليه بالإعدام كما كان متوقعًا، وكان ذلك في صيف سنة ٦٦ ق. م على قول أو سنة ٦٧ ق. م على قول آخر . وأفلت بولس بسبب رعويته الرومانية من الميتة البطيئة الشنيعة التي ذاقها بعض إخوانه من قبل، وحكم عليه أن تقطع رأسه بسيف الجلاد وهي أخف وسائل الإعدام التي جرى عليها الرومان في ذلك العصر.

وفي يوم من أيام شهر سبتمبر في مدينة رومية. وقد كمد الهواء واحتبس في تلك الخابية الرطيبة في السجن القائم على منحدرات الكابيتول وهناك تقع العين على شيخ فإن موثق في سلاسل من حديد خشن. لعله كان يفكر في نسمات الهواء العليل التي نعم بها من قبل فوق هضبات آسيا الصغرى، يوم كان يرفل في أثواب الحرية مع برنابا أو سيلا أو تيموثاوس أو لوقا .

وأنه لكذلك وإذا به يسمـع فوق خابيتـه وقع أقدام الجند، وزعقـات الأوامر العـسكرية ، وصليل الدروع والسـيوق. ثم يـنزل إليه الحـارس ويأمـره بالصعـود. وبولس يعلم أن وقت انحلاله قد حضر، وسـاعة الإنطلاق قد حانت . ولكنه يبسم في وجه حارسه بسمة مشرقـة، ويتسلق الدرجات ليصعد الردهة، بخطى ثابتة، في رباطة جأش وقوة إيمان.... ثم يسلمه الحـارس إلى القائد وجنوده الذين جاءوا في طلبه.

يحي بولس القائد تحية كريمة، ثم يأخذ موقفه بين الجند، الذين أقبلوا ليقتادوه إلى مكان الإعدام، ويسير معهـم ، لاشخصًا كئـيبًا فاترًا ولا وجهًا عابسًا مظلمًا، بل يخطو وئيدًا وقد علا محياه إشـراق وابتسام، كأنه منطلق إلى حرية بعد أسر، وإلى عزة بعد ذل، وإلى قوة بعد ضعف.

يخرج الجند ومـعهم الأسـير إلى طرقات رومـية، تحت ضـوء الشمس، وفي ضجيج عنيف...

سار الحراس في طـريقهم إلى باب «أوستيـا) ميناء وسط ضوضاء الجـماهير وضجيج الحيـاة الرومانية، وما دروا أنهم في سيرهم هذا يمشـون في موكب النصر المبين في الطريق المقدس، نصر لم يحلم به القواد ولا الأباطرة المتجبرون .

يقف الموكب في محلة الإعدام خارج أسوار المدينة، وأحسب الأسير المنتصر يغتـبط أيما اغتباط أن يرى نفـسه مسوقًـا ليتألم «خارج البـاب» كما فعل سـيده من قبل.

ثم تعطي الإشارة، فيجثو الأسير على ركبتيه، ويحني عنقه...

ويرتفع في ضوء الشمس سيف الجلاد العريض ليهوى على هذا العنق الضئيل، فتتدحرج على الأرض رأس بيضاء، يعفرها التراب.

قد آن للجفون أن تغمض، وللقلب النابض أن يخفت، وللنفس الكبيرة أن تنطلق من قيود الجسد الهزيل الفاني إلى ملكوت غير منظور.

وليست تستطيع ريشة المصور، ولا براعة الكاتب، ولا خيال الفنان، ليس يستطيع أحد أن يتصور لنا ذلك المشهد الآخر بعد أن أغمضت تلك الجفون في ظلمة الموت، لتتفتح إلى نور الحياة الخالدة، وبعد أن انطلقت تلك النفس الوديعة الباسلة، لتكون مع يسوع الذي رأته من قبل في طريق دمشق.

قد أسدل الستار على حياة الرسول الأرضية، ونال ما تمنى، وانطلق «ليكون مع المسيح فذاك أفضل».

ثم حمل الأصدقاء الباكون الجسد لإيداعه تلك الأنفاق السفلى، التي اتخذتها الكنيسة المضطهدة ، دهراً طويلاً ملاجئ لاحيائها وقبوراً لموتاها، ويقول المؤرخ يوسيبيوس أن قبري الرسولين بطرس وبولس كانا باقيين في تلك الأنفاق إلى عصره، بينما يقول القديس جيرونيوس أن القتيل كان يدفن عادة في مكان إعدامه.

الفصل الثاني عشر

بولس وتأسيس الكنيسة

كما ينسب لعمر بن الخطاب بدايات تأسيس الدولة في شكلها المؤسساتي الحديث كذلك ينسب لبولس فكرة تأسيس كنيسة الله- من وجهة نظر مسيحية- التي حوت المؤمنين منذ بدايات فكرتها لجماعة من المؤمنين واليهود المتنصرين يصلون فيما بينهم في بيوتهم وسميت مجازًا كنيسة حتي ظهرت الكنيسة المبني المستقل بطقوسة وشعائره وكهنته وملابسهم وتراتبيتهم الكهنوتية وطرق انتخابهم وسلطات الإكليروس من خلال هيئة الكنيسة يقول" شارل جنيبير " في كتابة تطور المسيحية (ص١٦٦) : إن المسيح لم ينشئ الكنيسة ولم يردها(*) ولعل هذه القضية أكثر الأمور المحققة ثبوتًا لدي أي باحث يدرس النصوص الانجيلية في غير ما تحيز ، بل أننا نؤكد أيضا أن الغرض العكسي لا يمكن أن يوجد له سند تاريخي مقبول ، ولم يستطع رجال اللاهوت بكل ما أتوا من براعه ، حيال ذلك شيئًا ، ومهما بلغ من فقر معلوماتنا عن تعاليم المسيح ، فهي تبدو لنا ، في حجمها ، كرد فعل ضد التعصب الضيق الأفق للشريعة الموسوية لدي اليهود ، وضد شعائرهم التي تزيد في صرامتها عن الحد المعقول وأن كانت الشعائر والشريعة - بعد ذلك من ألزم

(*) نختلف مع رأي د. شارل لأن الكنيسة أرادها المسيح طبقًا للإنجيل حين خاطب بطرس (=الصخرة) وقال له «على هذه الصخرة ابني كنيستي» (متى ١٦/ ١٨) ورغم ذلك فقد أقامها بولس (=المؤلف).

اللوازم الأساسية كل حياة تريد أن تشكل حقيقه كنسيه . ثم إنها لتبدو لنا حافزًا قويًا من حوافز "الاجتهاد الفردي " فالإنسان يحب أن يرتفع روحيًا نحو " أبيه " بخطاياه ، بتطهير ضميره والتسامي بإرادته ، وذلك بالذات هو المبدأ المعتاد لفكرة الكنيسة ، وكان يسوع (= عيسي) يهوديًا خاضعًا تمام الخضوع لشريعه بني إسرائيل الدينيه _ إن عارضها ظاهريًا في سبيل توسيع مداركها فعليًا حسب ما ظن أنه روحها الحقة ، لهذا كله ، لابد لنا من الإيقان بأنه لم يكن فكر لحظة واحدة في رسم خطوط ما نسمية بـ " الكنيسة ".

واذا ما قلنا إن المسيح صرح للحواريين (= التلاميذ) الإثني عشر بسلطة ما- وهذا محل جدل حتي اليوم- فمما لاشك فيه أن الأمر لم يتعد منحهم بعض ما أوتي هو من سلطان في التبشير بالتوبة وبحلول مملكة الله ، ولم يصنع منهم "قساوسة " حيث لم يكن في حاجة إلى ذلك ، وعلي كل حال فإننا عندما ندرس ما قام به هؤلاء الحواريين من أعمال لا نجد أنهم فكروا في إنشاء كنيسه ، إذ ظلوا علي إخلاصهم للدين اليهودي وداوموا بكل دقة علي الشعائر مؤمنين أيضًا بان المستقبل لمملكة الله وليس لكنيسه ما . والنصوص الإنجيلية لم تنسب قط إلى المسيح تعبيرًا مثل " كنيستي " أو كنيسة الأب " إلا في مناسبة واحدة نقرأ فيها " إنك أنت _ لبطرس (صخرة) وعلي هذه الصخرة سوف أبني كنيستي "(إنجيل متي ١٦/١٨- ١٩) ولكن هذا النص لا يمكن بحال من الأحوال الإعتماد علي صحته إلا إن أعلنا أن المسيح في لحظة غفله ، قد تنكر لتعاليمه ، ولعمله ، ولرسالته، بل لذاته أيضًا ، يمكن القول بأن فكرة " الكنيسة " نشأت عن انتقال الأمل المسيحي من فلسطين إلى ربوع العالم اليوناني وإن شئنا الدقه إلى العالمية ، غير أن اليهود الذين

أظلمت قلوبهم " لم يلبثوا أن طردوا أتباع المسيح من معابد المهجر سواء منهم من يهودي الأصل أو مريدًا لليهودية ، كذلك ترك الوثنيون الذين آمنوا معابدهم ، والتف الجميع حول عبادة واحدة تمجد السيد يسوع المسيح وكانت بطبيعه الحال عبادة بسيطة ، إلا أنها أنطوت من ذلك الحين علي فكرة الإجتماع الأخوي والصلاة الجماعية وطقوس المعرفة ، وستائر التقرب سواء منها شعائر التقرب الخاصة بالإتحاد بين السالكين (وفي هذا المجال نري الأتباع يسمي بعضهم بعضًا بـ"القديسيين ") أو شعائر التقريب مع السيد وعلي مائدته وكان هؤلاء القوم الذين يبتهلون باسم السيد المسيح يستطيعون أن يتسموا بـ" قديسي هذا المسيح " بل يعتبرون أنفسهم " إخوة فيه " مهما تباعدت ديارهم ، كانوا جميعًا أعضاء في "كنيسة الله " .

وقد نشأت الكنيسة كفكرة صوفية في عقل رجل مثل بولس وذلك مفهوم يعبر عنه بولس في وضوح تام ويعتقد أنه عندما يتحدث عن " كنيسة الله التي في كورنثيا " كان هذا التعبير قبل فكرة إنشاء تنظيم كنسي خاص . ففي الوقت الذي يحدثنا فيه الحواري (= التلاميذ) عن كنيسة الله ، تدل رسائلة (=بولس) علي أن جماعة كورنثيا تعيش في فوضي داخلية ، وتعني بذلك أنها تركت زمام الامور إلى توجيهات الملهمين التي لا تسلك خطًا تنظيمًا محدودًا معروفًا وأننا لنعلم علم اليقين أن سائر الملهمين يمكن اعتبارهم أعداء الداء لكل أكليروس ولهذا السبب لم يكن للجماعة إكليروس بعد (تاريخ المسيحية ص١٦٩) . ويمكن أن ندرك مفاهيم الحياة التي كانت تعيشها الجماعات المسيحية خلال عهدها الأول من الحماسه والتهيؤات ، يمكن أن ندرك مفاهيمها عندما نتأمل ما يروي لنا من أن " القديسيين "

كانوا في مساء كل سبت من أيام الأسبوع يترقبون ، مع فجر النهار التالي " عودة السيد في اليوم الأعظم الموعود " ، ذلك الذي تطلعوا اليه بجماع قلوبهم ، فلما مضت الأسابيع ثم شهور والسنون دون أن تأتي البشري بـ" العودة " البهيجة ، ظهرت أضرار الفوضي ومساوئها ، في حين توثقت صلة الأخوه بين رحاب الجماعة ، وتسامي الأمل في الخلاص بفضل إنفصال " القديسيين " عن حياة العالم الدينية العامة _ إلى مستوي الأديان المستقلة وعندئذ أصبح من المحتم التفكير في تنظيم مجتمع الصفوة المختارة وبالتالي بدأ الأجراء المقابل لما في تفكير بولس ، فتطورت كل طائفة محلية من الأخوه إلى الكنيسة وكنيسة الله هي مجموع تلك الكنائس الخاصة " التي تتبادل الرسائل والتضحية بالثبات والتي تعتمد كل منها علي الأخريات فهي إذن تنزع " أولاً " إلى الخروج عن كونها تعبيراً صوفيًا للحقيقة، لتصبح واقعًا ملموسًا .

وإذا وقفنا علي أعتاب القرن الثاني لنتأمل المسيحية ، سوف نجد أن فكرة بولس الخاصة بوحدة المسيحيين جميعًا في الله قد ثبتت تمام الثبوت ودعمت بالعقيدة الشائعة بين الناس والتي تقول بأنه ليس هناك في الحقيقه سوي دين صحيح منجٍ واحد(*) يجب البحث عن أسسه القوية العميقه في سنن الحواريين (=التلاميذ) .ولا تزال نشأة هذه الكنائس الخاصة نفسها غامضة بعض الغموض بالنسبة إلى الباحثين ، وكانت النماذج التي يمكن أن تحتذي في هذا المجال متوافرة

(*) هذا المنهج يقابل فكرة «الفرقة الناجية من النار» في الفهم الإسلامي وهي تعني رفض التعدد والإدعاء بامتلاك الحقيقة المطلقة ورغم ضرورتها لتوحيد المفاهيم إلا أنها تؤدي في الغالب إلى أحادية الفكر والرؤية الدينية وتقضي على الثراء الفكري من خلال تعدد المذاهب (=المؤلف).

صقد وجدت منذ زمن بعيد صي قسمي الإمبراطورية الرومانية ، اللاتيني والروماني جماعات أو إتحادات دينيه أنشئت من أجل غرض واحد : التعاون صي الخير أو الحث علي التقوي ، وسميت عند اليونان ب " الأران " أو " التباس " ، وعند الرومان بـ" الكوليجيا " ومن بين ألوانها ما أطلق عليه اسم " كوليجيا تنويوروم " أي «جماعة مؤلفه من صغار الناس» ، وكان لكل جماعة مديرها المنتخب وصندوقها الذي تموله الإشتراكات ويشرف عليه مندوب خاص ومن المرجح أن كلا التأثير بين الجماعات الوثنية وتأثير النظم اليهودية وقعا عليهم صي آن واحد ، مع ترجيح إتجاه أحدهما علي الآخر حسب ظروف الزمان والمكان ، وقد صرضت الضرورات أونواع الوظائف وسمي الموظفون أسماء أخذت عن اللغه الشائعة مثل:

"بريسبيتيروس "= شيخ (= عضو مجلس كنسي من العلمانيين غير الإكليروس)

"إيبسكوبوس "= مشرف

"دياكونوس"= خادم

وقد تطورت معاني هذه الكلمات صفيما بعد إلى : قس ، وأسقف ، وشماس وتغلبت الجماعات ، صفي كثير أو قليل من البراعة والتوفيق ، علي المشاكل الخاصة بتعليم الاتباع الجدد ، والمحاصظة علي النظام والآداب العامة ، وتدعيم سنن الإيمان الصحية ، وتأمين شعائر العبادة ، وضمان نوت المعوزين ويكفينا أن نطالع " أعمال الرسل " رسائل " بولس ، ثم تلك الرسائل الثلاث المنسوبة إلى بولس ، وأن كانت لاحقة له ببضع سنين _ والمسماه بـ" الباستورال " ، يكفينا هذا لندرك مدي الإسراع

في التنظيم منذ البدء فيه . ففي نهاية القرن الأول نلمح ـ في بعض الكنائس علي الأقل ـ " أسقفًا واحدًا ، و"مشرفًا " عـامًا علي الجماعة كلها (وهو الشخص الذي سـوف يسـيطر بعد ذلك علي جميع الوظائف ، ثم إلى جانبـيها مجـموع من " الشيوخ " تخصصوا في الوظائف الروحية ، ومن " الخـدم " الذين وكلت إليهم الوظائف المادية وصورت كل جماعة نفسها علي انها نوع من " التلخيص " لكنيسة السيد (=الرب) الكبـري ، رأسها الشرعي الأسقف الذي يتـخذ في ذلك قدوة من المسيح رأس الكنيسـة " كنيسة الله الكبري " ، وأخيرًا ، قـد أصبح الأسقف ، علي أثر نمو الطقوس الدينية رئيسًا للعبادات الجمـاعية وكان ذلك تطويعًا حتميًا وان لم يكن طبيعيًـا في بعض جوانبه ـ لمفهوم " القس الأكبـر " عند اليهود وفرض النظام الأسقـفي بالتدريج علي سـائر الكنائس فيمـا بين عام ١٣٠ وعـام ١٥٠ علي وجه التـرجيح ودعـمت انتصـاره الأزمـات العديدة التي مـرت الكنيـسة بعـد ذلك من إضطهادات تـشتت " الرعيـة " ويقضي علي جـموع كـبيـرة منها ثم عودة مـرتدين كثيـرين يرغبون في العودة إلـى رحاب الكنيسة التي لم تكن تقـبلهم من جديد إلا بعـد إتخاذ الحـيطة اللازمة ،ثـم إتخذت الكنيـسة تراتـيب خاصـة من التركـيبات التأليفية لفروض الإيمان الأساسية مع أساطير شرقية قديمة ونظريات فلسفية يونانية، واتضح خطرها البالغ حيث كانت عـامل إغراء للنفكرين من " الأخوة " ثم لأهل التصوف من بعدها ، أوعلي العكس لكل هؤلاء الذي يفتنهم المظهر العملي الفعال للطقوس السحـرية ، وعلي أي حال فقد اقـتدت الكنائس بعضهـا ببعض ، بحيث تلاشت سريعًا مظاهر المقاومة التي أبديت أحيانًا تجاه تطور النظام الأسقفي ، وصار

المسيحيين في بداية القرن الثالث أو حوالي ذلك يؤمنون عامة بأن وحدة التنظيم يجب أن تكون موازية لوحدة الايمان وألا تقل أهمية عنها .

ومنذ ذلك الحين ، بدأ العمل النشيط في سبيل تبرير الأمر الواقع فشاع الاعتقاد بأن النظام الأسقفي الملكي أنما أنشأه الحواريون أنفسهم (= التلاميذ) وتقدمت كل كنيسة بقائمة للأساقفه ترجع بها إلى الحواري الذي أنشأها ، أو أن لم يتيسر لها الاعتماد علي حواري (=تلميذ) فإلي تابع من أتباعه أو مندوب من كنيسه حوارية كان له الفضل الأول في تأسيسها ، واتخذ لسلطة الأسقف رمزاً من ذلك الكرسي (= الكاتيدرا) الذي زعموا أن قد جلس عليه سائر الخلفاء ، فإذا ما قيل مثلاً "كرسي بولس " فإنما يعني ذلك " سلطة أسقف روما" وعلة هذه السلطة هي " سنن الحوارين " مثلها في ذلك مثل " شروط الايمان " ولن يبحث الباحثون عن تبريرات انجيلية للنظام الأسقفي الملكي إلا في عهد متأخر ولقد وجدوها في إنجيل متي (١٦/ ١٩) " ولأعطينك مفا تيح مملكة السماوات ولسوف يعقد أيضًا في السماوات كل أمر تعقده في الأرض ولسوف يحل أيضًا في السماوات كل أمر تحله في الأرض "(*). كان الأسقف ينتخب بواسطة " الشعب" ، ثم كان ينصب عضوا في السلك الكنسي بواسطه الأساقفه المجاورين، وقد نري أسقفًا يعين خليفه له ،أو مجموعة من الأساقفة يقوسون بملء وظيفة شاغرة بمطلق إرادتهم الجماعية . ولكن هذه الأمثلة لم تكن بعد سوي حالات إستثنائية أملت التصرف فيها ظروف خاصة . وكانت شروط الانتخاب ما تزال مرنه وسعه كأن يطلب من الأسقف المرشح أن تقدم دليلاً علي أخلاقه الطيبة ، وضمان ذلك أن يكون متزوجًا

(*)مفهوم سلطة التفويض الإلهي والتي تحولت إلى الكهنوت الكنسي المعروف (=المؤلف).

أو أرمل ، ويطلب منه أن يكون ذا إيمان قوي ، وأي الا يكون من الوافدين الجدد علي المسيحية. أما المؤهلات الثقافية فكانت مسائل ثانوية وأما السن فلم يكن قد، أتخذ مكانه كشرط هام بعد ، إلا أن القوة الجسمية العامة كانت من مستلزمات الوظيفة وإن تسامح أولو الأمر بعض التسامح في هذا الشرط .

أما طائفه «الدياكونوس» منهم عون للأسقف في المراقبة وجمع المعلومات ، ولسوف تمثل العلاقة بين الأسقف وبين الطائفة فيما بعد بتلك التي كانت بين موسي وهارون.

والقسس يعود نشأه نظامهم إلى أسلوب مجلس القدماء أو الحكماء "السنهدرين " في المعبد اليهودي وكانوا يشكلون في أول الأمر مجلس الجماعة الذي يدير أمورها في الواقع ثم أقتصرت وظائفهم تدريجيًا علي المجال الروحي، وأصبحوا بعد قيام الاسقفية الملكية مندوبين للأسقف .

وكان الإكليروس في هذا العصر يشتمل علي مجموعات من النساء أطلق عليهن الاسم المؤقت من "دياكونوس " أو لقب " عذاري " أو " أرامل " إلا اننا لا نستطيع أن نميز بوضوح بين الوظائف المعينه المقابله ، ولا شك لكل درجة من هذه الدرجات ولا أن نحدد اختصاصات أي منها ونفهم فقط أن هاتيك النساء الملحقات بالكنيسة ، لم يطلب منهن القيام بالتعليم ولكن بالخدمة . ويبدو أنهن كن أيضا معاونات للأسقف في إتصالاته بـ" الأخوات " في نطاق الجماعة . ويبدو أن الحذر من فتنه الجنس كانت شديدة بين المسيحيين وناشئة عن التجربة ، ولذلك

اتخذت الحيطة اللازمة للحفاظ علي الموظفين من تلك الفتنه وإن تم ذلك أحيانًا بكثير من البساطة الفطرية.

وكان كل هؤلاء الموظفين يعيشون ، من حيث المبدأ علي الرزق الذي يجدونه في مذبح الكنيسة ، من هدايا وتبرعات الأتباع ، ولكنهم في الواقع أقتدوا بما فعله بولس الحواري (= مجازًا حيث لم يكن من تلاميذ يسوع بالفعل) [=المؤلف] .. وراح العدد الوفير منهم يعمل إلى جانب وظيفة في بعض الصناعات اللائقة .

لقد قيل عن هذه الكنيسة أنها ابنة بطرس الحواري ، وبرغم أن بها كرسيه وقبره ، وزارها بولس الحواري ، ومات بسيف الجلاد علي مقربة من أحد أبواب المدينة (*)، كان استشهاده تدعيمًا لعمل بطرس ، وكانت كنيسة روما منذ السنين الأولي من نشأتها ، معروفة بكثير أعضائها وبغناها وتشهد مقابرها بذلك كما أن وفرة صدقاتها علي الكنائس الأخري مما أعطاها الأسبقية الشرقية التي تحتمت لها حيث كان نفوذها يتخذ له سندًا من نفوذ عاصمة الإمبراطورية الرومانية .

(*) لعل في الفصل السابق الحادي عشر شرح واف لاستشهاد بولس ورحلة كرازته في أوربا وآسيا الوسطى وذلك ليستفيد منها متابع هذا البحث ممن لم يكن له دراية بهذا التاريخ هذا برغم ابتعادها جزئيًا عن روح البحث ووقوعها في دائرة السرد التاريخي والسيرة الذاتية (=البيوجرافيا) (=المؤلف).

الفصل الثالث عشر

صورة "عمر اللاتاريخي"

جسد عمر في شخصه تناقضًا حيث كان يمارس إزدواجية في الممارسة السياسية فكثيراً ما تعينت قرارات وتصرفات له وفق قوانين إجتماعية ، ومن هنا فإن "العادل" (= عمر) كان يتقيد بعدالة نسبية مخصوصة حيث تكشفت عدالته النسبية في موقفه من الديوان، الذي بناه علي أساس تقسيم قبلي / ديني وبالتالي تأسست في عهد عمرالرؤية الاسلامية للعالم علي أساس نظام الطبقات الاجتماعية الدينية وعلي هذا لا يمكن اعتبار سياسة عثمان بن عفان المحابية لآل أمية خروجاً عن السكة التي وضع خطوطها الأولي عمر ، بل مجرد تطبيق صياغه عمرية ، بل أن عمر اعترض علي أبي بكر في مساواة العطاء بين المسلمين ، وكان رد أبي بكر بأن أجورهم علي الله (الفاروق عمر ٢/ ٢٥٤).

واذ أسس عمر مبدأ الفرز الإجتماعي علي أساس عصبي من خلال قوانين الديوان إلا أنه حاول أن يدخل عنصر الدين في هذه الطبقات ، فكتب مرة إلى أبي موسي الأشعري ، لما كان والياً علي البصرة بأن يجعل المعروفين بعلمهم بالقرآن والتقوي هم أول من يأخذوا مجالسهم لديه وبعد ذلك يسمح للعامه (إبن أبي الحديد المعتزلي ٦/ ٢٥٤-٢٥٥-أخبار عمر ١٤٣) ومرة أخري في صورة متناقضة غضب عمر لأنه رأي خدماً واقفين وسادتهم في مكة يأكلون ،فإنه أنّب المكيّين وطلب من

الخدم مشاركة السادة في الطعام إلا أن هذا الموقف العابر لم يصبح ناظماً للقيم التشريعية إذ ناقض ما فعله بعد ذلك فاستثني من توزيع أموال الفتوحات الأرقاء فقال :" ما أحد إلا وله في هذا المال حق إلا ما ملكت إيمانكم (تاريخ عمر ١٦٢) فلا يحق للمسترقين التمتع بما يستوي عليه ، وحتي لو أكتشفوا كنزاً.

وكان في عهد محمد (= النبي) غزوات محدودة(*) وغنائم بسيطة ، ولدي تسلم أبي بكر مقاليد الأمور و دخوله في حروب السيطرة علي الجزيرة العربية فإن الثروات التي حازتها قوات المسلمين كانت أبسط من أن تغير البناء الاجتماعي للحركة الإسلامية ، لكن القيم الاجتماعية لا تتبدل بالسرعة التي تتبدل فيها المجتمعات سياسياً. بدون الدخول في مبحث " أخلاقي " علينا أن ننظر إلى عمر من منظور نسبي من خلال شخصه وعصره وقيمه إن عمر لم ينتقل لقيم أخري بسبب بطء آليات الانتقال النفسيه هذه ويصور ذلك القول المنسوب لمعاوية :" رحم الله أبا بكر ، لم يرد الدنيا ولم ترده الدنيا ، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها ، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصابت منه ، وأما نحن فتمرغنا فيها " (تاريخ الطبري ٣/٢٦٧) . واذا كان عمر بن الخطاب قد تعامل مع زعامات العرب بالاستخفاف وضيق الخناق علي الملأ القرشي بالتحديد ، إلا أنه كان يؤسس نظامة علي التمايز العصبي إستعداداً لقوه العصبية في توطيد حكمة . و بالتالي كان يمارس أعلي درجات الدبلوماسية لكسب الزعامات القرشية ، فعندما مات أبو عبيدة ، أمر عمر

(*) أغلب هذه الغزوات هي حملات للدفاع المضاد أو الدفاع الوقائي لذا ليس من الدقة وصفها بالغزوات فالغزوات تعني الإغارة والهجوم المسبق دون سبب ودون تحذير كما يفعل قطاع الطرق وهو ما لا ينطبق على حروب محمد (=النبي) (المؤلف).

بتولية معاوية ولاية الشام كلها رغماً عن صغر سنه (فتوح البلدان ١٤٥) ورغماً عن عدائه الشخصي لآل أمية ، ورغماً كذلك عن حقيقة حداثة إسلام معاوية ، الذي أعلنه لدي إستيلاء (=فتح) قوات المسلمين علي مكة ، أي لدي وصول السيف إلى الأعناق اذاً بهذا مهد عمر عفوياً السبيل لتأسيس الدوله الأموية . وبالمقابل أبعدها بدون قصد أيضا عن بني هاشم وعلي أيٍّ حال ، كان الأساس الذي تحتاجه الدولة إنما هو العصبية ذات الشوكة التي لاتتوفر لدي الأسرة الهاشمية كان التاريخ يبحث عن القوة التي تحركه ، فصار يتلمس في عمائه اليد التي ستبعد عمر عن مساره الذي أربكه . كان يبدو أن ثمة إتفاقاً صامتاً بضرورة التخلص من عمر وعلي المستوي اللاشعوري كانت الشخصيات تسير بقدرية تتجه بها إلى إقصاء عمر ، كما أن عمر بات مدركاً لهذه الحقبقة ، والي ذلك تشير الروايات التي تزعم بان كعباً تنبأ لعمر بأنه سيُقتل وفي خضم هذه الأجواء المشحونة ، إنبعثت اليد التي ستسمح للتاريخ بالمضي في دربه إذ بينا كان عمر يدعو الناس لصلاة الفجر علي ديدنه ، شعر بطعنات عده ، وللوهلة الأولي ، ظن عمر بأن كلباً هاجمه ، ولم يدرك أنه يتعرض للاغتيال الا في الطعنه الثالثة (إبن سعد ٣/ ٣٤٨، إبن أبي الحديد المعتزلي ٦/ ٣١٣) كان عدد الطعنات بين ثلاث وستة حسب اختلاف الروايات .

وقد قتل عبيد الله بن عمر قاتل أبيه الهزمران وجفينه بالإضافه إلى ابنة صغيرة لأبي لؤلؤه يروي أنها كانت تدين بالإسلام ويقال إن حفصة (= أم المؤمنين) شجعت عبيد الله علي قتلهم (طبقات ابن سعد ٣/ ٣٥٦) باعتبارهما المحرضان لأبي لؤلؤة علي قتل عمر وقد اختلفت الروايات فمنها من تلقبه بالمجوسي أو المسيحي في روايات أخري رافق موت عمر طقس ديني ، فيه قطيعه مع تشريع إسلامي ، اذا

كان قد غسل جثمانه ، وكفن بناء علي طلبه وهو علي فراش الموت ، خلافاً لما كان يتبعه المسلمون ، وهو عدم غسل وتكفين قتلاهم ، بل كانوا يدفنوهم كهيئتهم حين يقتلون فاستجد حكم جديد في التشريع ، ألا هو أن المسلم إن قتل في ميدان المعركة يدفن علي هيئته ساعة مقتله ، اما أن تعرض لاعتداء فانه يجهز كما يجهز غيره من الموتي ويكفن ويصلي عليه "(الشيخان ٢٤١-٢٤٢) .

علي أي حال ، ثمه حقيقة أن عملية إنتاج التاريخ اللا تاريخي هنالك جانب قصدي في الروايات المؤسطرة لعمر ، فلم يكن العلماء المسلمون يجدون غضاضة في اختلاق أحاديث وروايات لدواعي تعليمية فقد قال البيضاوي صاحب التفسير _ انه كان يضع عند ختام كل سورة ، أحاديث في فضلها بعنوان " إن من قرأ سورة كذا فله كذا " ولما سئل من أين استقي هذه الاحاديث ، أجاب :" لما رأيت اشتغال الناس بفقه أبي حنيفة ، ومغازي محمد بن اسحق ، وأعرضوا عن القرآن وضعت هذه الاحاديث(*) ، حسبة لله تعالي (فجر الإسلام ٢١٤-٢١٥) .

الجانب الآخر في عمر اللا تاريخي هو شرعنة أحداث جرت لاحقاً، فعندما تخبرنا كتب التاريخ أن عمر طلب من ابنه عبدالله ، وهو يحتضر أن يفي دينه المستحق علي بيت المال والبالغ سته وثمانين ألف درهم ،وعلي أن يتم الوفاء من مال آل عمر فإن لم تف فمن آل بني عدي ، فإن لم تف فعليه أن يسأل فيهم قريشاً (طبقات ابن سعد ٣/ ٣٥٨،٣٣٨) والقصه تشرعن الاستفادة من بيت الولاه لاحقاً ،فلا

(*)رغم اعتراف البيضاوي بالكذب ونقل التاريخ لنا إعترافه إلا أن كثيرين مازلوا يؤمنون بمثل هذه الأحاديث حتى اليوم (=المؤلف).

توجد مؤشـرات عن حاجه عمـر لهكذا مبلغ ، وهو غناه الداخلي ونزاهته وتقـشفه وزهده حتي أنه كـما فعل أبي بكر ابتعـد عن التجارة من أجل التفـرغ لشئون إدارة الحركـة الاسلامـية وخاصـة عمر الذي علـي مشارف بناء دوله في طور الـتشكيل وذات نظم أكثر تعقيداً .

حوار لاهوتي

روي أن عمـر ضرب رجـلاً أبدي تقديره لكتب الفـرس ، وقال بأن لدي(*) المسلمين القرآن ، وإن مـا أهلك الأمم السابقة هو تركهم كـتبهم المقدسـة (التوراه والإنجـيل) ، وانصرافـهم إلي كـتب علمائهـم وأساقـفتـهم (إبن أبي الحـديد المعتـزلي ٦/ ٢٦١) كما أمـر بمحوعلوم الفرس (المقدمة١/ ٤٠) فكتب إلى سعـد بن أبي وقاص أمره بطرح كـتب الفرس في الماء (المقدمة٢/ ١٧٦) ،كما أننا يمكننا إدراج التـأكيدات الوارده في المصادر بانه امر باحراق مكتـبه الإسكندريه في هذا السياق ، لكن بدون نفي قطعـي لذلك (هناك نفي للـواقـعـة في كـتــاب الفـاروق عـمــر بن الخطاب (١٨٣-١٨٥) والواضح من هذه الروايات هو مناوئة إنتشـار العلم ، والفكرالفلسفي والكلامي (= اللاهوتي) ، لكن في صـور مـختلفـة يُروي أن عمـر بن الخطاب لما وصل الجابية ، وخطب فيها ، قـال :"إن الله يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء "قال الجاثليق بأن: "ابن الله لا يـضل" (الحسن البصري،إحـسان عبـاس) وبهذا يرون أن الحوار اللاهوتي الأول بين المسيحيين والمسلمين شرع به عمر.

(*) هذا الرآي العـمري (=نسبـة إلى عمـر) لو قاله اليـوم لاتهم بأنه من أهل القرآن (=القـرآنيين) خاصة أنه رفض رواية وجمع أحاديث محمد طوال عهد حكمه (=المؤلف).

عمر المثالي (=المؤمثل)

الوجـه الأول لعمـر اللاتاريخي هو أسطرته وأمـثلته ، فالذين اسـتفـاضوا بروايات عن عدالة عمر و إنسانيته ،ورحمته، كانوا يعكسون في حقيقة الأمر تطلع المسلمين إلى العدل كـما كانوا يعبرون عن رغـبات الشعوب الإسلامـية في وجود قائد عـادل ، وبنفس الوقت قائد مـستـبد . وهو مـا يعادل الصورة الذهنـية للذات الإلهية ،فالصورة المؤمثلة لعمر والمبـسوطة على إمتداد كتب التاريخ ، وإن كانت لا ترصد صفات الشخصية الحـقيقية ، فهي تصور مطامح وآمال صناع الرواية (السيرة المتوارية٢٧٥) .

صورة العادل

أطرف القصص المشهـورة عن عمر ، تحكي أنه لما بلغ هرقل نبـأ تسلم عمر الأمور قـام محـذراً كبار شـخصيـات دولته بأن زوال ملكهم سـيكون على يد هذا الحاكم الجديد، فاقترح عليهم الخضـوع له ،إما بإعتناقهم الإسلام ، وأما بقبول دفع الجزية ، بيد أن ذلك كـاد يحدث شقاقاً ، فـقال لهم بإنه إقترح عليهم ذلك إخـتباراً لعقيـدتهم ، ثم جند رجلاً لأجل إغتيـال عمر وبالفعل غـادر الرجل إلى يثرب ولما وصلها وجد عمـر "خرج يشرف على أموال اليتامى ويتفـقد حدائقهم" فكمن له ، وبعد أن أستلقى عـمر نام متوسداً حجراً تقـدم القاتل ليغتاله ، فجـاء عمر سبع من البرية فطاف حوله ، وشرع يلحس قدميه ، وسُمع صوت ، يقول :" ياعمر عدلت ، فـأمنت ، وهنا أقـبل إلـى عـمـر مـعتـرفـاً بمـا يريد ، مـعلناً إسـلامـه (فـتوح الشـام ١/ ١٣١-١٣٢) وهذه المحـاولة سـتتكرر عنـدما يقـتـرح جبلـه بن الأيهم علي هرقل

إغتيال عمر لوقف زحف قوات المسلمين فأرسل جبله واثق بن مسافر الغساني حيث كمن له ظهراً ولما نام عمر وتقدم واثق لقتله " أقبل أسد ، وهو بحجم البقرة الكبيرة وطاف حول عمر ، وجلس عند قدمية يلحسهما وعندما إستيقظ جاء واثق، فقبل يد عمر قائلاً :" يا عمر قد عدلت فأمنت " (فتوح الشام ١/ ٤١٥-٤١٦) وهناك تساؤل بسيط علي مدي خوف القائل من الأسد وكيف صبر على رؤيته وهو يلعق قدمي عمر وكيف تملك أعصابه وذهب إلى عمر ليقبل يديه ويعلن إسلامه في بعض الروايات وأين ذهب الأسد بعد ذلك ؟(= المؤلف)

ينبغي أن يكون نبياً (=عمر)

ويروي أن قيصرا أرسل إلي عمر رسولا ، فلما دخل المدينه ، سأل أهلها عن ملكهم فقالوا له مالنا ملك ، بل أمير قد خرج إلى ظاهرالمدينة فلما خرج الرسول في طلبه رآه نائماً في الشمس علي الأرض وفوق الرمل الحار ، وقد وضع درته كالوساده ، والعرق يسقط من جبينه علي الأرض فلما رآه علي هذه الحالة مع الخشوع في قلبه ، فقال :" رجل لا يقر للملوك قرار من هيبته ، وتكون هذه هيئته ، وتكون هذه حالته ولكنك ياعمر عدلت فأمنت فنمت ، وملكنا يجور ، فلاجرم أنه لا يزال ساهراً خائفاً (أخبار عمر ٣٢٧-٣٢٨) كما علق الهزمران أنه رأى عمر نائماً بدون حراسة ، لما أخذوه أسيراً إليه يوم مقتل عمر علق قائلاً "ينبغي أن يكون نبياً"(*) فأجابوه :بل يعمل بعمل الأنبياء " فقال "هذا والله الملك الهنئ"ولنقرأ أيضاً

(*) قد يضاف هذا الأمر إلى ما أوردناه في الفصل الخامس «السمات النبوية» ويؤكد صفة «المتنبي» بمعناها الحميد لا المعنى السيء المرتبط بالشاعر المشهور أي إدعاء النبوة كما سبق بينا في هامش سابق. وعلى أي حال هي وجهة نظر أهل الجماعة في عمر بن الخطاب دون جماعة أهل البيت (=المؤلف).

حدثنا موسي بـن اسماعيل قال ، حـديث سلام بن مسكين ، عن عمـران بن عبد الله طلحه قال : كان عمر بن الخطاب يحتاج الحاجة الشديدة فيأتي خازن بيت المال فيستعرض الدريهـمات فيقـرضة فربما أخذ بخناقـه فيها حـتي يردها ، وربما يؤخر حتي يخرج عطاؤه أو سهمه فيعطيه (ابن شبه) .

وعندما جئ بـتاج كسـري ملك الفرس ، إلي عمـر ، علق عمـر قائلاً ،" إن قومـاً أدوا هذا.. لأمناء " فقال له علي :" إن القـوم رأوك عَفَفت فعُـفوا ولو رتعت لرتعوا"

إتساع صدر الحاكم العادل (= عمر)

ذات مرة استنكر عمر ارتفاع قيمه مهور النساء وحدد سقفه بأربعمائة درهم فاعـترضـته قـرشيـة ، مذكـرة إياه بالآيه ﴿ وآتيتم إحداهنّ قنطارًا فلا تأخذوا منهُ شيئًا أتأخُذُونهُ بهتانًا وإثمًا مُبينا (٢٠) ﴾ (النساء) فتراجع عمر قائلاً قـولته المشهورة " أصابت إمرأة وأخطأ عمر " أو برواية أخري تحمل في طياتها معني عنصري " إمرأة أصابت ورجل أخطأ" وحتي عندمـا أوقفته إمـراة وهو علي حماره وأغلظت له القـول،فإذا بسائل يتعجب من صبره ، فيجـيبه :" ويحك ما يمنعني أن أستمع عليها ، وهي التي استمع الله لها ، أنزل فيها ما أنزل ﴿ قدْ سمِع اللَّهُ قوْل الَّتي تُجادِلُكَ في زوْجِها ... (١) ﴾ (المجادلة) فما أمنعني بان أستمع لمن أستمع الله منها " (التاريخ الكبير للبخاري) .

العادل ونصرة الضعيف

حضر باب عمر سهل بن عمر والحارث بن هشام وأبو سفيان بن حرير ونفر من متنفذي قريش ، وصهيب وبلال ،و آخرون من الضعفاء الذي شهدوا بدراً (= المعركة) فخرج آذن عمر ، فأذن لهم وترك علية القوم ، فقال أبو سفيان : "لم أرك اليوم قط يأذن لهؤلاء العبيد ، ويتركنا علي بابه لا يلتفت الينا (تاريخ عمر ١٥١) لكن صورة العادل في الفكر السياسي الاسلامي تتعلق بصورة اجتماعية تاريخية هي صورة المستبد العادل ، أي بصورة " المهيب" ولنقرأ صورة عمر الكاريزمية من خلال هذه الروايات . وهناك ثمه حديث يقول أن محمداً (=الرسول) شاهد في منامه إمرأة تتوضأ بجوار قصر ، فقال لمن هذا القصر ، فلما قيل لعمر ولي مدبراً لأنه تذكر غيرته . وفي أحد الأيام بعث محمد (= النبي) أباهريرة إلى جماعة ، قائلاً أن من " يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه ، فبشره بالجنه " فلما لقيه عمر، أمره بالرجوع ، فسأل محُمد عمر عن سبب تصرفه ، فإجابة " لا تفعل ؟ فاني أخشي أن يتكل الناس عليها فخلهِّم يعملون (تاريخ عمر ٧٠-٧١)(*)

الماورائية والسيطرة علي الطبيعة

يدخل ضمن إطار الأسطرة واللاتاريخية التي ظلت في المخيال الجماعي للمذهب السني لتقديس عمر أو إعطاءه صورة قدسانية تخرج به عن مصاف البشر وثمه روايتين لإثبات قوة عمر الماورائية .

(*) هذه الروايات تعطي دوراً تشريعيًا لعمر وأن اعتراضه على قرار محمد (=النبي) في هذه الرواية الغريبة يعطي انطباعًا أن رؤية عمر أفضل من رؤية النبي وهذا يعيدنا إلى الدور الخطير للروايات وضرورة تنقيحها وتصحيحها من جديد (=المؤلف).

سارية الجبل

بينما كان جيش المسلمين بقيادة سارية في نهاوند ، وقع في موقف صعب وكان عمر بن الخطاب يخطب بالمدينة خطبة الجمعة ، فالتفت من الخطبة ونادي : "ياسارية بن حصن الجبل .. الجبل أو من استرعي الذئب ظلم» ، فلم يفهم السامعون مراده ثم إنه أتم الصلاة ، وعندما تسائل الناس علي لسان علي ما سر ذلك ، أجابهم بأنه وقع في خلده أن جيش المسلمين في محنة و أنهم قرب جبل ، فإن عدلوا اليه قاتلوا من وجدوه وظفروا ، وإن جاوزوه هلكوا ، فخرج منه الكلام، وفضلاً جاء البشير بعد شهر ، فذكر أنهم سمعوا في ذلك اليوم وتلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتاً يشبة صوت عمر ، يردد : ياسارية بن حصن .. الجبل الجبل " (الكامل ٣/ ٤٢) وهو ما يعرّفه العلم بالتخاطر عن بعد (التليباثي) Telepathy [= المؤلف].

عروس النيل

هي الرواية الثانية وتحكي قصة سيطرة عمر علي الطبيعة تقول بأنه كان لدي المصريين طقس يقضي برمي فتاة بكر إلي النيل سنوياً في شهر مخصوص ، بعد أن تزين وتجعل عليها الحلي ، لكن عمرو بن العاص منعهم من مزاولة هذا الطقس ، فلما جاء وقت التضحية ، وانقضت ثلاثه أشهر أخر علي ذلك دون تقديم الأضحية البشرية لم يجر النيل فيها هم الأهالي بالرحيل فكتب عمرو إلي عمر مخبراً إياه ، فأرسل إليه .. عمربن الخطاب إلى نيل مصر المبارك أما بعد ،لإن كنت تجري من قبلك فلا تجر وإن كان الله يجريك ، فأسال الله الواحد القهار أن يجريك

بقدرته " فقـام عمرو بن العاص بإلقـاء البطاقة في نهر النيل حسب أوامـر الخليفة (=أميـر المؤمنين) فلمـا أصبح الناس يوم عـيد الصليـب رأوا النيل " في تلك الليلة سته عشـر ذرعاً في دفعه وحدة ، بذلك إنقطعت هذه السُنة السيئة علي أهل مصر (تاريخ الخلفاء ١٥٤ ، البداية والنهاية لابن كثير ، الفاروق ١٨٠-١٨١).

عمر الزاهد الرحيم

كان عمر يري نفسه أصغر من المهمه التي كلف أداءها ، ربما كان يسخر من نفسة أحـياناً _ فيـقول كـما سمـعه بعض أصـحابه يحـدث نفسـه من وراء جدار "عـمـربن الخطاب أمـير المؤمنين ؟بخٍ بخٍ يابن الخطاب .، والـله لتطيـعن الله أو ليعذبنك " (الشيخان لطه حسين ص ١٣١) .

ويقال أن عمر خطب عليه إزار فيه إثنتا عشر رقعه (الكامل ٣/ ٦٠) ونقل عن أنس بن مالك انه وجد في قـميص عمر أربع رقـاع ، وفي روايه أخري ثلاث رقاع (تاريخ عمر ٢٠٩) بينما رآه أحدهم وعليه أربع عشر رقـعه كما رئي وعليه إزار مرقع علي مقعدته (ابن سعد ٣/ ٣٢٨) ويقول الرواه إنه تأخر ذات يوم جمعة فصار الناس ينتظرون بالمسـجد حتي أبطأ عليـهم ، ثم خرج عليـهم فصعـد المنبر ، واعـتذر عن إبطائه ، فتبين أن سبب تأخيره غـسله لقميصه ، واضطره أن يجف ، ولـم يكن عنده قميص آخر .

ذات يوم طلب أعرابي من عمر معونة لتجهيز بناته ، وقد ذكره الأعرابي يوم الحساب ، فما كان من عمر إلا أن قدم قميصه ، وأوضح ، ولحيته مخضله بدموعه، إنه لا يملك غيره (تاريخ بغداد) .

لقد تغير لون عمر عام الرمـادة ،فأسود بعد بياض ، لكثرة ما أكل من الزيت ولكثرة مـا أخذ نفسـه به من الجوع . كمـا كف عن مقاربة نسـائه في زمن الرمادة وهي عام الجدب وقلـة الأقوات .وعلاوة علي ذلك كان في وجـهه خطان أسودان من البكاء (تاريخ عمر ٢٥٢) .

قيل بأن عـمر اشتـهي سمكاً فأخـذ يرفأ- مولاه- راحلة فـسار ليلتين مقـبلاً وليلتين مدبراً واشـتري مكتلا (= زنـبيلاً) فجـاء به ، بعدها قام يـرفأ علي الراحلة يغسلهـا من العرق ، فنظر اليهـا عمر أو قـال " عذبت بهيمـه من البهائم في شـهوة عمر ، ولله لايذوق عمر ذلك (أخبار عمر ٢٨٤-٢٨٥) .

و قيل أنه كان ذات يوم رجلٌ لدي عمـر يريد توليتة مسئولية فـجاء عمر ولدٌ له ، فاقـعدة في حجـرة أوقبله (في روايه أخـري) فقال الرجل بأنـه لم يفعل ذلك قط، فـما كـان من عـمر إلا أن قـال له :"مـاذنبي إن كـان الله قد نـزع الرحمـة من قلبك"، ثم عـدل عن كـتابة العـهـد له مبـرراً قراره بـأن من لم يرحم أولاده فكيف يرحم الرعية (تاريخ عمر ١٨٢-١٨٣، أخبار عمر١٢٩).

ويأتيه ذات يـوم رجل ، يسأل عن بنت له زنت فـيما مـضي ، ثم تابت توبه حسنه ، وهي تُخطَب ، فهل يخبر بقضيتها ، بيد أن عمر لـم ينكر عليه فحسب ، بل حذرة من فعل ذلك قائلاً بأنه لو أخبر قضيـتها فإنه سيجعله " نكالاً لأهل الأمصار "(تاريخ عمر ٢٩٣) وتصل عمليـة الأسطرة إلى منتهاها حيث تقـول الرواية إن كعب الأحبـار قد تنبأ لعـمر بأنه سيمـوت " شهيـداً " قبل ثلاث أيام من مقـتله وأنه وجد صفته في التوارة ، لكن عمر تساءل أني له " الشهادة " في الجزيرة العربية بعيداً عن

ميادين الحروب ، ثم تتصاعد الأسطرة بجعل عمر خاتمه سعادة المسلمين، فقيل " طويت سعادة المسلمين في أكفان عمر "(سيرة أعلام النبلاء) .

وفي السيرة المتوارية لمالك مسلماني يقول إن عهد عمر المؤمثل صار أيضاً عهداً (مؤسطراً)، ولهذا كان حكمه عهد الخير والبركة والعدل وكل ما أنتجة الفكر الإسلامي من صور "يوتوبية" ، واذ إقترن الأمر هنا بمسأله دعم وجهات نظر السنة من جهه ، فان البناء الفكري السياسي الذي عول أيضاً علي ربط العرب والإسلام ، ولا سيما في المرحلة الأموية ، قد دفع بالفكر المقابل إلى إنتاج يوتوبيا مقلوبة أو شريرة (kakotopia . Dystopia) بشأن عمر لقد أخذ الفكر الشيعي صورة عمر المؤمثلة سنياً بأبهي حللها وحولها إلي أسوأ صورها في صراع يعكس بالحقيقه . . . ضد الفكر السني والتاريخ العام السني .

عمر المؤبلس (=الرؤية الشيعية)(*)

الزواج من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب

يقال إن المغيرة بن شعبه هو الذي إقترح علي عمر فكرة الزواج فيها وكان عمر قد خطب إلى علي أبي طالب أم كلثوم ، لكن علياً تعلل في البدء بأنها صغيرة فقال له عمر أنه يريد أن يمت بصلة نسب إلي محمد (اليعقوبي ٢ / ١٤٩ . الاستيعاب ، ٢٥٨٧) و قد تزوجها فعلاً سنة ١٧ هجرية (تاريخ الطبري ٢/ ٤٩٢) و كان ذلك بعد زيارات كثيرة لعلي . و قد أصدقها حسب الروايات المختلفة في المراجع

(*) ليس المقصود من ذلك الإساءة لعمر بن الخطاب أولاً لتعارض ذلك مع أساسيات البحث العلمي وثانيًا لضرورة عرض وجهات النظر الأخرى وهذا أيضًا ضمن الأساسيات السابق ذكرها في المقدمة (=المؤلف).

أربعين ألف درهم و يبدو أن المبلغ كان كبيراً للغاية حسب معايير ذاك الزمان و قد قيل تبريراً لذلك بأن هذا الإكـرام الزائد لنسبها من محـمد (=الرسول) ، و الراجح أن ذلك كان للتعـويض عن التفاوت القبلي الذي كان سائداً قـبل الإسلام إذ يقول إبن حبـيب أن من هو " أشف من الآخر فـي الحسب " يعوض له فـي المهر (المُحبر ٣١٠) .

ويقول صاحب السيرة المتوارية ص ٢٨٥ ، (إن عمـر بهذا التصرف مدفوعاً بمصالح سـياسيـة و محاولة لتـأليف الهاشـميين من خلال هذا الزواج ، و الصـدقة السخـية ، إن هذا كله أحـدث إرباكاً كبـيراً في المصادر الشـيعيـة التي تراوحت في التعـاطي مع القصة إمـا بالنفي أو أن عمر قـد مارس ضغوطاً سـياسيـة و معنوية و تصل بعض الروايات لتـهـديد عمـر لعلي بالقـتل في حالـة لم يتحـقق هذا الزواج وأحد المخارج هو رواية شائعة تتحـدث عن أن جنية يهودية من أهل نجران تشبهت لعمر بصـورة أم كلثوم بأمر من علي (ظلامة أم كلثوم _ جعفـر مرتضي العاملي _ بيروت) بينما يري علي الحسيني الملاني أن الزواج قد تم بعقد فقط لصغر سن أم كلثوم كان ما يحدد سبب الإساءة هنا ، و عدم فهم البعد السياسي في سلوك المسلمين الأوائل مثل عمر و علي ، هي أن الأيدولوجية المعـادية لعمر ، و التي تشكلت لاحقاً كانت تحتـاج إلي تعاطي يسيـئ لعمر بهـذه المسألة تخلصاً من الإحـراج الذي يشكله هذا الزواج علي منظومتها ، و التي يشكل العداء اللا تاريـخي ضرورة لها ، و لهذا فقد وصفـه مرجع بأنه " أحول " ، و كـذلك أبا الحكـم ابن هشام (المُحبر ٣٠٣ _ باب الحولان الأشراف) .

ويمكن أن يكون الأمر كـذلك علي إعتبار عـامل القرابة بين الرجلين(*) أو أن الأمر مجرد مسبة وجهت ، كون مؤلف الكتاب من موالي الهاشميين .

وبعد هـزيمة قوات المسلمين في "أُحـد" أعتـبرت مجـموعـة من الرواة منهم الواقدي ذي الهـوى الشيعي ، إضـافة إلي رواة الشيعـة إن عمر كـان من جملة من غزوا ولـم يثـبتوا مع محمـد (= الرسول) و عند " الواقدي " في كتـابه المغازي إن الحديث يعود إلي خالد بن الوليد الذي كان يحدث الناس بالشام عن ذلك ، حيث إتهم عـمر بترك الميدان . (إبن أبي الحديد المعتزلي ٨/ ١٦ _ ١٨) فإن عـمر تمني هو و مسلمون آخـرون لو يلقي عبد الله بن أُبي _ زعيم المعارضة اليثربية _ من أجل أن يأخذ لهم أماناً من القتل (النص والإجتهاد ص ٣٢٧) .

ورواية أخـرى بعد مـا جاء تحريم الخـمر وقت الصـلاة في (سورة النساء ٤٣) "ياأيهـا الذين آمنوا لا تقـربوا الصلاة و أنتم سكارى حـتى تعلمـوا ما تقـولون و لا جنُباً إلا عـابري سبـيل حتي تغتسلوا " فـإن بعضاً من المسـلمين بقي يشربهـا حتي حدث ذات يوم أن شربها عمر ، فأخذ بلحي بعير ، و شج به رأس عبد الرحمن بن عوف، ثـم قعد يـنوح علي قتلي بدر بشـعر الأسـود بن يعفُر ، فلما عـلم محـمد (=النبي) بما جرى ، خرج " مغضباً يجر رداءه ، فـرفع شيئاً كان في يده فضربه به ، فقال : أعوذ بالله من غضبه و غضب رسـوله " فجاءت الآية التي تحرم الخمر قطعاً في (سورة المائدة ٩١) ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ و عندها قال عـمر " إنتـهينا إنتهينا " (النص والاجتهاد ٣١١-٣١٢ _ عبد الحسين الأميني) .

(*) أبو الحكم بن هشام وعمر بن الخطاب. (=المؤلف).

ثمه رواية تقـول إن عمـر في آخر أيامه إعـتراه نسيـان حتي كـان ينسي عدد ركعات الصلاة فجعل أمامه رجلاً يلقنه ، فإذا أومئ اليه أن يقوم أو يركع فعل (ابن أبي الحديد المعتزلي ٦/ ٢٣٦) وتمتاز هذه الرواية المصنوعه بغياب السند وعدم ذكر إسم الرجل .

ويقول إبن أبي الحديد بان فقهاء الصحابة كانوا عمربن الخطاب . وعبد الله بن عـباس وانهـما كلاهـما أخذا مـن علي بن أبي طالـب ، وان الثاني أخـذ بشكل ظاهر ، وعمـر بالرجوع اليـه في كثـير من المسائـل التي أشكلت عليه ، حـيث كان يقول " لولا علي لهلك عمر " (ابن أبي الحديد المعتزلي ١/ ٢٣). وهذا الأمر لا يُقبل أبدا بسبب من المنـحي النبوي الخاص بعـمر (السيـرة المتواريه ص ٢٨٧) كمـا نجد في نفس السيـاق بأن عمراً بعـد أن يأكل اللحم والخبز يمـسح بنعليه _ أو يده علي قدمـيه _ ويقول :" إن مناديل آل عمر نعالهم " (طبقات ابن سعد ٣/ ٣١٨)(*) .

(*) هو سياق قد يكون غير صحيح إلى جـانب مجافاته لأبسط قـواعد الذوق والحس لذا فلا نرى دقة نسبه لرجل بحجم عمر بن الخطاب (=المؤلف).

الفصل الرابع عشر

صورة بولس " اللاتاريخى "

(بين المؤسطر والمؤبلس)

ولعل بولس ولأهمية وقوه شخصيتـه في الفكر المسيحي قد نال نصيبه من التقديس والتعريض في آن ولنبدأ ببولس المؤمثل أو بولس " اللا تاريخي "

بولس المجاهد

كان بولس أحد المحافظين علي الشريعة بـدقه تثير الدهشه ويعلن عن ذلك بامتنان وبدون تـواضع زائف " من جهة الختان مختـون في اليوم الـثامن من جنس اسرائيل من سبط بنيامين عبراني من العبرانيين ، من جهة البر الذي في الناموس بلا لوم (في ٣:٥-٦) يتضح من طريقه تقديم ذاته أننا أمام محـارب متمرس في التزاماته الفريسية وواع بانجازاته .

' هذا المحارب هو نموذج مثالي لعصـرة ، أدي السلام ساد ربوع الإمبراطورية أيام أوغسطس الي إزدهار التـجارة والأعمـال ويحتل بولس مكانه عاليـه بانجازاته وهو يعرف ذلك جيداً .

بولس المتواضع

كان بولس أكثر تحفظًا في الكلام عن حدث كشف يسوع له نفسه في طريق دمـشق وعندما يتـعرض له فـإنه يقول " وآخـر الكل كـأنه للسقط ظهـرلي أنا لأني

أصغـر الرسل أنا الذي لست أهلاً لان أدعي رسـولاً لأني إضطهدت كنيسه الله . ولكنه بنعمـه الله أنا ما أنا ونعمـته المعطاه لي لم تكن باطله بل أنا تعبت أكـثر من جميعهم . ولكن لا أنا بل نعمه الله التي معي " (كورنيثيوس الأولي ١٥:٨-١٠)

إنجيل بولس

يختلف الإنجيل الذي بشـربه بولس إختلافًا جـذريًا عن هذا التعليم وهذه العقليـه إذ بتعـرف الله علي الانسان ويقـبله دون النظر إلى إنجازاته أو إنتـماءاته أو إخلاصه أو مكانته الاجـتماعية أو جنسه ، لا يوجد أمـام الله أي ناموس يقيم علي أساسه . سوي النعمه ، ونعلم أن النعمة لا تمـنح نظرًا لاستحقاقات الانسان ، يقبل الإنسان النعمـة كعطية ، بدون أية قواعد ، ولا يدفع ثمنًا ليـشتريها ، كل ما تقـضيه النعمة هو أن يقبلها الإنسان وهذا القبول إسمه الإيمان .

تنحـرف الهويه المنغلقـه انحرافًـا شـاذًا وتؤدي إلى الهوية القـاتلة : يجب أن يختفي الآخر ويزول لأنه مختلف ، وتتحقق الهويه القاتلة في برنامج تطهير شامل. وفي قناعات بولس اللاهوتيه وتعليمه الثوري في اتجـاه إستقلال الإنسان أمام الله : "يوجد إنسان أمام الله مستقلاً عن صفـاته وملكاته وأعماله ، خاصية الله الأساسية انه لا يفرق أو اذا استعرنا تعبيرات العهدالقديم إنه لا يحابي ولا يرتشي (قارن التثنية ١٠:١٧ وأعمال الرسل ١٠:٣٤).

الرب إله الجميع

يري بولس أن العـودة الي أعمال النـاموس هي تدميـر للنعمـة وذلك يعني إعادة إقرار اسـتحقاق الإنسان أمـام الله وان التبرير بالفداء يشـمل البشرية جمـيعًا

بينما الناموس يشمل بعض الناس المسجونين في تعاليمه المرهقة " إذ الجميع أخطأ وأعوزهم مجد الله . متبررين مجانًا بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح (رومية ٣:٢٣-٢٤) ويجب اعتبار كلمه «مجانًا» أهم نقطه في الرسالة حيث أن إيمان المؤمن ليس إستحقاقًا لانه مدين به .

ولعل إنقلاب بولس كان جذريًا (دانيال مارجيورا ص٤٢)" الإبتعاد عن إيمان يقرن حب الله بالصفات البشرية واذا كان الله واحد وحيد فهو بالتالي إله الجميع مادام ليس إله شعب بعينه أو فئه بعينها .

وفي رسالتة إلى أهل رومية يؤكد في (٣:٢٩-٣٠) " أم الله لليهود فقط أليس للأمم أيضًا . بلي للأمم أيضًا ،لأنه الله واحد هو الذي سيبرر الختان بالايمان والغرلة(*) بالايمان "

وبالتالي لا يمكن أن نستمر العهد المبرم مع شعب واحد ، ليصبح الايمان حق لكل الذين يؤمنون أن يسوع بحياته وأعماله أن النعمه وحدها هي التي تليق بشموليه الله بدلاً من الناموس (= الشريعة) الذي يوزع الأدوار ويضيف المؤمنين حسب صفاتهم واستحقاقهم ، يمنح إله الجميع بنعمته بالتساوي . (بولس الطرسوسي ،ص ٤٢-٤٣).

بولس ضد اليهود

لعل بولس اشتهر بأنه الرجل الذي وصل فيما حققه إلى نقطة اللاعودة . هذا الأمر هو الفصل بين اليهوديه والمسيحية في القرن الأول الميلادي لقد تم كل

(*) يقصد بالغرلة قطعة اللحم الزائدة في ذكر الرجال غير المختونين في إشارة وكناية عن غير اليهود الذين قبلوا بالمسيح إلهًا وربًا ومخلصًا طبقًا لقانون الإيمان المسيحي (=المؤلف).

شئ كما لو أن بولس بعد أن اختص يسوع بإسرائيل ، قد قطع الأوردة التي تربطه باليهودية و فتح المسيحية للعالم .

وكتب دانيال بويارين boyarin و هو أحد اليهود الامريكيين في كتاب عن بولس نشر عام ١٩٩٤ " إن بولس هو أصل الانفتاح العالمي في الغرب إنه لرغبته الشديدة في إيجاد مكان للوثنيين في الإطار الذي حددته التوراة و قد زرع رغمًا عنه بذور خطاب مسيحي نزع تمامًا كل إيجابيات الخاصية الإثنية (= العرقية) والثقافية لليهودية و جعلها لعنة ، في نظر المسيحيين من أصل وثني " .

إنه لا يمكن بأي حال من الأحوال ، أن ننكر وجود خطاب لعنة مثل هذا في التاريخ . لقد كان تعليم بولس عن التبرير بدون الشريعة تعليمًا موجهًا ضد اليهودية ، و لكن هل كانت هذه نية بولس فعلاً ، هل هو عدو اليهودية ؟

.ينظر التاريخ إلي بولس أنه سبب الإنفصال بين الكنيسة و المجمع اليهودي وهي فكرة سطحية جداً لأن عملية الإنفصال بين اليهود والمسيحيين تمت علي مدار نصف قرن تقريبًا و يعتبر إنجيل مرقس أن الإنفصال كان سنة ٦٠ ميلادية بينما كانت بداية الإنفصال حسب إنجيل متي في سوريا سنة ٧٠ ميلادية و استكمالاً للصورة المؤبلسة لبولس منها قول الأبيونيون عنه أنه لم يكن يهوديًا قط و كذا من أكد إصابته بالصرع حسب رسالته الثانية لأهل كورنيثيوس و لعل مناوشته و شتائمه لتلاميذ يسوع في أعمال الرسل ووصفهم بصفات ذميمة و أيضًا إهانته لأهل غلاطية في رسالته إليهم مما سبق الكلام عنه في الفصول السابقة يتبقي رأي آخر في بولس و هل شاهد يسوع بالفعل ؟أم أن الذي ظهر له مجرد جني المسيح

الدجال anti-christ إن الرأي الذي قيل في هذا الأمر سواء كان حقيقي أم غير ذلك إلا أنها فرضية لابد منها في إطار عملية الأسطرة و اللاتاريخية لبولس خاصةً أنه شخصية تكاد تكون لا تاريخية بالفعل لعدم وجود بيان تاريخي حقيقي لوجوده حتى أصبح مثل الشخصية الوهمية لعدم وجود سجلات لطفولته و شبابه و رجولته و معلومات عن أسرته و حالته الإجتماعية و علاقته بأصدقائه كل هذا السجل مجهول حتى مشواره الإيماني لم تؤكد معلوماته سوى ما أخطر هو به عن نفسه منذ بدء ظهور يسوع له في طريق دمشق الشهير يقول كتاب (يسوع النصراني ص ٥٨) إن ما ظهر لبولس هو مسيح آخر أسطوري خيالي نشأ في مخيلة بولس وأنه نشأ من الإله و صلب و مات و قام من موته و أن كل ذلك تم في السماء دون أن يراه أحد من الناس . و هذا المسيح الآخر لا يتطلب إثبات تاريخي أو جغرافي لأنه خارج التاريخ و عالمنا الجغرافي فلا وجود لمريم أو يحيى (=يوحنا) أو زكريا في رسائل بولس كما أن الذي ظهر له ليس كما جاء في الترجمات العربية فلم يقل له " أنا يسوع الناصري (أعمال الرسل ٢٢ : ٨) بل إن الترجمة الصحيحة " أنا عيسي النصراني " و معروف إن النصراني غير الناصري

١ I am jesus the nazaren)

I am jesus of Nazareth

كما جاء في الترجمة الأمريكية القياسية الجديدة (NASB)

أماعن إنجيل المسيح يسوع الذي كان يبشر به تلاميذ المسيح فقد قال عنه بولس بأنه إنجيل آخر (غلاطية ١ : ٦-٨)

وقال أيـضًا في رسالـته لأهل رومـية (٧: ٤) " و هكذا أنتم أيضـًـا يا أخوتي فإنكم بجـسد المسـيح الذي مات قـد صرتم أمواتًا بالنسـبة للشـريعة لكي تصـيروا لآخر " (النسخـة العربية المعتـمد الجديدة من الكتـاب المقدس) ولم تذكر كلمـة "النصراني "في النسخ العـربية للأناجـيل و إتيانهم بكلمـة " ناصري " بدلاً منهـا أي أن بولس كان يدعو إلي مسيح روحاني ليس له جسد بشري لا يُري إلا في عالم الرؤى فقط حيث يترائي لبولس فيعطيه الأوامر .

" فقـد ظهرت لك لأعينك خـادمًا لي و شاهدًا بـهذه الرؤيا التي تراني فيـها الآن و بالرؤي التي سوف ستراني فيها بعد اليوم (أعمال الرسل ٢٦: ١٦) .

ويقول بولس من خـلال رسالته الثـانية لأهل كورنثـيوس (١٢:٨) " إنه ذلك الشيطان الذي كان شوكه في جـسد بولس ... تضرعت إلي الرب ثلاث مرات أن يفارقني .

صورة بولس المدُاهن (المتملق)

تزلف بولس لليونانـين الوثنين في النسخ الأصليه لرسائـله فلم يذكر اسم الله (الأب السـمـاوي) بل كـان يذكـره " زيوس " اسم إله اليـونانـين الوثني ثم ترجمت إلى GOD أي " الله " في النسخ المعتمده وأيضًا تم تغيير مسيح عيسي الي المسيح يسوع وعيسي مسيح الي يسوع المسيح ففي النسخة المعتمده الجديدة " كلي يعترف كل لسان بأن يسوع المسيح هو الرب " بتعريف كلمه الرب بالألف واللام .

وبمثله في نسخه كـتاب الحياة " حتي يعترف كل لسـان بأن يسوع المسيح هو الرب " وفي نسخة الآبـاء اليسوعين " ويشهد كل لسـان أن يسوع هو الرب " وفي

نسخه الكاثوليك " ويشهد كل لسان أن يسوع المسيح هو الرب " وترجمتها الانجليزية Lordjesus Christ أي رب يسوع مسيح وليست يسوع المسيح هو الرب. ويقول بولس في رسالته الأولي لكورنثيوس (٩:٢٠-٢١) "فصرت لليهودي كيهودي لأربح اليهود وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس . وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس مع أني لست بلا ناموس لثيوس (وليس الله) بل تحت الناموس لـ(مسيح) لأربح الذين بلا ناموس " ونجد كلمه «زيوس» اليونانية إله الوثنيين تحل محل " الله " أو " الرب" في النسخة الأصليه باللغه اليونانية .

و يقول الأب متي المسكين في كتابه (بولس الرسول ص ٨٩)

" وهكذا تأسست مسيحية بولس الرسول لا علي كلمة خبر سمعها ، بل علي المسيح الحي المتكلم معه من السماء ، و المتكلم فيه، والعامل فيه ، فمسيحية القديس بولس لم تقم علي مسيح التاريخ ، بل الرب الروح الحي ، العامل و الفعال في كل كيانه بقوة عمله و تدبيره ، و هكذا صارت ديانة القديس بولس الإعتماد الكامل علي شخص المسيح العامل فيه

وأضاف في ص ٩٠ : " مسيحية بولس قامت علي أساس الحلول ، أي حلول المسيح بالروح "

وقد صدرت وثيقة مؤتمر أورشليم بحرمان بولس الإنتساب لجماعة النصارى الموجودة فى فلسطين لغرابة تعاليم يسوع الحقيقية التى شهدها وعاينها التلاميذ وكذا عن تعاليم التوراة ووصفته الوثيقة بالخصم الكذاب ، نفجر الكذب

الذى رفض الشـريعـة فى وسطَ الجـمـاعـة واللسـان (=كـثـيـر الكلام) البـرّاق ، المستهذىء الذى سكب على إسرائيل أنهار الكذب (يسوع النصرانى ص ١٠٣) .

وهكذا... فإن من الخطأ أن ننظر لأي شـخصية من خلال وجهـة أحادية كأن نراها ملاكـا أو شيطانا فان (الأمـثلة والأبلسة) هى مـحاولة عرض وجـهات النظر المختلفـة حول نفس الشـخص لنكون رأيا موضـوعيا لشـخص من لحم ودم وليس تكوينا أسطوريا رمزيا أوما يمكن نطلق عليه «الشخصية اللاتاريخية» وهو ماحاولنا أن نتفاداة فى عـرض شخصيـتي عمر بن الخطاب وبولس الرسول مـعًا وأرجو أن نكون قد وفقنا في ذلك.

[المؤلف]

المراجع

أولاً: المراجع العربية

- المسيحية نشأتها وتطورها _ شارل چينبيير _ ترجمة الامام عبد الحليم محمود دار المعارف - ١٩٨١ .

- بولس الطرسوسي _ دانيال مارجيورا _ ترجمة الاب الدكتور كميل وليم دار الثقافة ٢٠٠٦ .

- يسوع النصرانى _ جمال الدين الشرقاوى _ مكتبة النافذة ٢٠٠٦ .

- نظرة فى كتاب العهد الجديد وعقائد النصرانية _ مكتبة النافذة ٢٠٠٥ .

- عمر بن الخطاب . السيرة المتوارية مالك مسلمانى _ دار الحوار دمشق ٢٠٠٦ .

-ابن ابى الحديد المعتزلى ، شرح نهج البلاغة _ مؤسسة الاعلامى للمطبوعات يدوى ١٩٩٩ .

- أسد الغابة فى معرفة الصحابة _ دار الفكر - بيروت ١٩٩٣ .

- تاريخ عمر بن الخطاب _ ابن الجوزى _ دار الحياة - حلب .

- نواسخ القرآن . المكتبة العصرية _ صيدا ٢٠٠٢ .

- المحبر لابن حبيب _ ١٩٤٢ _ دائرة المعارف الثمانية .

- فصائل الصحابة _ ابن حنبل . شبكة المعلومات الدولية

- مستند الإمام إحمد.   شبكة المعلومات الدولية

- الاستيعاب فى معرفة الاصحاب ، ابن عبد البر القرطبى .

شبكة المعلومات الدولية

- البداية والنهاية _ ابن كثير .   شبكة المعلومات الدولية

- لسان العرب لابن منظور .   شبكة المعلومات الدولية

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض.   شبكة المعلومات الدولية

- السيرة النبوية لابن هشام .   شبكة المعلومات الدولية

- فتوح الشام - تحقيق هانى الحاج _ المكتبة التوفيقية .

- تاريخ اليعقوبى - بيروت .

- التاريخ الكبير للبخارى .   شبكة المعلومات الدولية

- صحيح البخارى .

- الألفاظ السريانية فى المعاجم العربية ط ١٩٥١ .

- إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء _ محمد الخضرى ٢٠٠١ .

- تفسير البيضاوى .   شبكة المعلومات الدولية

- الشيخان _ طه حسين _ دار المعارف الطبعة الثامنة ١٩٨٦ .

- مجموعة الوثائق السياسة للمعهد النبوى والخلافة الراشدة _ دار النفائس بيروت ١٩٨٧ .

- بولس الرسول - الأب متى المسكين - دار الثقافة.

- سيرة بولس الرسول - حبيب سعيد- دار التأليف والنشر- الكنيسة الأسقفية بالتعاون مع دار الثقافة.

- الفاروق عمر بن الخطاب . ثانى الخلفاء الراشدين _ محمد رضا .

شبكة المعلومات الدولية

- الروض الأنف فى شرح السيرة النبوية لابن هشام . شبكة المعلومات الدولية

- تاريخ الخلفاء _ لجلال الدين الاسيوطى . شبكة المعلومات الدولية

- الاتقان فى علوم القرآن . شبكة المعلومات الدولية

- الملل والنحل للشهرستانى . شبكة المعلومات الدولية

- تفسير الطبرى (جامع البيان فى تأويل أى القرآن) . شبكة المعلومات الدولية

- أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر . شبكة المعلومات الدولية

- عبقرية عمر عباس محمود العقاد _ دار الهلال .

- المفضل فى تاريخ العرب قبل الاسلام _ جواد العلى _ الطبعة الاولى .

- الدر المستطاب فى موافقات عمر بن الخطاب . شبكة المعلومات الدولية

- النص والاجتهاد _ عبد الحسين شرف الدين الموسوى .

- فرق الشيعة _ للنونجتى . شبكة المعلومات الدولية

- الفاروق عمر محمد حسين هيكل _ دار المعارف الطبعة الثامنة ١٩٨٦ .

- أسباب النزل _ الواحدى _ دار الحديث ١٩٩٨م .

- المغازى للواقدى .

ثانيا: المراجع الاجنبية

-Geiger,Abraham,Judaism, and Islam,Translated by F-M young,Madras 1896.

- Sell,Canon,the Historical Development of the Qur'an .London1932.

-Wherry , the .Rev .E.M.,A Camprehensive Commentry on the Quran ,London 1882-1886.

-Al Phonse Mingana, Syriac in fluence on the style of the kuran Bulletin of the John Rylands Library Manchester : university press .Longsmans green co .London.England .vol11 .No1.1927.

-Gairdner.W.H.T.Iskandar,Abdul-Masih and Sali' Abdu'l-Ahad.the Verse of Stoning in the bible and the Qur'an. the Christen literature .Society for India .London,Madras, and Calombo.1910

هذا الكتاب مساهمة رائدة في إثراء قيم نراها ضرورة في وقت لا مكان فيه ولا وجود سوي للمتغلب من الأشياء متواضعة القيمة .. فنحن بصدد دراسة بحثية تاريخية تقرب في السرد الإنسانى بين شخصين من ديانتين مختلفتين علي مدي عصرين مختلفين ونبحث فيما هو مشترك بينهما من ظروف نشأة واجتهاد ونشاط في نشر الدين والمساهمة في تأسيس تشريعاته.

ولقد أراد الكاتب الباحث التصدى لهذا البحث الذي رآه بعض المقربين أثناء الكتابة أنه عمل يهدف أو يساهم في خلق حالة تقارب ذهني وثقافي بين أبناء الديانات المختلفة افتقدناه طويلاً تحت آكام الجهل والتعصب والتحيز ضد الآخر في محاولة للتغلب عليه وخلق جبهة مناوئه له بدلاً من محاولة فهمه والقرب منه ومن ثم .. التعايش معه.

الناشر

